محمد أمير يكن

يهوذا الاسخريوطي على الصليب

منشورات



الطبعة الأولى

شعبان 1399 من وفاة الرسول ﷺ

شهر الربيع «مارس» 1990 م



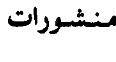
P.O Box: 03 Paola, Tel: 773201/4, Telex N°: 1387 IQRA M.W, Fax: 00356/ 800531, MALTA.

تمّ الجمع المرني في وحدة الجمع المرني

بدار اقرأ ــ مالطا

يهوذا الإسخريوطي على الصليب

محمد أمير يكن





بسم الله الرحمٰن الرحيم

ȮRA M.W, Fax: 00356/ 800531, MALTA.

تَمَّ الجمع المرئي في
بدار اقرأ ــ

المقدمة

إن الصِّهيونيـة العالميـة عدوة الإسلام والمسيحيـة تعمل بجديـة وبشكل منظم ، ومدروس ، وتنفق الأموال الطائلة ، لتقويض هذين الدينين العظيمين[1] .

إن حملات التشكيك بالأديان السماويـة ، وأصولـها ، وحقيقة الوحي ، وصدق الأنبياء ، أصبحت اليوم طوفانًا من الكتب والمقالات ، التي تريد أن تنسف ما بناه الأنبياء منذ فجر البشريـة حتى اليوم .

ويلبس كتَّاب هذه الحملات لباس العلم ليموِّهـوا على الآخرين حقيقة نواياهـم الإلحاديـة ، معززين دعواهم بقراءات محرفة لما جاء في الرقم الفخاريـة والكتابات المنقوشة على الآثار القديمة في سومر وأكاد وأشور وبابل وايبلا وممفيس والكرنك . مدعين أن هذه الرقم والنقوش تحكي قصة الخليقة وتتكلم على الطوفان الكبير في ملحمة جلجامش وتذكر أن هناك من يدعى بموسى البابلي . . . الخ ، وأن هذه الروايات مغايرة لما ورد في توراة اليهود « العهد القديم » مستنتجين من ذلك أن كتابات العهد القديم إن هي إلا اقتباس وتزوير لما جاء في هذه الرقم وما تناقله الناس من أساطير . جاعلين للكتب المقدسة أصولاً وثنية ، نافين ، الوحي والإلـهـام الإلـهي ، طاعنين في صدق الأنبياء ورسالاتهم .

وينساق كثير من الناس وراء هذه الأكاذيب ويضيعون في متاهـات الكفر والضلال مصدقين كل ما ينشر تحت عنوان العلم والحقيقة .

وباسم حريـة الرأي والتعبير ينشر هؤلاء الكتَّاب المشعوذون ما يشيع الفوضى ويضيع الحقيقة . وعلى رأس هؤلاء الصِّهيونيـة العالمية ، التي تدس أنفهـا في كل مجال ، لتحوِّر التاريخ ، ولتترجم بشكل خاطيء ومتعمد ما جاء في الرقم ، وما كشفته الحفريات ، خدمة لمصالحهـا ، وأغراضهـا العدوانيـة التوسعيـة .

لقد بدأ اليهود بسيرة أنبيائهم فشوهوهـا ثم عدوا على الأناجيل فحرفوهـا وثلثوا على الأحاديث النبويـة الشريفة فدسّوا فيهـا سمومهم وأكاذيبهم ليلبسوا على الناس أمور دينهم وليوردوهم موارد التهلكة والضياع . على المسلمين والمسيحيين أن يقفوا صفًا واحدًا متماسكًا متسلحين بالعلم والمنطق والبرهـان ليردوا عن الإنسانيـة ما تختلقه الصِّهيونيـة من أكاذيب وما تنشره من أباطيل تبغي من ذلك زعزعة الإيمان وهدم الأديان واستعباد الإنسان .

ومضمون هذا الكتاب هو إظهـار عظمة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وبيان الأسباب العلميـة والتاريخيـة التي دعت المسلمين لتبني وجهة نظر معينة مخالفة لما في الأناجيل المتداولة والمعتبرة في نظر المسيحيين .

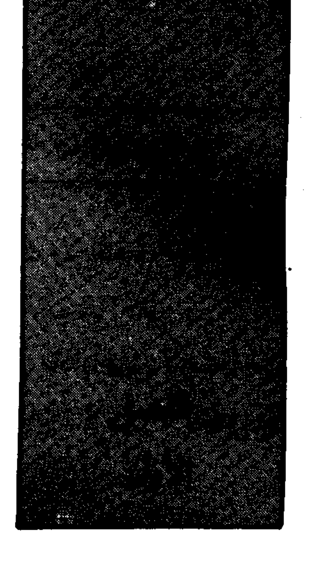
كما يبين هذا الكتاب الأسس والقواعد العامة التي تتطابق فيهـا وجهـات النظر عند كلٍ من المسلمين والمسيحيين . والتي يمكن أن نستند إليهـا لخلق جو من التقارب والتفاهم بين كلا الطرفين .

والله من وراء القصد ، وهو الموفق .

المؤلف

---

(1) بروتوكولات حكماء صهيون ـ ترجمة خليفة التونسي .



حتمية اللقاء بين الإسلام والمسيحية

ما أجمل أن يلتقي الإسلام والمسيحية على التقوى وعمل الخير لسعادة الإنسانية وتقدمها . فالمسيحية دين حب و إنسانية ، والإسلام دين سلام ورحمة ، كلاهما ساهمافي ترسيخ مبدإ الإيمان بالله ، وعملا على نشر الفضيلة والحفاظ على العفة وحضا على التقوى والعمل الصالح ، والتعاون ، وأرشدا إلى السلوك الأخلاقي السامي وسيكون لقاء الإسلام بالمسيحية في مصلحة الإنسان المسلم والمسيحي الذي فقد إيمانه تحت ضغط الثقافة الإلحادية الكافرة والإباحية المادية المعاصرة .

و إن هذا اللقاء آت وقريب لا ريب فيه ليس بسبب الالحاد والضغوط التي يعاني منها أصحاب الدينين فقط بل لأن أصولها وأهدافها وغاياتها واحدة . فالمسلمون والمسيحيون يعبدون إلٰهًا واحدًا .

﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ * ﴾[1] .

﴿ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ * رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ * ﴾[2] .

[وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلـه الحقيقي وحدك . والذي أرسلته يسوع المسيح][3] .

والمسلمون والمسيحيون يؤمنون باليوم الآخر يوم الدينونة والحساب حيث ينال الإنسان جزاء أعماله .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا * ﴾[4] .

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * ﴾[5] .

[فإن عرضتك عينك اليمنى لزّلة فاقلعها وألقها عنك فإنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله

---

(1) سورة العنكبوت : الآية 46 .

(2) سورة الصافات : الآيتان 4 و 5 .

(3) إنجيل يوحنا ، فصل 17 : 3 .

(4) سورة الكهف : الآية 110 .

(5) سورة البقرة : الآية 281 .

في جهنم و إذا عرضتك يدك اليمنى لزلة فاقطعها وألقها عنك فإنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يذهب جسدك كله إلى جهنم][1] .

[وبينما هو خارج إلى الطريق أسرع إليه رجل وجثا له وسأله: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية . فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحًا؟ إنه لا صالح إلا الله وحده . قد عرفت الوصايا : لا تزن ، لاتقتل، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تخن ، أكرم أباك وأمك][2] .

لقد مد الإسلام للمسيحية يد الحب والصداقة يد التعاون والتآخي ورغبة منه في التقارب والتلاقي أثبت صلة الرحم والمصاهرة بين المسلمين والمسيحيين على اعتبار أنهم عائلة واحدة .

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[3] .

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4] .

وأكثر من ذلك فقد جاء في القرآن أن المسيح بَشَّر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[5] .

نعم لقد كان اليهود ينتظرون النبيَّ محمدا صلى الله عليه وسلم لذلك سألوا يوحنا[6] المعمدان:

[النبيُّ أنت؟ أجاب كلا][7] .

واستجابة لتساؤلات اليهود أخبر المسيح بأن اسم النبي هو أحمد وبما أن الأناجيل مكتوبة باليونانية فقد ترجمت كلمة أحمد إلى « بيركلوتوس » ثم أُعيدت ترجمتها إلى العربية فكتبت أولاً فارقليط ثم أصبحت المعزّي[8] والمؤيد وقد ضاعت الحقيقة[9] بين هذه الترجمات ولكن هناك دلالات أخرى .

ولكن لا نريد أن نكتب احتمالات أو تكهنات ، ونترك معالجة هذا الموضوع لدارسي اللغة اليونانية فهم أقدر منا على معالجة هذا الموضوع ، ولكن نؤكد بشارة المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد اسم محمد بلفظ مسيًّا في إنجيل برنابا الفصل السابع والتسعون فقد سأل الكاهن المسيح: ماذا يسمى مَسيًّا وما هي العلاقة التي تعلن مجيئه ، فأجاب

---

(1) متى : 5 : 29 ـ 30 .

(2) مرقس : 10 : 17 ـ 18 ـ 19 .

(3) سورة المؤمنون : الآية 52 .

(4) سورة المائدة : الآية 5 .

(5) سورة الصف : الآية 6 .

(6) يحيى عليه السلام .

(7) يوحنا : 1 : 21 .

(8) يوحنا : الفصول : 14 ، 15 ، 16 .

(9) ترجمت كلمة بيركلوتس إلى الإنجليزية باركليف ، أي : المؤيد ، الشفيع ، والمنقذ .

يسوع: إن اسمه المبارك محمد ، وكذلك وردت البشارة بالمسيا في الاسدوراس الثاني الفصل السابع .

ويرفض المسيح شهادة الإنسان لتعريفه لأنه يعرف مسبقًا بأن هذه الشهادة خاطئة ويخبر أن الشهادة الصحيحة في حقه هي شهادة القرآن الكريم .

[وإن كنت أنا أشهد لنفسي فليست شهادتي حقًّا . إنما الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهد لي بها هي حق . أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق ، وأما أنا فلا أقبل شهادةً من إنسان ، ولكني أقول لكم هذا لتخلصوا أنتم][1] .

وجاءت شهادة القرآن بالمسيح واضحة لا لَبْسَ فيها ولا غموض .

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * ﴾[2] .

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * ﴾[3] .

وتحت عنوان راكب الحصان الأبيض يبشر القديس يوحنا في رؤياه[4] برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام . ويُعبر عن القرآن الكريم بسيف صارم يخرج من فم رسول الله فتخضع له الأمم والشعوب . ويكتم القديس يوحنا اسم رسول الله ولكن يلقبه بالصادق الأمين .

[وبعد ذلك رأيت أن السماء قد انفتحت وإذا بفرس أبيض ، والراكب عليه يسمى الأمين الصادق . وهو يقضي ويحارب بالعدل . عيناه تشبهان شعلة نار[5] وعلى رأسه أكاليل كثيرة[6] . واسمه مكتوب عليه ولكن لا أحد غيره يعرف من هو . وعليه ثوب مصبوغ بالدم ، وكلامه بسم الله[7] . وتتبعه جيوش السماء على خيل بيض لابسين ثيابًا بيضاء نقية[8] . ومن فيه يخرج سيف صارم ليضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد ، ويدوس معصرة سخط وغضب الله القدير[9] وعلى ثوبه وعلى فخذه مكتوب ملك الملوك وسيد الأسياد] .

ويسمي القديس يوحنا في رؤياه . القرآن الكريم بالرسالة[10] الخالدة معلنًا سقوط بابل إشارة لنبوءه[11] دانيال التي

(1) إنجيل يوحنا : 5 : 31 .

(2) سورة المائدة : الآية 75 .

(3) سورة الزخرف : الآيات من 57 إلى 59 .

(4) رؤيا يوحنا : 19 : 11 ، 12 ، 13 ، 14 ، 15 ، 16 .

(5) من صفات النبي احمرار خفيف في بياض عينيه .

(6) كناية عن العمامة المؤلفة من عدة أدوار .

(7) وكلامه باسم الله أصح في الترجمة واسمه كلمة الله .

(8) إشارة إلى لباس الحج والإحرام عند المسلمين .

(9) يعني أن هذا النبي يسحق أعداءه ويدوسهم كما يداس العنب في المعصرة .

(10) ترجمة An Eternal Message كما وردت في: Good News Bible .

(11) نبوءة دانيال ، كل الفصل الثاني ، وخاصة الفقرة 44 .

يبشر فيها بظهور الأمة المحمدية وبقائها إلى آخر الدهر .

[ورأيت ملاكًا آخر يطير في وسط السماء ومعه الرسالة الخالدة مبشرًا بها القاطنين في الأرض وكل أمة وقبيلة ولسان وشعب[1] قائلاً بصوت عظيم اتقوا الله ومجدوه فإن ساعة دينونته قد أتت واسجدوا لمن خلق السماء والأرض والبحر وينابيع المياه . وتبعه ملاك آخر يقول سقطت بابل العظيمة التي سقت الجميع من خمرها ـ خمر الشهوة الفاجرة][2] .

وعندما تتوفر الرغبة الحقيقية والصادقة باللقاء والتقارب فإن هناك نصوصًا أخرى كثيرة تسهل هذا التقارب وتدعمه لا بل تحضُّ عليه وتطالب به .

إن نجاح الصِّهيونية في تحويل العالم المسيحي إلى عالم لا ديني لا يؤمن بغير المادة ولا يعترف بغير القوة ولا يتعامل بغير الحيلة والخديعة . دعت المخلصين من المسيحيين للاستجابة لنداء الإسلام بالتقارب بين الإسلام والمسيحية و إعادة النظر في موقف كل من الطرفين تجاه الطرف الآخر تمهيدًا لتوحيد الصف للوقوف في وجه الالحاد الذي تتبناه الصِّهيونية العالمية لإشاعة الفوضى والانحلال الأخلاقي في الجنس البشري تمهيدًا للسيطرة عليه[3] .

إن منطق التقارب يقتضي الصراحة والصدق للوصول إلى التفاهم والمحبة أما العقل والمنطق والحجة والبرهان فهو أساس الحكم العدل الذي يقبل به المسلمون والمسيحيون على السواء لترجيح وجهة نظر معينة يختلف فيها الطرفان . وأما البعد عن الهوى والمنفعة الشخصية الدنيوية المؤقتة فهو مطلب أساسي للوصول إلى الحقيقة التي تقربنا من الله تعالى .

ولكن هل ترضي حكومات الغرب ودوائره الاستعمارية عن هذا التقارب؟

هل سيسكت عملاء الاستعمار وأذنابه ويقفوا مكتوفي الأيدي تجاه هذه الخطوة الإيجابية؟

لقد نبذ الغربيون والشرقيون الدين المسيحي ورموه وراء ظهورهم واتبعوا شهواتهم وانساقوا وراء نزواتهم وجعلوا من دينهم مطية ينادون به في بلدان العالم الثالث حيث يحتاجون لعملاء[4] ووكلاء يُروِّجون لهم سلعهم وبضائعهم . واحتضنت كل دولة مستعمرة مذهبًا أو جعلت من نفسها حامية لأقلية أو طائفة لتدس أنفها في شؤون الدول الضعيفة أو لتحكم قبضتها حول اقتصاد هذه الدول . علمًا بأن الدول الاستعمارية تضطهد مواطنيها معتنقي المذهب الذي تحميه وتسخر منهم ولا تسمح لهم بممارسة نشاطاتهم الدينية إلا خارج حدود الوطن وبما يعود عليها بالفوائد والأرباح . وعليه فإن الغرب كهيئة استعمارية لا يرغب ولا يحب هذا التقارب لأنه يفقد منفذًا إلى دول العالم الثالث .

ومن الطبيعي أن لا تكون الصِّهيونية مسرورة بهذه الدعوة للتقارب والتفاهم فمبدؤها الأول « فرِّق تسد » . هو مصدر قوتها وربحها ويهمها دائمًا إشعال الحروب والفتن لتستفيد من بيع السلاح للطرفين المتنازعين كما تنمي ثروتها بإقراض المتحاربين بربا فاحش مستغلة حاجتهم للمال والسلاح .

﴿ . . . كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ * ﴾[5] .

---

(1) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ * ﴾ «سورة الأنبياء : الآية 107» .

(2) رؤيا يوحنا ، الفصل 14 : 6 ـ 7 ـ 8 .

(3) بروتوكولات حكماء صهيون .

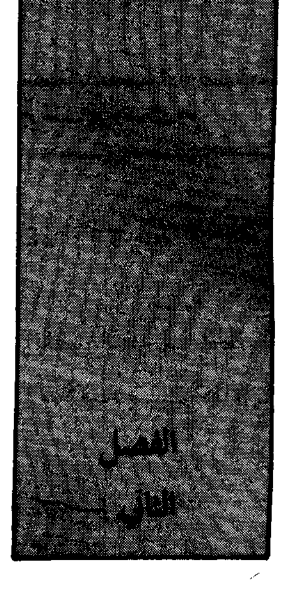
(4) التبشير والاستعمار ، مصطفى الخالدي وعمر فروخ .

(5) سورة المائدة : الآية 64 .

إن التمعن والتحقق من صدق ما جاء في الفصول القادمة من هذا الكتاب سيوصل القاريء الذي يطلب الحقيقة إلى مبتغاه . وسيكون العقل مرشدًا على الطريق الذي سيتلاقى فيه المؤمنون الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر . للعمل معًا يدًا واحدة لما يسعد الإنسانية ويحقق لها الرفاهية والرخاء بعيدًا عن المنازعات والحروب والاستغلال والاستعمار .

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1] .

(1) سورة إبراهيم : الآية 52 .



نسب المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام

أولى العرب موضوع النسب أهمية قد تكون أكثر مما يستحق . وكانوا يحفظون أنسابهم ويفتخرون بها . وقد يكون سبب هذا الاهتمام الزائد هو إعطاء الإنسان العربي حافزًا قويًا ليراقب تصرفاته الشخصية ويبتعد عما يشينه أو يصمه بالعار لعلمه بأن أي تصرف سيء ومشين ، سيكسب أولاده سمعة سيئة وهذا ما سيخجلون منه مما يضطرهم أحيانًا للرحيل والهجرة إلى مكان لا يُعرف فيه شيء عن سابق تاريخهم و إن لم يرحلوا فإن قيمتهم الاجتماعية ستتدنى أو يُنظر إليهم دائمًا باحتراس وريبة ، ويعانون رجالاً ونساءً صعوبة كبيرة في الزواج ويحرمون من تقلد الرئاسات.وقد أُلِّفَتْ كتب كثيرة ـ من قديم الزمان ـ تبين الأنساب للقبائل والعشائر العربية. لا بل تعدى الأمر إلي الخيول العربية فكان لكل حصان ولكل فرس سلسلة من النسب . ويفخر مقتنوا هذه الخيول وحتى يومنا هذا بأنساب خيولهم وتكون قيمة الفرس أو الحصان حسب أصله ووثاقة نسبه .

وكانت مكانة المرأة العربية ورفعتها مستمدة من شرف محتدها وعريق أصلها لذلك كانت المرأة العربية تحفظ سمعتها وتخاف على مكانتها فلا تتصرف إلا كما يليق بكرامتها وأخوف ما تخاف عليه المرأة العربية هو شرفها وطهارة ذيلها . وأخوف ما يخاف منه العربي هو أن يتزوج امرأة مجهولة الأصل تدس له في نسبه ما ليس منه .

وجاء الإسلام يبين أن كرامة الإنسان تتعلق بعمله الشخصي مستقلاً عن الآخرين أجدادًا كانوا أم أحفادًا . و إن جزاء الإنسان وحسابه لن يكون إلا عن أعماله التي اقترفها معلنًا أن جميع البشر متساوون ينتسبون إلى آدم . فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ * ﴾[1] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ * ﴾[2] .

« كلكم لآدم وآدم من تراب »[3] .

---

(1) سورة الحجرات : الآية 13 .

(2) سورة لقمان : الآية 32 .

(3) حديث نبوي شريف .

وهذه التوجيهات لا تتعارض مع حفظ النسب ولكن تنهى عن الافتخار بأعمال الآخرين . و إن كان لإنسان أن يفخر فليفخر بعمله و إنجازه الشخصي .

وبهذا فإن الإسلام فتح الباب على مصراعيه ليتسابق الناس في المكرمات وأعمال الخير بغض النظر عن الخلفية التاريخية للآباء والأجداد ولهذا السبب نجد شخصيات كثيرة تبوَّأت أعلى المناصب في الدولة الإسلامية بسبب كفاءتها وحسن تدبيرها وليس بسبب حسبها أو نسبها . وقد بين الشاعر هذا المعنى بقوله :

لا تقل أصلي وفصلي أبدًا إنما أصل الفتى ما قد حصل [1]

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[2] .

وقد ورد ذكر نسب المسيح عيسى ابن مريم في انجيلي متَّى ولوقا . ويلمس القاريء العادي التضارب الحاد والاختلاف الواضح بين الانجيلين المذكورين مما يدل على أن أحدهما ـ أو كليهما ـ قد أخطأ في معرفة نسب المسيح عليه السلام .

في هذا الفصل سنبين نسب المسيح الحقيقي ثم نذكر مختصرًا لتاريخ أنبياء بني إسرائيل مدللين على التشويه والتحريف المتعمد لسيرة هؤلاء الأنبياء الكرام .

لتسهل المقارنة بين ما كتب في انجيلي متَّى ولوقا يحسن أن نرتب النسبين ونضعهما في جدولين متقاربين في صفحة واحدة . ونبتديء بالمسيح عليه السلام وننتهي بإبراهيم جد الأنبياء عليه الصلاة والسلام . مع الترقيم .

نسب المسيح في انجيل متَّى .

1	المسيح	8	صادوق	15	؟؟؟	22	عوزيا	29	داود	36	أرام
2	يوسف	9	عازر	16	يوشيا	23	يورام	30	يسي	37	حصرون
3	يعقوب	10	الياقيم	17	أمون	24	يوشافاط	31	عوبيد	38	فارص
4	متان	11	أيهود	18	منسي	25	آسا	32	بوعز	39	يهوذا
5	عازر	12	زربابل	19	حزقيا	26	آبيا	33	سلمون	40	يعقوب
6	اليهود	13	شألتئيل	20	آحاذ	27	رحبعام	34	نحشون	41	اسحق
7	آخيم	14	يكنيا	21	يوتام	28	سليمان	35	عمي ناداب	42	إبراهيم

(1) الشاعر الماوردي ، «عصر الانحطاط» .

(2) سورة البقرة : الآية 140 .

نسب المسيح في انجيل لوقا .

1	المسيح	11	ناحوم	21	زربابل	31	يوريم	41	متاثا	51	عرني
2	يوسف	12	حسلي	22	شألتئيل	32	متات	42	ناثان	52	حصرون
3	عالي	13	نجاي	23	نيري	33	لاوي	43	داود	53	فارص
4	متات	14	مآت	24	ملكي	34	شمعون	44	يسي	54	يهوذا
5	لاوي	15	متتيا	25	أدي	35	يهوذا	45	عوبيد	55	يعقوب
6	ملكي	16	شمعي	26	قوسام	36	يوسف	46	بوعز	56	اسحق
7	ينا	17	يوسف	27	المودام	37	يونان	47	سلمون	57	إبراهيم
8	يوسف	18	يهوذا	28	عير	38	الياقيم	48	نحشون		
9	متتيا	19	يوحنا	29	يوسف	39	مليا	49	عمي ناداب		
10	عاموص	20	ريسا	30	اليعازر	40	منا	50	أرام		

وبعد مقارنة النسبين مع بعضهما وغاية كل منهما سنبين اختلاف كل من النسبين مع ما جاء في كتاب العهد القديم والمعتبر مقدسًا في نظر كثير من المسيحيين .

1 ـ اتفق المسلمون والمسيحيون على أن المسيح عليه السلام هو ابن مريم البتول العذراء والتي يؤكد المسيحيون بقاء عذريتها حتى بعد ولادة المسيح[1] . لذلك لا يصح التعبير عن نسب المسيح إلا عن طريق مريم ووالدها عمران . كما جاء في القرآن الكريم[2] . ولا معنى لكتابة نسب يوسف . اللهم إلا إذا كان المراد في ذلك تبيان أن يوسف سليل عائلة مشهورٌ رجالها بالزني حسب ما ورد في ترجمة هؤلاء الرجال في كتاب العهد القديم .

2 ـ اختلف متَّى ولوقا في اسم والد يوسف فمتَّى يذكر يعقوب ولوقا يذكر عالي ثم يختلف النسبان ويتباعدان كثيرًا .

3 ـ يعود النسبان للالتقاء على أزربابل ويجعله متَّى الجد الثاني عشر للمسيح بينما يجعله لوقا الجد الحادي والعشرين . وابن زربابل عند متَّى هو ابيهود وعند لوقا هو ريسا .

4 ـ تذكر الأناجيل أن المسيح من أولاد داود ومتَّى يجعله من فرع سليمان أما لوقا فيجعله من فرع ناثان .

5 ـ يذكر متَّى أن بين المسيح و إبراهيم عليهما السلام اثنين وأربعين جيلاً ويذكر لوقا أن بينهما سبعا وخمسين جيلاً . والفرق الزمني بين الروايتين يزيد عن خمسمئة عام .

6 ـ يجعل متَّى من أجداد المسيح الملوك والرؤساء وأما لوقا فيذكر أشخاصًا مجهولين .

7 ـ يذكر الانجيلان أن والد زربابل هو شألتئيل بينما يذكر كتاب العهد القديم أن والد زربابل هو فدايا[3] . كما أن أولاد زربابل هم : مشلام ـ حننيا ـ واختهم شلوميت ـ وحشوبه ـ واوهل ـ وبركيا ـ وحديا ويوشب حاسد خمسة[4] . أي أنه لا يوجد لزربابل ولد اسمه ابيهود كما ذكر متَّى . ولا ريا كما ذكر لوقا .

(1) بقاء عذرية السيدة مريم بعد الولادة ، يعني : أن امرأة أخرى أرضعت المسيح وهي المدعوة مريم أخت مريم . « عقيدة التجسد الإلهي . البطريرك أغناطيوس زكا الأولعيداص » . ص 77 عام 1981 م .

(2) سورة آل عمران : الآية 25 وما بعدها .

(3) العهد القديم ، أخبار الأيام ، الفصل : 3 : 19 .

(4) أخبار الأيام ، الفصل : 3 : 20 .

8 ـ يذكر العهد القديم أن والدة بوعز هي البغية راحاب العمونية[1] وأن والدة عوبيد هي راعوث[2] المؤابية وبني عمون وبني مؤاب هم من أولاد لوط[3] من ابنتيه كما يذكر العهد القديم[4] .

9 ـ يذكر متَّى أن سليمان جد المسيح هو من أبناء بتشابع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي[5] . وعليه فإن جدة المسيح هي بتشابع التي رضيت خيانة زوجها مع داود . حسب ادعاء العهد القديم .

10 ـ يذكر متَّى أن بين المسيح و إبراهيم اثنين وأربعين جيلاً كما يلي :

[فكل الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ومن داود إلى جلاء بابل أربعة عشر جيلاً ومن جلاء بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً][6] .

ولكن بتعداد الأجيال المذكورة في الأناجيل المتداولة حاليًا نجد أن عدد الأجيال هو واحد وأربعون جيلاً فقط . فأين الاسم الناقص؟

بالرجوع إلى كتاب العهد القديم[7] نجد أن الاسم المفقود هو يوياقيم .

هل حذف هذا الاسم عمدًا أم سقط سهوًا؟

يؤكد نقاد الأناجيل أن هذا الاسم محذوف عمدًا لأنه يطعن في صدق نبوَّة المسيح ويجعل منه دجالاً . والسبب في ذلك وكما هو مثبت في كتاب العهد القديم أن النبي آرميا تنبأ ليوياقيم فقال له :

[هكذا قال الرب : اكتبوا هذا الرجل عقيمًا رجلاً لا يفلح في أيامه ولا يفلح من ذريته أحد يجلس على عرش داود ويتسلط في يهوذا من بعد][8] .

[فلذلك هكذا قال الرب على يوياقيم ملك يهوذا . إنه لا يكون له من يجلس على عرش داود وتكون جثته مطروحة للحر في النهار والقرس في الليل وافتقد عليه وعلى ذريته وعلى عبيده إثمهم][9] .

فإذا كان المسيح من سلالة داود وبالتالي من سلاله يوياقيم كما يذكر متَّى فليس له أن يجلس على عرش أبيه داود بحسب نبوءة آرميا.

11 ـ ورد في انجيل متى أن ابن حصرون هو أرام وفي بعض نسخ انجيل لوقا أن ابن حصرون هو عرني .

12 ـ ورد في انجيل لوقا أن بين إبراهيم وآدم واحدًا وعشرين جيلاً فقط .

---

(1) سفر يشوع ، الفصل : 2 : 1 .
(2) سفر راعوث ، الفصل : 2 : 2 .
(3) لوط ابن هاران ، ابن أخ إبراهيم الخليل . سفر التكوين ، فصل : 11 : 27 .
(4) سفر التكوين ، الفصل : 19 : 36 ـ 37 ، 38 .
(5) سفر الملوك الثاني ، الفصل : 11 : 3 .
(6) سفر متى ، الفصل : 1 : 17 .
(7) أخبار الملوك ، الأول ، الفصل : 3 : 15 ، 16 .
(8) نبوءة أرميا ، الفصل : 22 : 30 .
(9) نبوءة أرميا ، الفصل . 36 : 30 .

[إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن قينان بن ارفكشاد بن سام بن نوح بن لامك بن متد شالح بن اخنوخ بن يارد بن مهالمئيل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم ابن الله][1] .

وهذه الفترة الزمنية قصيرة جدًا بالنسبة لعمر الإنسانية والذي يقدر بمئات الآلاف من الأعوام كما يقدر ذلك علماء الأحياء الذين يبحثون في أمثال هذه المواضيع .

وأخيرًا فإن لوقا يصرح بأن آدم هو ابن الله فكيف تمت هذه الأبوة هل هي بسبب المحبة ؟ أم بسبب التوالد ؟ أم بسبب الرعاية ؟ وهل هذا تعبير صحيح يعطي معنى حقيقيا ؟ أم أنه مصطلح مجازي ؟ . ونُذكِّر هنا بأن الداروني‍ين يقولون بأن أصل الإنسان منحدر من القرود ؟؟؟ .

هذا السؤال موجه إلى من ادعوا بأن المسيح هو ابن الله .

هل هناك فرق بين بنوة آدم لله وبنوة المسيح لله؟ وما هو هذا الفرق ؟

وسنعود لهذا الموضوع في الفصل الذي عنوانه أبناء الله وأحباؤه .

نستنتج مما سبق ما يلي :

1 ـ أن لا قيمة تاريخية لما ذُكر في الانجيلين متَّى ولوقا بسبب تناقضها وبعدهما عن الحقيقةولننوه بأن ماذُكرفي هذين الانجيلين هو نسب يوسف النجار ولا علاقة للمسيح به من قريب أو بعيد .

2 ـ ننفي الالهام والوحي الإلهي عن كُتاب الأناجيل كما يحلو لبعض الجهلة المتعصبين أن يدَّعوا . بسبب الأغلاط الفاحشة والتناقض الظاهر والباطن فيما بينهما .

3 ـ يركز الكاتبان على أن المسيح من أولاد داود . جهلاً منهما بالنسب الحقيقي للمسيح وهما يحسبان أنهما يحسنان صنعًا بجعل المسيح سليل الملوك والعظماء علمًا بأن مباديء المسيح وتعاليمه لا تُقيِّم الشخص حسب أجداده بل حسب إيمانه وتقواه وحسب عمله الصالح وهؤلاء الملوك الأجداد الذين نُسِبَ المسيح إليهم في انجيل متَّى هم من شر خلق الله حسب ما ورد في العهد القديم[2] . فقد شجع هؤلاء الملوك على نشر الفسق والفجور واستهانوا بشريعة الرب وعملوا جميع رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من وجه بني إسرائيل . وعبدوا البعل وأقاموا التماثيل لفحل عشتاروت . وأحرقوا أبناءهم قرابين بشرية إرضاء لآلهة الأمم الأخرى . وسجدوا للأصنام وبنوا الغابات على الجبال والتلال حيث تقام العبادات الوثنية الجنسية الداعرة . وسمحوا بوجود المخنثين الذين كانوا ينشرون الرذيلة ويعملون عمل قوم لوط . فلا حاجة للمسيح بهذا النسب غير المُشرِّف .

من قراءة الفصل الأول في انجيل لوقا ومن قراءة سورة آل عمران في القرآن الكريم يمكننا الاستنتاج بأن والد السيدة مريم هو عمران من نسل هارون عليه السلام وهذا هو النسب الصحيح للمسيح .

[كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا . من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون اسمها اليصابات][3] .

---

(1) لوقا . الفصل 3 : 34 حتى 38 .

(2) سفر الملوك الرابع وأخبار الأيام .

(3) إنجيل لوقا . الفصل الأول : 1 : 5 و 36 .

ويخبر الملاك جبريل مريم العذراء قائلاً :

[وها إن اليصابات نسيبتك[1] قد حبلت هي أيضًا بابن في شيخوختها وهذا الشهر هو السادس لتلك المدعوة عاقرًا][2] .

كانت اليصابات خالة السيدة مريم وعليه فإن زكريا كان زوج خالتها .

كان عمران رئيس الكهنة في بيت المقدس . وكان محبوبًا من كافة الكهنة لتقواه الصادقة و إيمانه الحقيقي وأعماله الصالحة . إضافة لرفقه ولينه مع الكهنة الذين يعملون معه وكانت زوجته أم السيدة مثله قدوة في التقوى والصلاح .

أما يوسف النجار فهو ابن خال[3] السيدة مريم كان بارًا وتقيًا ومتزوجًا من امرأة اسمها مريم وكان له أولاد منها . وقد دعيت امرأة يوسف النجار بمريم أخت مريم أم المسيح ومريم هذه أرضعت المسيح لذلك دعيت بأخت مريم ولا يعقل أن يسمي شخص أولاده بذات الأسم فما هو معنى كلمة مريم أخت مريم إلا أن تكون الصلة بينهما كما ذكرنا كما أن الأناجيل ذكرت أن للمسيح إخوة فمن هم إخوة المسيح هؤلاء؟ . ألا يعني ذلك أخوة بالرضاع .

[وكانت واقفة عند صليب يسوع أمُهُ وأخت أمِهِ مريم التي لكلوبا . ومريم المجدلية][4] .

[أليس هذا هو ابن النجار . أليست أمه تسمى مريم . و إخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا][5] .

كانت الرئاسات المدنية والقيادات العسكرية من نصيب سبط يهوذا وكان داود ملك اليهود وصانع أمجادهم من سبط يهوذا وقد تولى بعده الملك ابنه سليمان ثم أحفاده من بعده . فكانت آمال اليهود منصبة على مُخلِص من بيت داود يعيد لهم أمجادهم الغابرة . أما وقد جاء المسيح من سبط لاوي وهو السبط الذي تولى الرئاسة الدينية فقد جحدوه لأنهم كانوا يريدون مجدًا عسكريًا ومُلكًا مستقلاً عن روما ولم يكونوا راغبين في اصلاح ديني وأخلاقي .

ونختم بحثنا في أنساب اليهود عامةً فنقول . لم يعد هناك عرق يهودي صافٍ . خلافًا لما يدعيه اليهود دائمًا بأنهم محافظون على نقاوة دمائهم . وذلك بسبب الغزو الخارجي المتكرر وما يتبعه من استباحة الحرمات ووطء النساء ، ولم يعد اليهود أبناء إبراهيم بل أصبحوا أبناء الجنود الغزاة .

[وأطفالهم يحطَّمون على عيونهم ، وبيوتهم تنهب ، ونساؤهم توطأ][6] .

---

(1) نسيبتك : بينها صلة في النسب = قريبتك .

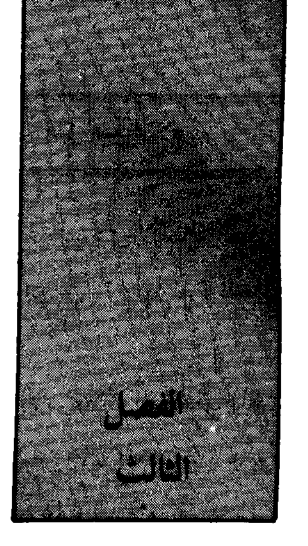
(2) إنجيل لوقا . الفصل الأول : 1 : 5 و 36 .

(3) البداية والنهاية لابن كثير .

(4) يوحنا الفصل 19 : 25 . ويقال لهن المريمات الثلاث .

(5) متى الفصل 13 : 55 .

(6) نبوءة أشعيا . 13 : 16 .



إبراهيم الخليل عليه السلام

إبراهيم الخليل جد الأنبياء وزعيمهم . إليه ينتسب موسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه .

ولد إبراهيم في بقعة طاهرة من أرض العرب . ولد في ما بين النهرين مهد الحضارات الأولى التي عرفتها البشرية .

ويعتبر إبراهيم الخليل أعظم شخصية في التاريخ إليه ينتسب العرب والعبريون على السواء ، وكثير من المؤرخين وعلماء الأجناس يعتبرون العبريين من فروع الدوحة العربية و إن كان العرب يتبرؤون من أعمالهم اللاإنسانية . فلا بد من التسليم بالحقائق التاريخية المثبتة في الكتب الدينية . والتوراة المنزلة على موسى تنص على الأخوَّة بين العرب والعبريين .

وقد أوصى موسى عليه السلام قومه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم بالصِّيغة التالية :

[فقال لي الرب قد أحسنوا فيما قالوا . سأقيم لهم نبيًا من بين إخوتهم[1] ، مثلك[2] ، وألقي كلامي في فيه[3] . فيخاطبهم بجميع ما آمره به . وأي إنسان لم يطع كلامي[4] الذي يتكلم به باسمى[5] فإني أحاسبه عليه] .

وتكررت هذه الفقرة في أعمال الرسل[6] وفيها أن كل من لا يسمع لذلك النبي تقطع[7] تلك النفس من بين الشعب . واليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح ومحمد عليهما السلام . قد خانوا كتبهم والعهود والمواثيق المقطوعة عليهم وخانوا أمتهم لذلك استحقوا الطرد منها .

أما اليهود الحاليون والمهاجرون إلى فلسطين من الغرب ذوو العيون الزرق والشعر الأشقر فهم لا يمتون إلى العرب ولا لإبراهيم بصلة أو نسب إنما هم من متهودة القرن السابع الميلادي وأصلهم من قبائل الخزر الآرية التي كانت تقطن وسط آسيا . وينتسبون إلى أشكناز[8] ابن جومر . وقد اعتنقت هذه القبائل الدين اليهودي بعد أن طردهم المنغوليون من بلادهم

---

(1) إخوتهم : أولاد إسماعيل .

(2) مثلك : ينجح في الدعوة إلى الإيمان وينقاد له الناس .

(3) يأتيه الوحي من الله .

(4) القرآن الكريم كلام الله .

(5) تبدأ سور القرآن ببسم الله الرحمٰن الرحيم .

(6) أعمال الرسول الفصل : 3 : 22 .

(7) تقتل أو تطرد وتشرد كما فعل النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع يهود الجزيرة العربية الذين عارضوه ولم يؤمنوا به .

(8) أخبار الأيام الأول الفصل : 1 : 5 . ونبوءة حزقيال الفصلان : 38 : 39 .

غرب بحر الخزر إلى شرق ووسط أوروبا وشمال البحر الأسود . ولم تلجأ هذه القبائل لاعتناق الدين اليهودي لأصالة الفكرة اليهودية أو مميزات وفضائل المؤمنين بها و إنما اعتنقوا اليهودية لأنها ترفع لواء التعصب العرقي وتغذي في أتباعها نعرة التعالي والسَّيطرة وتتبجح بامتيازات وهمية مباحة لها ومحرمة على المجتمعات الأخرى[1] .

لقد استطاع تجار اليهود ودعاة اليهودية الذين كانوا يجوبون العالم بحثًا عن مواطن الثروة والاستغلال أن يقنعوا الملك الوثني الخزري يولان باعتناق الدين اليهودي . بعد أن رفض اعتناق الدين المسيحي الذي دعاه إليه رجال الكنيسة . وتهود شعب الخزر مع ملكه ليصبحوا أسوأ وأكثر شرًا وفسادًا من اليهود أنفسهم كما بين ذلك المسيح عليه السلام بقوله :

[الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تطوفون البر والبحر لتهودوا دخيلاً واحدًا . فإذا حصل . جعلتموه ابن جهنم ضعف ما أنتم عليه] .

واستوطن الشعب الخزري « الاشكانزيم » بولندا ــ ألمانيا ــ أوكرانيا ــ لتوانيا ــ روسيا ــ غاليسيا ــ ورومانيا . واندمج في الشعوب الأخرى واختلط معها . عن طريق التزاوج والخطف والإغارة والحروب وذابت قوميته مع قوميات تلك الشعوب مع احتفاظه بدينه .

عندما بلغ إبراهيم السابعة من عمره أخذ يلهو بالآلهة الأصنام الموجودة في بيت أبيه فكان يربط تمثال الإله من رقبته ويجره على الأرض وراءه . فأينما سار إبراهيم تبعه التمثال لا يبدي مقاومة أو معارضة . وكان إبراهيم يتقصد أحيانًا تمريغ هذه الأصنام في المزابل أو دفنها فيها والأصنام لا تبدي ممانعة أو احتجاجًا . لذلك تجرأ إبراهيم على الأصنام وهو صغير السن ولم يخف منها .

وفي يوم من الأيام سأل إبراهيم أباه : يا ابتاه من صنع الإنسان ؟

أجاب والده : الإنسان يصنع الإنسان فأنا صنعتك وأبي صنعني .

سأل إبراهيم : إذا كان الإنسان يصنع الإنسان والحيوان يصنع الحيوان فمن صنع الأرض والسماء .

أجاب والده : لم أشهد خلق الأرض أو السماء حتى أقول لك من هو صانعها . وما يهمك أنت من هذا السؤال .

قال إبراهيم : لا بد أن لهذا العالم من صانع فلا شيء يوجد من العدم .

وفي يوم آخر سأل إبراهيم :

﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ** ﴾[2] .

﴿ **قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ** ﴾[3] .

﴿ **قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ** ﴾[4] .

فأعادوا قولهم : ﴿ **قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾[5] .

---

(1) اليهود في موكب التاريخ ــ صابر عبد الرحمن طعيمة .

(2 و 3) سورة الأنبياء : الآيات 52 ــ 53 .

(4 و 5) سورة الشعراء : الآيات : 72 ــ 73 ــ 74 .

ويومًا انفرد الأب بابنه وأسرَّ له : يا بنيَّ نحن في رغد من العيش بسبب صناعتنا وكهانتنا لهذه التماثيل ولولا حاجة الناس إليها واستفادتهم منها لما أقبلوا على شرائها ولما قدّموا لها الأضاحي والقرابين إن الناس يتقون الأرواح الشريرة بوضع هذه التماثيل في بيوتهم ويطردونها بعيدًا عنهم . كما أنهم يستجلبون الخير والبركة بتماثيل أخرىٰ . إن هذه التماثيل رموز لقوىٰ الكواكب التي تتحكم بالأرض والسماء .

ومنذ ذلك اليوم و إبراهيم مشغول بالبحث عن حقيقة أقوال أبيه . كان يراقب النجوم ويرصد حركاتها ويلاحظ غيابها أو ضعف إضاءتها عند بزوغ القمر فيرجح عنده أن القمر أقوى من النجوم فنوره يطغىٰ على نورها . ولكن هل قوة القمر وسلطانه بالليل فقط ؟ فحالما تطلع الشمس تغيبه وتبطل سحر جماله وروعة منظره . إذًا فالشمس مصدر الحرارة وهي أقوىٰ من النجوم والكواكب ولكن ما بالها تختفي في الليل .

كان إبراهيم يحاول إيجاد الصلة بين حياة الإنسان وتأثير هذه النجوم والكواكب عليها فلا يصل إلى نتيجة مرضية يرتاح لها قلبه ويقبلها عقله . وبعد مراقبة طويلة وتفكير عميق توصل إبراهيم إلى نتيجة مهمة وهي أن لا علاقة بين الأحداث التي تجرى على الأرض من موت أو حياة من فرح أو حزن من ربح أو خسارة وتلك الأجرام السماوية البعيدة . وبدأ الشك بصحة كلام أبيه وأخذ يسأل الكهان وسدنة الآلهة لعله يصل إلى قناعة تريحه . ولكنه لم يجد عند هؤلاء إلا الكذب والدجل واللف والدوران فعاد إلى نفسه وانطوىٰ عليها . وانزوىٰ عن المجتمع . وبدأ بالتفكير من جديد لا بد للإنسان من خالق يرعاه . ولكن أين هو ؟ ما هو الطريق إلى معرفة هذا الإلـه ؟ ما هي صفاته ، وكيف نتقرَّب منه ؟

إن إحساس إبراهيم بجمال هذا الكون البديع وتناسقه والتكامل فيه أشعره بعظمة الله سبحانه وتعالىٰ . هذا الشعور أوصل إبراهيم إلى حب صانع هذا الجمال وتقديسه .

إن العقل والمنطق يوصلان الإنسان إلى مَعرفَةِ أن لهذا الكون خالقًا عظيمًا ومدبرًا حكيمًا ولكن طموحات إبراهيم العظيمة وهمته العالية لم تكن لتقف عند حدود هذه المعرفة . كان إبراهيم يرغب في الصِّلة الحقيقية مع الله . وهذا المطلب وهذه المكانة لم يصل إليها إلا قلة قليلة من أفراد البشرية لأنها تسلتزم الصدق في الطلب والمثابرة على العبادة مع الاستعداد الروحي والنفسي فقد وهب الله كل إنسان ميزة وأعطاه موهبة وزينه بنعمة فهناك من وهبه الله البسطة في الجسم والقوة في العضل وهناك من زينه الله بالحكمة ورجاحة العقل وهناك من وهبه الله حدَّةَ السمع والبصر وهناك من رزقه الله المال أو الجمال أو الصوت الحسن . أما أولئك الذين أعطاهم الله القوة الروحية أكثر من غيرهم فهم الصفوة المختارة من البشرية وهم الأنبياء والمرسلون الذين فتح الله بصائرهم ليروا ملكوت السموات والأرض وليكونوا مشعل هداية ومصدر إشعاع روحي للبشرية جمعاء .

عرف إبراهيم أن الهداية هبة من الله ينعم بها على من يشاء من عباده الصالحين فطلبها من الله وألحَّ في الطلب .

﴿ . . . قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[1] .

هجر الفتى إبراهيم أصحابه وخلاَّنه وترك الأكل والشرب وهجر النوم إلا قليلاً وهو مشغول بالبحث عن ربه حتى وصل إلى درجة روحية عالية . وفي لحظة إشراق روحي مباركة سطع نور الإله على قلب إبراهيم . وتكللت جهود إبراهيم

---

(1) سورة الأنعام : الآية 77 .

بالنجاح . وفتح الله على بصيرته فرأى عالم الغيب كما نرىٰ عالم الشهادة .

﴿ . . . فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[1] .

وكان الروح القدس جبريل عليه السلام واسطة الاتصال بين إبراهيم وربه .

وكان إبراهيم رجل عقل وتجربة فطلب من الله أن يريه كيف يحيي الموتى . فقال له جبريل : أولم تؤمن ؟ قال : بلىٰ ، ولكن ليطمئن قلبي . إذًا فإبراهيم لم يكن رجل أوهام أو تخيلات يتصور ما يحلوا له . كان إبراهيم يريد أن يجرب ليستوثق فلا تكفي النظريات ولا البراهين العقلية . إنه يريد التجربة على الواقع الحياتي المحسوس . وكان له ما أراد ﴿ . . . قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

فلما أتمّ التجربة وتأكد من نتيجتها قال أعلم أن الله على كل شيء قدير

لقد أراد إبراهيم أن يستوثق من أن الذي يكلمه ـ جبريل ـ هو من عند الله وليس شيئًا آخر .

وحُمّل إبراهيم الرسالة وكُلّف بنشر دعوته وما وصل إليه من حقائق تتعارض مع ما يفكر به قومه . كان حملاً ثقيلاً ومهمةً شاقة ولكن إبراهيم الشاب المتحمس الممتليء بالإيمان فرح بهذه المسؤولية إرضاء لله وطاعة له . وهو مستعد لمجابهة العالم أجمع .

وأول من تحادث معه كان أبوه صانع التماثيل والآلهة المزيفة . كان صدامًا عنيفًا بين الحق والباطل . بين المنفعة المادية والإشراق الروحي . وطال بينهما النقاش واحتد أبو إبراهيم فقال له ابنه يستعطفه ويهديء من غضبه شارحًا له وضعه .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ۝ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ۝ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴾[3] .

لم يفكر أبو إبراهيم بغير المال الذي يجنيه من صناعة التماثيل وكهانتها . وهذا ابنه يريد أن يفتح أذهان القوم على حقائق تؤدّي بتجارته إلى البوار . وأجاب أبو إبراهيم : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾[4] .

ولا تعد إليَّ إلاَّ بعد أن تعود إلى جادة الصواب إلى دين الآباء والأجداد . اذهب عني بعيدًا و إلا قتلتك . لقد ربيتك لتكون سندًا ومعاونًا تخلفني في كهانة الأصنام وصناعتها لا لتكون واعظًا ومرشدًا لي لأحيد عن درب آبائي وأجدادي . وسيصيبك شر كبير بسبب تجرئك وكلامك السيء على هذه الأصنام . ردَّ إبرهيم :

---

(1) سورة الحج : الآية 46 .

(2) سورة البقرة : الآية 260 .

(3) سورة مريم : الآيات 43 ـ 44 ـ 45 .

(4) سورة مريم : الآية 46 .

﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ۝ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ۝ ﴾[1] .

وغادر إبراهيم منزل أبيه إلى غير رجعة .

وقبل أن ننتقل إلى مرحلة أخرىٰ من حياة إبراهيم الخليل نريد أن نبين الطريق الذي سلكه الأنبياء ويسلكه رجال الله الصالحون لمعرفة الله . كما بيّن ذلك النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكما هو واضح في القرآن الكريم .

الإيمان بوجود الله بديهية من البديهيات التي لا تحتاج إلى برهان . وبرغم ذلك فقد قام كثير من الفلاسفة والحكماء والمفكرين بالبرهان على وجود الله . ولكن هل قبل كل الناس براهين الفلاسفة والعلماء ؟ إن الإيمان بالله قناعة نفسية وشعور داخلي . وفي هذا قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾[2] .

﴿ . . . مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝ ﴾[3] .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝ ﴾[4] .

وما عمل الأنبياء إلا تنمية هذا الشعور وبلورته في سلوك فاضل وعمل صالح ليزداد الإنسان هدىً واقترابًا من الله تعالىٰ . ولينال المؤمن نعمة الإشراق الروحي بشكل صحيح لا وهم فيه ولا خداع .

لقد بحث العلماء والفلاسفة في هذا الكون وتساءلوا عما عسىٰ أن يوجد وراء هذا الكون وهل الله داخل هذا الكون أم خارجه ؟ وأسئلة أخرىٰ تنطلق في كل زمان ومكان مجسمة الله تعالىٰ . أي أن سائل هذه الاسئلة يعتبر الله كتلة مادية وله جسم وطول وعرض وارتفاع ووزن . وهنا يقع الخطأ الجسيم فالله صانع المادة ليس بمادة لذلك لا يقال عنه داخل أو ضمن لأننا بذلك نحبس الله في مكان ، هذا المكان لم يكن موجودًا سابقًا ـ قبل خلق الكون ـ ولكن يمكننا أن نقول: إن الله خالق ـ مهيمن ـ قادر ـ عليم ـ وجميع الأسماء التي سمّىٰ بها نفسه في كتبه المنزلة . أما كُنه الله فذلك فوق عقولنا وفوق مقدورنا ولكل شيء حدود لا يمكن أن يتجاوزها . لذلك نقول : الله وحده هو الذي لا يحده زمان أو مكان فهو خالق الزمان وخالق المكان . لا يحول ولا يزول ولا تدركه العقول . أما تمثيل الله أو تشبيهه أو تصويره أو تصوره فهو الشرك المحض . أما رؤية الله وبعيوننا التي في وجوهنا فهو المحال بعينه : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝ ﴾[5] .

ونحن لا نرىٰ الهواء المحيط بنا رغم إقرارنا بوجوده بل إن حياتنا متوقفة على الهواء الذي نستنشقه . ولو أننا رأينا الهواء المحيط بنا لما رأينا شيئًا غيره . فكيف برؤية الله . ويمكننا تأكيد وجود أشياء كثيرة دون رؤيتها ومثال ذلك الروائح التي نحس بها عن طريق حاسة الشم فنحن لا نرىٰ الرائحة ولكن نحس بها . كما أننا نتذوق الأطعمة ونقول هذا الطعام حلو وذاك

---

(1) سورة مريم : الآيات 47 ـ 48 .

(2) سورة البقرة : الآيات 6 ـ 7 .

(3) سورة الكهف : الآية 17 .

(4) سورة القصص : الآية 56 .

(5) سورة الأنعام : الآية 103 .

مالح . . . دون أن نستعمل حاسة البصر وكذلك فإن رؤية الله لا تتم بواسطة العين ولكن تتم بواسطة القلب . وفي لحظات الإشراق الروحي يحس الإنسان بلذة قربه من الله تعالىٰ ويسعد بذلك سعادة لا توصف ويشعر بنشوة ولذة لا تعادلها لذة مادية في هذا العالم الفاني ولكن كيف ومتى نحصل على هذه اللحظات التي تعادل العمر كله ؟ بل هي العمر كله وما عداها فلا يحسب شيئًا .

بداية الطريق هي الرغبة الصادقة في معرفة الله تعالىٰ والإخلاص في طلب هذه المعرفة ويحتاج الموضوع لشيء من التفرغ . وعدم انشغال الفكر والنفس بأي خاطر أو شاغل ، وتخصيص عدة ساعات للعبادة اليومية وخاصة في الليل . أما الصوم والتقليل من الطعام فهو ضروري . وقد سمىٰ القرآن ليلة الإشراق الروحية بليلة القدر . وهي الليلة التي نزل فيها القرآن على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ **إِنَّآ أَنْزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ * لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ *** ﴾[1] .

وقد أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسلمين بالتماس ليلة القدر وحدَّد لها ميعادًا تقريبيًا وهو الأيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان المبارك .

أما السيرة الشخصية والمعاملة اليومية لطالب هذا الشرف العظيم فيجب أن تكون مثالية ، فلا كذب ولا غش ولا احتيال ، الكسب من الحلال ، والمطعم من الحلال ، والملبس من الحلال ، وطهارة النفس والجسد هي عدة المؤمن للمثول أمام الله تعالىٰ فالتوبة من المعاصي والبعد عن الخطايا والترفع عن الذنوب والدنايا هي اللباس الجديد الذي يرتديه طالب الحق والحقيقة .

﴿ **يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ *** ﴾[2] .

وقد كان زمان قال فيه المسيح : « أنا الباب . فمن دخل مني يخلص »[3] .

والآن جاء زمان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن أراد أن يخلص فعليه اتباع نبي الإسلام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ *** ﴾[4] .

وقد حددت كتب العهد القديم والعهد الجديد مدة التفرغ والعبادة المركَّزة للتقرب من الله تعالىٰ بأربعين يومًا وليلة .

﴿ **وقال الرب لموسىٰ اصعد إليَّ إلى الجبل وأقم هنا حتى أعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم . فقام موسىٰ ويشوع خادمه ، وصعد موسىٰ إلى جبل الله . وقال للشيوخ اقعدوا لنا هاهنا حتى نرجع إليكم وهوذا هارون وحور معكم من كان له أمر فليتقدم إليهما . وصعد موسىٰ الجبل فغطىٰ الغمام الجبل وحل مجد الرب على سيناء**

---

(1) سورة القدر .

(2) سورة الأعراف : آية 26 .

(3) يوحنا الفصل : 10 : 9 .

(4) آل عمران : الآيتان 21 ـ 22 .

وغطاه الغمام ستة أيام وفي اليوم السابع دعا موسىٰ من جوف الغمام . وكان منظر مجد الرب كنارٍ آكلة في رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل . فدخل موسىٰ في وسط الغمام وصعد الجبل وأقام موسىٰ في الجبل أربعين يومًا وأربعين ليلة »[1] .

« ثم سار الروح بيسوع إلى البرية ليجربه إبليس فصام أربعين يومًا وأربعين ليلة حتى جاع »[2] .

ومن أهم العبادات التي تقرب من الله تعالىٰ هي ذكر الله تعالىٰ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝ ﴾[3] .

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلاَ تَكْفُرُونِ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝ ﴾[4] .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝ ﴾[5] .

﴿ فِى بُيُوتٍ[6] أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۝ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ۝ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ ﴾[7] .

وما رحلة الحج إلا نوع من أنواع التفرغ للعبادة . وما زيارة البيت الحرام إلا تعبير عن رغبة المؤمن في زيارة الله تعالىٰ . وعندما يكون هذا هو القصد مع الاستعداد اللائق المزَّين بمحبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي دلنا على طريق السعادة الأبدية . فإن الله يحقق الدعاء ولا يخيب الرجاء . اللهم اهدنا سواء السبيل ولا تجعلنا من الضالين .

خرج إبراهيم من بيت أبيه والأسىٰ يعصر قلبه على هذا الأب المسكين الذي أعمت المصلحة بصره وبصيرته وتركته عبدًا للمادة . وها هو يحارب ابنه فيمنع عنه المأوىٰ والمأكل والمشرب وهو يقول : اذهب إلى ربك فليطعمك وليسقيك وليجعل لك مكانًا تأوى إليه .

لم يكن همَّ إبراهيم المأكل والمشرب و إنما كان همه كيف يستطيع تغيير تفكير الناس . كان يراهم وهم منجذبون نحو الأصنام وكأن مغناطيسًا يشدهم إليها فيقدمون لها الأضاحي والهدايا . والسدنة والكهنة من وراء هذه الأصنام يشجعون هؤلاء البسطاء و يباركون عطاءهم . ولم يقف الأمر عند هذا الحدِّ بل تعداه إلى تقديم الأولاد والبنات قرابين بشرية للآلهة المزيفة كانوا يذبحون أو يحرقون أولادهم على النصب بسبب نذر فرضوه على أنفسهم ، أو لأمر طلبوه فلم يتحقق . كانوا يقدمون أولادهم هدايا للآلهة لعل أمورهم تستقيم ومرادهم يتحقق . إن هذه الأمور الفظيعة غير مستساغة في عصرنا

---

(1) سفر الخروج فصل : 24 : 13 حتى 18 .
(2) متّى الفصل : 4 : 1 ـ 2 .
(3) سورة الأحزاب : الآيتان 41 حتى 44 .
(4) سورة البقرة : الآيتين 152 ـ 153 .
(5) سورة الرعد : الآية 28 .
(6) بيوت الله هي المساجد .
(7) سورة النور : الآيات 36 ، 37 ، 38 .

هذا . وبرغم ذلك فقد رأينا عددًا من الكهنة البوذيين يحرقون أنفسهم في الشوارع العامة وأمام الجمهور احتجاجًا على حكوماتهم في فيتنام . معتبرين ما فعلوه واجبًا دينيًا مقدسًا .

تساءل إبراهيم كيف السبيل لرد هؤلاء عن غيهم ؟ وما هو الطريق لإيصال الحقيقة إلى عقول الناس ؟ هل يقف في ساحة المدينة ويجمع الناس ليقول لهم ما قاله في مناسبة ثانية : ﴿ **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾[1] .

من منهم سيستمع إليه ومن منهم سيفهم منه ومن منهم سيستجيب له ؟

و إبراهيم العاقل الحكيم فكر أولاً بسبر معلومات الجمهور الذي يحضر المعبد . وليتناقش معهم لعله يوصلهم إلى قناعته أو يعرف الطريق الذي يجب أن يسلكه لهدايتهم . ولعله يجد بينهم أنصارًا ومؤيدين يساعدونه في نشر فكرته لتحرير الإنسان من الأوهام والخرافات وسيطرة الكهنة وسدنة الهيكل. لكي يتمكن الإنسان مِنَ الاتجاه مباشرةإلى الله دون وساطة أحد أو وصايته .

سأل إبراهيم جمهورالمعبد ـ الذين كانوا يقضون وقتًا طويلاً ساكنين أمام التماثيل الحجرية وهم يناجونها ويبثونها شكوى نفوسهم ويطلبون منهامساعدتهم ـ عدة أسئلة ،وكانت حصيلة أجوبتهم أن ما يفعلونه هو تقليد للآباء والأجداد . ولا بد أن هذه الأصنام تهتم بهم وتحل لهم مشاكلهم وتحقق أمنياتهم ودعاءهم . وأراد إبراهيم أن يبين لهؤلاء القوم أن الذي يستجيب حقًا لدعائهم ويحل لهم مشاكلهم هو الله تعالىٰ الذي خلقهم وأعطاهم كل شيء كرمًا و إحسانًا . قال إبراهيم :

﴿ . . . **لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ۝ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ** ۝ ﴾[2] .

إن من يستحق العبادة هو الله سبحانه وتعالىٰ خالق السموات والأرض ومن فيهن .

وسأل إبراهيم قومه لو أن حريقًا أو زلزالاً حصل وتحطمت هذه الأصنام . أو أن شخصًا ما تجرأ وحطم هذه الأوثان . فما الذي يمكن أن يحصل ؟ وما هو الشيء الذي سيتغير ؟

وكانت ردود الفعل متباينة . وكان معظم الناس يخافون ويخوِّفون إبراهيم مما يمكن أن تصيب الأصنام به من يعاديها . أو يستهين بها . والكهنة أصحاب المصلحة دائمًا يضيفون هالة من التقديس والاحترام على هذه الأصنام ويخوفون الناس منها فكل من أصيب بالجنون أو البرص أو الجذام أو جاءه ولد أعمىٰ أو مشوه لا بد أن غضب الآلهة وسخطها قد حل عليه . لأنَّـه قصر بحقها أو جدف عليها أو بخل في تقديم أجود ما يملك قربانًا لها . تلك القرابين والهبات التي كانت تصل إلى أيدي الكهنة فيثرون من ورائها ويشكلّون طبقة متسلطة لها امتيازاتها تنافس سلطة الملك في أحيان كثيرة .

ويصل إبراهيم إلى قناعة وهي : أنَّ تحطيم هذه الأصنام سيبدد خوف الناس منها وعليه فإنهم سيتمكنون من التفكير الحر . وعندها فإنهم سيصلون إلى النتيجة التي يريدها وهي التحرر من العبودية للأصنام ومن هم وراء الأصنام . والاتجاه المباشر إلى الله تعالىٰ . وصرَّح لبعضهم : ﴿ **وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ** ۝ ﴾[3] .

---

(1) سورة العنكبوت : آية 17 .

(2) سورة الأنبياء : الآيات : 54 . 55 . 56 .

(3) سورة الأنبياء : آية 57 .

وفي يوم عيدهم حيث يخرج أكثرهم إلى ظاهر البلد للاجتماع والاحتفال تأخر عنهم بحجة مرضه إذ قال لهم : ﴿ **فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ** * ﴾ .[1]

حمل إبراهيم فأسه ودخل المعبد وهو مطمئن إلى خُلُوِّه من الكهنة والناس بسبب انشغالهم بالعيد وتقدم من الأصنام وفي يده شيء من طعام القرابين وخاطب الأصنام مستهزءًا : ﴿ **فَقَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لاَ تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ** * ﴾[2] . ﴿ **فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ** * ﴾[3] .

علق إبراهيم فأسه على رقبة الصنم الأكبر وتوارى عن الأنظار وهو مطمئن إلى أنه قد أنهىٰ مهمته كأحسن ما يكون . لقد حسب إبراهيم أن ما فعله خلال دقائق سيهدم ما بناه الكهنة خلال مئات السنين . ولكن التجربة أظهرت أن الرأي العام لا يغير قناعاته خلال عشية أو ضحاها . إذًا لا بد من الزمن مع الاستمرار بتقديم الحجج والبراهين وتبيين الحقائق .

وجاء القوم ليروا ما حل بآلهتهم الكاذبة التي لم تستطع دفاعًا عن نفسها .

وَبَدَأُوا بالتفتيش عن الفاعل الذي انتهك حرمتهم وأذل أصنامهم . لقد أظهر إبراهيم كذب الكهنة ودجلهم وفي نفس الوقت أظهر غباء الجمهور وسذاجته وانقياده الأعمىٰ وراء مضلليه . ويتجه الرأي إلى أن إبراهيم هو الفاعل فطالما ذكر الأصنام بسوء وطالما ندَّد بها رغم تخويف المخوفين ونصح الناصحين . والآن وقعت الطامة وقضى الأمر . ﴿ **قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ** * ﴾[4] محاكمته العلنية وليقرروا العقاب الذي يستحق. وجاء إبراهيم مرفوع الهامة عالي الجبين وفي عينيه بريق التحدِّي وعلى شفتيه شبح ابتسامة اسهزاء. وبدأت المحاكمة.

﴿ **قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰإِبْرَٰهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِنْ كَانُواْ يَنْطِقُونَ** * ﴾[5]

وسرت همهمة بين الكهنة والجمهور . لقد قال الحق فهذه الأحجار صماء بكماء فكيف نسألها . ولكن يجب أن تستمر المحاكمة . إنه صراع بين فرد وجماعة ، صراع بين تقاليد قديمة والثورة عليها . والكهنة يريدون المحافظة على أوضاعهم ومكاسبهم وانطلق أحدهم قائلاً : ﴿ . . . **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ** * ﴾[6] .

لوكان هؤلاء قادرين على شيء لحموا أنفسهم من بطش فأسي وضرب يميني فماذا تطمعون منهم وقد بان لكم عجزهم . ﴿ **أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** * ﴾[7] .

قالوا : ألم تخف أن تمسَّك آلهتنا بضر أو عذاب حتى تجرأت وأقدمت على فعلتك التي فعلت : قال : ﴿ **وَكَيْفَ**

---

(1) سورة الصفات : الآيتان 89، 90 .

(2) سورة الصفات : الآيات : 91 ، 92 ، 93 .

(3) سورة الأنبياء : آية 58 .

(4) سورة الأنبياء : آية 61 .

(5) سورة الأنبياء : الآيتين 62 ، 63 .

(6) سورة الأنبياء : الآيتين 65 ، 66 .

(7) سورة الأنبياء : آية 67 .

أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[5] .

قالوا : يا إبراهيم أنت ابن هذا البلد ولا تريد أن ينزل سخط الآلهة عليك وعلينا ولذلك عليك أن تقوم بعمل تسترضي به الآلهة وتعلن لها خضوعك أمام الناس و إلا . . . .

قال : و إلا ماذا هل تهددوني . وصرخ إبراهيم بأعلى صوته : ﴿ . . . أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۞ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۞ ﴾[6] .

واجتمعت هيئة المحكمة وتداولت الأمور بينها . ليس إبراهيم بالمجنون ولا بالطائش إنه إنسان عاقل وحكيم صاحب حجة وبرهان . جريء لا يخاف من أحد . ولن يسكت عن أي خطأ . و إن تركتموه على قيد الحياة فسيفسد العامة عليكم وسيحرمكم أموالهم وامتيازاتكم عليهم . لقد أعلن اليوم الحرب على الأصنام والأوثان وحطمها وغدًا يعلنها حربًا عليكم ويحطمكم جميعًا . فليكن قراركم حازمًا حاسمًا يردع كل من تسوِّلُ له نفسه المشي على خطوات إبراهيم للمس من صلاحياتكم وامتيازاتكم . وجاء الحكم كما يلي :

تسكينًا لغضب الآلهة الذي أجّجَهُ إبراهيم بفعلته الشنعاء التي لم يسبقه إليها أحد وحمايةً لمجتمعنا من انتقام الآلهة . قررت الحكمة تقديم إبراهيم محرقة إرضاءً لآلهتنا .

وأُوقدت نار عظيمة اشترك جميع أفراد الشعب في جمع حطبها . وَأُلْقِيَ إبراهيم وسط هذه النار الملتهبة . وهنا تحدث معجزة غير متوقعة . ذلك أن النار لم تحرق إبراهيم . ويخرج إبراهيم من النار سليمًا معافى . كيف حدثت هذه المعجزة ؟ إن من يؤمن بالله وقدرته على كل شيء لا يستكثر أو يستعظم خروج إبراهيم من النار دون أذىً . ولو أن هناك تبريرًا علميًّا لما كان هناك معجزة . فالمعجزة هي حدوث أمر يعجز الناس عن إحداث مثله لأن فيه خروجًا عن قوانين الطبيعة المادية . وسيمر معنا في هذا الكتاب عدد كبير من المعجزات هي دليل على صدق نبوة الأنبياء . وقد اعتاد الناس أن يطلبوا من كل من يدعي النبوة معجزة واضحة تدل على صدق دعواه . وكثير من هؤلاء الناس كانوا يطلبون المعجزة للتعجيز ولكي تطمئن قلوبهم إلى الكفر في حال عدم استجابة الأنبياء لتحدياتهم . وأحيانًا تكون المعجزة هي الشرارة التي تقدح الإيمان في صدر الإنسان فيمتليء بالنور والهدىٰ . ولكنها في أكثر الأحوال تكون انبهارًا وقتيًا يضعف تأثيره بعد مدة ولكنه لا يزول تمامًا .

و يهنيء الناس إبراهيم بالسلامة و يقدمون له الهدايا والاعطيات تقربًا منه وتكفيرًا عما ألحقوه به من الأذىٰ ويصبح لإبراهيم الأنصار والأتباع . ويخرج إبراهيم مهاجرًا من بلده ومعه خلق كثير لنشر الدعوة للدين الجديد . وتطير شهرة إبراهيم في الآفاق يقصده الناس من كل حدب وصوب يتعلمون منه ويتباركون بقربه .

الفترة السابقة من حياة إبراهيم تمثل الصراع بين الآباء والأبناء . وهو صراع مستمر و يأخذ أشكالاً متعددة .

---

(1) سورة الأنعام : آية 81 .

(2) سورة الشعراء : آيات من 75 حتى 82 .

فالآباء يعتبرون أبناءهم استمرارًا لهم وعليهم أن يسيروا بنفس سيرة الآباء . وفي طريقة التفكير هذه التي يفكر بها الآباء كثير من الأنانية والسلبية . وتؤدِّي في كثير من الأحيان إلى اضطراب في شخصية الأبناء . عدا عن أنها تكرس الجمود وتمنع التجديد . فكم من الاعتقادات والعادات البالية يضغط الآباء على أبنائهم ليعتنقوها ويمارسوها ويسيروا علىٰ هديها دون اقتناع أو اهتمام داخلي مما يجعل حياتهم عبارة عن مظاهر فارغة خادعة لا روح لها ولا حقيقة فيها .

لا بد من حكمة الشيوخ وتوجيهاتهم. ولكن فرض الآراء والضغط المادي والمعنوي وممارسة العنف والقوة يؤدِّي دائمًا إلى نتائج غير مرضية . إن الحوار العقلي الهادىء والتشجيع على الاستقلال بالشخصية واتخاذ القرار منذ الصغر يُعلِّم الإنسان الاعتماد على النفس ويشجع على التفكير الحر . علينا أن نعلم أبناءنا مناقشتنا في الأمور التي تهمهم وبيان وجهات النظر المختلفة وترك الأبناء يقررون بأنفسهم مستقبلهم ومهنتهم واختيارهم لأصدقائهم . أما العقيدة الدينية فيجب أن لا تفرض فرضًا لأنها ضمير الإنسان فإذا مارس الإنسان شعائر عقيدة لا يؤمن بها فإنه مراءٍ خادعٌ لنفسه ولغيره . أما عندما يمارس الإنسان شعائر عقيدة دينية لجلب منفعة مادية أو ليكتسب سمعة معينة فهذا هو النفاق بعينه . وهذا الإنسان يتبع مصلحته لا دينه .

وحياة إبراهيم تمثل الصراع بين الفرد والسلطة الحاكمة . وويل للفرد الذي يتعرض لسخط الحكومة ، فأولاً : الطرد من وظائف الدولة ،وثانيًا: الطرد من البلاد والنفي والتشريد ، وثالثًا : السجن ، وأخيرًا الإعدام . كلٌّ على حسب اعتراضاته على السلطةالحاكمة وقوته وعدد أتباعه. يرافق ذلك وفي كل الأحوال تشويه السمعة والضغط على الأقارب والأتباع والأصدقاء . ليبقىٰ هذا الإنسان وحيدًا لا يستمع لصوته أحد . وكل من يتصل بهذا الشخص يسجل في قائمته ويعامل بمعاملته .

كما تمثل قصة إبراهيم في هذه المرحلة من حياته الضغط النفسي والمعنوي الذي يلاقيه معتنق الدين الجديد . فوالداه يقاطعانه ، وإخوته وأخواته يستنكفون عن مساعدته . وأصدقاؤه وأقرباؤه يبتعدون عنه . وبذلك يصبح وحيدًا ، فقد التلاؤم مع بيئته ويتبدل الحب والحنان الذي كان يراه في عيون من حوله إلى نوع من الريبة والشك . ولذلك عندما يؤمن إنسان بعقيدة جديدة فعليه أن يخفي إيمانه حتى تصبح لديه القناعة الفكرية والنفسية والقدرة على تحمل ما سيلاقيه ممن هم حوله . وكذلك عليه أن يؤمِّن مصادر الحب والحنان الذي سيحتاج إليه وقت الشدة . فالجو العاطفي الصادق الذي يلاقيه المؤمن من مجتمعه الجديد وكذلك التأكيد على الصلة القلبية والروحية بالله تعوض أو تقلل من تأثير النقص العاطفي الذي يلاقيه الإنسان ويشعر به بسبب انقطاعه عن مجتمعه القديم . وعلى المجتمع الجديد أن يلاحظ موضوع العاطفة ـ التعاطف والتآزر ـ ويوليه الاهتمام الأكبر . ويصبح إبراهيم أمَّة . أمَّة متنقلة . أمَّة مبنية على العقل والمنطق يسود أفرادها الحب والوفاق ويوحدها ليس رابطة الدم ولكن وحدة الغاية والهدف والمصير .

كان عملهم التجارة ورعي الماشية وهدفهم نشر الأفكار الجديدة التي جاء بها إبراهيم من عند ربه . وأينما حلت هذه الأمة ورحلت فإنها تستقبل بالحفاوة والتكريم . وكان الملوك يخطبون وُدَّ إبراهيم ويطلبون منه الدعاء والبركة . ويصادف إبراهيم في تنقلاته من الملوك من يريد أن يحتويه ويهيمن عليه . ويسأله أحد الملوك الذين ألَّهوا أنفسهم وعبَّدوا شعبهم لهم . يا إبراهيم أيها الرجل المبارك قل لنا من ربك ؟ وهنا يرىٰ إبراهيم فرصة مناسبة لدعوة هذا الرجل للإيمان والمشي في طريق العبودية لله .

﴿ . . . قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ . . . ﴾[1] . ويقهقه الملك مسرورًا ويقول : ﴿ . . . أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ . . . ﴾[2] .

لقدر أراد الملك من إبراهيم المجاراة والمداهنة ليثبت لنفسه الألوهية على شعبه . وفي نفس الوقت فإن في الإجابة تهديدًا مبطنًا لإبراهيم بالموت إن لم يساير الملك . و إبراهيم الذي دخل النار وخرج منها سالمًا لن يحابي ملكًا أو يساعده في التسلط والتدجيل على شعبه .

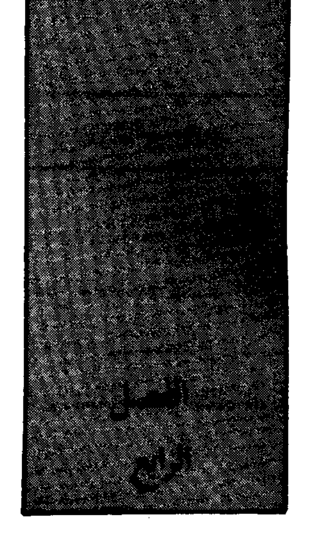
﴿ . . . قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ . . . ﴾[3] .

ولم يستطع جوابًا . وتقول بعض الروايات إن هذا الملك أراد أن يبطش بإبراهيم وقومه ولكن الله أهلكه والروايات الأخرىٰ تنهي هذه القصة عند هذا الحد .

و يتزوج إبراهيم من سارة .و تقول الروايات إن سارة كانت جميلة وتشاء حكمة الله أن لا يرزق إبراهيم من سارة بولد .

و ينتقل إبراهيم إلى بلاد الشام ينشر الدعاة في المدن والقرىٰ يبشّرون بكلمة الله . و يرسل ابن أخيه لوطًا إلى بَلْدَتَي سدوم وعمورة على البحر الميت ليوصل لهما كلمة الله .

(1 ـ 2 ـ 3) سورة البقرة : من الآية 258 .



إسماعيل الذبيح

بدعوة من ملك مصر يرحل إبراهيم وعائلته إلى أرض الكنانة . وينزل إبراهيم ضيفًا على ملك مصر ويلقى فيها الإكرام والترحيب . وتنتشر عقيدة التوحيد في مصر على يد إبراهيم وأتباعه . ويلاحظ الملك أن لا ذرية لإبراهيم فيسأله المصاهرة بالتزوج من إحدى بنات الملوك . ويتم الأمر كما أراد ملك مصر ويتزوج إبراهيم من هاجر .

و إن مصادر العهد القديم تشوه اللقاء بين إبراهيم وملك مصر لتتوصل من ذلك إلى أن هاجر ليست من بنات الملوك ولكنها وصيفة وخادمة مهداة إلى سارة زوجة إبراهيم . وليست هذه هي المرة الوحيدة التي يشوه بها اليهود الحقائق التاريخية . فكتاب العهد القديم مليء بالدس والافتراء والكذب على الأنبياء . والغاية واضحة من ذلك وهي الاستعلاء على أولاد أبيهم إبراهيم من زوجته هاجر وتذكيرهم بأن أمهم ليست إلا خادمة ورقيقا عند أمهم سارة . ومع الأسف فإن أكثر الكتب والمصادر تتبع ما يقوله اليهود ولنذكر جيدًا بأن المصريين استعبدوا بني إسرائيل وأذلوهم وذبحوا أبناءهم فلا أقل من أن يشوه اليهود سمعة هاجر سليلة الأسرة الملكية المصرية ويجعلوها خادمة لأمهم .

ويذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية في صفة فتح بلاد مصر سنة 21 هجرية ما يلي :

لقي المسلمون أبا مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريام في أهل الثبات . بعثه المقوقس صاحب اسكندرية لمنع بلادهم . فلما تصادفوا قال عمرو بن العاص : لا تعجلوا حتىٰ نعذر . ليبرز إليَّ أبو مريام وأبو مريم راهبا هذه البلاد . فبرزا إليه فقال لهما عمرو بن العاص : أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا : إن الله بعث محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحق وأمره به . وأمرنا به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأدىٰ إلينا كل الذي أُمر به . ثم مضى وتركنا على الشريعة الواضحة ، وكان مما أمرنا به الاعذار إلى الناس . فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا إليه فمثلنا ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة . وقد أعلمنا أنّا مفتتحوكم . وأوصانا بكم حفظًا لرحمنا منكم و إن لكم إن اجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة ومِنْ عَهْدِ أميرنا « **استوصوا بالقبطيين خيرًا فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوصانا بالقبطيين خيرًا لأن لهم ذمة ورحمًا** » فقالوا قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الانبياء معروفة شريفة كانت هاجر ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك فيهم فأديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحبًا بكم وأهلاً ويبشر رئيس الملائكة جبريلُ هاجرَ بإسماعيل قائلاً لها : « لأكثرن نسلك تكثيرًا حتى لا يحصىٰ لكثرته . وقال لها ملك الرب ها أنت حامل وستلدين ابنًا وتسميه إسماعيل لأن الرب قد سمع صوت شقائك ويكون رجلاً وحشيًا يده[1] على الكل ويد

---

(1) يده على الكل : الكل تحت وصايته .

الكل[1] ويد الكُلِّ به ويسكن جميع[2] بيوت إخوته»[3] .

وقد حرفت هذه البشارة كما يريد اليهود ولكن مضمون البشارة لا يتغير فقد ملك إسماعيل وأولاده جميع الدول العربية . وسكنوا جميع بيوت إبراهيم وأولاده الآخرين .

ويكبر إسماعيل ويكبر معه حب إبراهيم . ويبدأ إسماعيل بمساعدة أبيه في إدارة رزقه ومواشيه . وهو مثال الولد المطيع اللبيب .

ويأتي جبريل في الرؤيا ليسأل إبراهيم أيهما تحب أكثر الله أم ابنك إسماعيل؟ ويضطرب إبراهيم لهذا السؤال المفاجيء ويتابع جبريل : تذكَّريا إبراهيم أن أباك أراد أن يقتلك في يوم من الأيام حبًا في آلهته المزيفة . إن الله لا يريد أن يشاركه أحد في قلبك . إن الله يطلب منك دليلاً على حبه وبرهانًا على عدم انشغالك بغيره . إنه يطلب منك ذبح ابنك الوحيد بيديك حتى يتأكد من إخلاصك وحبك له . ويستيقظ إبراهيم من هذا الحلم منزعجًا إلى أقصىٰ درجة .

لقد حارب إبراهيم مدةً طويلة عادةَ تقديم القرابين البشرية وهاهو وقد أصبح ابن مئة سنة وليس له سوى ولد وحيد . يطلب الله منه تقديمه ذبيحة وبيديه ويخفي إبراهيم اضطرابه وانزعاجه ويمضي إلى عمله ويتكرر هذا الحلم ثلاث مرات في ثلاث ليال متوالية . ويقترب إسماعيل من أبيه ليقول له : أبي الحبيب إني ملاحظ همك واضطرابك منذ أيام فبالله عليك يا والدي أخبرني بما يزعجك لعلي أستطيع أن أخفِّف عنك أو أساعدك أو أبدي لك رأيًا ومشورة . ويطرق إبراهيم وقد بان عليه الحزن ويقول : أي بُنيَّ ﴿ . . . إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ . . . ﴾[4] .

عرف إسماعيل أن هذا أمر من الله تعالىٰ الذي بيده الموت والحياة . إن الله يطلب حياة إسماعيل وهو غير عاجز عن أخذ روحه في أية لحظة بلا واسطة أو سبب . إذا فما معنىٰ هذا الابتلاء والامتحان . إنه امتحان للأب وامتحان للابن أيهما أسرع في تنفيذ أمر الله تعالىٰ ؟ و إذا قال الابن لا فهل يستطيع أن يفر من أمر الله وقضائه ؟ و إلى أين سيفر . الأرض أرضه والسماء سماؤه ولا ملجأ من الله إلاَّ إليه . إذًا العاقل اللبيب يستسلم لقضاء الله ويصبر عليه . قال إسماعيل بصوت ثابت دون خوف أو وجل : ﴿ . . . قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[5] .

ويعانق الابن أباه ويجهش كل منهما في البكاء وقد صمم الرجلان العظيمان على تنفيذ أمر الله دون تردد أو تأخير . ويقول إسماعيل لأبيه أوليس مردنا إلى الله فلننفذ أمره اليوم قبل الغد .

ويكتم الأب والابن الأمر عن هاجر وسارة زوجتي إبراهيم لتعلق كل منهما بهذا الولد النجيب الذي ملأ عليهما حياتهما بهجة وسرورًا .

وفي الصباح الباكر يذهب إبراهيم وبرفقته ابنه إسماعيل إلى مكان مرتفع ليقدم ابنه ذبيحة كما أمر الله تعالىٰ .

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۞ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[6] .

---

(1) يد الكل به : الجميع يستنجدون بشجاعته وقوته .

(2) بيوت إخوته : بيوت إسحٰق ويعقوب وعيسىٰ . وجميع البلاد العربية .

(3) سفر التكوين الفصل : 16 : 11 ـ 12 ـ 13 .

(4) سورة الصافات : آية 102

(5 ـ 6) سورة الصافات : الآيات من 102 حتى 109 .

ويرجع إبراهيم وابنه وقد نجح الاثنان في الامتحان ونالا رضاء الله تعالىٰ ومحبته .

وهذه الحادثة مذكورة في كتب العهد القديم ولكن اليهود يزورون الحقائق ويجعلون من إسحٰق ذبيحًا بدلاً من إسماعيل وليطمسوا على من ستتبارك به جميع الأمم .

« قال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحٰق وامْـضِ إلى أرض مورية وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أريك »[1] .

« فإني الآن عرفت أنك متق لله فلم تدخر ابنك وحيدك عني »[2] .

« يقول الرب بما أنك فعلت هذا الأمر ولم تدخر ابنك وحيدك لأباركنّك وأكثر من نسلك كنجوم السماء وكالرمل على شاطيء البحر ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي »[3] .

وتعليقًا على نص العهد القديم نذكر ما يلي :

1 ـ لا يمكن أن يكون إسحٰق ابنًا وحيدًا لإبراهيم . و إسماعيل هو الأبن الأكبر حسب نصوص العهد القديم . فالابن الوحيد هو إسماعيل وقد كانت هذه الحادثة قبل ولادة إسحٰق . وأما كلمة إسحٰق في النص فهي الحاقية . وتحريف اليهود لكتبهم لا يحتاج إلى برهان .

2 ـ لم تتبارك الأمم بنسل إسحٰق بل لاقوا منهم الشرور والويلات . ولذلك كان اليهود مضطهدين في جميع عصور التاريخ بسبب أعمالهم القذرة . وأما البركة التي حلت على العالم بسبب نسل إبراهيم فهي الدين الإسلامي . فهو الدين والشريعة التي كانت تنتظرها شعوب الأرض . والمعروف أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نسل إسماعيل الذبيح وقد تحققت به البركة .

3 ـ من التقاليد الإسلامية الموروثة بل من سنن دين الإسلام تقديم أضحية من الماشية صبيحة يوم عيد الأضحىٰ في كل عام إحياء لذكرىٰ إسماعيل الذبيح . ولا توجد هذه العادة عند غير المسلمين .

وذُكر أن إبراهيم هو أول من لبس السراويل وأول من اختتن وأول من حلق العانة وأول من أزال شعر الابط . وأول من سرَّحَ شعره . وقد افرد كتاب العهد القديم فصلاً خاصًا بالختان واعتبره عهدًا بين الله وبين إبراهيم وأولاده الذين لم يكن قد ولد منهم غير إسماعيل .

« ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة تجلىٰ لـه الرب وقال له أنا الله القدير اسلك أمامي وكن كاملاً فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك جدًا جدًا . فسقط ابرام على وجهه وخاطبه الله قائلاً : ها أنا أجعل عهدي معك وتكون أبا جمهور أمم ولا يكون اسمك ابرام بعد بل يكون اسمك إبراهيم لأني جعلتك أبا جمهور أمم . وسأنميك جدًا جدًا وأجعلك أممًا . وملوكٌ منك يخرجون . وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدىٰ أجيالهم عهد الدهر . لأكون لك إلهًا ولنسلك من بعدك واعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك . جميع أرض كنعان ملكًا مؤبدًا . وأكون لهم إلهًا . وقال الله لإبراهيم وأنت فاحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك مدىٰ أجيالهم هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك

---

(1) سفر التكوين : فصل : 22 : 2 .

(2) سفر التكوين الفصل : 22 : 12 .

(3) سفر التكوين الفصل : 32 : 17 : 18 .

من بعدك يختن كل ذكر منكم فتختنون القلفة من أبدانكم ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم . وابن ثمانية أيام يختن كل ذكر منكم مدىٰ أجيالكم . المولود في منازلكم والمشتري بفضة من كل غريب ليس من نسلكم يختن المولود في بيتك والمشترى بفضتك فيكون عهدي في أبدانكم عهدًا مؤبدًا . وأي أقلف من الذكور لم تختن القلفة من بدنه تقطع تلك النفس من شعبها إذ قد نقض عهدي . وقال الله لإبراهيم ساراي امرأتك لا تسمها ساراي بل سمها سارة . وأنا أباركها وأعطيك منها ابنًا وأباركها وتكون أممًا وملوك شعوب منها يكونون . فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال في نفسه : الابن مئة سنة يولد؟ أم سارة وهي ابنة تسعين تلد . فقال إبراهيم لله لو أن إسماعيل يحيا بين يديك . فقال الله بل سارة امرأتك ستلد لك ابنًا وتسميه إسحٰق وأقيم عهدي معه عهدًا مؤبدًا[1] لنسله من بعده . وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه وها أنذا أباركه وأنميه وأكثره جدًا جدًا . ويلد اثني عشر رئيسًا وأجعله أمة عظيمة . غير أن عهدي أقيمه مع إسحٰق[2] الذي تلده تلك سارة . في مثل هذا الوقت من قابل فلما فرغ من مخاطبته ارتفع الله عن إبراهيم . فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع مواليد بيته وسائر المشترين بفضته كل ذكر من أهل منزله فختن القلفة من أبدانهم في ذلك اليوم عينه بحسب ما أمر الله به .

وكان إبراهيم ابن تسعة وتسعين سنة عند ختنه لحم قلفته وكان إسماعيل ابنه . ابن ثلاث عشرة سنة حين ختنت القلفة من بدنه . في عين ذلك اليوم اختتن إبراهيم و إسماعيل ابنه وكل رجال منزله مواليد بيته والمشترين بالفضة من الغرباء اختتنوا معه »[3] .

من هذا النص نكتشف أن ابن إبراهيم الوحيد ولمدة أربعة عشر سنة هو إسماعيل . وبعدها جاء إسحٰق . وأن العهود المقطوعة كلها كانت لإسماعيل . ولكن اليهود حرفوا كتبهم ليجعلوا العهد لهم وحدهم فكيف يأمر الله إبراهيم بذبح ابنه إسحٰق وقد وعده بأن يقيم عهده معه ومع نسله الذين سيجعلهم أممًا وملوكًا فلو كان ما ذكره العهد القديم صحيحًا لقال إبراهيم لله ألا تذكر أنك عاهدتني وبأنك ستعاهد إسحٰق ونسله من بعده فكيف يكون له نسل وأنت تأمرني بذبحه . ولنذكر هنا بأن الختان هو علامة العهد بين الله وبين أولاد إبراهيم فمن تركه منهم قطعت تلك النفس من شعبها .

ويذكر هذا النص شك إبراهيم بقدرة الله حتى يضحك بينه وبين نفسه ويتعجب هل يولد لابن مئة سنة ولد . وكأن إبراهيم لا يعرف الله حق المعرفة .

ويلفت النظر الجملة التالية : فلما فرغ من مخاطبته ارتفع الله عن إبراهيم .

والأصح هو استبدال كلمة الله بكلمة جبريل أو رسول الله لأن الله سبحانه كان يخاطب الأنبياء بواسطة جبريل ما عدا موسى عليه السلام الذي دُعي كليم الله لأن الله كلمه مباشرة .

والختان هو إزالة لحم القلفة وهو إجراء صحي وضروري في كل زمان ومكان و إن عدم الاختتان يسبب في أحيان كثيرة أمراضًا انتانية كثيرة تصاحبها روائح كريهة . هذه الالتهابات تنقل إلى الزوجة فتسبب لها آلامًا موجعة وتؤدِّي في كثير

---

(1) العهد المؤبد كان مع إسماعيل وأولاده لأنهم هم الورثة الحقيقيون لإبراهيم .

(2) المطلع على تاريخ بني إسرائيل يجد أنهم لاقوا الذل والعبودية على يد جميع الشعوب والأمم : الفراعنة ـ البابليين ـ الأشوريين ـ الأدويين ـ الآراميين ـ اليونان ـ الرومان ـ ولا زالوا يلاقون الاضطهاد حتى عهد هتلر . أما العرب وخاصة أهالي الجزيرة العربية فلم يُستذلوا أو يُستعبدوا على مدار التاريخ وحتى يومنا هذا . بل عاشوا في الحرية والاستقلال .

(3) سفر التكوين الفصل : 17 .

من الحالات إلى العقم .

إضافة إلى أن الحساسية الشديدة لأعضاء غير المختونين تمنع من الاستمرار في العمل الطبيعي مما يسبب آلامًا مبرحة وحرمانًا للزوج والزوجة على السواء . وهناك أمراض كثيرة يمكن التخلص منها بواسطة الختان منها تضيق الحلقة والتي تحبس العضو مسببة الآلام والعقد النفسية والشذوذ . وهذه الحالات معروفة جيدًا في بلاد الغرب فلا حاجة للتوسع فيها ولنعلم أن العرب أولاد إبراهيم و إسماعيل يحافظون على الختان جيلاً بعد جيل ويسمونه الطهور . أما الختان في العقيدة اليهودية فهو عهد فمن تركه نقض العهد وقطع من الشعب . وسيمر معنا كيف أن القديس بولس أبعد المسيحيين عن هذه العادة حتى لا يدخلوا تحت مظلة العهد وليبقوا بعيدًا عنه . والمشهور في كتب اليهود أن بني آخر الزمان ويقصد به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأتي من أمة تجري على ذكورها سُنَّة الختان .

وحسب الوعد المقطوع لإبراهيم بأن أرض كنعان ستكون ملكًا مؤبدًا لنسله فنلاحظ بأن أولاد إسماعيل وهم العرب سكنوا فلسطين وذلك بعد أن تفرق اليهود عنها ابتداء من جلاء بابل وانتهاءً بتشريد الرومان لهم وحرمانهم من دخول بيت المقدس . وأما اليهود الحاليون القادمون إلى فلسطين المحتلة فليسوا من أولاد إبراهيم ولا يوجد أي نسب أوصلة توصلهم به وإنما هم من متهودة بلاد الخزر ومن أراد الاطلاع على أصول اليهود المهاجرين إلى فلسطين فليراجع نبوءة حزقيال ، الفصل الثامن والثلاثون والفصل التاسع والثلاثون فيعرف أصلهم ويطلّع على مصيرهم المحتوم .

لقد تحققت النبوءة الخاصة بإسماعيل وكان منه اثنا عشر رئيسًا حكموا العالم وهم خلفاء الرسول الأعظم محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

ويأمر الله إبراهيم و إسماعيل ببناء البيت العتيق في مكة المكرمة أو بكّة كما جاءت في بعض نصوص القرآن ونصوص العهد القديم . وسبب بناء الكعبة أن سيدنا إبراهيم طلب من الله تعالىٰ أن يريه أكرم بقعة في الأرض ليبني فيها حرمًا آمنًا يلتجيءُ إليه من أراد عبادة الله تعالىٰ دون خوف من حاكم أو جماعة . بما معناه اليوم منطقة حيادية لا تسلط للدول وللملوك عليها ويشرف على إرادة هذه المنطقة إسماعيل وأولاده من بعده .

وسميت الكعبة بيت الله الحرام وبقيت حرمتها سارية المفعول من زمن سيدنا إبراهيم حتى يومنا هذا وستبقىٰ كذلك إلى ما شاء الله .

وجاءت الآيات القرآنية لتوضح هذا المعنىٰ وترسخه في أذهان الناس .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ * ﴾[1] .

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ * ﴾[2] .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ * ﴾[3] .

---

(1) سورة البقرة : الآية 125 .

(2) سورة آل عمران : الآية 96 .

(3) سورة الحج : آية 26 .

فالغاية من بناء الكعبة بيت الله الحرام هي إنشاء مركز ديني عالمي آمن لا تسلط لأحد عليه . وكل من أراد عبادة الله خالصة من الشوائب عليه الاتجاه إلى مكة موطن إسماعيل وقد حاول اليهود ومن مشى وراءهم في تحريف الكتب بشتى الوسائل طمس هذه الحقيقة و إبعاد الناس عن هذا المكان المقدس فموّهوا موطن إسماعيل وقالوا إنه سكن فاران[1] وما فاران إلا أحد أسماء مكة كما جاء ذلك في القاموس المحيط للفيروز أبادي . وكذلك في جميع الخرائط والكتب ذكروا أن فاران في بلاد العرب واختاروا لها موقعًا في سيناء علمًا بأن المشهور هو أن مكة هي مكان إقامة إسماعيل . ورغم معرفتهم بأن فاران هي مكة أخفوا ذلك حتى لا يعرف الناس مكان ظهور محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

وقد جاءت توصية موسى لقومه قبل موته باتباع عيسىٰ عليه السلام ثم اتباع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشدد عليهم في هذه الوصية وأخذ عهدهم لتنفيذها واتباع النبيين الكريمين حال ظهورهما وقد سمىٰ هذه الوصية بالبركة والخير الكثير .

« هذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته فقال : أقبل الرب من جبل سيناء . وأشرق كالشمس علىٰ (أدوم) ساعير وتجلىٰ على شعبه من جبل فاران وكان معه عشرة آلاف من القديسين . وفي يمينه قبس شريعة لهم . لقد أحب الله شعبه وحمىٰ التابعين له الساجدين عند قدميه الطائعين لأوامره »[2] .

ومن تحليل هذا النص نستنتج ما يلي :

1 ـ اعلام موسى لقومه بقدوم أنبياء من بعده وطلبه من بني إسرائيل اتباعهم .

2 ـ حدد موسى مكان الرسالات السماوية الثلاث فذكر سيناء وساعير وفاران . وهي ثلاث أماكن مختلفة واقعة في بلاد العرب . فسيناء معروفة وساعير معروفة أما فاران فهي مكة . ولنلاحظ أن فاران ذكرت في سفر التكوين ببرية وفي سفر تثنية الاشتراع بجبال والذي يعرف جغرافية مكة يتحقق أن مكة عبارة عن وادي محاط بالجبال وبالصحراء . وقد نزل الوحي على النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على الجبل في غار حراء .

3 ـ سيأتي الله بشريعة جديدة . علمًا بأن عيسى عليه السلام لم يأت بشريعة جديدة فقال لم آت لأنقض بل جئت لأكمل . فهذه الشريعة المذكورة في النص المقصود منها الشريعة الإسلامية . وعلى جميع بني إسرائيل اتباع هذه الشريعة حسب وصية نبيهم موسى عليه السلام .

4 ـ إن متبعي هذه الشريعة محبوبون ومؤيدون ومحميون من الله تعالىٰ .

5 ـ من صفات متبعي هذا النور وهذه الشريعة السجود لله تعالىٰ ولا يوجد سجود إلا في صلاة المسلمين .

6 ـ إن لهذه الشريعة قرآنا موحي به من الله تعالىٰ لقوله الطائعين لأوامره وفي نسخة أخرىٰ المقتبسون لكلماتك .

لقد كانت الكعبة بيت الله الحرام مهوى أفئدة المؤمنين يقصدها الحجاج من كل أطراف العالم وحتى اليهود فقد كانوا يحجون إلى الكعبة وذلك قبل بناء سليمان الحكيم للهيكل في مدينةالقدس . وعليه فان جميع المزامير التي تتحدث عن بيت لله فإنها تتحدث عن مكّة لعدم وجود بيت للّه في غيرها . ولنذكر أن جبل صهيون لم يصبح مقدسًا إلا بعد أن بنى

(1) سفر التكوين فصل : 21 : 21 .

(2) سفر تثنية الاشتراع فصل : 33 : 1 ـ 2 ـ 3 .

سليمان عليه الهيكل . أما قبل ذلك فلم يكن له شيء من القدسية أو الاعتبار .

و إذا نظرنا إلى مكان مكة نجدها واقعة بين جبال وسط صحراء بعيدة عن العمران لا زرع فيها ولا ماء . ويقوم إبراهيم بالدعاء لمكة وأهلها بالرزق والأمن والسلام .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * ﴾[1] .

وبعد الانتهاء من بناء البيت بين الجبال الشاهقة وسط صحراء مترامية الأطراف . يقف إبراهيم فوق البيت مناديًا وداعيًا للحج . وقد تكفل الله إيصال صوت ومناداة إبراهيم هذه إلى الأجيال القادمة وفي جميع البلاد . فترى كل عام الملايين وهي متجهة إلى بيت الله الحرام تقصد الحج . استجابة لنداء إبراهيم الخليل .

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ * ﴾[1] .

﴿ . . . وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ * ﴾[2] .

و إذا فالحج على الناس كافة وكان بنو إسرائيل يحجون البيت الحرام . ومنهم نبيُّ الله داود . « وتوفي صاموئيل فاجتمع جميع بني إسرائيل وناحوا عليه ودفنوه في بيته في الرام . وقام داود ونزل إلى برية فاران »[3] . وهنا ينقطع الحديث ويأتي موضوع آخر لماذا ؟

إن الكاتب إما أن يكون قد حذف شيئًا أو أنه لم يرد أن يكتب لماذا سافر داود إلى فاران . علمًا بأن هذه الزيارة تأتي في وقت مهم وحرج جدًا وهو موت النبي صاموئيل . ونحن نرىٰ أن لهذه الزيارة أهمية كبيرة إذ يمكننا أن نعتبرها بداية لنبوة داود . و إن لم يكن المسيحيون واليهود يعتبرون داود نبيًا فإنه من أكبر الأنبياء عند المسلمين وهو مقدس ومعظم عندهم كثيرًا وينفون عنه التهم الباطلة التي ألصقها به بنو إسرائيل ليصدقها المسيحيون . وفي موضع آخر من هذا الكتاب سنشهد ببراءة داود من التهم التي ألصقها به أعداؤه من اليهود والنصارى الذين يزعمون أنه جد نبيهم . على كل فإن مزامير داود جزء من كتاب العهد القديم ويتلى في الكنائس اليهودية والمسيحية . في هذه المزامير يَتَغَنَّى داود برحلته إلى فاران أو وادي بكة حيث بيت الله العتيق . ولنذكر مرة أخرىٰ أن هيكل سليمان بني بعد وفاة داود في زمن ابنه سليمان ومع الأسف الشديد فإن إخوتنا العرب الذين قاموا بترجمة كتاب العهد القديم لم يراعوا الأمانة التاريخية أو الدينية فطمسوا كثيرًا من

---

(1) سورة البقرة : الآية 126 حتى 129 .

(2) سورة الحج : آية 27 .

(3) سورة آل عمران : آية 97 .

(4) سفر الملوك الأول الفصل : 25 : 1 ـ 2 .

الحقائق ووضعوا كلمات مبهمة حتى لا يهتدي من أراد الاهتداء فترجموا وادي بكة بوادي البكاء حتى يضيع القاريء ولا يعرف معنى ما يقرأ ولم يذكروا أن وادي بكة هو مكان بيت الله الذي حج إليه داود ، حتى كلمة الحج حذفوها من النص حتى لا يقترب القاريء من المعني . وفيما يلي المزمور الذي تغني به داود ذاكرًا الكعبة بيت الله وذاكرًا مشاعره الرقيقة نحوها .

« كم أحب بيتك[1] يا إلٰهي القدير ! كم أنا تواق لأن أكون هناك[2] ! تذوب نفسي شوقًا إلى ديار الرب حيث يرنم قلبي وينشط جسمي فرحًا بالإلٰه الحي . حيث الحمام واليمام[3] يبنون أعشاشهم بالقرب من بيتك وهم في أمان لا يخافون من أي اعتداء . كم هم سعداء سكان بيتك حيث يواصلون حمدك وتسبيحك . كم هم سعداء الذين يستمدون قوتهم وعزتهم و إباءهم منك الحاجون إلى بيتك[4] .

وعندما يصل الحجاج وادي بكّة الجاف فإن الله يغمرهم برذاذ من بركاته . ويستشعرون قوة فوق قوتهم عندما تشرق ارواحهم بتجلي الإلٰه على صفحات قلوبهم .

اسمع صلاتي واقبل دعائي يا رب . بارك ملكنا[5] يا إلٰهي الملك الذي اخترته واصطفيته . إن يومًا في ديارك خير لي من ألف يوم من العبادة في مكان آخر . ولو خُيِّرت لاخترت الوقوف عند عتبة[6] بابك على سَكَني في أخبية المنافقين[7] .

الرب هو حامينا وهو ملكنا المبجل . باركنا يا رب وامنحنا الكرامة والشرف فأنت تعطي الطائعين لك ولا ترفض لهم خيرًا . إلٰهي كم هم سعداء المتوكلون عليك »[8] .

وقد تكفل الله حفظ بيته الحرام من كل اعتداء وظلم يقع على من فيه . وكان العربي قبل الإسلام يدخل الحرم فيلاقي قاتل أبيه أو أخيه فلا يقول له شيئًا حتى إذا خرج من الحرم بادره بالسيف . وقد هدد الله كل من يحاول التعدي على بيته فقال : ﴿ . . . وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * ﴾[9] .

وقد حاول أبرهة الأشرم الاعتداء على البيت العتيق . وخرج من بلاده ومعه الجيوش والفيلة يقصد هدم الكعبة المشرفة . وعندما وصل إلى مشارف مكة . طلب منه عبد المطلب جد الرسول الأعظم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رد مئة من الإبل صادرها جيش أبرهة . فقال له أبرهة : تسأل عن مئة من الإبل ولا تسأل عن الكعبة التي جئت لأهدمها ؟ فأجابه عبد المطلب جواب الواثق المطمئن : « إن للبيت ربًّا يحميه » .

وكانت النتيجة المعروفة أن أُهلك أبرهة وجيشه بعذاب من الله تعالىٰ أرسله عليهم من السماء .

---

(1) بيت الله المبني الوحيد في عهد داود هو الكعبة .

(2) كلمة هناك تدل على مكان بعيد من اقامة داود .

(3) حمام مكة في الحرم مشهور ويحرّم اصطياده .

(4) لم تذكر الترجمات العربية كلمة الحج لكي لا ترتبط في ذهن القاريء مع كلمة بكة التي يحج إليها المسلمون .

(5) يقصد به زعيم الأنبياء ورئيسهم وهو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي كان داود في مدينته زائرًا .

(6) عتبة بابك : هو عتبة الكعبة وهذه الجملة للتواضع .

(7) قبل بناء الهيكل كانت عبادة اليهود في خيمة أو خباء . وخباء المنافقين هو مكان عبادة اليهود .

(8) مزمور 83 .

(9) سورة الحج : آية 24 .

إذًا فذهاب إبراهيم وهاجر و إسماعيل إلى فاران لم يكن بسبب غيرة النساء كما ورد في العهد القديم . « ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم سافرًا فقالت لإبراهيم اطرد هذه الأمة وابنها فإن ابن هذه الأمة لا يرث مع ابني إسحٰق »[1] .

وقد ورث أولاد إسحٰق الذل والعبودية فأولاً استعبدهم المصريون عندما هاجروا إليهم في سنين القحط ثم أجلاهم البابليون وطحنهم الآشوريون وهزمهم الآراميون والمؤابيون والعمونيون وذبحهم اليونانيون وباعهم الرومانيون في أسواق النخاسة واضطهدتهم أوروبا فذُبحوا في إسبانيا وطرُدوا من انكترا وهجروا من المانيا وضُيق عليهم في فرنسا ولا تزال اضطهادات هتلر لليهود الخونة الذين خانوا الألمان وسرقوا ثرواتهم ماثلة في الاذهان . أما بلاد إسماعيل بلاد العرب فلم يطرقها طارق ولم يستعمرها غريب .

ويزعم كتاب العهد القديم بأن إبراهيم طرد زوجته وابنه من بيته .

« فبكر إبراهيم في الغداة وأخذ خبزًا وقربة ماء فدفعها إلى هاجر وجعلها على منكبيها وأعطاها الصبيَّ وصرفها فمضت وتاهت في برية بئر سبع . ونفد الماء من القربة فطرحت الصبي تحت بعض الشجر »[2] .

« وكان الله مع الغلام حتى كبر فأقام بالبرية وكان راميًا بالقوس وأقام ببرية فاران واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر »[3] .

و إذا رجعنا للصفحات السابقة نجد أن عمر إسماعيل عند ولادة إسحق كان أربعة عشر عامًا . وحين سخر منه لا بد أن يكون قد صار عمر إسحٰق خمس سنوات على الأقل فيكون عمر إسماعيل عندما طرده أبوه تسعة عشر عامًا . فهل تطرح أمُّ ابنها البالغ تسعة عشر عامًا تحت بعض الشجر . إن قاريء الكتاب يشعر بأن عمر إسماعيل عندما طرحته أمه تحت بعض الشجر لا يتجاوز السنتين .

ثم نتساءل إذا تاهت هاجر في برية بئر سبع فما الذي يأخذها إلى مكة وهي تبعد عن بئر سبع أكثر من ألف كيلومتر .

إن القاريء لهذا الفصل يطلع على أماني اليهود في حرمان إسماعيل وأولاده من الميراث الروحي الذي خلفه لهم أبوهم إبراهيم . وأني لهم ذلك تلك أمانيهم الشريرة . فقد جردوا الجميع حتى إخوتهم من كل شيء ونسبوا كل شيء لأنفسهم . وكتبوا كتابهم كما يريدون تزويرًا وبهتانًا .

إن إبراهيم بنىٰ البيت العتيق في مكة بيديه مع ابنه إسماعيل ولم يكن لنبي أن يطرد زوجته وأم أولاده بسبب زوجة أخرىٰ ويتركها تضيع في البرية مع الوحوش .

ونال إسماعيل شرف سدانة البيت الحرام ليحافظ على مباديء السلم والأمن في تلك المنطقة .

إن هذه الفرية على إبراهيم ذي القلب الرحيم بسيطة جدًا أمام الافتراءات التي نسبها اليهود لأنبيائهم وآخرها ما ألصقوه بمريم العذراء الطاهرة البتول أم سيدنا عيسى عليه السلام . و إذا قارنا افتراءاتهم علىٰ هاجر من أنها خادمة لأمهم وأن أباهم طردها وحرم ابنها الميراث مع ما فعله أبناء يعقوب مع أخيهم يوسف يوم تآمروا عليه ورموه بالجب ليتخلصوا

(1 ـ 2 ـ 3) سفر التكوين الفصل: 21: 9 ـ 15 ـ 16 ـ 21 ـ 22 .

منه . وماذاكان ذنبه ؟ لقد شعروا بأن أباهم يعقوب يحبه أكثر مما يحبهم . وكان حب يعقوب ليوسف بسبب ما لمسه فيه من نور النبوة التي وهبه الله إياها .

وقد بقيت الصلات الأبوية قائمة بين إبراهيم وابنه إسماعيل حتى آخر حياته .

« وقد فاضت روح إبراهيم . ومات بشيبة صالحة شيخًا قد شبع من الحياة وانضم إلى قومه . فدفنه إسحٰق و إسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي الذي تجاه ممرا »[1] .

وأما أبناء إسماعيل فهم : « بنايوت بكر إسماعيل وقيدار وادبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيما و يطور ونافيش وقدمه »[2] .

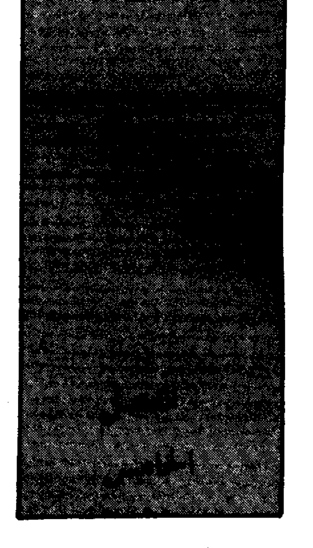
و يهمنا من هذه الأسماء اسم قيدار فالبشارات اليهودية عن النبيَّ المنتظر تأتي دائمًا باسم أبناء قيدار . وقيدار ونبايوت من أبناء إسماعيل استوطنا مكة وأرض الحجاز . أما ابنة إسماعيل وأسمها محلة فقد تزوجها عيسو بن إسحٰق وهذا دليل آخر على أن العلاقات الأسرية والروابط العائلية كانت قوية متماسكة وأن الإخوة لم يبتعدوا ولم ينفصلوا عن بعضهم « فمضى عيسو إلى إسماعيل فتزوج بنت إسماعيل بن ابراهيم أخت نبايوت لتكون له زوجة مع نسائه »[3] .

---

(1) تكوين فصل: 25: 18 .

(2) تكوين فصل: 25: 12 .

(3) تكوين فصل: 28: 10 .



الاتهامات الباطلة التي ألصقها اليهود بأنبيائهم ومقدّسيهم

ما معنىٰ أن يتهم اليهود أنبياءهم بالرذائل والنقائص ؟

ما هو الهدف الذي يبتغيه اليهود من تشويههم لسيرة حياة أنبيائهم ومقدّسيهم ؟

قد يحتار المرء ويتعجب كيف أن اليهود يُشهّرون بأنبيائهم وعظمائهم .

ونتساءل هل كاتب هذه القصص مؤمن بالله ومؤمن برسله . أم أنه زنديق كافر متلاعب بالنصوص محرف للحقائق مزور للتاريخ .

هل كاتب هذه النصوص والحكايات الداعرة التي يخجل من قراءتها الكبار والصغار ، الرجال والنساء ، يريد الخير للناس وللبشرية . أم يريد إيقاظ الغرائز الجنسية وحض الناس على إشباعها دون قيد أو شرط . وكيف يقبل رجال الكنيسة تسمية هذه النصوص دون تدقيق وتمحيص وكشف الصادق من الأخبار والكاذب منها . والمفيد منها والمضرّ . المعقول منها والخرافي . بالكتاب المقدس . ويعتبر المسيحيون أن كل ما جاء في كتاب العهد القديم صحيح ولا ريب فيه بل يعتقد كثير منهم أنه وحي من الله تعالىٰ .

في هذا الكتاب سنذكر فقط قصص الأنبياء التي شوهها بل مسخها اليهود وفعلوا بها على هواهم والتي تتعلق بنسب المسيح عليه السلام كما ورد في انجيلي متّى ولوقا .

نبدأ بقصة لوط النبي الفاضل الكريم الذي عانىٰ المرّ من قومه ولكن ما اتهمه به بنو إسرائيل يفوق بأضعاف مضاعفة الأذىٰ الذي لاقاه من قومه .

ومناسبة الكلام عن لوط في هذا الكتاب هو أن المسيح ينحدر من سلالته .

يذكر كتاب العهد القديم أن لوطا هو ابن أخ إبراهيم الخليل . هاجر معه في سبيل الله ودعا أهل سدوم وعمورة للإيمان بالله وترك المنكرات فلم يستجب له أهالي المدينتين فأمطر الله تلك المدن بالحجارة والكبريت وجعل عاليها سافلها ودمرها تدميرًا .

أما صلة القرابة بين لوط والمسيح عليهما السلام فيذكر العهد القديم أن البغية راحاب العمونية صاحبة مكان للدعارة العلنية هي والدة بوعز من أجداد داود . وبالتالي حسب ما ورد في متّى ولوقا هي من جدات المسيح . وكذلك هناك راعوث المؤابية هي أيضًا من أحفاد لوط ومن جدات المسيح . والمسلمون قديمًا وحديثًا وفي مشارق الأرض ومغاربها يقولون بأن ما كُتب عن جدات المسيح وعن لوط ما هو إلا محض افتراء وكذب وبهتان ثم إن المسلمين يقولون إن هارون هو جد المسيح وليس داود .

ما الذي يرمي إليه متّى ولوقا من ذكر نسب مشين للمسيح ؟

إذا كان المسيح سليل عائلة مشهورة بالبغي والزنا فما معنى عفة وطهارة السيدة مريم ؟

المسلمون يرفضون كتاب العهد القديم ويعتبرونه محرفًا مشوهًا وممسوخًا . خاصة قصص الأنبياء والصالحين . و إن ارتضى اليهود تصوير أنبيائهم بأبشع شكل فإن المسلمين يرفضون هذه الصور لأنها تمس أنبياء الله الصالحين وأصفياءه المقربين .

وفيما يلي صورة إبراهيم ولوط المشرقة في القرآن الكريم ثم نتبعها بصورتهما في كتاب العهد القديم الكالحة المزيفة حتى يستطيع الإنسان العاقل المقارنة بين الصورتين ويفهم الغرض من القصتين .

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۞ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۞ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ۞ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۞ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۞ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۞ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۞ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۞ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۞ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۞ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۞ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۞ قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۞ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۞ وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۞ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ۞ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۞ وَيَـٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ۞ ﴾[1] .

« وتجلىٰ له الرب في بلوط وهو جالس بباب الخباء عند احتداد النهار . فرفع طرفه ونظر فإذا ثلاثة رجال وقوف أمامه فلما رآهم بادر للقائهم من باب الخباء وسجد إلى الأرض وقال يا سيدي إن نلت حظوة في عينيك فلا تجز عن عبدك . فيقدم لكم قليل ماء فتغسلون أرجلكم وتتكؤون تحت الشجرة . وأقدم كسرة خبز فتسندون بها قلوبكم ثم تمضون لقد شرفتموني بالحضور إلى منزلي . لذلك دعوني أخدمكم قالوا له شكرًا اصنع كما قلت . فأسرع إبراهيم إلى الخباء إلى سارة

---

(1) سورة هود: الآيات من 69 حتى 89 .

وقال هلمي بثلاثة أصواع من دقيق سميد فاعجنيها واصنعيها مليلاً . وبادر إبراهيم إلى البقر فأخذ عجلاً رحضًا طيبًا ودفعه إلى الغلام فأسرع في إصلاحه ثم أخذ زبدًا ولبنًا والعجل الذي أصلحه وجعل ذلك بين أيديهم وهو واقف أمامهم تحت الشجرة فأكلوا . ثم قالوا أين سارة امرأتك قال هي في الخباء قال أحدهم سأرجع إليك في مثل هذا الوقت من العام المقبل و يكون لامراتك سارة ابن وكانت سارة تسمع عند باب الخباء وهو وراءه وكان إبراهيم وسارة شيخين طاعنين في السن وقد امتنع أن يكون لسارة كما للنساء من الحيض . فضحكت سارة في نفسها قائلة أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ فقال الرب لإبراهيم : ما بال سارة قد ضحكت قائلة أيقينًا ألد وقد شخت أعلى الرب أمر عسير؟ في مثل هذا الوقت من قابل أعود إليك ويكون لسارة ابن . فجحدت سارة قائلة لم أضحك لأنها خافت . فقال لا بل ضحكت . ثم قام الرجال من هناك واستقبلوا جهة سدوم و إبراهيم معهم ليشيعهم فقال الرب أأكتم عن إبراهيم ما أنا صانعه و إبراهيم سيكون أمة مقتدرة ويتبارك به جميع أهل الأرض . وقد علمت أنه سيوصي نبيه وأهله من بعده بأن يحفظوا طريق الرب ليعملوا بالبر والعدل حتى ينجز الرب لإبراهيم ما وعده به . فقال الرب لإبراهيم إن هناك اتهامًا رهيبًا ضد أهالي سدوم وعمورة . وأنا ذاهب هناك لأرى صحة هذه الاتهامات أو كذبها . وانصرف الرجلان ومضيا نحو سدوم وبقي إبراهيم واقفًا أمام الرب . فتقدم إبراهيم وقال أتهلك البار مع الأثيم . ومضىٰ الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى موضعه . فجاء الملاكان إلى سدوم عشاء وكان لوط جالسًا بباب سدوم فلما رآهما لوط قام للقائهما وسجد بوجهه إلى الأرض . وقال يا سيديَّ ميلا إلى بيت عبدكما وبيتًا واغسلا أرجلكما . ثم تبكران وتمضيان في سبيلكما . فقالا لا بل في الساحة نبيت فألح عليهما جدًا فمالا إليه ودخلا منزله . فصنع لهما مأدبة وخبز فطير فأكلا . وقبل أن يضطجعا إذا أهل المدينة أهل سدوم قد أحاطوا بالبيت من الصبي إلى الشيخ جميع القوم إلى آخرهم فنادوا لوطًا وقالوا أين الرجلان اللذان قدما إليك في هذه الليلة أخرجهما إلينا حتى نعتدي على شرفهما . فخرج إليهم لوط إلى الباب وأغلق الباب وراءه . وقال لا تفعلوا شرًا يا إخوتي هاأنذا لي ابنتان ما عرفتا رجلاً أخرجهما إليكم فاصنعوا بهما ما حسن عندكم أما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئًا لأنهما دخلا تحت ظل سقفي . فقالوا تنح من هنا ثم قالوا أياتي رجل ينزل بنا ويحكم علينا الآن نفعل بك أسوأ مما نفعل بهما وألحوا على لوط جدًا وتقدموا ليكسروا الباب فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطًا إليهما إلى البيت وأغلقا الباب . أما القوم الذين على الباب فضرباهم بالعمىٰ من صغيرهم إلى كبيرهم فعجزوا أن يجدوا الباب . وقال الرجلان للوط من لك أيضًا ها هنا أصهارك وأبناؤك وبناتك وجميع من لك في المدينة أخرجهم من هذا الموضع فإنا مهلكان هذا الموضع إذ قد سمع الله الاتهامات الفظيعة لذلك أرسلنا لنهلك المدينة . فخرج لوط وكلم أصهاره متخذي بناته وقال لهم قوموا اخرجوا من هذا الموضوع لأن الرب مهلك المدينة . فكان كمازحٍ في عين أصهاره . فلما كان عند طلوع الفجر أَلَحَّ الملاكان على لوط قائلين قم فخذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك . بإثم المدينة . فتواني لوط فأمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه وصيراه خارج المدينة . فلما أخرجاهم إلى خارج قالا له انج بنفسك ولا تلتفت إلى ورائك ولا تقف في البقعة كلها وتخلص إلى الجبل لئلا تهلك . فقال لأحدهما لا يا سيدي إن عبدك قد نال حظوة في عينيك وعظمت رحمتك التي صنعتها إلى بإحياء نفسي إني لا أستطيع التخلص إلى الجبل فربما أدركني الشر فأموت . ها إن هذه المدينة قريبة للهرب إليها وهي صغيرة دعني أتخلص إليها انما هي صغيرة فتحيا نفسي فقال ها أنذا قد شفعتك بالأمر ايضًا بأن لا أقلب المدينة التي ذكرت . أسرع بالتخلص إلى هناك فإني لا أستطيع أن أصنع شيئًا إلى أن تصير إليها . لذلك سميت المدينة صوعر . و إذ أشرقت

الشمس على الأرض دخل لوط صوعر . وأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء . وقلب تلك المدن وكل البقعة وجميع سكان المدن ونبت الأرض . فالتفتت امرأته إلى ورائها فصارت نصب ملح . فبكر إبراهيم في الغد إلى الموضع الذي وقف فيه أمام الرب . وتطلع إلى وجه سدوم وعمورة وسائر أرض البقعة ونظر فإذا دخان الأرض صاعد كدخان الآتون . ولما دمر الله مدن البقعة ذكر الله إبراهيم فأطلق لوطًا من وسط الانقلاب حين قلب المدن التي كان لوط مقيمًا بها وصعد لوط من صوعر وأقام في الجبل هو وابنتاه معه إذ خاف أن يقيم في صوعر فأقام في المغارة هو وابنتاه . فقالت الكبرىٰ للصغرىٰ إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا على عادة الأرض كلها . تعالي نسقىٰ أبانا خمرًا ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلاً . فسقتا أباهما خمرًا تلك الليلة وجاءت الكبرىٰ فضاجعت أباها ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . فلما كان الغد قالت الكبرىٰ للصغرىٰ ها أنذا ضاجعت أمس أبي فلنسقه خمرًا الليلة أيضًا وتعالي أنت فضاجعيه لنقيم من ابينا نسلاً . فسقتا أباهما خمرًا تلك الليلة أيضًا وقامت الصغرىٰ فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . فحملت ابنتا لوط من أبيهما وولدت الكبرىٰ ابنًا وسمته مؤاب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم والصغرىٰ أيضًا ولدًا وسمته بنعمىٰ وهو أبو بني عمون إلى اليوم »[1] .

ومن النص هذا يمكننا أن نستنتج الآتي :

1 ـ ترجم المترجم كلمة الرب ويعني بها الملاك جبريل . وهذا الاختلاط في الترجمة هو الذي أوقع المسيحيين في التثليت فكلمة الرب لا تعني الله . ورب البيت تعني صاحب البيت .

2 ـ الملائكة يأكلون ويسندون بطونهم بكسرة خبز . وعند المسلمين لا يأكل الملائكة ولا تمتد أيديهم إلى الطعام . ثم نتساءل إذا أكل الملائكة فهل لأكلهم فضلات أم لا؟

3 ـ تردد الرب وهو هنا جبريل هل يخبر إبراهيم بالمهمة التي هو ذاهب إليها أم لا .

4 ـ بلغت الرب شكاوي عن أهالي سدوم وعمورة وهو غير مطّلع عليها ويريد أن يتحقق منها بنفسه ولكنه في آخر الأمر يبعث بالملكين وينسىٰ المهمة التي جاء من أجلها .

5 ـ سجود إبراهيم ولوط للغريب دون معرفته تستدعىٰ النظر .

6 ـ والفقرة الأخيرة هي من المستحيل الذي ما بعده مستحيل فالله قد غضب على مدينتي سدوم وعمورة لارتكاب أهلهما الفاحشة أما ابنتا لوط فلم ترتكبا اثمًا أو ذنبًا لذلك لم يحل عليهما أي عقاب بل بارك الله في نسلهما وجعلهما أممًا وشعوبًا . وعند المسلمين لا يوجد جريمة أبشع واشنع من أن يضاجع الأب بناته . وفي بعض الدول المتقدمة أو التي تسمىٰ نفسها بالمتقدمة يباح اللواط ويمارسه أكبر رجالات الدولة ولا يرون في ذلك شيئًا معيبًا أو مشينًا حتى إن بعض المحاكم تعقد زواج رجلين على بعضهما دون حرج وهذا شائع رغم تصريح كتاب العهد القديم بأن من يقوم بهذا العمل يرجم كأهل سدوم وعمورة . أما من يعتدي على شرف بناته فيحكم عليه بالإعدام في أكثر دول العالم وهذا العمل غير جائز ومحرم في جميع الشرائع والأديان الكتابية والوضعية . ولكن على عادة اليهود لعنهم الله يريدون أن يحطوا من قيمة جيرانهم

(1) سفر التكوين : الفصلان الثامن عشر والتاسع عشر .

وينسبوهم إلى أصل وضيع . ونتساءل أيضًا هل يمكن لرجل شيخ غائب عن الوعي بسبب السكر الشديد القيام بهذا العمل المذكور أعلاه؟

ويأتي متّى ولوقا ليؤكدا في نسبهما للمسيح صلته وانتسابه إلى كلٍّ من ابنتي لوط .

إن هذه الأكاذيب واضحة للعيان . ولكن ما هي غاية اليهود من ذكر أمثال هذه القصص الفاجرة التي يختلقونها؟

عندما ذكر اليونانيون الوثنيون قصة أوديب تحفظوا كثيرًا وفي نهاية القصة ذكروا أن والدة أوديب عندما علمت أن زوجها هو ابنها قامت بشنق نفسها . أما أوديب فلما علم بالأمر أدخل قضيبين من الحديد في عينيه ليكفر عن شناعة عمله .

أما ابنتا لوط على زعم اليهود فلا بد أنهما فخورتان بعملهما الذي لا تقبله الأرض ولا تقبله السماء ولكن اليهود يقبلونه .

وننتقل إلى قرية أخرىٰ تتعلق بنسب المسيح وتحط من مقداره ذلك أن اليهود اتهموا يهوذا بالزنىٰ مع زوجة ابنه وكان من ثمرة هذا الزنى أحد أجداد المسيح كما يدّعي متّى ولوقا . وخلاصة القصة ما يلي :

يزوج يهوذا ابنه عير من فتاة اسمها ثامار . ويتوفىٰ عير فيزوجها من ابنه الثاني أونان ويتوفىٰ أونان ولم تكن ثامار قد انجبت بعدُ . فيطلب منها يهوذا الذهاب إلى بيت أبيها ريثما يكبر ابنه الثالث شيله فيزوجها منه . فمضت ثامار ، وأقامت في بيت أبيها . ولما طالت المدة ماتت ابنة « شوع امرأة يهوذا » وسلا يهوذا بعدها وصعد إلى جزار غنمه في تمنه هو وحيرة صاحبه العدلامي . وأُخبرت ثامار وقيل لها هوذا حموك صاعد إلى تمنه ليجز غنمه فخلعت ثياب ارمالها وتغطت بالخمار وتنقبت وجلست مأتىٰ العينين على طريق تمنه إذ رأت أن شيله قد كبر ولم تُزوج به فرآها يهوذا فحسبها بغيًا لأنها كانت مغطية وجهها فمال إليها إلى الطريق وقال : هلم أدخل عليك لأنه لم يعلم أنها كنته فقالت له : ماذا تعطيني حتى تدخل عليَّ؟ قال : أبعث بجدي من معز من الماشية قالت أعطني رهنًا إلى أن تبعث بالجدي . قال ما الرهن الذي أعطيك قالت خاتمك وعمامتك وعصاك التي بيدك فأعطاها ودخل عليها فعلقت منه . ثم قامت فمضت ونزعت خمارها ولبست ثوب ارمالها وبعث يهوذا بجدي معز مع صاحبه العدلامي ليفتك الرهن من يد المرأة فلم يجدها فسأل عنها أهل موضعها وقال أين البغي التي كانت عند العينين على الطريق قالوا ما كانت هنا قط بغي . فرجع إلى يهوذا وقال لم أجدها وأهل الموضع أيضًا قالوا ما كانت ها هنا قط بغي . فقال يهوذا فلتذهب بها عندها لئلا يلحق بنا خزي فإني قد أرسلت الجدي وأنت لم تجدها .

وبعد مضى نحو ثلاثة أشهر أُخبر يهوذا وقيل له : قد باغت كنتك ثامار وها هي حامل من البغاء . فقال يهوذا أخرجوها فتُحرق . فبينما هي مخرجة بعثت إلى حميها فقالت : مِنَ الرجلِ الذي هذه الأشياء له أنا حامل وقالت أثبت لمن هذا الخاتم والعمامة والعصا . فأثبتها يهوذا وقال هي أبَرُ مني لأني لم أزوجها لشيلة ابني ولم يعد أيضًا يعرفها . ولما كان وقت ولادتها إذا بتوأمين في جوفها . ولما ولدت أخرج أحدهما يده فأخذت القابلة قرمزًا فعقدته عليها وقالت هذا خرج أولاً فلما رد يده خرج أخوه فقالت لماذا انقطع لأجلك السياج فسمّى فارص وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز فسمىٰ ذارح » .

نستنتج من هذا الفصل ما يلي :

1 ـ زنا يهوذا وهو في شيخوخته . وهو جد المسيح على زعم متّى ولوقا .

2 ـ زنا ثامار مع عمها والد زوجها وهي جدة المسيح على زعم متّى ولوقا .

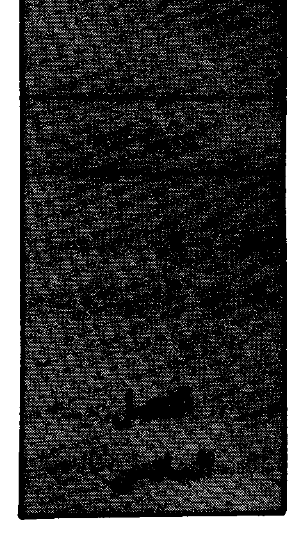
3 ـ فارمى جد المسيح ثمرة زنا بين شيخ وكنته .

وأمام هذه النتائج المستخلصة لدينا فرضيتان :

الأولى : أن كتاب العهد القديم مليء بالأكاذيب والأغاليط فهو مزور وليس من عند الله تعالىٰ بل كاتبه زنديق يريد أن يضحك على عقول الناس .

ثانيًا : أن هذا الكتاب موحىٰ به من عند الله كما يحلو الادعاء بذلك لكثير من المسيحيين واليهود وأنه صادق وصحيح وعليه حسب متّى ولوقا فإن المسيح هو ثمرة زنا مؤكد . ثم من الذي يضمن لنا أن فارص هو ابن يهوذا . ألا يجوز أن تامار حملت من شخص آخر ثم دبرت هذه الحيلة و يا لها من حيلة؟ لأنها غير معقولة ولا تصدق .

و إن المسلمين جميعًا يقولون إن كتاب العهد القديم مزور ومحرف ولا يمكن الاعتماد عليه إلا فيما يؤمن القرآن وأما ما عدا ذلك فهو أخاليط وأكاذيب . وعلى المسيحي صاحب الضمير الحي أن يقرر هل هو مع القرآن أم بجانب العهد القديم ذلك أن القرآن مدح المسيح وطهره وبرأ أمه من كل تهم اليهود ورفعها إلى مكانة مقدسة وعالية كما امتدح أجداد المسيح آباء أمه وجعل لهم قدسية وشرفًا عظيمًا . أما كتاب العهد القديم فلا حاجة لوصفه ونترك ذلك للقارىء اللبيب .



أسس التربية اليهودية

ليس القصد من كتابة هذا الكتاب هو تبيـان الأخطاء والمتناقضات في كتابي العهد القديم والعهد الجديد . ولكن الهدف هو تصحيح سيرة الأنبياء الأبرار في أذهان الناس وتبرئتهم من التهم والقبائح التي رماهم اليهود بها . ولكل قصة تروي في كتبهم معنى ومعزى فهم يعرفون افتراءاتهم ولكنهم يثبتونها في كتبهم ليتدارسوها وليتمسكوا بنتائجها ومراميها فهم لا يقصدون من دراسة دينهم التقرب من الله تعالىٰ بل يريدون أن يتعلموا الحيل والطرق الملتوية التي توصلهم إلى مآربهم السافلة وأهمها سلب مال الآخرين و إضلالهم و إبعادهم عن طريق الهدىٰ والصلاح . والدرس الأول هو أقرب طريق إلى الثروة :

« فلما قارب أن يدخل مصر قال إبراهيم لسارة امرأته أنا أعلم أنك امرأة جميلة المنظر فيكون إذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني و يستبقونك . فقولي إنك أختي حتى يحسن إليَّ بسببك وتحيا نفسي من أجلك »[1] .

« فأحسن إلى إبراهيم بسببها فصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء واتن وجمال »[2] .

« وكان إبراهيم غنيًا جدًا بالماشية والفضة والذهب »[3] .

« وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي اختي فبعث أبي ملك . ملك جرار فأخذ سارة فأتى الله أبي ملك في حلم الليل وقال له إنك هالك بسبب المرأة التي أخذتها فإنها ذات بعل »[4] .

وهذه قصة إبراهيم الخليل الذي تحدى مجتمعًا بكامله ولم يخف من النيران أو الملوك الجبابرة يستغل زوجته لكسب شيء من المال . وملخص القصة أن إبراهيم يقدم زوجته للملوك على أنها أخته . فيأخذها الملك ولكن الله يتدخل و يظهر للملك في الحلم و يأمره برد المرأة إلى زوجها . و إن حجة إبراهيم وتبر يره تقديم زوجته على أنها أخته هو الحفاظ على حياته . فهل كانت الحياة عند إبراهيم أغلى من الشرف؟ واستنتاجًا من الأرقام الواردة في العهد القديم يمكننا أن نقول إن عمر سارة عندما أخذها ملك مصر كان سبعون سنة . وعمرها عندما أخذها أبي ملك . ملك جرار هو خمس وثمانون سنة . وكان ذلك قبل أن تلد بإسحق حيث ولدته وعمرها تسعون عامًا .

---

(1) سفر التكوين الفصل : 12 : 11 ـ 12 ـ 13 .

(2) سفر التكوين الفصل : 12 : 16 .

(3) سفر التكوين الفصل : 13 : 2 .

(4) سفر التكوين الفصل : 20 : 2 و 3 .

إن الغاية والقصد من هذه القصة هو تعليم اليهودي تقديم أخته أو زوجته لذوي السلطان أو لمن بيده الأمر لكي يسهلوا لهم أعمالهم . فإذا كان إبراهيم قد فعلها فهم أولى منه بفعلها . والضرورات تبيح المحظورات . وهذه سيرة اليهود في كل بلاد العالم تشهد بأنهم يستفيدون من هذه القصة وغيرها .

إن الإيمان بإبراهيم كما يصوره كتاب العهد القديم بعيد جدًا عن الإيمان بإبراهيم كما يصوره القرآن فمعظم الأنبياء عند بني إسرائيل زناة أو ولدوا من الزنا بمن فيهم أجداد المسيح كما ينسبه متّى ولوقا . أما القرآن فقد نزه الأنبياء عن الصغائر والكبائر وعظمهم تعظيمًا وطهرهم تطهيرًا قبل النبوة وبعدها فهم دائمًا المصطفون الأخيار قدوة البشرية جمعاء في الأعمال الصالحة والمقربة إلى الله تعالىٰ .

ويذكر كتاب العهد القديم أنه ولد لإسحٰق توأمان عيسو ويعقوب . وعلى عادة اليهود فقد أبعدوا عيسو وقربوا يعقوب وجعلوا البركة تحل عليه وعلى نسله مع اعترافهم في مواضع كثيرة من الكتاب بأن عيسو أيضًا كان أبًا لأنبياء كثيرين . منهم أيوب الصابر .

ويذكر كتاب العهد القديم أن عيسو تزوج من يهوديت وبسمة الحثيتين ثم من محلة ابنة اسماعيل . أما يعقوب فقد تزوج من بنات خاله لابان من ناحور لذلك كانت له الحظوة في عيني أمه رفقة بنت ناحور . ولنذكر قصة شراء يعقوب للبكورية من أخيه عيسو ثم نعلق عليها .

« وطبخ يعقوب حساء العدس . وقَدِمَ عيسو من الصحراء وهو جائع فقال لأخيه التوأم يعقوب أطعمني من هذا الأحمر فإني تعب وخائر القوىٰ . فقال يعقوب : أريد أن أشتري منك بكرتيك بهذا الطعام . فقال عيسو : إنما أنا صائر إلى الموت فمالي والبكورية . فقال يعقوب : احلف لي أولاً بأنك بعتني البكورية . فحلف له عيسو . وأعطاه البكورية عندئذ. أعطى يعقوب لعيسو خبزًا وطبيخًا من العدس فأكل وشرب وقام ومضى . واستخف عيسو بالبكورية »[1] .

هذا هو الدرس الأول من التعاليم اليهودية وهو إذا وجدت محتاجًا فلا تساعده حتى تسلبه قدر ما يمكنك ثمنًا لمساعدتك و إياك أن تقوم بالمساعدة قبل أن تضمن تنفيذ الطرف الثاني لها . إذًا الدرس الأول هو الاستغلال بأبشع صوره . استغلال حاجة الآخرين وعوزهم . وقد نهى أنبياء بني إسرائيل قومهم عن الربا وحرمّوه عليهم . ولكن أنى لهؤلاء أن يرتدعوا أو يرعووا . فكانوا يكذّبون أنبياءهم أو يقتلونـهم . ونستفيد من هذا النص أيضًا أن للبكورية في ذلك الزمان قيمة ومعنىً كما هو اليوم في القوانين الانكليزية حيث يرث الابن البكر لقب أبيه وثروته . ومن هنا نجد أن إسماعيل هوالوارث الأول إن لم نقل الوحيد لإبراهيم . و إذا راجعنا الحقائق التاريخية الـمعروفة جيدًا نجد أن العرب أولاد إسماعيل ملكوا ثلثيّ العالم من اسبانيا حتى الصين . أمّا اليهود فهم مشردون بين الأمم والقارات .

« وحدث لما شاخ إسحق وكلّت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا بنيَّ قال لبيك . فقال : ها أنذا قد شخت ولا أعلم يوم موتي والآن خذ أداتك وجعبتك وقوسك واخرج إلى الصحراء وصد لي صيدًا وأصلحه لي ألوانًا كما أحب واتني به فآكل منه لكي تباركك نفسي قبل أن أموت . وكانت رفقة زوجة إسحق تسمع حين كلم إسحق عيسو ابنه . فمضى عيسو إلى الصحراء ليصيد صيدًا ويأتي به . فكلمت رفقة ابنها يعقوب قائلة إني قد سمعت أباك يكلم

(1) سفر التكوين الفصل : 25 : 29 وما بعده .

عيسو أخاك قائلاً : ائتني بصيد وأصلح لي ألوانا منه فآكل وأباركك أمام الرب قبل موتي . والآن يا بني اسمع لقولي فيما آمرك به . امض إلى الغنم وخذ لي من ثمَّ جديين من المعز جيدين فأصلحها ألوانًا لأبيك كما يحب . فتحضرها إلى أبيك ويأكل لكي يباركك قبل موته . فقال يعقوب لأمه : إن أخي عيسو رجل أشعر وأنا رجل أملس فلعل أبي يجسني فأكون عنده كالساخر منه وأجلب على نفسي لعنة لا بركة . قالت له أمه : عليَّ لعنتك يا بنيَّ . إنما اسمع لقولي وامض وخذ لي ذلك . فمضىٰ وأخذ ذلك وأتى به أمه فأصلحته أمه ألوانًا على ما يحب أبوه . وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي عندها في البيت فألبستها يعقوب أبنها الأصغر وكست يديه وعلاسة عنقه بجلد المعز ودفعت إلى ابنها يعقوب ما صنعته من الألوان والخبز . فدخل على أبيه وقال يا أبت قال هاأنذا من أنت يا بنيَّ . فقال يعقوب لأبيه : أنا عيسو بكرك قد صنعت ما أمرتني قم فاجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك . فقال إسحٰق لابنه ما أسرع ما أصبت يا بنيَّ . قال : إن الرب إلهك قد يسرَّ لي . فقال إسحٰق ليعقوب تقدم حتى أجسك يا بنيَّ هل أنت ابني عيسو أم لا . فتقدم يعقوب إلى أبيه اسحٰق فجسَّه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو ولم يتبينه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو فباركه وقال : هل أنت ابني عيسو ؟ قال : أنا هو . فقالَّ قدِّم لي حتى آكل من صيدا بني حتى تباركك نفسي . فقدَّم له فأكل وأتاه بخمر[1] . فشرب ثم قال أبوه إسحٰق : تقدم قبلني يا بنيَّ . فتقدم وقبَّله فاشتم رائحة ثيابه وباركه وقال : هاهي ذي رائحة ابني كرائحة حقل باركه الرب . يعطيك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض . يكثر لك الحنطة والخمر . وتخدمك الأمم وتسجد لك القبائل سيدًا تكون لاخوتك ولك بنو امك يسجدون . لاعنك ملعون ومباركك مبارك[2] .

فلما فرغ إسحٰق من بركته ليعقوب . وخرج يعقوب من بين يدىٰ إسحٰق أبيه . إذ عيسو أخوه قد أقبل من صيده . فصنع هو أيضًا ألوانًا وأتى به أباه . وقال لأبيه : ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه لكي تباركني نفسك . فقال له إسحٰق أبوه : من أنت؟ قال : أنا ابنك بكرك عيسو . فارتعش إسحٰق ارتعاشًا شديدًا وقال فمن ذاك الذي صاد لي صيدًا فأتاني به وأكلت منه قبل أن تجيء وباركته . نعم ومباركًا يكون . فلما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومُرة جدًا قال أبيه : باركني أنا أيضًا يا أبت . فقال : قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك . فقال : ألإنه سمى يعقوب تعقبني مرتين . أخذ بكريتي وهاهو ذا الآن قد أخذ بركتي . ثم قال : أما أبقيت لي بركة . فأجاب إسحٰق وقال لعيسو : هاأنذا قد جعلته سيدًا لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيدًا وبالحنطة والخمر أمددته . فماذا أصنع لك يا بنيَّ؟ فقال عيسو لأبيه : أبركة واحدة لك يا أبت . باركني أنا أيضًا يا أبت . ورفع عيسو صوته وبكى . فأجابه أبوه إسحق وقال له بمعزل عن دسم الأرض يكون مسكنك وعن طل السماء من العلو . بسيفك تعيش وأخاك تخدم . ويكون إنك إذا قويت تكسر نيره عن عنقك . وحقد عيسو على يعقوب بسبب البركة التي باركه أبوه بها . وقال عيسو في نفسه . قد قربت أيام حزن أبي فأقتل يعقوب أخي . فأخبرت رفقة بكلام عيسو إبنها الأكبر فبعثت واستدعت يعقوب إبنها الأصغر وقالت له : هوذا عيسو أخوك متوعد لك بالقتل والآن يا بنيَّ اسمع لقولي قم فاهرب إلى لابان أخي في حاران . وأقم عنده أيامًا قلائل حتىٰ يزول غيظ أخيك . فإذا كف غضب أخيك عنك ونسى ما فعلت معه أبعث أنا فآخذك من هناك لئلاً أثكلكما في يوم واحد . وقالت رفقة لاسحق قد

---

(1) الأنبياء لا يشربون الخمر وقت الدعاء .

(2) لم يتحقق من هذه البركات شيء .

سئمت حياتي من أجل ابنتي حث فإن تزوج يعقوب بامرأة من بنات حث مثل هاتين أو من بنات سائر أهل الأرض فمالي والحياة »[1] .

إن القارىء المطلّع يشعر بأن هذا الفصل مليء بالأكاذيب والافتراءات ولا ندري أهذا الفصل هو مدح أم ذم لنبيٍّ الله الصالح يعقوب أحد أجداد المسيح الحقيقيين . والقصة هنا كلها تدور حول غيرة المرأة من زوجات ابنها ثم تحيزها الواضح للولد غير المتزوج ثم استكانة الرجل لما تدبره امرأته الأصغر منه سنًا والأحسن صحة .

والدرس المستفاد من هذه القصة هو تعليم اليهودي السرقة بالكذب والاحتيال والتمثيل دون النظر لاعتبارات الأخوة أو الصداقة . المهم هو الاستيلاء على ما نريد مع دراسة الموضوع وحبكه من جميع جوانبه وتهيئة العدة اللازمة له .

ونحن ننزه عبد الله ونبيه يعقوب عن الإتيان بهذه الأفعال الشيطانية . ونقول إن النبوة لا تأتي بدعاء أحد بل هي هبة من الله لرجاله الصالحين . والفكرة التي نريد أن نقولها هل تأتي البركة من الله أم من عبد الله . فإن كانت من الله فإنه يسمع ويرىٰ . و إذا كان إسحٰق قد أصبح أعمى في آخر حياته فإن الله ليس بأعمىٰ . ولدىٰ قراءتنا لكتاب العهد القديم واطلاعنا على التاريخ نجد أن يعقوب أصبح عبدًا لعيسو بعكس البركة التي تمناها إسحٰق لولديه . كما أن هيرودس وأولاده من أحفاد عيسو حكموا اليهودية مئات السنين .

وسنذكر هذا في الصفحات القادمة عند ذكرنا لقصة أخرىٰ واستفادتنا منها درسًا آخر في الخبث والنذالة . ولكننا هنا نتوقف مؤقتًا لنذكر حدثًا مهمًا ليعقوب له صلة وثيقة بالإسراء والمعراج .

« وخرج يعقوب من بئر سبع ومضىٰ إلى حاران . فصادف موضعًا بات فيه . إذ غابت الشمس فأخذ بعض حجارة الموضع فوضعه تحت رأسه ونام في ذلك المكان . فرأى حلمًا . كأن سلمًا منتصبة على الأرض ورأسها إلى السماء وملائكة الله تصعد وتنزل عليها . و إذا الرب[2] واقف على السلم فقال : أنا الرب إلٰهك و إله أبيك إبراهيم و إله اسحٰق . الأرض التي أنت نائم عليها لك أعطيها ولنسلك و يكون نسلك كتراب الأرض وتنمو غربًا وشرقًا وشمالاً وجنوبًا و يتبارك[3] بك جميع قبائل الأرض وبنسلك . وها أنا معك أحفظك حيثما اتجهت . وسأردك إلى هذه الأرض فإني لا أهملك حتى آتى لك بكل ما وعدتك . فاستيقظ يعقوب من نومه وقال : إن الرب لفي هذا الموضع وأنا لم أعلم . فخاف وقال : ما أهول هذا الموضع ما هذا إلا بيت الله هذا باب السماء[4] »[5] .

وفي هذا المقطع لا نلتفت إلى الوعود والبشارات لأن اليهود دائمًا يزعمون أنها من حقهم وقد أثبت التاريخ أن هذه الوعود والبشارات تحققت لأولاد إسماعيل . ولكن الذي يلفت نظرنا ويهمنا من هذا النص هو كلمة باب السماء والسلم الموصل إليها أما الموضع الذي يذكره كتاب العهد القديم لهذا الحادث فهو بيت أيل وهو مكان قريب جدًا من مدينة القدس . و إذا عدنا للسيرة النبوية والقرآن الكريم نجد أن معراج النبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان من المسجد الأقصىٰ .

(1) سفر التكوين الفصل : 27 .

(2) الرب يقصد به جبريل رئيس الملائكة .

(3) هذه البركة خاصة بأولاد إسماعيل .

(4) باب السماء المكان الذي صعد منه النبيُّ ــ صلى الله عليه وسلم .

(5) سفر التكوين فصل : 28 : 10 وما بعدها .

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (1).

وبعد سفر طويل يصل يعقوب إلى بيت خاله لابان . ويحب يعقوب ابنة خاله راحيل ويطلب الزواج منها على أن يخدم أباها سبع سنين يرعىٰ له الماشية . وفي ليلة الزفاف يقوم لابان بزف ابنته لبيئة بدلاً من راحيل . ويدخل عليها يعقوب ويتزوجها . وعند الصباح تنكشف الحقيقة فإذا هي لبيئة ويقول يعقوب لخاله لابان وقد نسى كيف قد خدع أخاه عيسو : « ماذا فعلت بي أليس أني براحيل خدمتك فلم خدعتني »(2) .

وهنا نتوقف قليلاً عند هذه الحادثة ولنقرر هل من عادات الزواج السابقة أن يتزوج الرجل وهو مغمض العينين أم أن الزوج كان يدخل على زوجته وهي مقنعة؟ ألم يعرف يعقوب عروسته وهو يعيش معها تحت سقف واحد سبع سنوات متواصلة . ثم إن كان يعقوب قد عرف أن التي دخل عليها هي أخت خطيبته . ودخل تلك الليلة ألا يعد ذلك من الزنى . عقد على واحدة ودخل بأختها . وتغطية للموضوع وترضية ليعقوب يرضى لابان بتزويج البنت الصغرىٰ ليعقوب ويتم ذلك بعد سبع سنوات خدمة أخرىٰ يقدمها يعقوب لخاله لابان . وبالعودة إلى البركة التي قدمها إسحٰق لابنه يعقوب قال له : « سيدًا تكون لإخوتك . ولك بنو أمك يسجدون »(3) .

ويتحقق عكس هذه البركة ويخدم يعقوب بنى أمه أربع عشرة سنة .

لقد خدع لابان ابن اخته وفرض عليه بنتيه وأخدمه أربع عشرة سنة . والدرس المستفاد من هذه القصة هو تعليم اليهودي كيف يفرض بضاعته على المشترين ويخلط السيء بالجيد . ويبيع بنفس السعر . كما نلاحظ تعدد الزوجات واتخاذ الجواري والراي واعتبار الاولاد شرعيين من الزوجات والجواري على السواء . وإن عادة تعدد الزوجات هي ضرورة اجتماعية واقتصادية تفرضها الظروف الخارجية . لم يستنكر الأنبياء الكبار هذا التقليد بل عددوا زوجاتهم دون حرج . فهذا إبراهيم تزوج في وقت واحد هاجر وسارة وهذا يعقوب تزوج أربع نساء في وقت واحد أما داود فقيل إن عدد زوجاته كان مئة زوجة وكذلك سليمان وباقي الأنبياء الكرام .

وبعد خدمة مقدارها عشرون سنة يقرر يعقوب العودة إلى بلاده ومعه زوجاته الأربع وأولاده الأحد عشر . ويطالب يعقوب خاله لابان بأجر ست سنوات . فيقول له لابان : ماذا تريد أن أعطيك أجرًا ويطلب يعقوب الأجر التالي :

« تسلم المواشي ذات اللون الواحد ليعقوب ويتسلم أبناء لابان المواشي المرقطة والمخططة والبلقاء . وعندما تلد المواشي التي بيد يعقوب فله أن يأخذ جميع المواليد المرقطة والدهساء والبلقاء . أما ذات اللون الواحد فتبقىٰ للابان . ويرضىٰ لابان بهذا الشرط لأن الحيوانات ذات اللون الواحد لا تلد إلا من لونها وبما أن الحيوانات التي بيد يعقوب هي من لون واحد فمعنى ذلك أن مواليدها ستكون بنفس لونها . و إذا ما ولدت إحداها ولدًا مخططًا فذلك يكون بالصدفة . ولكن

(1) سورة الاسراء : الآية 1 .
(2) سفر التكوين فصل : 29 : 25 .
(3) سفر التكوين فصل : 27 : 29 .

يعقوب صاحب الحيل الكثيرة والتي تعلمها من أمه ثم من خاله يأتي بأغصان قرب مكان شرب الماشية حتى تتوحم عليها . وبالنتيجة فكل المواليد تكون مخططة ومرقطة ومن نصيب يعقوب »[1] .

ونحن لا نعلق على هذه الحادثة سوىٰ أن نسأل علماء الوراثة وهم سيجيبون بإستحالة هذا الكلام . والعبرة من هذه القصة هي أنه عندما تتعامل مع شخص وتطلب منه أجرًا أو حصة عليك أن توهمه بأنه سيدفع لك القليل ولكن في الحقيقة ستأخذ منه أكثر مما يتصور . وهكذا تمضي التعاليم اليهودية في كل صفحة درس وفي كل قصة عبرة وهذه الدروس والعبر تعلم اليهودي منذ نعومة أظفاره أن يجعل النتائج دائمًا تخدمه والـمثال على ذلك وعد بلفور الذي قطعته انكلترا على نفسها وهي تحسب أن اليهود لـن يحصلوا على أي شيء بسبب هذا الوعد ولكن في الحقيقة وما أسفرت عنه الأحداث فإن ما أخذه اليهود يفوق كل تصور أو خيال .

إن تحليل قصص كتاب العهد القديم تكشف لنا عن أصول التربية اليهودية وطريقة التفكير عندهم . ولمزيد الفائدة نختم هذا الفصل بثلاث قصص مليئة بالدروس والعبر . القصة الأولى تتحدث عن أسلوب يعقوب في استرضاء أخيـه عيسو الغاضب عليه والمصمم على قتله . فعندما اقترب يعقوب من مساكن أخيه عيسو فرز هدية مما جاء به لأخيه وهذه الهدية بسيطة جدًا ومتواضعة وتتألف من :[2]

1 ـ مئتي رأس من الماعز وعشرين تيسًا .

2 ـ مئتي نعجة وعشرين كبشًا .

3 ـ ثلاثين ناقة مرضعة مع أولادها .

4 ـ أربعين بقرة وعشرة ثيران .

5 ـ عشرين أتانا وعشرة جحاش .

« ودفعها إلى أيدي عبيده قطيعًا قطيعًا كلاً على حدة . وقال لعبيده تقدموا أمامي وأبقوا مسافة بين قطيع وقطيع . وأوصىٰ الأول قائلاً : إن صادفك عيسو أخي وسألك فقال لمن أنت إلى أين تمضي ولمن هذا الذي بين يديك فقل لعبدك يعقوب . هو هدية مرسلة إلى سيدي عيسو وها هوذا وراءنا أيضًا . وأوصىٰ الثاني بمثل ذلك وأيضًا الثالث وهكذا سائر الماضين وراء القطعان قائلاً : كذا تقولون لعيسو إذا لقيكم . وقولوا أيضًا هوذا عبدك يعقوب أيضًا وراءنا . لأنه قال استعطفه أولاً بالهدية المتقدمة أمامي وبعد ذلك أنظر وجهه لعله يرضىٰ عنّي . فتقدمته الهدية وبات هو تلك الليلة في المحلة . . . وفي اليوم التالي . . . ثم رفع يعقوب طرفه ونظر فإذا عيسو مقبل ومعه أربع مئة رجل ففرق أولاده على ليئة وراحيل والأمتين . وجعل الأمتين وأولادهما أولاً ثم ليئة وأولادها ثم راحيل و يوسف أخيرًا . وهو يقدمهم . وسجد إلى الأرض سبع مرات حتى دنا من أخيه . فبادر عيسو وتلقاه وعانقه وألقىٰ نفسه على عنقه وقبلّه وبكيا . ورفع عينيه فنظر النساء والأولاد فقال ما هؤلاء منك . قال البنون الذيـن رزقهم الله عبدك . فتقدمت الأمتان وأولادهما وسجدوا . ثم

---

(1) سفر التكوين الفصل : 30 .

(2) سفر التكوين فصل : 31 .

تقدمت ليئة وأولادها وسجدوا . وأخيرًا تقدم يوسف وراحيل وسجدا[1] . فقال ما أردت من جميع الثروة التي صادفتها . قال أن أنال حظوة في عيني سيدي . قال عيسو إن عندي كثير . فمالك يبقىٰ لك يا أخي . قال يعقوب : لا إن نلت حظوة في عينيك فاقبل هديتي من يدي فإني رأيت وجهك كما يُرىٰ وجه الله[2] ورضيت عني فاقبل بركتي التي جئت بها إليك فإن الله قد أنعم عليَّ وعندي من كل شيء وألح عليه فقبل »[3] .

ويمكننا أن نستنتج من هذه القصة ما يلي :

1 ـ الثروة الخيالية التي حازها يعقوب وكل ما ذكرناه في أول الفقرة هو جزء يسير من ثروة يعقوب . هل يكن أن تكون هذه الثروة أجرة راع عَمِلَ مدة ست سنوات فقط وهو يعيل أربع زوجات وأحد عشر ولدًا .

2 ـ انعكاس مضمون البركات التي نالها يعقوب فهاهو ذا يسجد لأخيه عيسو سبع سجدات ويقدم له الهدايا الكثيرة حتى يرضىٰ عنه وعندما يراه راضيًا يقول له رأيت وجهك كما يُرىٰ وجه الله . فهل هناك تذلل وعبودية أكثر مما فعل وما قال يعقوب لعيسو . ثم إن زوجات وأولاد يعقوب سجدوا لعيسو .

3 ـ يبين هذا النص طيبة قلب وشهامة عيسو فهو يبكي على عنق أخيه شوقًا وحنينًا رغم أن أخاه تآمر عليه وسلبه كل شيء . وسامح عيسو أخاه وصفح عنه مجانًا رافضًا الهدية التي قدمها يعقوب . وهذا يدل على عفة نفسه ومروءته .

4 ـ بمقارنة شخصية يعقوب مع شخصية عيسو يتبين لنا أن يعقوب . مستغل كذاب ـ خداع ـ سارق ـ مراءٍ . أما عيسو فيمثل الشهامة والبطولة والزعامة مع طيبة القلب والعفة والمسامحة والحب والحنان . ولكن اليهود يعتبرون يعقوب قدوتهم ومثلهم الأعلىٰ ومنارة هداهم في كل شيء بينما يمثل عيسو عندهم الإنسان الساذج الغبي الذي يسلبونه كل شيء وهو راضٍ ومسرور لذلك فهو مستحق للحرمان .

أما الدرس القيم الذي نستفيده من هذه القصة فهو الرشوة المفتاح السري للأبواب المغلقة والتي توصل إلى المآرب والغايات القريبة والبعيدة . ثم تعلمنا هذه القصة كيف نستطيع امتصاص نقمة الآخرين وغضبهم بالتدريج وبواسطة المال ثم باستخدام عامل الزمن فهو كفيل بمحو آثار أشياء كثيرة .

أما القصة الثانية فهي تحكي عن مصارعة يعقوب لله تعالى في مخاضة يبوق .

« وبقي يعقوب وحده فصارعه رجل إلى مطلع الفجر . ورأى الرجل أنه لا يقدر عليه فلمس حق وركه فانخلع حق وركـ[4] يعقوب في مصارعته له وقال الرجل ليعقوب أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال يعقوب : لا أطلقك حتى تباركني فقال ما اسمك؟ قال : يعقوب . قال الرجل لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل لأنك إذا رؤست عند الله فعلى الناس تستظهر ـ وورد في النسخة الانكليزية[5] قال الرجل لن يكون اسمك بعد الآن يعقوب لأنك عاركت الله وعاركت الرجال وربحت العراك لذلك سيكون اسمك اسرائيل ـ .

---

(1) عبودية يعقوب وأولاده لعيسو بعكس البركات الممنوحة ليعقوب .

(2) تعبير فيه تذلل وخضوع يعقوب .

(3) سفر التكوين الفصلين : 32 و 33 .

(4) كان يعقوب يشكو من مرض عرق النسا .

(5) GOOD NEWS BIBLE .

وسأله يعقوب وقال عرفني اسمك فقال لم سؤالك عن اسمي وباركه هناك . وسمىٰ يعقوب الموضع فنوئيل قائلاً إني رأيت الله وجهًا لوجه[1] ونجت نفسي »[2] .

ولو أن هذه القصة ذكرت أن يعقوب تصارع مع أحد الملائكة أو مع جِنِّيٍّ أو مع ساحر أو لاقىٰ حيوانًا خرافيًا لفكر الإنسان هل يمكن أن تكون هذه القصة صحيحة أم لا . أما وقد تصارع يعقوب مع الله فهذا شيء فاق خرافات الاغريق وسبقها بأشواط . ولكن المعنى هو أن اليهود مستعدون لمصارعة الله إن وقف في طريق مشاريعهم . وقد فعلوا ذلك فمحاربتهم للأنبياء والرسل ومحاربتهم لكل خير وفضيلة ونشرهم الرذائل والعهر والفسوق والغش وادمان المخدرات والالحاد العالمي كل ذلك هو محاربة لله . وهم أعوان الشيطان لاتخاذهم موقفه في إضلال البشر و إذلالهم . وفي هذه القصة نرىٰ أن الله تجسد وتأنس وأصبح رجلاً[3] وأصبحت قواه محدودة فهو يعجز عن مغالبة يعقوب والمضحك في هذه القصة أن الله يرجو يعقوب أن يطلق سراحه قبل أن يطلع الفجر ولكن يعقوب يرفض ذلك قبل أن يأخذ البركة . فيضطر الله أن يبارك يعقوب مرغمًا حتى يطلقه يعقوب . ولا نعرف ماذا كان سيجري لو أن يعقوب ظل ممسكًا بالله حتى يطلع الفجر؟ ثم كيف أن الله لا يعرف ما هو اسم يعقوب حتى يسأله عن اسمه؟ هل هذا الكتاب والمسمىٰ بالعهد القديم وما يحويه كتاب خرافة أم كتاب دجل؟

ولا يزال كثير من المسيحيين يقرّون بأن هذا الكتاب من عند الله ويسمونه الكتاب المقدس[4] .

وقد بينا سابقًا استحالة رؤية الله سبحانه وتعالى وقد طلب موسىٰ رؤية الله فلم يقدر عليها إلا أن يعقوب يرى الله سبحانه وتعالىٰ . ولا معنىٰ لهذه القصة سوىٰ أن كاتبها يريد أن يسخر من قرائه ويستخف بعقولهم . إن إنسانًا عاقلاً لا يحتاج إلى كل ما سقناه من قصص كتاب العهد القديم ليدرك أن هذا الكتاب كتاب كفرلا إيمان كتاب دعارة وفسق لا كتاب طهارةوتقوىٰ . ولا توجد شناعة أو قباحة أو رزالة إلا وُصِمَ بها أنبياء بني إسرائيل وكأن هذا الكتاب موجه ضدهم لا دعاية لهم وخاصة من ذكر في متّى ولوقًا بأنهم أجداد المسيح عليه السلام .

« وخرجت دينة بنت ليئة التي ولدتها ليعقوب عليه السلام لتنظر بنات البلد فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس البلد . فأخذها وضاجعها وأذلها . وتعلقت نفسه بدينة بنت يعقوب . وأحب الفتاة ولاطفها وكلم شكيم أباه حمور قائلاً : خذ لي هذه زوجة . وسمع يعقوب أنه قد دنس دينة ابنته . وكان بنوه مع ماشيته في الصحراء . فسكت يعقوب حتى جاءوا فخرج حمور أبو شكيم إلى يعقوب . وجاء بنو يعقوب من الصحراء حيث سمعوا . فحنق القوم وشق عليه جدًا لأنه قد صنع فاحشة في إسرائيل إذ ضاجع ابنة يعقوب وذلك لا يصنع . فتكلم معهم حمور قائلاً : إن شكيم ابني قد علقت نفسه بابنتكم فأعطوها زوجة له صاهرونا أعطونا بناتكم وخذوا بناتنا . وأقيموا معنا وهذه الأرض بين أيديكم أقيموا بها واتجروا وتملكوا . وقال شكيم لأبيها و إخوتها هبوني حظوة في عيونكم وما تقترحوه عليَّ أؤده لكم . أكثروا على المهر والعطايا جدًا

---

(1) وردت عبارة ما من أحد وآي الله (انجيل يوحنا : 1 : 18) .

(2) سفر التكوين فصل : 32 : 24 حتى 31 .

(3) يقول المسيحيون إن المسيح هو إله متجسد ومتأنس .

(4) الكتاب المقدس وهو مؤلف من العهد العتيق أو القديم ومن العهدالجديدوالمقصودبالعهد العتيق هو التوراة والعهد الجديد هو الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل .

فأعطيكم ما ترسمون لي وأعطوني الفتاة زوجة . فأجاب بنو يعقوب شكيم وأباه حمور بكيد ومكروا بهما لأنه دنس دينة أختهم . وقالوا لهما لا نستطيع هذا . أن نعطي اختنا لرجل أقلف لأنه عار عندنا لكننا بهذا نوافقكم تصيرون مثلنا بأن يختن كل ذكر منكم فنعطيكم بناتنا . ونتخذ بناتكم ونقيم عندكم ونصير شعبًا واحدًا . وإن لم تقبلوا منا أن تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضي . فحسن كلامهم عند حمور وابنه شكيم . ولم يلبث الفتى أن صنع ذلك لأنه كان قد شغف بابنة يعقوب . وكان هو أوجه أهل أبيه . فلما دخل حمور وابنه شكيم في مدينتهما خاطبا أهلها قائلين إن هؤلاء القوم مسالمون لنا فيقيمون بالبلد ويتجرون فيه والأرض واسعة الأطراف أمامهم فنتخذ بناتهم زوجات ونعطيهم بناتنا . لكن بهذا يوافقنا القوم على أن يقيموا معنا ونصير شعبًا وأحدًا يُختن كل رجل منا كم هم مختونون أفلا تصير مواشيهم ومقتنياتهم وجميع بهائمهم لنا . فلنواطئهم على هذه فيقيموا عندنا . فَسمِعَ لحمور وابنه شكيم كل من خرج من باب مدينته واختتن كل ذكر منهم كل الخارجين من باب المدينة . وكان في اليوم الثالث وهم متألمون أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوىٰ دينة أخذ كل واحد سيفه ودخلا المدينة آمنين فقتلا كل ذكر وحمور وشكيم ابنه قتلاهما بحد السيف وأخذ دينة من بيت شكيم وخرجا . ثم دخل بنو يعقوب على القتلىٰ وغنموا ما في المدينة من أجل تدنيس أختهم . وأخذوا بقرهم وغنمهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الصحراء . وسبوا وغنموا جميع ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وسائر ما في البيوت . فقال يعقوب لشمعون ولاوي قد أستقبحتماني وأخبثتما ريحي عند أهل الأرض والكنعانيين والغرزيين وأنا في نفر محدود فيجتمعون عليَّ ويقتلوني فأهلك أنا وبيتي فقالا أكزانية يتخذ أختنا »[1] .

استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم وأتوب إليه وهل هناك ذنب أعظم وكفر أكبر من قذف بنات وأخوات الأنبياء بالزنا والفحش والفجور وهل هذا هو الكتاب المقدس لا والله بل إنه الكتاب المنجس بالافتراءات والأكاذيب والتهم الملصقة بأطهر خلق الله . اللهم إنا نبرأ إليك مما يقولون ويتكلمون به عن أنبيائك وأصفيائك من خلقك . حاشا لله أن يكون هذا قد حصل في بيت النبوة . وكيف يرضىٰ المسيحيون أن يكون هذا الكتاب في أيدي بناتهم ونسائهم وهن يقرأن أن بنات لوط عليه السلام فعلتا الفاحشة مع أبيهم وهذه ابنة يعقوب جد المسيح تزني مع شكيم . ثم ستقرأ في الفصول القادمة أن القديسة الطاهرة يهوديت[2] المعتبرة والتي أفرد لها فصل خاص في كتاب العهد القديم قامت بقتل القائد الأشوري اليغانا المحاصر لمدينتها عن طريق إباحة نفسها له ثم سقته الخمر ولما تخدر وغاب عن الوعي قامت بحشِّر رأسه . يا لها من بطلة شجاعة لقد قامت بإنقاذ مدينتها . ثم رجعت القديسة الطاهرة إلى مخدعها لتقوم بالصلاة والصوم كأعظم ناسكة . وكأن شيئًا لم يكن . هذه هي الخطة اليهودية العامة فعندما يجبن الرجال ويفشلون وينهزمون تتقدم المرأة اليهودية لتحمل راية النصر وتهزم الأعداء . إن الفتاة المسيحية ستقرأ هذا الكتاب وتتخذ من هؤلاء النساء العاهرات قدوة حسنة لها في حياتها لذلك علينا أن لا نعجب من انتشار الزنا في بلاد الغرب حتى لقد أصبح الزنا في أوقات كثيرة قربى إلى الله وعبادة وما بعدها عبادة . ويكفي الزانية فخرًا وثوابًا أنها تدخل البهجة والسرور على قلوب الآخرين . إنها خدمة اجتماعية منقطعة النظير . وقد مر معي أثناء قراءة كتاب البداية والنهاية لابن كثير ما يلي :

---

(1) سفر التكوين الفصل : 34 .

(2) سفر يهوديت .

استهلت سنة ست وثمانين وخمسئة والسلطان صلاح الدين الأيوبي محاصر لحصن عكا وامداد الفرنج تفد إليهم من البحر في كل وقت حتى إن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال ومنهن من تأتي بغية راحة الغرباء لينكحوها في الغربة فيجدون راحة وخدمة وقضاء وطر . قدم إليهم مركب فيه ثلاثمئة امرأة من أحسن النساء وأجملهن بهذه النية . فإذا وجد الفرنج ذلك ثبتوا على الحرب والغربة . حتى إن كثيرًا من فسقة المسلمين تحيزوا إليهم من أجل هؤلاء النسوة .

إذًا هذه هي التربية اليهودية ودور المرأة فيها إما سلب قوة الآخرين للقضاء عليهم أو سلب أموالهم لإفقارهم و إخضاعهم لتنفيذ مآرب الصهيونية . والمسيحيون القارئون والمقدسون لكتاب العهد القديم سوف يسيرون على نفس المنهاج دون تردد أو تذمر . ومن أكبر عقبات انتشار الإسلام في المسيحية هو تحريمه القاطع للزنا بكافة اشكاله وأنواعه وألوانه والتزامه بالعفة المطلقة . ولا سبيل لصرف الطاقة الجنسية إلا عن طريق الزواج .

لقد كان تحريم الزنا أحد الوصايا العشر التي جاء بها موسىٰ . وهذه هي الوصية الوحيدة التي أبقىٰ عليها بولس . فقام بتحريم الزنا والدعوة للعفة . فما بال الحياة الاجتماعية المسيحية تقوم على الزنا Boy Friend And girl Friend . طبعًا هناك أسباب كثيرة أهمها هو وجود هذه القصص الخليعة الداعرة في كتاب العهد القديم (العتيق) .

نعود إلى قصة شكيم بن حمور فنقول إن هذه القصة محض افتراء ولا تثبت أمام مناقشة أو نقد ولكن هناك درس يجب أن يتعلمه اليهود منها وهو نقض المواثيق والعهود مع الآخرين ويكون ذلك عندما يصبح اليهودي أقوى من خصمه . وفي هذه القصة يقوم أولاد يعقوب بإضعاف خصمهم ثم القضاء عليه . ثم يبدأ السلب والنهب واستحلال الغنائم من الأصدقاء المغدور بهم . وعلى منوال هذه القصة كانت جميع عهود بني إسرائيل مع أصدقائهم وأعدائهم على السواء لا يوفون بالعهد ولا يلتزمون بالمواثيق كلما كان ذلك في صالحهم . ولذلك اشتهر بنو إسرائيل بالغدر فلا يأمن أحد جانبهم ولا يصدق أحد وعودهم وعهودهم ومواثيقهم إلا إذا كانوا هم الجانب الأضعف .

ونحن نستغرب كيف أن رجلين فقط هما شمعون ولاوي يدخلان مدينة فيبيدان جميع سكانها الذكور بحجة أنهم مختونون . و إذا رجعنا إلى الصفحات السابقة نجد أن بيت يعقوب لا يحوي سوى فتاة واحدة . هي ابنة يعقوب فلم يختتن كل أبناء المدينة؟ ألزوجات يعقوب أم لزوجات أبنائه؟ ثم ما حاجة رجال المدينة المتزوجين للختان؟ إذًا هذه قصة مختلقة لا تسرد تاريخًا بل تسرد درسًا وتعليمًا . وتجيء الفقرة الأخيرة من القصة لتقول : ثم سبوا أولادهم ونساءهم وسائر ما في البيوت . أي أن أولاد يعقوب اتخذوا من المدينة عبيدًا حلالاً لهم . وفي الفصل السادس والثلاثين نقرأ أن راؤبين ذهب فضاجع بلهة سرية أبيه فسمع بذلك إسرائيل . ولا يوجد أي تعقيب على هذه الحادثة ونحن نتساءل هل خلت الدنيا من النساء حتى لا يرى راؤبين أمامه غير بلهة سرية أبيه وأم أخويه دان ونغتالي ويفعل فعلة شنعاء؟ لا نصدقها كما لم نصدق فعل بنات لوط مع أبيهم . ونتساءل أين النساء المسبيات من مدينة شكيم بن حمور؟ وهل فعل راؤبين هذا يعد من الزنا أم هو جريمة أكبر من الزنا؟ وأخيرًا ما هو موقف يعقوب من هذه الحادثة؟ أسئلة كثيرة تتبادر إلى ذهن الإنسان لا يجد لها جوابًا سوىٰ أن هذا الكتاب كذب وبهتان . رياء ودجل ـ كفر وضلال .

ورغم كل الصفات الذميمة التي رمينا بها كتاب العهد القديم فأحيانًا نجد فيه نصوصًا لم تحرف أو تشوه وتقلب رأسًا على عقب . ومن هذه النصوص بعض البشارات بالنبيِّ المختار محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهذه النصوص رغم التلاعب الكبير بها فإنه يمكننا التوصل إلى بعض الملامح والاشارات التي أبقاها الله في هذا الكتاب لتشير إلى النبيِّ محمد ـ

صلى الله عليه وسلم ـ ولتكون حجة دامغة على أولئك الذين أنكروه وهم يعلمون أنه الحق ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.[1]

ومن هذه الإشارات والبشارات ما قاله يعقوب لأولاده حاثًا إياهم على طاعة النبيِّ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلوه وتطيعه الشعوب »[2] .

في هذا النص نجد ما يلي :

1 ـ إن أبناء يهوذا سيحكمون ويكون منهم ملوك ومشرِّعون وقد حدث هذا في زمن داود وسليمان وأولادهما .

2 ـ سيزول هذا الملك عن أبناء يهوذا ولا يعود إليهم وحدد ذلك بظهور شيلوه الذي ستطيعه الشعوب .

فمن هو شيلوه هذا المذكور؟

بالرجوع إلى قاموس الكتاب المقدس نجد معنى شيلوه كما يلي : تنقسم الكلمة شيلوه إلى ثلاث مقاطع شي ـ ل ـ وه . ومعنى العبارة ـ الذي له ـ كما يظهر أيضًا في نبوءة حزقيال : « أنت أيها النجس المنافق رئيس إسرائيل الذي أتى يومه عند بلوغ الإثم غايته . هكذا قال السيد الرب . إني أنزع العمامة وأرفع التاج . هذه الحال لا تبقىٰ بل أعلى السافل وأسفل العالي وأجعلانقلابًا على انقلاب على انقلاب . وهذه الحال لا تكون حتى يأتي ـ الذي له ـ الحكم فأجعله له .

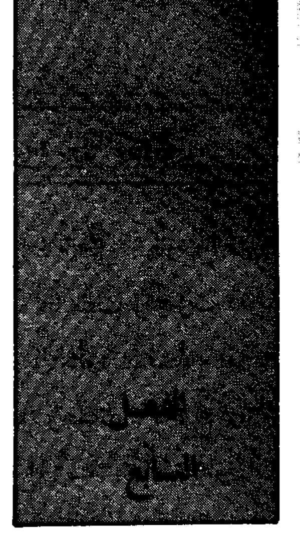
وهذا الرأي يعود بنا إلى فكرة انتظار المسيا وترجمتها « حتى يأتي المسيا إلى ما يخصه » .

وهذه البشارة لا تنطبق إلا على سيدنا محمد لأن الحكم أصبح له ولا تنطبق على المسيح لأنه لم يحكم على أحد .

---

(1) سورة البقرة : آية 146 .

(2) سفر التكوين فصل : 49 : 10 .



براءة داود[1] وهارون

داود هو ملك بني إسرائيل ونبيهم وصانع أمجادهم والمؤسس الأول لمملكة يهوذا . آتاه الله الزبور وهو ما يدعى الآن بالمزامير . هذه المزامير و إن حرِّفت ولكنها لا تزال جزءًا من كتاب العهد القديم المقدس لدى اليهود والنصارىٰ . و يعتبره الفريقان وحيًا من الله . وقد لاقى داود من قومه الإيذاء والتشهير بما هو بريء منه . وعلى عادة اليهود مع أنبيائهم فقد ثبتوا التهم الملفقة ضده في كتبهم ونشروها على الملإ ليطّلع كل إنسان على ما لفقوه لنبيهم . ونحن نتساءل لماذا يذكر كتاب العهد القديم المخازي الملفقة على الأنبياء والمرسلين ومن الطبيعي أن يستر ويغطي الانسان العاقل المساويء والأخطاء التي يرتكبها أجداده وأسلافه ويحاول أن يظهرهم بأحسن مظهر و يجعل منهم أشخاصًا مثاليين و إن لم يكونوا كذلك فكيف بأشخاص مثاليين ضربوا للإنسانية أحسن الأمثلة وقادوهم إلى الخير يأتي أحفادهم فيشوهون تاريخهم وينسبون إليهم كل رذيلة ونقيصة . ومن المعروف أن الأنبياءهم مصدر خير وبركة للأمة التي يعيشون فيها يسعون لترقيتها ورفع مستواها الأخلاقي والروحي . لذلك كان الشعب دائمًا ينتظر نبيًا ليخلّصه من أوضاعه السيئة و يوقف حالة التدهور التي يعيشها . فالأنبياء يسعون لمصلحة الأمة وكل من يعاديهم أو يقف في طريقهم أو يشوه تعاليمهم أو سمعتهم فهو عدو للشعب وللأمة . من هذا المنطلق نستطيع تقييم كاتب العهد القديم . هل هو محب للأنبياء وتعاليمهم مشجع عليها أم أنه عدو لهم ينسب اليهم النقائص والمتناقضات و يشوه سمعتهم و يحارب تعاليمهم .

ومفهوم النبوة هو الإنباء بالأشياء المغيبة نقلاً عن مصدر إلٰهي . فإذا لم يكن النبي مثاليًا إلى أقصىٰ درجات المثالية فكيف نصدق نبوءاته . و إن الإنسان المرتكب للمعاصي والأخطاء غير أهل للنبوة . وعندما يدّعي مثل هذا الشخص النبوة . فلن يصدقه أحد . و إذا أعدنا قراءة العهد القديم نجد أن هذا الكتاب ليس إلاّ سجلاً حافلاً لأخطاء أنبياء بني إسرائيل ومقدسيهم وكيف يمكن للإنسان أن يكون مثاليًا إذا كان الأشخاص الذين يقتدي بهم في الصلاح والتقوىٰ من شر خلق الله . والاتهام الموجه لداود حسب كتب اليهود لعنهم الله على كذبهم وافترائهم هو الزنا ثم القتل العمد مع سابق التصميم والإصرار عليه . ولنذكر الاتهام الكاذب كما ورد في سفر الملوك الثاني .

« وكان عند المساء أن داود قام عن سريره وتمشىٰ على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم .

---

(1) وردت براءة داود في الفصل 14 : 8 من سفر الملوك الثالث حيث يقول النبيّ أحيًا على لسان الوحي « ولم تكن كعبدي داود الذي حفظ وصاياي واتبعني بكل قلبه ولم يعمل إلا ما هو قويم في عينيّ » .

وكانت المرأة جميلة جدًا فأرسل داود وسأل عن المرأة فقيل له هذه بتشابع بنت اليام . امرأة أوريا الحثي . فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت عليه فدخل بها وتطهرت من نجاستها . ورجعت إلى بيتها . فحملت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنني حامل . فأرسل داود إلى يوّاب أن أرسل إليّ أوريا الحثي . فأرسل يوّاب أوريا إلى داود . فجاءه أوريا فاستخبره داود عن سلامة يوّاب والشعب وعن الحرب ثم قال داود لأوريا : انزل إلى بيتك واغسل رجليك . فخرج أوريا وخرج وراءه طعام من عند الملك . فرقد أوريا على باب بيت الملك مع جمع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته . وأُخبر داود أن أوريا لم ينزل إلى بيته فقال داود لأوريا : أما جئت من السفر؟ فما بالك لا تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريا لداود : إن التابوت و إسرائيل ويهوذا مقيمون في الخيام ويوّاب سيدي وعبيد الملك نزول على وجه الصحراء وأنا أدخل بيتي . وآكل وأشرب وأدخل على أهلي لا وحياتك وحياة نفسك إني لا أفعل هذا . فقال داود لأوريا : امكث اليوم . وغدًا أصرفك . فبقي أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغدًا . فدعاه داود فأكل بين يديه وشرب وأسكره وخرج مساءً فاضطجع في مضجعه مع عبيد سيده . و إلى بيته لم ينزل . فلما كان الصباح كتب داود إلى يوّاب كتابًا وأرسله بيد أوريا وكتب في الكتاب قائلاً وجهوا أوريا إلى حيث يكون القتال شديدًا وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت . فكان في محاصرة يوّاب للمدينة أن جعل أوريا في الموضع الذي علم أنه فيه رجال البأس . فخرج رجال المدينة وحاربوا يوّاب فسقط بعض الشعب من عبيد داود وقتل أوريا الحثي أيضًا . . وسمعت امرأة أوريا أن أوريا زوجها قد مات فناحت على بعلها ولما تمّت أيام مناحتها أرسل داود وضمها إلى بيته فكانت زوجة له . وولدت له ابنًا وساء ما صنعه داود في عيني الرب »[1] .

وبماذا نرد على هذه التهمة الشنعاء التي ألصقها بنو إسرائيل بنبي الله الصالح داود ظلمًا وعدوانًا وكيف يعطي الله أسرار السماء لمن لا يؤتمن على عرض جارته وزوجة قائده . إن قاريء النص يشعر بأن أوريا كان بطلاً شهمًا ذا مروءة مخلصًا في عمله صارمًا مع نفسه لا يرضىٰ بأن يتنعم ويترفه و إخوته في السلاح يحاربون . يريد أن يذهب إليهم ليشاركهم المسؤولية . أما داود فيظهر بمظهر الرجل الجنسي الخبيث الذي يدّبر المؤامرات ويقتل الرجال من أجل النساء . دون رادع من ضمير أو وجدان أو دين . خاصة وأن الذين قتلهم هم الأوفياء له ثم يأتي كاتب إنجيل متّى وكاتب إنجيل لوقا ليقولا للمسيحيين هذا هو داود جد مسيحكم وهذه هي بتشابع الزانية زوجة جدكم وأم ابنه سليمان . فما هو معنى العفّة وما هو معنى الطهارة فتلك ذرية بعضها أنجس من بعض .

وننبه هنا بأن كثيرا من مفسرّي القرآن الكريم قد غلطوا[2] وانساقوا وراء الروايات اليهودية لتفسير عتاب رقيق وجهه الله إلى نبيه الكريم داود . وذكروا أن الله عاتب داود بسبب هذه الجرائم الشنيعة . إن أمثال هذه الجرئم وهي الزنا وقتل النفس البريئة من أكبر الكبائر عند الله تعالىٰ وقد حاسب الله تعالىٰ بعض أنبيائه على أعمال بسيطة فكان حسابهم عسيرًا . فالنبيَّ يونس بن متى الذي رحل عن المدينة التي أنذرها بالعقاب الإلٰهي دون إذن من الله تعالىٰ . سجنه الله في بطن حوت عظيم ولولا أن كان من المسبحين لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة .

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ

---

(1) سفر الملوك الثاني الفصل : 11 .

(2) دس اليهود كثيرًا مما في كتبهم في تفسير القرآن وقد سميت تلك الأخبار المدسوسة بالإسرائيليات وهي غير معتمدة عند المسلمين ولا يعتبرونها .

مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ ﴾[1] .

وهكذا فإن مؤاخذة الله شديدة ومحاسبته أليمة فإذا كان المخطيء من الأنبياء ولو كان خطأ بسيطًا جدًا فإن الله يعاقب عليه عقابا شديدًا . لأن النبيّ هو قدوة البشرية وقد عاقب الله سبحانه وتعالىٰ عبده ونبيه داود في منازعة ظن فيها داود أنه بجانب الحق والصواب وأراد الله تنبيه داود إلى الأفضل والأكمل . وهو أن يترك الانسان ما يعتقد أنه حق مشروع له لمن هو في حاجة أشد إليه . ونترك القصة بين يدي القاريء ليحكم بنفسه هل أخطأ داود أم أصاب؟

« وأحب جميع إسرائيل ويهوذا داود لأنه كان يدخل ويخرج أمامهم[2] . فقال شاول لداود : هذه ابنتي الكبرى ميراب اعطيكها زوجة ولكن كي لي ذا بأس وحارب حروب الرب . لأن شاول كان يقول لا تكن يدي عليه و إنما تكون عليه يد الفلسطينيين . فقال داود لشاول : من أنا وما حياتي وعشيرة أبي في إسرائيل حتىٰ أكون صهر الملك وكان في ميعاد إعطاء ميراب ابنة شاول لداود أنها أعطيت زوجة لعدرئيل المحمولي . وأحبت ميكال أبنة شاول الثانية داود . فأُخبر شاول فحسن الأمر في عينه وقال شاول : أعطيها له فتكون له وهقًا وتكون يد الفلسطينيين عليه . فقال شاول لداود بأمرين تصاهرني اليوم . وأمر شاول عبيده أن تكلموا مع داود سرًا وقولوا إنك قد حظيت لدى الملك وجميع عبيده أحبوك فصاهر الآن الملك . فلما تكلم عبيد شاول على مسمع داود بهذا الكلام قال داود أقليل عندكم أن تقع مصاهرة بيني وبين الملك . وأنا رجل مسكين ذليل . فأخبر شاول عبيده وقالوا كذا قال داود . فقال شاول : هكذا تقولون لداود ليست رغبة الملك في المهر ولكنه يريد مئة قلفة من الفلسطينيين انتقامًا من أعداء الملك . وكان شاول قد أضمر أن يلقىٰ داود في أيدي الفلسطينيين . فأخبر عبيد شاول داود بهذا الكلام فحسن الأمر في عيني داود أن يكون بذلك صهرًا للملك . فلم تتم الأيام حتى قام داود هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل . وجاء داود بقلفهم فعرضت على الملك بتمامها . ليكون له صهرًا . فزوجه شاول ميكال ابنته . ورأى شاول وعلم أن الرب مع داود . وكانت ميكال ابنة شاول تحب داود . وعاد شاول يزداد خوفًا من وجه داود . وصار شاول عدوًا لداود كل الأيام . وخرج قواد الفلسطينيين . وكان داود منذ خروجهم أحكم القواد تصرفًا من جميع عبيد شاول فعظم اسمه جدًا »[3] .

وتستحكم العداوة بين شاول وداود ويحاول شاول قتل داود عدة مرات ولكن داود يهرب من وجه شاول . فيقدم شاول بتزويج ابنته ميكال زوجة داود إلى رجل آخر . « فأما شاول فأعطى ابنته ميكال امرأة داود زوجة لفلطي بن لائيش الذي من جليم »[4] .

إذًا طورد داود من قِبَلِ شاول وأخذت زوجته التي يحبها وتحبه وزوجّت من رجل آخر ويموت شاول ويقوى داود وينضم إليه رجال شاول ويتقدم إليه أحدهم وهو أبنير « فقال داود حسنا أنا أقطع معك عهدًا ولكني أطلب منك أمرًا واحدًا . لا ترى وجهي حتى تأتيني بميكال ابنةشاول متى جئت لتريٰ وجهي . وأنفذ داود رسلاً إلى اشبوشت بن شاول قائلاً : أعطني امرأتي التي خطبتها بمئة قلفة من الفلسطينيين . فبعث اشبوشت وأخذها من عند بعلها فلطيئل بن لائيش .

(1) سورة الأنبياء : الآيتان 87 و 88 .

(2) تعبير عن شجاعة داود و إقدامه في الحرب .

(3) سفر الملوك الأول الفصل : 18 : 16 وما بعدها .

(4) سفر الملوك الأول الفصل : 25 : 44 .

وانطلق بعلها معها وهو يسير ويبكي وراءها إلى بحوريم . فقال له ابنير انصرف راجعًا . فرجع »[1] .

وهنا نتساءل هل أخطأ أو أثم داود بطلبه زوجته ميكال التي يحبها وتحبه . والتي أُخذت غصبًا عنه وزوجت لرجل آخر . وها هنا تأتي المعاتبة الإلـهية لداود كما وردت في القرآن الكريم . لتبين التصرف الصحيح الذي يجب أن يسلكه داود دون أن تذكر هذا التصرف :

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝ ﴾[2] .

فهذه الآيات تبين مكانة داود الروحية العالية . ومدى قربه من الله تعالىٰ . يأتيه ملكان على هيئة خصمين ليتحاكما إليه . فصاحب النعاج الكثيرة يمثل داود الملك أما صاحب النعجة الواحدة فهو فلطئيل كما مر معنا . ونرىٰ في النص كيف أن داود ندم على عمله هذا والذي كان يعتبره حقًا مشروعًا من حقوقه فهو يطالب بزوجته السابقة التي لم يطلقها . ولكن الله يوجهه كي لا يطالب بشيء يملك من مثله الكثير . ويعيد داود ميكال إلى زوجها فلطئيل . ويتنازل عن حقه شهامة وكرمًا بعد أن جاءه العتاب الإلهي الرقيق .

وهذا هو الفرق الرئيسي بين القرآن وكتاب العهد القديم في هذا الموضوع . فالقرآن يمتدح داود ويوجهه نحو الأفضل دون أن ينتقص من قيمته بينما العهد القديم يبدأ مباشرة بلصق النقائص وتوجيه التهم يمينًا وشمالاً غير عابيء بحرمة الأنبياء الطاهرين .

ويبين القرآن أن اليهود ملعونون من قِبَلِ داود وعيسى بن مريم بسبب اتهاماتهم وافتراءاتهم **﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝ ﴾**[3] .

ونأمل من القاريء أن يكون قد اقتنع ببراءة داود من التهم اليهودية الحاقدة على كل الأنبياء والمرسلين . وننتقل بعد هذا للحديث عن الجد الحقيقي للسيد المسيح وهو نبيُّ الله الصالح هارون . وكان هارون الوزير الأول لأعظم أنبياء بني إسرائيل على الإطلاق وصاحب شريعتهم موسى كليم الله . الذي أنقذهم من الذل والعبودية التي كانوا يلاقونها في مصر على

---

(1) سفر الملوك الثاني الفصل : 3 : 13 حتى 16 .

(2) سورة صٓ : الآيات من 16 إلى 26 .

(3) سورة المائدة : الآيتان 78 و 79 .

يد فرعون وزبانيته ونذكّر هنا ببركات إسحٰق ليعقوب حيث إن أبناءه مسخرون للعبودية في مصر بينما أولاد إسماعيل يتمتعون بالحرية في جزيرة العرب .

طلب موسى من الله تعالىٰ أن يؤازره بأخيه هارون لفصاحته وقوة لهجته . فأشرك الله هارون مع موسىٰ في النبوة والرسالة ووقف الاثنان أمام فرعون وسحرته وقادا معًا بني إسرائيل في صحراء التيه . وكان هارون ينوب عن موسىٰ أثناء غيابه . وكان محبوبًا من بني إسرائيل لرقته ودماثة أخلاقه ولين طباعه . وقد نال جزاء إخلاصه وصدق تقواه وجهاده مع موسى أن جُعِلت الكهانة وراثية في أبنائه ولا يجوز لغيرهم أن يكون كاهنًا . فكان هارون وأولاده هم المؤتمنون على الشريعة اليهودية والمحافظون عليها . ولم ينج هارون من اتهامات بني إسرائيل وافتراءاتهم فهذا هو ديدنهم وطبعهم مع كل مخلص وأمين . و إن الفاحص المتمعن ليتيقن بأن كاتب العهد القديم من أعدىٰ أعداء الأنبياء عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه . وقد بين كتاب العهد القديم المكانة العالية لهارون ولكنه ما لبث أن تناقض مع نفسه فهوى به إلى اسفل سافلين ونحن نتعجب من كتاب حوى المتناقضات كيف يصلح للتقديس والاعتبار؟ وطبعًا فإن جمهور المسيحيين لا يقرأون كتاب العهد القديم و إنما يحتفظون به في بيوتهم للبركة . أما رجال الدين فهم الذين يقرأون فيه وهم مطّلعون أكثر من غيرهم على هذه المتناقضات . ولو درس أحدهم القرآن وكثير منهم يفعل ذلك فإنه يجد القرآن محبوكًا مسبوكًا لا تناقض فيه ولا غموض ولكن لا يجد من يشجعه على اعتناق الإسلام . لذلك فأكثرهم يقنع في الباطن ولا يستطيع إظهار ذلك .

وفيما يلي النصوص التي تبين مكانة هارون الحقيقية .

« وقال الرب لهارون امض للقاء موسىٰ في البرية فمضىٰ ولقيه في جبل الله . فأخبر موسىٰ هارون بجميع كلام الرب الذي بعثه به وجميع الآيات التي أمره بها . فمضى موسىٰ وهارون وجمعا شيوخ بني إسرائيل وخاطبهم هارون بجميع الكلام الذي كلم الرب به موسىٰ وصنع الآيات على عيون الشعب . فآمن الشعب إذ سمعوا أن الرب قد افتقد بني إسرائيل ونظر مذلتهم خروا وسجدوا . وبعد ذلك دخل موسىٰ وهارون وقالا لفرعون كذا قال الرب إلٰه إسرائيل أطلق شعبي لكي يعيدوا لي في البرية فقال فرعون من هو الرب فأسمع لقوله وأطلق إسرائيل . لا أعرف الرب ولا أطلق إسرائيل »[1] .

« وهارون وموسى هذان هما اللذان قال الرب لهما أخرجا بني إسرائيل من أرض مصر بجيوشهم . وهما اللذان خاطبا فرعون مصر في إخراج بني إسرائيل من مصر هما موسىٰ وهارون » .

« فقال الرب لموسىٰ انظر قد جعلتك إلهًا لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك . أنت تتكلم بجمع ما آمرك به وهارون أخوك يخاطب فرعون أن يطلق بني إسرائيل من أرضه . . . فصنع موسىٰ وهارون كما أمرهما الرب هكذا فعلاً . وكان موسىٰ ابن ثمانين سنة . وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون . وكلم الرب موسىٰ وهارون قائلاً : إذا كلمكما فرعون وقال أعطياني آية فقل لهارون خذ عصاك وألقها بين يدي فرعون فتصير ثعبانًا . فدخل موسىٰ وهارون على فرعون وصنعا كما أمر الرب . وألقىٰ هارون عصاه بين يدي فرعون وعبيده فصارت ثعبانًا »[2] .

وقرّب إليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليكهنوا لي . هارون وناداب وايهو . والعازر واثيامار بني

---

(1) سفر الخروج الفصل : 4 : 27 حتى 31 . وفصل 5 : 1 و 2 .

(2) سفر الخروج الفصل : سفر الخروج الفصل : 7 : 1 حتى 9 .

هارون . واصنع ثياب قدس لهارون أخيك للكرامة والبهاء »[1] .

والفصلان الثامن والعشرون والتاسع والعشرين هما خاصان بالتكريم والتشريف الذي شرّفه الله لهارون وبنيه من بعده مدى أجيالهم . وجعل لهما حقوقًا وامتيازات لا تحق لغيرهم . فهم الكهنة لبني إسرائيل .

« فيحمل هارون إسماء بني إسرائيل في صدرية الكهنوت . ويلبسها في صدره عند دخوله القدس ليتذكرهم الرب دائمًا ويجعل في صدرية الكهنوت النور والحق . فتكون على صدر هارون عند دخوله بين يدي الرب ويحمل هارون قضاء بني إسرائيل – الاستخارة – على صدره بين يدي الرب دائمًا »[2] ويستمر الكتاب في وصف لباس هارون ولباس أولاده وينتهي الفصل بما يلي :

« وتصنع لهم سراويل من الكتان لتغطي العري من أبدانهم من الحقوين إلى الفخذين تكون . وتكون على هارون وبنيه عند دخولهم قباء المحضر . وعند تقدمهم إلى المذبح . ليخدموا في القدس لئلا يحملوا إثمًا فيموتوا . رسم الدهر له ولنسله من بعده »[3] .

وقدم هارون وبنيه إلى باب خباء المحضر واغسلهم بالماء . وخذ الثياب وألبس هارون القميص وجبة الأفود . والافود . والصدرية . واشدده بزنار الأفود واجعل العمامة على رأسه . واجعل تاج القدس على العمامة . وخذ من دهن المسح وصب على رأسه وامسحه . ثم قدم بنيه وألبسهم أقمصة واشددهم بالمناطق . هارون وبنيه ألبسهم قلانس . فيكون لهم كهنوت رسم الدهر . وكرِّس يدي هارون وأيدي بنيه »[4] .

ثم توجد إجراءات كثيرة تدل على اختصاصات هارون وبنيه والامتيازات التي صارت لهم . وكلها تدل على أنهم مصدر الدين والمرجع في العبادة . والكفارات تُقضى على أيديهم فقط .

واتهم بنو إسرائيل هارون كما اتهموا غيره من الأنبياء . اتهموه بصنع عجل ذهبي وادعّوا بأنه أمرهم بعبادة هذا العجل . وهارون بريء من اتهامات بني إسرائيل .

« ورأى الشعب أن موسىٰ قد أبطأ في النزول من الجبل فاجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم فاصنع لنا آلهة تسير أمامنا . فإن ذلك الرجل موسىٰ الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون انزعوا شنوف الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها . فنزع جميع الشعب شنوف الذهب التي بآذانهم وأتوا بها هارون . فأخذها من أيديهم وصورها في قالب وصنعها عجلاً[5] . مسبوكًا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر . فلما رأى ذلك هارون بنىٰ أمامه مذبحًا ونادىٰ هارون وقال غدًا عيد للرب . فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقربوا ذبائح سلامة وجلس الشعب يأكلون ويشربون ثم قاموا يلعبون . فقال الرب لموسىٰ هلم انزل فقد فسد شعبك الذي أخرجته من أرض مصر . قد حادوا سريعًا عن الطريق الذي أمرتهم بسلوكه . وصنعوا لهم عجلا مسبوكًا فسجدوا له وذبحوا

---

(1) سفر الخروج فصل : 28 : 1 .

(2) سفر الخروج ، فصل : 28 ـ 29 .

(3) سفر الخروج ، فصل : 42 ـ 43 .

(4) سفر الخروج ، فصل : 29 : 4 حتى 29 .

(5) عبد المصريون الفراعنة الثور هابيس واعتبروه أحد آلهتهم .

له . وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من مصر . قال الرب لموسىٰ : قد رأيت هؤلاء الشعب فإذا هم شعب قساة الرقاب والآن دعني يضطرم غضبي عليهم فأخنيهم وأجعلك أنت أمة عظيمة . فتضرع موسىٰ إلى الرب إلٰهه وقال : يا رب لِمَ يضطرم غضبك على شعبك الذين أخرجتهم من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة . ولِمَ يقول المصريون إنه أخرجهم من ههنا بكيد ليقتلهم بين الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض . ارجع عن شدة غضبك وعد عن مساءة شعبك واذكر إبراهيم و إسحق و إسرائيل عبيدك الذين اقسمت لهم بذاتك وقلت لهم إني أكثر نسلكم كنجوم السماء . وجميع الأرض التي تكلمت عنها سأعطيها لنسلكم فيرثونها إلى الدهر . فعدل الرب عن المساءة التي قال إنه يحلها بشعبه ثم انثنى موسىٰ ونزل الجبل ولوحا الشهادة في يده لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا وهناك كانا مكتوبين . واللوحان هما صنعة الله والكتابة هي كتابة الله منقوشة على اللوحين . وسمع يشوع صوت الشعب في جلبتهم فقال لموسىٰ صوت حرب في المحلة . فقال موسىٰ : ليس ذلك صياح ظفر ولا صياح هزيمة بل صوت غناء . أنا سامع . فلما دنا من المحلة رأى العجل والرقص فاتقد غضب موسىٰ فرمىٰ باللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل ثم أخذ العجل الذي صنعوه فأحرقه بالنار وسحقه . حتى صار ناعمًا وذراه على وجه الماء و سقى بني إسرائيل[1] . وقال موسىٰ لهارون ما صنع بك هؤلاء الشعب حتى جلبت عليهم خطيئة كبيرة . قال هارون : لا يضطرم غضب سيدي . أنت عارف بالشعب إنهم اشرار . فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا فإن ذلك الرجل موسىٰ الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقلت لهم : من له ذهب فانزعوه وأتوني به فطرحته في النار فخرج هذا العجل . ولما رأى موسىٰ الشعب أنهم عراة لأن هارون كان قد عراهم أمام أعدائهم لأجل ما هو عار نجاسة . وقف موسىٰ على باب المحلة وقال : من هو للرب فليقبل إليَّ فاجتمع إليه جميع بني لاوي فقال لهم : كذا قال الرب إله إسرائيل ليتقلد كل واحد سيفه واذهبوا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة . وليقتل كل واحد أخاه وصاحبه وقريبه . فصنع بنو لاوي كما أمر موسىٰ فسقط من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل . قال موسىٰ : كرسوا اليوم أيديكم للرب كل واحد حتى بابنه وأخيه فتعطوا اليوم بركة ولما كان الغد قال موسى للشعب قد خطئتم خطيئة عظيمة والآن أصعد إلى الرب لعلي أكفر خطيئتكم . ورجع موسىٰ إلى الرب وقال : يا رب ! قد خطىء هؤلاء الشعب خطيئة عظيمة وصنعوا لهم آلهة من ذهب . والآن إن غفرت خطيئتهم و إلا فامحني من كتابك الذي كتبته . فقال الرب لموسىٰ : الذي خطىء إليَّ إياه أمحو من كتابي . والآن امض وَقُدْ الشعب إلى حيث قلت لك هوذا ملاكي يسير أمامك . وفي يوم افتقادي افتقدهم بذنبهم . وضرب الرب الشعب من أجل أنهم عبدوا العجل الذي صنعه هارون »[2] .

« وتكلمت مريم وهارون بسبب المرأة الحبشية التي تزوجها لأنه كان قد اتخذ زوجة حبشية وقالا تُرى أموسىٰ وحده كلم الرب ؟ ألم يكلمنا نحن أيضًا ؟ فسمع الرب وكان موسىٰ رجلاً حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض . فقال الرب في الحال لموسىٰ وهارون ومريم اخرجوا ثلاثتكم إلى خباء المحضر . فخرجوا ثلاثتهم . فنزل الرب في عمود غمام ووقف على باب الخباء ونادىٰ هارون ومريم فخرج كلاهما . فقال اسمعا كلامي . إن يكن فيكم نبيّ للرب فبالرؤيا أتعرف له في حلم أخاطبه . وأما عبدي موسىٰ فليس هكذا بل هو أمين في جميع بيتي فمًا إلى فم أخاطبه . وعيانًا بلا

---

(1) يعتقد اليهود أنهم شربوا مسحوق العجل الذهبي لذلك فإن حب الذهب يجري في عروقهم .

(2) سفر الخروج الفصل : 32 .

ألغاز . وشبه الرب يعاين فما بالكما لم تهابا أن تتكلما مع عبدي موسىٰ . واشتد غضب الرب عليهما ومضىٰ . فلما مال الغمام عن الخباء إذا مريم برصاء كالثلج والتفت هارون إلى مريم فإذا هي برصاء . فقال هارون لموسىٰ : يا سيدي لا تجعل علينا الخطيئة التي جهلنا وخطئنا بها »[1] .

هذان النصان يبينان المآخذ والتهم التي لفقها بنو اسرائيل لنبيهم هارون وهو بريء منها براءة الذئب من دم يوسف . وبراءة هارون من هذا العمل واضحة ولا تحتاج إلى جهد كبير .

فحسب النص أمر موسىٰ بقتل جميع من عبدوا العجل الذهبي وعددهم ثلاثة آلاف رجل . وطلب من كل شخص أن يقتل ابنه أو أخاه أو قريبه أو صديقه . وهذا النص واضح . وبما أن هارون هو صانع العجل فمن الأولىٰ قتله قبل الجميع لأنه صانع الفتنة . وأما أن تحصر الكهانة بهارون وأبنائه من بعده وهم يخترعون كل يوم إلٰهًا ويدعون الشعب لعبادته فهذا غير معقول . خاصة وأن التكريم والتشريف الحاصل لهارون كان من عند الله وليس من عند موسىٰ . وقد كان ذلك بعد حادثة العجل . وقد بين ذلك القرآن الكريم : ﴿ **وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۞ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ۞ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ۞ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ۞ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ۞ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۞ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ۞ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۞ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۞ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ۞ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۞ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ۞ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا** ۞[2]

و إذا كما يقول القرآن فإن السامري وهو صاحب الفتنة قد نال جزاءه العادل فحكُم عليه بالموت البطيء مصحوبًا بالآلام والأوجاع حتى يكون له فرصة فيستنجد بإلٰهه الذهبي لينقذه وليرى أولئك الذين مال قلبهم إلى تعاليمه عجز الآلهة التي دعا الناس لعبادتها . فأصيب بمرض الجذام وهو مرض خبيث لا شفاء منه والمريض يصاب بحساسية جلدية مؤلمة حتى إذا مرت الذبابة من جانبه أحسَّ بمرورها وتألم منه . وهو مرض معدٍ لذلك فإن المجذوم ينبذ من المجتمع ولا يقترب منه أحد . ويبتعد عنه أقرب المقربين خوفًا من العدوى .

---

(1) سفر العدد الفصل : 12 : 1 حتى 11 .

(2) سورة طه : الآيات من 83 حتى 97 .

ونعود إلى النص المنقول من سفر الخروج لنجد موقف الحاكم والذي نعتبره هنا هارون من المطالب الشعبية وهي هنا صنع آلهة . فنذكر هل على الحاكم المخلص الاستجابة للمطالب الشعبية و إن كانَ في هذه المطالب أكبر الضرر الذي يمكن أن يلحق بالشعب ؟ ما هو موقف الحاكم المخلص . . . ؟

هل يساير رغبات الشعب لينال تأييده . أم يكون حارسًا أمينًا على مصالح الشعب[1] ؟

وبهذه المناسبة نذكر القانون الذي يحرِّم تجارة الخمور في الولايات المتحدة عام 1919 حماية للمجتمع . وكيف فشل هذا القانون تحت ضغط الرأي العام . رغم أن علم الطب يؤكد مضارَّ الخمر .

ومن مراجعة النص يتبين لنا تراجع الله عما اعتزمه من عمل وقول . فقد قرر الله إفناء الشعب لعبادتهم العجل ولكن موسىٰ يتدخل . ولا يتضرع إلى الله و يرجوه بل يناقشه مناقشة الند للند وبالحجة والبرهان يقتنع الله من موسىٰ و يرجع عن مساءته . التي قال إنه يحلها بشعبه و يجد موسىٰ عند رجوعه أن الشعب عراة لأن هارون قد عرَّاهم ؟

وهذه تهمة أخرى تلصق بنبيّ الله هارون الجد الحقيقي للمسيح .

إن نوادي العراة تدعو الناس للعري بحجة الرجوع إلى الطبيعة . وبحجة أن على الإنسان أن يظهر على حقيقته دون خجل منها أو تغطية لها . أما كتاب العهد القديم فيعتبر أن العُري هو قرب من الله تعالىٰ وتمهيد للتنبوء واستقبال الوحي علمًا بأن موسى صنع لباسًا معينًا لهارون وأولاده وذكر ضمن هذا اللباس سراويل من الكتان لتغطي العري من أبدانهم من الحقوين إلى الفخذين . وقال إن هذا اللباس ضروري لئلا يحملوا إثمًا فيموتوا .

« فانطلق شاول إلى هناك . إلى نايوت في الرامة . فحل روح الله عليه فجعل يسير و يتنبأ حتىٰ انتهى إلى نايوت في الرامة ونزع ثيابه هو أيضًا وتنبأ أمام صاموئيل . وانطرح عريانًا نهاره ذلك وليله أجمع . لذلك يقولون شاول أيضًا من الأنبياء »[2] .

و يعرَّف العرى بأنه رمز للتحلل من التقاليد الاجتماعية والدينية ودليل على الشذوذ النفسي والعقلي وهو موجود في كل عصر وخاصة في عصرنا هذا فإن نوادي العراة منتشرة في جميع دول العالم منها ما هو سري ومنها ما هو علني . و يبين كتاب العهد القديم أن عبادة غير الله هي عبادة ناتجة عن نفوس متحللة أخلاقيًا واجتماعيًا فعندما كان موسىٰ في الطريق قال له يشوع صوت حرب في المحلة فقال موسىٰ بل هو صوت غناء أنا سامع . ويمكننا أن نتصور الموضوع كما يلي :

عجل ذهبي في الوسط ومن حوله بنو إسرائيل وهم يرقصون و يغنون و يعتبرون أنفسهم في عبادة . ولم يذكر الكتاب إن كان العري للرجال والنساء أم للرجال فقط .

والعري ضد الفطرة الإنسانية وقد جاء في سفر التكوين أن آدم وحواء خجلا من عريهما .

« فانفتحت أعينهما فعلما أنهما عريانان فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر . فسمعا صوت الرب الإلٰه وهو يتمشىٰ في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدم وامراته من وجه الرب الإلٰه . فيما بين شجر الجنة . فنادىٰ الرب الآلٰه آدم وقال

(1) اكثر الحكام يسايرون رغبات الشعب ليعيدوا انتخابهم .

(2) سفر الملوك الأول الفصل : 19 : 23 و 24 .

له أين أنت . قال إني سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان . فاختبأت »[2] .

« وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وكساهما »[3] .

ونستخلص من هذا الكلام أن آدم وحواء خجلا من عريهما ولم يكن معهما أحد فطفقا يبحثان عما يستر لهما عوراتهما . فهذه هي الفطرة البشرية السليمة فإنها ترفض العري وتأباه . أما النفوس المريضة فلا حرج عليها من شيء وقد قيل ـ إن لم تستح فاصنع ما شئت .

و إن كثيرًا من الجمعيات السرية لا تقبل أحدًا من الأعضا حتى تصوره وهو عارٍ وفي أوضاع مخجلة . وذلك بدلاً من القسم أو العهد الذي تطلبه أية جمعية حتى لا تُفشىٰ اسرارها . وعندما يتمرد أحد الأعضاء على هذه الجمعية . فإن الجمعية تفضحه وتشهر به في كل مكان . لذلك فإن أعضاء مثل هذه الجمعيات لا يستطيعون الاعتراض أو رفض الأوامر التي يتلقونها . و إن كانت مخالفة لمعتقداتهم أو ميولهم أو كان فيها الضرر والأذي لبني قومهم . فهم مهددون دائمًا بالفضيحة .

ونعود الآن إلى الفقرة الخاصة بالملك الأول لإسرائيل وهو شاول فنقول : إن إنسانًا يخلع ثيابه و ينطرح إلى الأرض عريانًا هو إنسان فاقد للشعور والعقل . أو أنه من المنحلين أخلاقيًا . وسياق النص يدل على أن آخرين غير شاول قد نزعوا ثيابهم وذلك لأنهم تنبأوا . وفكرة العري الديني واردة على منطقة الشرق الأوسط من الفلسفة البوذية . فقد ورد في تاريخ حياة بوذا أنه عندما وصل إلى درة التنور خلع ثيابه ومشى بين الناس عريانًا دون خجل . وحاليًا في بلاد الغرب تنتشر موجة من الصراعات الحديثة حيث يقوم الشباب والشابات بالتعري في الأماكن العامة . وتقوم الشرطة بملاحقتهم . وهذه الحوادث لا تعد ولا تحصىٰ و إن الوضع النفسي والأخلاقي الذي وصل إليه الغرب لا يبشر بخير بل ينذر بتدهور الحضارة الإنسانية جمعاء . لأن البلاد الفقيرة دائمًا تقلد وتتبع البلاد الغنية دون تردد أو تروٍّ وبدون أدنى تفكير .

ونتساءل هل منظر الإنسان العاري جميل أم أنه في ثيابه أجمل . وما هي نظرة الناس إلى شخص يذهب إلى السوق أو يركب الحافلة أو يدخل إلى إحدى الشركات وهو عارٍ تمامًا . ماذا سيقولون عنه . ولنلاحظ أن مثل هذا الشخص المنحل لا يجرؤ على التعري في مجتمع يكون فيه هو وحده المتعري . باستثناء حفلات الستربتيز التي يقوم بها أشخاص محترفون ـ رجالاً أو نساء ـ ولقاء أجر معين . وعلى الأغلب فإن هؤلاء الاشخاص يكونون منحرفين نفسيًا وعقليًا .

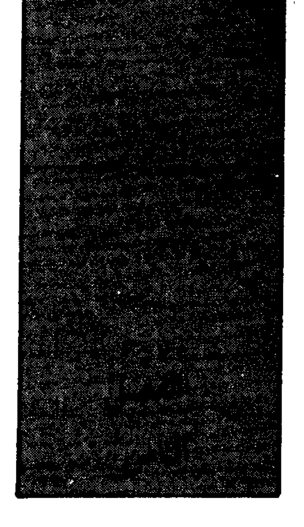
وبعد هذه الجولة السريعة نعود لقصة تآمر هارون ومريم على موسىٰ . وكلامهم عليه بسبب زواجه من حبشية ـ و يقصد بها امرأة غريبة عن بني إسرائيل ـ والمقارنة بين العقوبة الشديدة التي حلت بمريم وهو ضربها بالبرص لأنها تفوهت بكلمات ضد امرأة أخرىٰ والعقوبة التي لاقاها داود وهي المعاتبة فقط لقاء قيامه بجريمتي زنا وقتل عمد نرىٰ مفارقة كبيرة وتناقضًا واضحًا علمًا بأن كتاب العهد القديم يعتبر مريم شريكة في النبوة وتتلقىٰ الوحي من الله . وأما نبوة داود في العهد

---

(1) سفر التكوين الفصل : 3 : 7 : 10 .

(2) سفر التكوين : 3 : 21 .

القديم فغير واضحة . ولنكرر مرة أخرىٰ بأن هارون لم يؤاخذ على كلامه على المرأة الحبشية كما لم يؤاخذ على صنع العجل الذهبي . نستدل من هذا على براءة هارون من كل التهم الظالمة والباطلة الموجهة له . والقصة الأخيرة تؤكد وبشكل قوي تلقي هارون للوحي الإلٰهي مع أخيه موسىٰ . فهل يوجد بعد هذا شك في براءته وطهارته .



تأثير اليونان في فلسطين

قبل التكلم عن حياة المسيح يحسن أن نبين التركيبة السكانية الموجودة في فلسطين . ونبدأ بانقسام الدولة زمن رحبعام بن سليمان الحكيم عام 931 قبل الميلاد . حيث نجد أن اليهود شكلوا مملكتين :

1 ـ مملكة إسرائيل في الشمال ملكها يربعام بن نباط وتضم عشرة من أسباط إسرائيل الاثني عشر .

2 ـ مملكة يهوذا في الجنوب ملكها رحبعام بن سليمان وتضم سبطي يهوذا وبنيامين .

ولتثبيت الانفصال بين المملكتين وحتى لا يقدم سكان إسرائيل ذبائح في بيت الرب الموجود في أورشليم صنع يربعام ملك إسرائيل عجلين ذهبيين[1] . وقال للإسرائيليين لا حاجة لكم اليوم بالذهاب إلى أورشليم هذه هي آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من مصر . ووضع أحد هذين العجلين في بيت أيل على بعد بضع كيلومترات شمال أورشليم . ووضع الآخر في دان . وأقام كهنة من الشعب من غير اللاويين . وفي سنة 722 قبل الميلاد تحالف ملك إسرائيل هوشع بن ايله مع ملك مصر . ولم يعد يؤد الجزية إلى ملك أشور كما كان يفعل سابقًا . فقبض عليه ملك آشور . وأرسله مكتوفًا إلى السجن .

« وأجلى إسرائيل إلى آشور وأسكنهم في حلاح وعلى خابور نهر جوزان . وفي مدائن مادي . وأتىٰ ملك آشور بقوم من بابل ، وكوت ، وعوا ، وحماة ، وسفر دائيم . وأسكنهم مدن السامريين مكان بني إسرائيل . فامتلكوا السامرة واستوطنوا مدنها . وأخذت كل أمة تعمل آلهتها وتضعها في بيوت المشارف التي عملها السامريون . كل أمة في مدنها التي سكنتها . فعمل أهل بابل سكوت بنوت وأهل كوت عملوا نرجال وأهل حماة عملوا أشيما والعويون عملوا نبحاز وترتاق والسفروائميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدر ملك . وعنملك إلهي سفرائيم . وهم إلى اليوم لا يتقون الرب ولا يعملون بحسب الشريعة والوصية التي أمر الرب بها نبي يعقوب الذي سماه إسرائيل »[2] .

من هذا النص نعرف أن ملك آشور قام بإجلاء أهالي السامرة وأسكن بدلاً منهم مواطنين جددا من الأقاليم المجاورة والتي لا تدين باليهودية . ولم يبق من بني إسرائيل سوىٰ سكان أورشليم . وعُبدت الآلهة الغريبة في جميع أنحاء فلسطين وفي سنة 587 قبل الميلاد .

« وفد نبوكدنصر ملك بابل هو وكل جيوشه على أورشليم ونزل عليها . وبنىٰ حولها مترسة . فدخلت المدينة تحت

---

(1) سفر الملوك الثالث الفصل : 12 : 28 .

(2) سفر الملوك الرابع الفصل : 17 .

الحصار إلى السنة الحادية عشرة من ملك صدقيا . وفي اليوم التاسع من الشهر الرابع اشتد الجوع في المدينة ولم يكن خبز لشعب الأرض فنفروا المدينة وهرب جميع رجال الحرب ليلاً من طريق الباب الذي بين السورين بالقرب من بستان الملك . والكلدانيون محيطون بالمدينة . وذهبوا في طريق الغور . فجرىٰ جيش الكلدانيين على إثر الملك فأدركوه في صحراء أريحا وقد تفرق عنه جميع جيشه فأخذوا الملك وأصعدوه إلى ملك بابل في ربله . وتلوا عليه القضاء . وذبحوا بني صدقيا على عينيه ثم فقأ عيني صدقيا وأوثقه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل . وأحرق بيت الرب وبيت الملك وجميع بيوت أورشليم . وكل بيت للعظماء أحرقه في أورشليم . وهدم أسوار المدينة »[1] .

وقتل ملك بابل من قتل ونفىٰ من نفىٰ وشرد من شرد . والذين بقوا من الشعب في أرض يهوذا وهم قلة ولىَّ عليهم جدليا بين اصيقام بن شافان . وفي الشهر السابع قام بعض رجال النسل الملكي ومعهم عشرة رجال وضربوا جدليا فمات[2] . وضربوا اليهود والكلدانيين الذين معه في المصفاة ذلك لأنه دعاهم لعبادة ملك بابل . وقام الشعب من الصغير إلى الكبير ورؤساء الجيوش وأتوا مصر لأنهم خافوا من وجه الكلدانيين . وصار اليهود عبيدًا للبابليين مدة سبعين سنة .

وفي فترة السبي إلى بابل تنشط اليهود للتجارة واستلموا مراكز حساسة في الدولة بمعونة مواطنتهم استير زوجة بابل . وهذا ما شجع الكثيرين منهم بعدم العودة إلى فلسطين . وبدأت العودة عام 538 عندما سمح كورش بإعادة بناء الهيكل . واستمرت أفواج العائدين حتى عام 445 قبل الميلاد . وفي هذه الفترة اكتسب اليهود عادات وأفكارًا كثيرة من البابليين والفرس الذين عاشروهم .

وفي عام 333 غزا الاسكندر المكدوني الشرق ومن جملته فلسطين . وبوفاة الأسكندر أصبحت فلسطين تحت حكم البطالسة في مصر حتى عام 198 قبل الميلاد . ومن بعدهم حكمها السلوقيون حكام سوريا . والذي يهمنا هو تأثير الثقافة الهيلينية على سكان فلسطين . ولا نستطيع أن نقول اليهود لأن فلسطين أصبحت مليئة بشعوب كثيرة ومتنوعة واليهود قد أصبحوا أقلية ضئيلة في فلسطين .

جاء اليونانيون ليحكموا فلسطين ولينشروا ثقافتهم وفلسفتهم ودينهم . وكان اليونانيون لا يؤمنون بغير الملاذ الحسية . فنشروا العبث المجون ونادوا بالفرح والسرور وأقاموا المهرجانات الرياضية الحافلة والعارية . وتفننوا في اقتناص اللذات وأشاعوا الفوضىٰ الجنسية . فقد مارسوا الجنس مع الجنسين دون قيد أو تحفظ . وكانوا يحبون الخمر والنبيذ والطرب والعري . ورفعوا من شأن العاهرات وألبسوهن لباس القداسة وجعلوا منهن آلهة تعبد . فهذه افروديت كانت عاهرة في جزيـرة قبرص . ولشدة ولع الجمهور بها ألهوها .

كان عدد آلهة اليونان كثيرًا . فهناك آلهة في السماء وأخرىٰ على الأرض وثالثة تحت الأرض كلها تتصارع مع بعضها وتتحالف ضد بعضها . وكثير من الفتيات كن يبتن في المعابد بانتظار قدوم أحد الآلهة ليمارس معهن الجنس . وكان معظم آلهة اليونان من الرجال الذي قاموا بأعمال خارقة أو بطولات مشهودة . وكانت الآلهات من النساء الخليعات أو العاشقات المخاتلات أو من النساء الجميلات . وكانت بعض الآلهة بشعة المنظر والصورة مخيفة تسكن الكهوف أو شقوق الأرض .

---

(1) سفر الملوك الرابع فصل : 25 .

(2) سفر الملوك الرابع فصل : 25 .

وهذه الآلهة جميعًا تعرف صنوف المكر والخداع والخيانة . حتى الخيانة الزوجية كانت تقوم بها بعض زوجات الآلهة ولم يكن كل اليونانيين يؤمنون بوجود بعث بعد الموت . لذلك فقد اعتبروا الحياة فرصة لمارسة اللذة بكافة أشكالها وأنواعها . وانقسم سكان فلسطين أمام هذه الموجة العارمة من الاباحية إلى قسمين : القسم الأول وهم الأغنياء والشباب والطامعون بالسلطة ، وهؤلاء رحبوا بهذا الانفتاح والتحرر فرقصوا مع الراقصين وغنوا مع المغنين وشربوا مع الشاربين وتعروا مع المتعرين ، واهتموا بالمباريات الرياضية ، وبادروا إلى اللذات فانتهبوها ولم يتركوا رذيلة إلا ومارسوها . أما القسم الآخر فحارب هذه الموجة ووقف في وجهها وصمد في وجه المادة والحس واتجه نحو الروح . فكثير من اليهود حرّموا على أنفسهم الخمر وتشددوا في تطبيق طقوسهم . وكثير منهم التزم بالعفة والطهارة وعزفوا عن الزواج والاختلاط مع النساء .

وعندما حارب انطيوكس المصريين ظن اليهود أنه قتل في المعركة ولكن الحقيقة أنه فقط خسر المعركة . وفرح اليهود لإعتقادهم موت انطيوكس . وعندما عاد وعلم بفرح الشعب لخبر موته شعر بأن لليهود يدًا في خسارته في حربه مع مصر لذلك هجم على مدينة القدس وضربها ضربة عظيمة وأهلك شعبًا كثيرًا من إسرائيل . وسلب غنائم المدينة وأحرقها بالنار وهدم بيوتها وأسوارها من حولها وسبى النساء والأولاد ، واستولى على المواشي وبنىٰ على مدينة داود سورًا عظيمًا وبروجًا حصينة فصارت قلعة لجنوده . وجعل هناك أمة أثيمة رجالاً منافقين . فتحصنوا فيها ووضعوا فيها السلاح والطعام وجمعوا الغنائم من أورشليم . وسفكوا الدم الزكي حول المقدس ونجسوا المقدس . فهرب أهالي أورشليم بسببهم فأمست مسكنًا للغرباء وصارت غريبة للمولودين فيها ، وأبناؤها هجروها ، وردَّ مقدسها خرابًا كالقفر وحولت أعيادها مناحة[1] . وسبوتها عارًا وعزها اضمحلالاً . وكتب الملك انطيوكس إلى مملكته كلها بأن يكونوا جميعهم شعبًا واحدًا ويتركوا كل واحد سنته[2] . فأذعنت الأمم بأسرها لكلام الملك وكثيرون من بني إسرائيل ارتضوا دينه وذبحوا للأصنام ودنسوا السبت . وأنفذ الملك كتبًا على أيدي رسل إلى أورشليم ومدن يهوذا يأمر اليهود بما يلي :

« 1 ـ يتبعوا سنن الأجانب في الأرض .

2 ـ يمتنعوا عن المحرمات والذبيحة والسكيب في المقدس .

3 ـ يدنسوا السبوت والاعياد .

4 ـ ينجسوا المقادس والقديسين .

5 ـ يبنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام .

6 ـ يذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة ليأكلوها .

7 ـ يتركوا بنيهم غلفًا . ويمتنعوا عن الختان .

8 ـ يقذروا نفوسهم بكل نجاسة ورجس .

9 ـ ينسوا الشريعة ويغيروا جميع الأحكام .

ومن لا يعمل بمقتضىٰ كلام الملك يقتل .

---

(1) سفر المكابيين الأول الفصل : 1 .

(٢) طالب بالوحدة الدينية أساسًا لتوحيد شعوب المنطقة .

وأمر مدائن يهوذا بأن يذبحوا في كل مدينة فانضم إليهم كثيرون من الشعب كل من نبذ الشريعة فصنعوا الشر في الأرض . وألجأوا بني إسرائيل إلى المغارات والمختبئات وكل موضع فرّوا إليه . وبنوا رجاسة الخراب على المذبح . وبنوا مذابح في مدن يهوذا . وكانوا يقترون على أبواب البيوت وفي الساحات وما وجدوه من اسفار الشريعة مزقوه وأحرقوه بالنار . وكل من وجد عنده سفر من العهد أو اتبع الشريعة فانه مقتول بأمر الملك . والنساء اللواتي ختن اولادهن قتلوهن بمقتضى الأمر . وعلقوا الأطفال في أعناقهن ونهبوا بيوتهن وقتلوا الذين ختنوا الأطفال . و إن كثيرين من بني إسرائيل عزموا وصمموا في أنفسهم أن لا يأكلوا نجسًا واختاروا الموت لئلا يتنجسوا بالأطعمة ولا يدنسوا العهد المقدس فماتوا . وكان على إسرائيل غضب شديد »[1] .

واغلقت جميع الهياكل والمدارس اليهودية ، وحرّمت جميع مراسم الدين اليهودي في جميع أنحاء بلاد اليهود . وألزم الأهلون باتباع المراسم اليونانية ، وعوقب من يخالف الأوامر بالإعدام وأُشعلت النار في أورشليم وهدم سورها وبيع سكانها اليهود في أسواق الرقيق وجيء بالأجانب ليقيموا في موضعهم . وسعى انطيوكس لأن يجعل نفسه إلهًا وأنه طلب من الناس أن يتخذوه إلهًا يعبدونه . وأمر أن يثقف اليهود على الرغم منهم بالثقافة الهيلينية وأن يعود الهيكل كما كان ضريحًا مقدسًا لزيوس . وأن تستبدل القرابين القديمة بقربان من الخنازير . وعندما عين جيسن حاخامًا أكبر أخذ ينادي بفرض الثقافة الهيلينية على بلاد اليهود[2] .

وجاء بعد جيسن منلوس الذي قام بتوحيد يهوه وزيوس . وبيعت آنية المعبد للحصول على المال . وقربت بعض الجماعات اليهودية القرابين إلى الآلهة الهيلينية . وافتتحت في أورشليم مدرسة للرياضة البدنية واشترك شباب اليهود والكهنة أنفسهم وهم عراة في الألعاب الرياضية وقامت فئة من اليهود المتعصبين بالعصيان المسلح ضد انطيوكس واستطاعت الانتصار عليه والدخول إلى القدس لتطهيره من الوثنية . وعادت الصلوات إلى سابق عهدها . وانتهت هذه الحروب بإعطاء اليهود استقلالهم السياسي والديني بزعامة المكابيين « الفدائيين » وعين سيمون المكابي حاخامًا أكبر وقائدًا عسكريًا . وأصبح المنصب الأول وراثيًا في هذه الأسرة . ولا نستبعد أن يكون عمران جد المسيح سليل هذه الأسرة الدينية العريقة والشجاعة التي انتزعت الانتصار وفرضت نفسها على المحتلين اليونانيين . وعُقدت محالفة مع روما لتُؤمن الحماية والاستقلال وصدرت عملة محلية جديدة تعلن مولد الدولة اليهودية الجديدة وكان ذلك عام 142 قبل الميلاد .

* * *

---

(1) سفر المكابيين الأول فصل : 1 .

(2) قصة الحضارة . وول ديورانت .



عقائد اليونان وفلسفاتهم

لكي نستوعب مفهوم الدين عند المسيحيين علينا أن نستعرض الآلهة والعبادات في اليونان . تلك الآلهة التي لم يتمكن انطيوكس من فرضها على اليهودية وهو يحاول مرة باللين ومرات بالقسوة والقتل والتخريب . لقد ولّد العنف الذي مارسه انطيوكس على اليهودية ردود أفعال وثورات أدت في النهاية إلى الاستقلال . واستطاع بولس بسياسته وتعاليمه قلب الأمور رأساً على عقب وحقق ما لم يستطع انطيوكس تحقيقه .

لقد كان لكل أسرة في أيام اليونان القديمة إلهًا خاصًا تُوقد له في البيت النار التي لا تنطفىء أبدًا . وتقرب إليه القرابين من طعام وخمر قبل كل وجبة طعام . كان هذا الاقتسام المقدس للطعام بين الآدميين والآلهة أول الأعمال الدينية الممارسة في البيت اليوناني .

وكان لكل مدينة إلـهها الخاص فكانت مدينة أثينا تعبد الآلهة أثنية وألوسيس تبعد ديمتر وساموس تعبد هيرا ، وافسوس تعبد ارتميس ، وبوسودونيا تعبد بوسيدن .

وعندما تخرج المدينة للحرب فإنها تحمل صورة إلـهها في مقدمة جيوشها . وعندما تنتصر مدينة على أخرى فهذا يعني أن إله المدينة المنتصرة انتصر على إله المدينة المنهزمة .

وكان لكل حرفة وكل مهنة وكل فن إلـه خاص يرعاه ويحرسه . فكان عدد الآلهة يقارب عدد البشر . وعبد اليونانيون رمزي الاخصاب الرئيسيين عند الرجل والمرأة إلى جانب عبادتهم خصوبة التربة . وقد يحدث أحيانًا أن ينزل الإله ويتقمص جسم إنسان فيستحيل هذا الإنسان إلهًا . وقد يتصل الإله اتصالاً جنسيًا مع امرأة من الآدميين فتلد بطلاً إلهًا كما فعل زيوس مع اكمينا فولدت هرقل . ويمكن القول بشكل عام إن اليونانيين لم يجعلوا فروقًا كبيرة بين الآلهة والآدميين . وقد لا يختلف الآلهة عندهم عن البشر إلا في مولدهم . وكان بعضهم يموت مثل ديونيسوس و إن سموا بالخالدين . أما زيوس فقد كان رب الأرباب وقد توازع العالم مع إخوته بطريق القرعة . وعند اليونانيين أن الإنسان خلق من تزاوج الآلـهة الذكور مع الآلهة الإناث لذلك فإن الله لم يكن سوىٰ والد البشر . وقد قال لوقا في إنجيله : إن آدم هو ابن الله[1] تقليدًا لليونانيين .

أما عيب زيوس الوحيد فهو استسلامه السريع للحب . فهو معجب بالنساء ولا يستطيع مقاومتهن . وقد تزوج

---

(1) لوقا فصل : 3 : 38 .

زيوس كثيرًا من الآلهة وكثيرًا من البشر فقلبه كبير وعواطفه جياشة ولم يفرق في حبه بين الذكور والإناث وقد أحب جنميد واختطفه ليجعل منه ساقيه الخاص فوق جبال الاوليمبس .

أما أرتميس فهي إلهة الصيد العذراء . وهي آلهة الأمومة والإخصاب . وقد اختلطت فكرتا الأم والعذراء في عبادتها . وقد وجدت الكنيسة المسيحية في القرن الخامس بعد الميلاد أن من الحكمة أن تضيف ما بقي من الطقوس التي كانت تقام لأرتميس راعية النساء في الولادة . والتي كانت الحاملات تدعوها لتخفف عن آلام الوضع إلى السيدة العذراء مريم . وتحول عيد الحصاد الذي كان يقام لارتميس في منتصف آب إلى عيد انتقال العذراء إلى السماء .

وقد صور كتاب أعمال الرسل تعلق أهالي افسس بأرتميس . وكيف قاوموا بولس ورفاقه .

« وثار في ذلك الزمان شغب شديد على طريقة الرب . وذلك أن صائغًا اسمه ديمتريوس كان يصنع لأرتميس هياكل من الفضة . فكان يُكسب الصناع كسبًا جزيلاً . فجمعهم مع المشتغلين بمثل تلك الأعمال وقال أيها الرجال قد علمتم أن يسارنا إنما هو من هذه الصناعة وقد رأيتم وسمعتم بولس هذا استمال جمعًا كثيرًا وأزاغهم ليس في افسس فقط بل في آسيا كلها على التقريب قائلاً : إن مصنوعات الأيدي ليست بآلهة .

فليس الخطر على مرتزقنا هذا وحده أن يزرى به بل على هيكل ارتميس الآلهة العظيمة أن تعدَّ كلا شيءٍ حتى تأخذ عظمتها في الانهدام . وهي التي تعبدها آسيا كلها والمسكونة . فلما سمعوا ذلك امتلأوا غيظًا وطفقوا يصيحون ويقولون عظيمة ارتميس[1] الافسيسيين . فامتلات المدينة شغبًا وهجموا بنفس واحدة إلى المشهد وقد اختطفوا غابوس وارستركس المكدونيين رفيقي بولس . فأراد بولس أن يدخل بين الشعب فلم يدعه التلاميذ . وبعث إليه بعض من أعيان آسيا من أصدقائه يسألونه أن لا يخاطر بنفسه إلى المشهد،وكان بعضهم يصيح كذا،وبعضهم يصيح غير ذلك.لأن المحتشد كان مبلبلاً وأكثرهم لم يدر لأي شيء اجتمعوا . فاجتذبوا اسكندر من الجمع واليهود يدفعونه . فأشار اسكندر بيده يريد أن يحتج عند الشعب فلما علموا أنه يهودي هتفوا جميعًا بصوت واحد نحو ساعتين عظيمة ارتميس الافسيسيين . ثم إن كاتب المدينة سكنَّ الجمع وقال يا رجال افسس منْ مِنَ الناس لا يعلم أن مدينة الافسيسيين متعبدة لأرتميس العظيمة ولتمثالها الذي هبط من السماء . فبما أن هذا لا يُنكر ينبغي لكم أن تكونوا على سكينة ولا تصنعوا شيئًا عن تهور . فإنكم أتيتم بهذين الرجلين وما هما بسارقي هياكلكم ولا مجدفين على آلهتكم . فإن كان لديمتريوس والصناع الذين معه دعوىً على أحد فإنها تقام أيام القضاء . والولاة حاضرون فليترافعوا و إن كنتم تطلبون أمرًا آخر فإنه يفصل بينكم في محتشد شرعي . فإنا بخطر أن نُشتكى بفتنة لأجل أمر هذا اليوم إذ ليس لنا حجة يمكننا بها أن نجيب عن هذا التجمع . ولما هذا صرف المحتشد »[2] .

وهذا النص يبين مكانة ارتميس العظيمة في قلوب العامة ونظرتهم إليها وأن تمثالها هبط من السماء . أما هفستس الأعرج إله السماء فكان مظلومًا وخليقًا بالرثاء . وهو ابن زيوس وهيرا ولما رأته أمه قبيح المنظر ألقت به من فوق الاوليمبس . ولكنه عرف طريق العودة إلى موطنه وشاد للآلهة القصور التي يسكنون بها . وقد دافع عن أمه في نزاعها مع زيوس فما كان من إله الاوليمبس العظيم إلا أن أمسك بساقه وقذفه إلى الأرض . واستغرق هفستس في نزوله يومًا كاملاً .

---

(1) الرأي العام أعمىٰ . مشلول التفكير .

(2) أعمال الرسل فصل : 19 : 23 وما بعدها .

وأصبح من ذلك اليوم شديد العرج . ويتألم كلما مشىٰ . وكان اليونانيون يعتبرونه إله جميع الصناعات المعدنية . ومن سوء حظه أنه تزوج من افروديتي . ووجد أنه من أصعب الأمور أن تجتمع الفضيلة والجمال في شخص واحد . وافروديتي هي إلهة المومسات . وتحتفل بلاد اليونان بالافروديسيا عيد افروديتي العظيم في أول شهر نيسان وفيه كانت تطلق حرية الاختلاط الجنسي لكل من شاء وكما يحصل حاليًا في ليلة رأس السنة الميلادية في البلاد الغربية . وقد أقام هفستس شركًا لافروديتي ليضبطها مع عشيقها إله الحرب . ويتم له ذلك ويشهّر بهما ويعرضهما على باقي الآلهة . فيقول أبولو لهرمس ساخرًا : يا هرمس يا ابن زيوس هل يرضيك حقًا أن تنام على فراش واحد مع الآلهة افروديتي ولو كنت مكبلاً بالاغلال الثقال . فيجيب هرمس : أيها الإله أبولو ليت هذا يكون وليتني أكبل بثلاثة أمثال هذه الأغلال التي لا أجد منها خلاصًا . وأن تشاهدوني أنتم أيها الآلهة . نعم والآلهات كلهن أيضًا إن استطعت أن أنام إلى جوار افروديتي الذهبية .

ولم تقتصر اتصالات افروديتي الجنسية مع الآلهة فقط بل تعدتها إلى الرجال أيضًا مثل انكيسيز وأودنيس .

أما ديونيسوس فهو ابن الله الذي مات لينجي البشر[1] . وكان أحب أبناء زيوس إليه وكان يجلس إلى جواره في عرش السماء . ولما حسدته هيرا على منزلته أغرت به الجبابرة ليقتلوه . فقلب زيوس صورته إلى ماعز ثم إلى ثور ليخفيه عن الانظار . ولكن الجبابرة قبضوا عليه وهو في صورته الثانية وقطعوا جسمه إربًا إربًا وسلقوه في قدر . وفعلت به الآلهة أثينة فعل ترلوني فأنقذت قلبه وحملته إلى زيوس . وأعطاه زيوس إلى سميلي فحملت به وولدت الإلٰه مرة أخرىٰ وسميٰ بعد مولده ديونيسوس . وكان الحزن على موت ديونيسوس والاحتفال والسرور ببعثه أساس طقوس دينية واسعة الانتشار بين اليونانيين . فقد كانت النساء اليونانيات يصعدن التلال في فصل الربيع حين تزهر الكروم ليقابلن الإله حين يولد من جديد . وكن يقضين يومين كاملين يحتسين فيها الخمر بلا حساب وكانوا يرون أن قليلة العقل من لا تفقد عقلها في الشراب . وكن يسرن في موكب عجاج تقودهن « مينداث » أو نساء ذاهلات العقل مشغوفات بديونيسوس . وكن يرهفن آذانهن لسماع قصته التي يعرفنها حق المعرفة . وما لقيه إلٰههن من عذاب وموت وبعث . وكن في أثناء احتسائهن الخمر ورقصهن يهتجن هياجًا يتحللن فيه من جميع القيود . وكان محور الاحتفال وأهم ما فيه هو أن تمسك النساء بماعز أو ثور « أو رجل في بعض الاحيان » ويرين أن الإله قد تقمصه . ويمزقنه إربًا وهو على قيد الحياة . إحياء لذكرى تمزيق ديونيسوس ثم يشربن دمه ويأكلن لحمه ويتخذنه عشاءً ربانيًا مقدسًا . معتقدات أن الإله سيدخل بهذه الطريقة في أجسامهن . ويستحوذ على أرواحهن وكن في غمرة هذه الحماسة القدسية يؤمّن بأنهن سيصبحن والإله شيئًا واحدًا وانهن سيظفرن بالامتزاج معه امتزاجًا صوفيًا ويسمين حالتهن النشوة . أي خروج أرواحهن ليلاقين ديونيسوس ويتحدن معه . وقد ضم اليونانيون ديونيسوس وقتًا ما إلى أبولو . ولكن أبولو استسلم آخر الأمر لوارث ديونيسوس وغالبه ألا وهو المسيح[2] .

وكان الناس في طرسوس[3] يعتقدون بالإله الأعلىٰ ـ بعد طرسوس ـ أو جوبتير . ويعتقدون بالإله العامل بعد سانتان[4] . والتمييز بين الإلٰه الأعلىٰ والإله العامل يرجع إلى نقل العلاقات البشرية إلى عالم الآلهة . أي أن الاله العامل هو

(1) قصة ديونيسوس تشبه قصة أوزدريس المصرية الإله الذي مات ثم عاد إلى الحياة .

(2) قصة الحضارة ـ وول ديورانت .

(3) طرسوس مدينة في تركيا ولد فيها الرسول بولس .

(4) أوصل المسيحيون الروح القدس ـ جبريل ـ إلى مرتبة الألوهية تقليدًا لليونانيين الذين اعتبروا بعل سانتان من الآلهة ، حيث إن وظيفة الروح القدس وبعل سانتان متشابهه .

الوسيط بين الإله الأعلى والبشر . في عقلية مواطن الشرق ترتبط رتبة الحاكم الفرد ارتباطًا وثيقًا بالصفاء وعدم الحركة . وبغير المنظور . ويتصل هذا الحاكم مع العالم الخارجي . مع شعبه ومواطنيه بواسطة وزرائه ـ كما في لعبة الشطرنج ـ لذلك كان الواسطة بين بعل طرسوس والناس إلـٰهة المكان وتدعىٰ بعل سانتان . وكان الشعب يحترمها كثيرًا و إن كانت لا تخلو من العبودية . وقد دمجت هذه الإلـٰهة فيما بعد بإلـٰهة بهرقل اليوناني .

كانت سانتان إلهة الحقول . وكانوا يرسمونها في رسومهم وعلى قطع نقودهم متشحة بالوشاح القروي . وكانت الحامية للفلاحين الأول الذين استوطنوا البلاد . وكانت البعل سانتان في طرسوس حسب عادة كل الشرقيين إلهة الخصب كما يستدل على ذلك من رموزهم ـ حزمة القمح ـ عنقود العنب ـ الزهور ـ وكانت عبادة سانتان ـ هرقل . تصل إلى أوجها في العيد التذكاري للنار . أي موت وبعث إله الخصب وهذه الفكرة موجودة في كل الديانات السرية الشرقية . كان الشعب يحمل نصب الإله فوق عربة مزدانة ويطوف به وسط المدينة بين زغردة النساء وتهليل الرجال وينتهي المطاف بالحريق . والحريق يمثل الموت . وبعد الاحتفال بالموت يبدأ عيد الحياة . وعيد الحياة هو تمجيد لقيامة الإله الظافرة . يحتفل به بالعربدة والمجون والغرق في الاثم والقذارة . ولا يزال حتى اليوم في طرسوس بناء قديم يسميه الشعب ـ اثر ساروناپولو ـ المؤسس الاسطوري للمدينة وهناك من يعتبر هذا الأثر القسم الأسفل لهيكل جوبتير . وربما كان القسم الذي كانت تقام فيه دعارات الوثنيين . وكان لهب الحرائق في كل سنة يُورد الفضاء بلونه الارجواني . والشعب المجنون يصرخ و ينتحب وهو يرمي نصب الإله الهائل فوق اللهب المندلع في شموخ[1] .

و يأتي الفلاسفة اليهود ليردوا الغارة التي شنتها عليهم الفلسفة اليونانية والتي تبناها كثير من اليهود ككل شعب مغلوب يحاكي مستعمره وحاكمه . ولكنهم يفشلون فيحاولون التوفيق بين الفلسفة والدين ومن هؤلاء الفلاسفة برز فيلون اليهودي الإسكندري (25 ـ 50) ميلادية . وقام فيلون بتنظيم آراء المتفلسفين من قومه اليهود ولكنه لم يستطع أن يخلص هذه الفلسفة من شوائب التلفيق ولا أن يضعها في نظام أو أن يستر ما فيها من تناقض وضعف . كان سبيل فيلون وقومه التوفيق بين الحكمة الهيلانية (اليونانية المتأخرة) على الأخص وبين الأديان الشرقية عمومًا . وقد استعان لصحة التوراة بالآراء الرواقية والافلاطونية المتأخرة وبالحكم المروية عن سليمان وداود .

و يدور أكثر تفلسف فيلون خاصة حول شرح التوراة شرحًا رمزيًا ـ فحواء ـ مثلاً كناية عن الحسن ـ والحية ـ كناية عن اللذة .

أما فكرة الله فهي الفكرة الأساسية في تفلسف فيلون . لقد نفىٰ عنه جميع الصفات ا لتي وصفته بها التوراة . ونحن نعلم أن الله موجود ولكن لا نعلم حقيقته . إذ أنه الوجود المطلق . الذي لا حدَّ له ولا صفات له . وخلق الله العالم لا لأنه محتاج إلى خلقه ثم هو يعتني به من غير تعب ولا جهد . والله كمال كله بريء من المادة غير متصل بالعالم ـ لأن العالم مادة ـ وهو يشمل العالم ويملؤه ـ ولكن بما أن الله لا يمكن أن يتصل بالعالم فقد خلق أولاً الكلمة logos . ووصفها فيلون بأنها الابن الأول لله . أما العالم فهو الابن الثاني لله . وبما أن الانسان لا يستطيع أن يتصل بالله مباشرة فقد جعل الله الكلمة والملائكة شفعاء للبشر في توسلهم إليه[2] .

---

(1) كتاب الرسول بولس : هو لزنر .

(2) العرب والفلسفة اليونانية ـ دكتور عمر فروخ .

وبعد فيلون يأتي افلوطين وهو مؤسس الافلاطونية الحديثة وهو من سكان الإسكندرية أيضًا . يأتي ليوفق بين المسيحية والفلسفة اليونانية . ويقف أمام مشكلة خلق العالم . فقد رأى أن القول بقدم العالم على ما قال ارسطو يقود إلى الكفر . و إن القول بخلق العالم حسب ما ورد في الروايات الدينية مناقض للفلسفة فأراد أن يلفق مذهبًا لا يثير رجال الدين ولا يخالف الفلسفة في الظاهر فأتى بنظرية الفيض أو الانبثاق .

قال افلوطين إن الوجود الأول هو الله . إن الله يتأمل ذاته فيعقل بذلك نفسه ـ يعلم أنه موجود ـ حينئذ يفيض أو ينبثق عنه كائن واحد هو العقل الأول هذا العقل هو صورة الله ، ولكنه ليس الله نفسه .

وهذا الكلام يذكرنا بما جاء في الأناجيل : « من رآني فقد رأى الأب »[1] .

« الذي كان به كل شيء وبغيره ما كان شيء هو الحياة لكل موجود »[2] .

« الرب المحي المنبثق من الأب »[3] « روح الحق المنبثق من الأب »[4] .

ويتابع افلوطين فيقول : ويعود هذا العقل الأول فيتأمل ذاته فيصدر عنه كائن آخر هو النفس[5] الكلية التي تملأ العالم . وترجع النفس الكلية بالتأمل في العقل الأول فيفيض منها كوائن متعددة هي نفوس الكواكب . ثم يستمر الفيض فيصدر عن كل كائن كائنات أُخر أقل شبهًا بالعقل الأول المطلق ـ البريء من المادة ـ وأكثر صلة بالمحسوسات . حتى تفيض الهيولىٰ هي أدنىٰ دركات الفيض لأنها مادة مطلقة فوضىٰ .

وتظهر النفس الكلية التي صدرت عن العقل الأول والتي تملأ العالم وتبعث فيه نشاطه في كل كائن حي[6] .

إن مراجعتنا لهذه النصوص ومقارنتها مع دستور الإيمان[7] النيقاوي تبين لنا أن هذا الدستور مأخوذ من صميم الفلسفة اليونانية وهو بعيد عن روح الأناجيل . وأن الكلمة التي ذكرها القديس يوحنا في إنجيله هي بذات معنى الكلمة التي ذكرها فيلون اليهودي والذي عبر عبر آرائه وفلسفاته قبل كتابة إنجيل يوحنا بنصف قرن . وننوه هنا بأن القرآن الكريم اعتبر المسيح كلمة الله . وهي غير ما يقصده اليهود أو النصارى .

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[8] .

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[9] .

---

(1) إنجيل يوحنا فصل : 14 : 9 .

(2) إنجيل يوحنا فصل : 1 : 3 و 4 .

(3) البند الثامن من دستور الإيمان النيقاوي .

(4) إنجيل يوحنا فصل : 15 : 26 وروح الحق . هنا يقصد بها المؤيد أو الفارقليط .

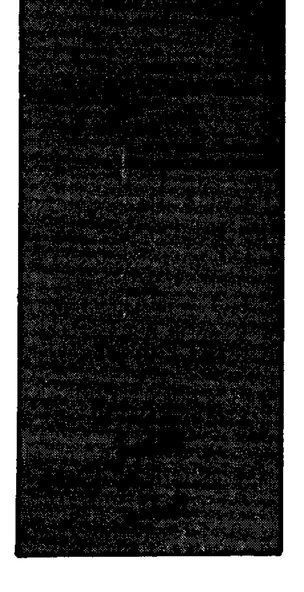
(5) وقد تبنت هذه الفلسفة جماعة إخوان الصفا .

(6) العرب والفلسفة اليونانية ـ الدكتور عمر فروخ .

(7) دستور الإيمان المسيحي الموضوع في المجمع المسكوني المعقود في نيقية .

(8) سورة آل عمران : الآية 45 .

(9) سورة يٓس : آية 82 .



دين الأنبيـاء

وننتقل من عبادات اليونان وطقوسهم إلى إحساسات الإنسان الفطرية ومشاعره الإنسانية فنلاحظ أن الإنسان يتأثر برائحة الطعام الشهية . ويزداد هذا التأثر كلما كان هذا الطعام محبوبًا أكثر لدى الشخص الذي يشم هذه الرائحة . ويحس الإنسان بالانتعاش والسعادة عندما يشم رائحة عطرية ذكية . وكذلك فإن رؤية الإنسان للأشياء تعكس إلى داخله احساسات مختلفة فرؤية الجمال والتناسق في الألوان والأحجام تدخل السرور والبهجة على الإنسان . أما رؤية المصائب والكوارث والحوادث المفجعة فتؤثر في النفس وتشيع فيها الحزن والانقباض . وهناك من المناظر ما يثير في الإنسان عوامل الشفقة والرحمة . وغيرها يثير فيه الفضول أو الرهبة أو الجلال . وهناك أحساسيس عن طريق السمع . فالأنغام الحلوة والأصوات المتناسقة تضفي السعادة والمرح على الإنسان . وقديتأثر الإنسان أكثر فيحرك بعض أعضائه بإيقاع موسيقي والبعض يرقص طربًا وهياجًا . وهناك الأصوات المنفرة والمحذرة من الخطر . والأصوات الشاذة والكريهة كل منها يؤثر في الإنسان ويثير فيه إحساسًا مختلفًا عن الآخر .

وهناك إحساسات أخرىٰ لا علاقة لها بحواس الإنسان . مثل عذاب الضمير . فعندما يخطيء الإنسان قد ينجو من المسؤولية أمام الآخرين . ولكن هناك ما يؤرقه في الليل ويمنع عنه النوم . وهناك الإحساسات النبيلة التي تريح الإنسان وتشعره بالتحرر كالإحساس للبائسين و إعانة المحتاجين و إغاثة الملهوفين . أما الخوف فهو أشكال وألوان وما من قلب إلا ودخله الخوف من باب .

هذه الإحساسات وما يتبعها من حوار داخلي للإنسان مع نفسه تهيء الإنسان للشعور بالله . وهذا الشعور والاحساس يتجلىٰ بقوة عند الإنسان العادي عندما يتهدد حياته خطر محدق .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ ﴾[1] .

---

(1) سورة يونس : الآية 22 وما بعدها .

وعندما تحبس السماء مطرها ويصبح المحصول الزراعي مهددًا يتجه الفلاح إلى السماء ويطلب من الله الغوث والمساعدة لأنه يدرك بفطرته أن لا ملجأ ولا منقذ لـه إلا الله .

وهكذا يقف الإنسان عاجزًا أمام صعوبات كثيرة في الحياة فلا يرىٰ أمامه إلا الدعاء والابتهال إلى الله .

﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ * وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ * وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * ﴾[1] .

فالله حقيقة نشعر بها ونحسها في أعماقنا ونتعامل معها . وهذا ما دفع شياطين الإنس والجن ليستغلوا هذا الإحساس الفطري القوي عند الإنسان وليوجهوه كما يريدون . وذلك عن طريق التلقين دون حجة أو برهان . مستمدين قوتهم من السحر والشعوذة والقدرة على كشف خبايا النفوس .

ويقوم صراع رهيب بين الأنبياء والمنحرفين الذين يريدون إضلال العالم لغايات ومكاسب شخصية ويربح الأنبياء المعركة بالحجة والبرهان ولكن أعوان الضلال وجنود الشيطان يلجؤون تارة للقوة بالسيف والعصى يحسمون الموقف لصالحهم وتارة أخرى بالإغراء والإغواء . وبمكاسب وهمية يلوحون بها . ولكن صوت العقل وصحوة الضمير لا تخمد وتستمر المعركة بين الحق والباطل **﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ﴾**[2] .

وعندما ينكشف النقاب وتظهر الحقائق ويلاقي الإنسان الضال جزاء أعماله الخاطئة أو الشريرة فإن الشيطان يتبرأ منه ويتركه وحده ليتحمل جزاء ما اقترفت يداه .

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ﴾[3] .

وبعد تعرفنا على آلهة اليونان واطّلاعنا على تصرفاتها ومغامراتها . نريد أن نتعرف على الإله الذي دعا إليه الأنبياء والمرسلون كما يصور ذلك القرآن الكريم وكما هو مبين في التوراة والإنجيل ولنذكر بأن المسلمين يعبدون ذات الإله الذي يعبده اليهود والنصارى الذين لم ينحرفوا عن دينهم . ويحرفوا كتبهم كما أراد أعداؤهم . ونستعيد قصة إبراهيم التي ذكرنا في الفصول المتقدمة لنرىٰ حجج الطرفين وطريق المجادلة بين الحقيقة والدجل .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

---

(1) سورة النحل : الآيات من 51 إلى 55

(2) سورة النحل : آية 63 .

(3) سورة إبراهيم : آية 22 .

ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1] .

وبعدها قال إبراهيم : ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] .

فهذه هي مجادلة الملوك يريدون أن يفرضوا أنفسهم آلهة من دون الله .

ويتكرر الموضوع مع موسى عليه السلام وفرعون وتطول المناقشات وتنتهي كما تنتهي كل مناقشة بين قوي متسلط يريد أن يحافظ على سلطانه . ونبيّ يريد أن يظهر الحق ويرشد إلى الهدىٰ ولنستمع إلى الجولة الأولىٰ من المناقشات والمجادلات بين موسى وفرعون .

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ * قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ * كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ * مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[3] :

وفي هذه المجادلة يريد فرعون أن يتعرف على الإله الذي يدعو موسى الناس إلى عبادتـه . وقد ظن فرعون لأول وهلة أن موسى يدعو لعبادة و إطاعة ملك دولة مجاورة ، ويجيب موسى بثلاث كلمات :

1 ـ الله هو المعطى الواهب .

2 ـ الله هو الخالق لكل شيء .

3 ـ الله هو الهادي لكل المخلوقات لتتصَّرف فيما أعطاه الله لها .

ويفهم فرعون ما يقصد إليه موسى . فيغير مجرىٰ الحديث ليتحدث عن المخلوق بدلاً من الخالق لعله يجد ثغرة ينفذ منها . فيسأل ولكن ليس للاستفهام والتعلم بل يسأل للإحراج والتعجيز مبينًا علمه أن الآباء والأجداد لم يعبدوا الله الذي يتكلم عنه موسىٰ .

فلوكان حقًا ما يقول موسىٰ لانتبه إلى ذلك الأولون . ويجيب موسى أما الآباء والأجداد فأعمالهم جميعًا مدونة عند الله ليحاسب كل إنسان عما عمل في الدنيا . ويعيد موسى الحديث مرة أخرىٰ ليلفت النظر إلى صفات الخالق العظيم مبتعدًا عن المناقشات السفسطائية فيذكر الأشياء المحسوسة والمتداولة بين الناس ويذكر الأرض والسماء والماء والنبات والحيوان ويبين أنها من خلق الله تعالىٰ . ويُلمّح إلى البعث والنشور في اليوم الآخر مشبهًا ذلك بالدورة النباتية .

وكان هناك لقاء آخر لقاء عاصف فيه التهديد والوعيد واستعمال القوة والإكراه لترك المباديء والدين .

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا

---

(1) سورة البقرة : آية 258 .

(2) سورة الأنعام : آية 79 .

(3) سورة طه : من آية 49 إلى آية 55 .

تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ * ﴾[1] .

وتستمر المناقشات والمجادلات ويُحضر فرعون السحرة ليساعدوه ضد الحق . ولينصروه على موسىٰ ولكن النتيجة تكون عكس ذلك إذ يؤمن السحرة بموسىٰ لأن ما يأتي به ليس سحرًا ولا دجلاً إنما هو حقائق مدعومة بالقوة الإلٰهية .

﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ * ﴾[2] .

وتتوالىٰ الآيات والبراهين فماذا كانت النتيجة . هل آمن فرعون ومن معه وتخلوا عن مكاسبهم وامتيازاتهم . هل رضخوا للحق المبين واستجابوا لرب العالمين .

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ * ﴾[3] .

وعندما نقرأ التوراة نلمح في نصوصها الله الحقيقي ولكن هناك نصوص أخرى تشوه هذه الحقيقة ويضيع الإنسان في المتاهة . أين هو الصحيح وأين هو الخطأ . ثم جاء المسيح عليه السلام فقام بمعالجة انحرافات بني إسرائيل وبين الصحيح من الخطأ . ولكن اليهود لم يمهلوه كعادتهم مع أنبيائهم . فقاموا ليشاغبوا عليه وطمسوا الحقائق الناصعة التي جاءهم بها . وحرّفوا رسالته وعاد الإنسان للضياع من جديد في متاهات الخرافات والأضاليل حتى جاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبين رسالة موسىٰ بشكلها الحقيقي وبين رسالة المسيح بشكلها الحقيقي الصحيح . إن الباحث المدقق يجد الحقيقة في التوراة ولكن عمله أشبه بمن يغربل طنًا من التراب ليحصل على غرام واحد من الذهب . وفيما يلي بعض نصوص التوراة والتي نعتبرها صحيحة لم يدخلها تحريف .

« اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا واحد فأحبب الرب إلهك من كل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك »[4] .

« إن للرب إلهك السموات وسموات السموات والأرض وكل ما فيها »[5] .

« لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب الإله العظيم الجبار الذي لا يحابي الوجوه ولا يقبل الرشوة قاضي حق اليتيم والأرملة ومحب الغريب يرزقه طعامًا وكسوة »[6] .

« أنا الرب إلهك الذي أخرجك من مصر من دار العبودية لا يكن لك آلهة أخرىٰ تجاهي ولا تصنع لك منحوتًا ولا صورة شيء مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل . ولا مما في المياه من تحت الأرض . ولا تسجد لهن ولا

---

(1) سورة الشعراء : آية 23 وما بعدها .
(2) سورة طه : آية 70 .
(3) سورة النمل : الآيتان 13 و 14 .
(4) تثنية الاشتراع فصل : 6 : 4 ـ 5 .
(5) تثنية الاشتراع فصل : 10 : 14 .
(6) تثنية الاشتراع فصل : 10 : 17 .

تعبدهن لأني أنا الرب إلٰهك »[1] .

لا تصنعوا لكم أوثانًا ولا منحوتات . ونصبًا لا تقيموا لكم ، وحجرًا مزخرفًا لا تصنعوا في أرضكم لتسجدوا له لأني أنا الرب إلٰهكم »[2] .

ونتساءل لماذا لم يطبق المسيحيون هذه التعاليم الواضحة ففي كل بيت وكل كنيسة نجد الأصنام والتماثيل والمنحوتات ذات الأجنحة التي تمثل الملائكة وهياكل القديسين والايقونات معلقة في صدور المسيحيين والمسيحيات وهي تمثل صورة المسيح والسيدة العذراء . فمن الذي أدخل هذه الأوثان إلى أماكن العبادة . وقد دنا أحد الكتبة وسأل المسيح عليه السلام قائلاً :

« ما هي الوصية الأولىٰ في الوصايا كلها ؟ فأجاب يسوع : اسمع يا إسرائيل إن الله ربنا رب واحد فأحبب الله ربك بجميع قلبك وجميع نفسك وجميع ذهنك وجميع قدرتك . والثانية أحبب قريبك حبك لنفسك ولا وصية أخرىٰ أكبر من هاتين »[3] .

« فقال الكاتب : أحسنت يا معلم لقد أصبت إذ قلت إنه الأحد وليس من دونه آخر . وأن يحبه الإنسان بجميع قلبه وجميع ذهنه وقدرته وأن يحب قريبه حبه لنفسه أفضل من كل محرقة وذبيحة »[4] .

وجاء في صلاة المسيح الكهنوتية ما يلي :

« والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك »[5] .

ما من أحد ينكر وجود الله . وكل إنسان يبرهن على وجود الله بطريقته الخاصة التي ترضيه أما رؤية الله فمستحيلة وقد بينا ذلك كما ورد في إنجيل يوحنا .

« ما من أحد رأى الله »[6] .

وقد طلب موسىٰ رؤية الله حبًا فيه وشوقًا إليه . ولكن كيف يطلب موسى هذا الطلب وهو يعرف أكثر منا أن الله لا يُرىٰ بالعين لأنه ليس بمادة . والعين لا ترىٰ إلا الأشياء التي تعكس الأشعة الضوئية . وقد جاءت نصوص التوراة بعدم تمثيل الله بشيء مما في الأرض أو السماء . ولكن صيام موسىٰ مدة أربعين يومًا مع التركيز الشديد في العبادة ليلاً ونهارًا قد أوصله إلى مرتبة روحية عالية جدًا ظن في نهايتها أنه وصل إلى مرتبة تمكنه من رؤية الله تعالىٰ بعين القلب وليس بعين الرأس .

ولكن الله أفهمه أن جسمه البشري لا يتحمل نور التجلي الإلهي . وقد استفاد المسلمون من هذه الحادثة إمكانية رؤية الله تعالىٰ في الدار الآخرة بعد الموت حيث يكون للإنسان المؤمن إمكانيات أكبر من إمكانياته وهو في الحياة الدنيا .

---

(1) سفر الخروج فصل : 20 : 4 .

(2) سفر الاحبار فصل : 26 : 1 .

(3) مرقس فصل : 12 : 29 ـ 30 ـ 31 .

(4) مرقس فصل : 12 : 32 ـ 33 .

(5) انجيل يوحنا فصل : 17 : 3 .

(6) انجيل يوحنا فصل : 1 : 18 .

« قال موسى : أرني مجدك . قال الله : أما وجهي فلا تستطيع أن تراه لأنه لا يراني إنسان ويعيش »[1] .

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

وهنا نرىٰ أن الجبل لم يثبت أمام التجلي الإلهي وموسىٰ لم يثبت أمام الجبل الذي تجلى الله عليه . فخر مصعوقًا غائبًا عن الوعي . وهذا الذي ذكرناه لا يتحققه إلا من وصل إلى مرتبة فكرية وروحية عالية . أما المسيحيون الذين يدَّعون أن المسيح هو الله فقد ندد الله بهم وأنذرهم للرجوع عن كفرهم فقد جعلوا من المسيح الذي يأكل ويشرب ثم يفرغ فضلاته إلهًا وابن إله وهذا ما يرفضه العقل والحس السليم والذوق الرفيع .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[3] .

ويُبكت الله النصارىٰ ويزجرهم بأن يجعل من المسيح عليه السلام متهمًا بين يديه يوم القيامة وهذه التهمة المسيح منها بريء ولكن المسيحيين يتهمونه بها . ولننظر كيف يدافع المسيح عن نفسه ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[4] .

وبعد أن ذكرنا موقف الملوك والحكام من الدين الجديد نريد أن نطلّع على موقف الناس العاديين ورد فعلهم تجاه التعاليم الجديدة التي تحاول أن تنقض أو تنتقص ما ألفوه من أفكار وعادات .

لماذا يعتنق الإنسان الأفكار الجديدة وهو يعلم أن المعارضة والاضطهاد والبلاء ستصب على رأس معتنقي الدين الجديد ؟

لا بد أن هناك شيئًا داخليًا قويًا يدفع الإنسان ليتخذ هذا الموقف . هل هو جذب روحي قوي . أم أنه اقتناع فكري وتلاؤم نفسي مع الأفكار الجديدة . أم أنه نفور واشمئزاز من الوضع السابق .

ولماذا يقف الإنسان الآخر موقفًا سلبيًا من الدين الجديد ؟

هل هو الخوف على المصلحة المادية والمركز الأدبي في المجتمع القديم ؟

هل يكون ذلك بسبب عدم تفهم الأفكار الجديدة وعدم التلاؤم معها ؟

هل هو الرغبة في الحفاظ على القديم وعدم الرغبة في التغيير والحفاظ على عادات الآباء والأجداد ؟

---

(1) سفر الخروج فصل : 33 : 20 .

(2) سورة الأعراف : آية 143 .

(3) سورة المائدة : آية 72 .

(4) سورة المائدة : آية 116 .

أم أنه بسبب التكبر وعدم الاعتراف بفضل الآخرين وصلاحهم ورفضهم لاختيار الله ؟

وقد وردت في القرآن محاورات جميلة بين الأنبياء وهؤلاء السلبيين تبين خبيثة نفوسهم وسبب عدم تقبلهم للإيمان الجديد .

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ * ﴾[1] .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ * إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ * وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * ﴾[2] .

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ * ﴾[3] .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * ﴾[4] .

---

(1) سورة إبراهيم : آية 8 وما بعدها .

(2) سورة النحل: الآيات: 35 حتى 40 .

(3) سورة الأعراف : الآيتان 70 و 71 .

(4) سورة العنكبوت : الآيات :من 60 حتى 63.

إن ما ذكرناه من آيات هو نموذج لما في القرآن من آيات باهرات تدل الإنسان على طريق الخير والسعادة . ويحسن بالقاريء أن يعيد قراءة هذه الآيات ويفكر فيها . ويستنتج منها الدليل على عظمة الله تعالىٰ من بديع خلقه . وليفهم منها أن القرآن كتاب عقل ومنطق وهداية . وليكون اختيار الإنسان للطريق الذي سوف يسلكه نابعًا من نفسه وليس تقليدًا للآخرين دون تفكير . فموضوع الدين موضوع خطير يتوقف عليه مصير الإنسان في الدنيا والآخرة . وعلى الإنسان العاقل أن يجعل مصيره في يده لا في يد الآخرين . ولا يسلم قياده لمجتمع أو أُسرة أو تقاليد خاصة إذا أُدرك أن ما يتصرفه الناس غير منطقي وغير معقول . وليجهد الإنسان نفسه باحثًا عن الحقيقة فهي أغلىٰ من المال وأغلى من الجاه والسلطان لأن مستقبل الإنسان متوقف على فهمه وتصرفه . وعندما يختار الإنسان طريق الإيمان فعليه أن يعرف أن الدين واحد و إن اختلفت الأسماء .

ولو سألنا أحد المسيحيين هل الدين اليهودي صحيح لأجاب بنعم . فإذا قلنا له إذًا ما هو سبب ظهور الدين المسيحي . فربما أجاب إن الله أرسل المسيح ليفتدى البشرية ويصالح الله مع البشر . ونسأل هل كان اليهود أو البشر في أحسن حال من التقوىٰ والإيمان ولم يعد لهم من ذنب سوى الخطيئة الأصلية حتى يضحي الله بابنه الوحيد من أجلهم . أم كانوا في أسوإ وضع ضالين أشرارًا ؟ ونسأل كيف استقبلوا ابن الله الوحيد حين جاءهم؟؟

أما المعتدلون من المسيحيين فيجيبون بأن اليهود تراخوا في دينهم وأدخلوا عليه كثيرًا من البدع واستحدثت أمور كثيرة بسبب تطور الحضارة الإنسانية لذلك جاء المسيح ليعيد اليهود إلى طريق الحق وهنا نقول ما المانع من أن يقوم محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بنفس المهمة التي جاء من أجلها المسيح بعد أن انحرف المسيحيون عن عبادة الله الحق ؟

وقد بيَّن المسيح أن هناك نبيا سيأتي من بعده وأشار إلى أنه من ثماره ونتاج أعماله تعرفونه، وذكر انجيل برنابا الأسم الصريح لمحمد صلى الله عليه وسلم . وأما الأناجيل الأربعة المتداولة فلم تذكر أن المسيح هو آخر الأنبياء والمرسلين بل نوهت بأن هناك من سيأتي ويوضح أشياء كثيرة لم يستطع المسيح أن يقولها لأن التلاميذ لا يتحملونها .

« لا يزال لديَّ أشياء كثيرة أقولها لكم ولكنكم لا تطيقون الآن حملها فمتى جاء روح الحق أرشدكم إلى الحق كله لأنه لا يتكلم بشيء من بعده بل يتكلم بما يسمع وينبئكم بما يحدث سيمجدني لأنه يأخذ مما لي ما يطلعكم عليه »[1] .

لقد حث الأنبياء المرسلون أتباعهم المؤمنين بالله على ممارسة الطقوس والعبادات . وقد يسأل أحدهم أما يكفي أن يكون الإنسان مؤمنًا بوجود الله مؤديًا لواجباته الاجتماعية صادقًا في معاملته قويمًا في سيرته . نقول إن المجتمع لا يطلب من الإنسان أكثر من هذا . ولكن إنسانًا كهذا يكون مقصرًا في حق نفسه . فإذا اعتبرنا أن العبادة هي رياضة روحية فالممتنع عن العبادات محروم من الترقي الروحي و إن مهمة العبادة الرئسية هي زيادة إحساسنا وشعورنا بالله لذلك نقول إن العبادة مع الإخلاص تقرب الإنسان المؤمن من الله . هذا بالإضافة إلى اللذة الروحية التي يشعر بها المؤمن عند ممارسة الطقوس الدينية . وقد قال أحد الزهاد والعابدين ــ لو عرف الملوك اللذة التي نستشعرها في العبادة لنافسونا عليها .

---

(1) إنجيل يوحنا فصل : 16 : 12 و 13 و14 .

أما القوة المعنوية والشجاعة الأدبية فهي عدّة المؤمن لمواجهة صعاب الحياة ومشاكلها ومآسيها . ولا تكتمل هذه القوة ولا تنمو إلا بالعبادة .

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ * ﴾[1] .

ولا ينكر أحد الصفاء الذهني والتوازن النفسي والاستقرار الروحي لأولئك الذين اختاروا طريق الإيمان . إن المؤمن لا يخاف من أحد ولا يخشىٰ المستقبل لأنه يرىٰ أن الله معه دائمًا ومن كان الله معه فلا يبالي . فهو قانع بما أعطاه الله لا يطمع بما في أيدي الناس ولا يفكر بسلبهم ما معهم . وأما الموت عند المؤمن فهو الانتقال من الدار الفانية إلى دار الخلود حيث يتخلص الإنسان من عوائق الجسم وينطلق في معارج الروح إلى الملأ الأعلى . . لذلك كان المؤمنون الأولون يستعجلون الشهادة في سبيل الله لينالوا ما وعدهم الله من الأجر والثواب ولينعموا بالقرب من الله في جنات النعيم . جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا رضي الله عنهم ورضوا عنه . إن ثمرات الإيمان وفوائد العبادة لله تعالىٰ لا تعد ولا تحصىٰ ويكفي أن الملائكة تتلقىٰ الإنسان المؤمن عند موته مبشرة إياه بنواله ما وعده الله به .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ * ﴾[2] .

إن الممارسة الدائمة للعبادة تعطي الإنسان صفات خاصة . فهو دائمًا يسلك الطريق القويم ويبتعد عن المعاصي . وإن صدف وتورط في عمل سيء . فإنه يتوب سريعًا ويراجع نفسه ويعدل إلى جانب الحق ويحاول أن يصلح ما أفسد . والتوبة هي عهد بين الله والإنسان بأن لا يعود إلى عمل غير صالح قام به . والإنسان بين الخوف والرجاء . الخوف من أن لا تُقبل توبته ويُغفر ذنبه والرجاء في العفو والمغفرة . يتحرر من البخل فيتصدق سرًا وعلنًا . وبذلك يترابط المجتمع وتسود فيه المحبة والإخاء . ولا يكون للمادة الرأي الأول والأخير في مشاكل الحياة . أما احترام الآخرين وتقديرهم فليس حسب أموالهم وثروتهم بل حسب إنسانيتهم وتقواهم وما يقدمونه من نفع للمجتمع والانسانية . .

وعندما يصطدم المؤمن بالمعاملة السيئة التي يلقاها من الآخرين بعد إحسانه إليهم فإنه لا يكفر بالمباديء والقيم ولكن يصبر ويتحمل فهو ينتظر الجزاء الأوفىٰ من رب العالمين الذي يطلّع على كل صغيرة وكبيرة وأن ما ينفقه من مال وجهد

---

(1) سورة المعارج: الآيات من 19 حتى 35.

(2) سورة فصلت: الآيات من 29 حتى 32.

في سبيل الآخرين سيعوض له أضعافًا مضاعفة في اليوم الآخر يوم الحساب والجزاء . وعندما ينزل بالمؤمن ظلم أو اضطهاد وكثيرًا ما يحصل ذلك فليس له إلا أن يلتجيء إلى الله تعالىٰ حيث يبثه شكواه . و إن اعتقاد المؤمن بأن الله يسمعه ويراه ويستجيب لدعائه يزوده بالأمل ويبعد عنه شبح اليأس والقنوط . ولا نعرف قيمة الإيمان الحقيقية إلا عندما نتعرف على السيرة الداخلية لأشخاص غير مؤمنين ونطلّع على اضطراب نفوسهم ويأسهم ووحدتهم .

إن هؤلاء البعيدين عن الله ، المحرومين من حلاوة الإيمان ولذة العبادة مستحقون للرثاء والشفقة . وهم يحسبون أنهم بإلحادهم وكفرهم قد سبقوا المؤمنين وتحرروا من الجهل والخرافة ذلك لأنهم لا يؤمنون بغير المادة . أما ما وراء ذلك فهم عنه غافلون . ولو عرفوا أن الله هو الذي طردهم من رحمته وصرفهم عن فهم آياته لكبرٍ في نفوسهم وسوء في طويتهم وفساد في أعمالهم لربما تراجعوا عن موقفهم واتخذوا موقفًا آخر .

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ * وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * ﴾[1] .

إن أول ما يخطر في بال غير المؤمن هو قوله : إني موجود الآن . فيجب أن أستغل هذا الوجود للتمتع بكل لحظة من حياتي . والتمتع بالحياة حق للمؤمن ولغير المؤمن . ولكن غير المؤمن يريد أن يتمتع بالحياة على حساب غيره . وهكذا كانت بداية الاستعمار فمنذ أن أحس الإنسان أنه أقوىٰ من جيرانه عدا عليهم وسطا على أموالهم وممتلكاتهم وساقهم عبيدًا له . وسخرهم لزيادة أمواله ورفاهيته . ونشأت الرأس مالية والاحتكارات انطلاقًا من هذا المبدإ الوجودي . وأصبح جمع المال بحد ذاته لذة من اللذائذ التي لا تقاوم . وظلم الإنسان أخاه الإنسان وسحقه دون رحمة أو شفقة وشُرّعت القوانين التي يضعها الأقوياء دائمًا لتزيد الغني غِنى وتزيد الفقير فقرًا . ووُجد الربا لاستغلال حاجة المحتاجين . وحل القانون مكان الضمير . فحيث يوجد القانون الصارم توجد المثالية . وحالما يغيب القانون أو يضعف تجد القوى يأكل الضعيف وتسود شريعة الغاب وتغلب اللصوصية وتنتشر الرذيلة بكل أسمائها ومعانيها . وتنقلب سعادة الإنسان شقاء وتعاسة . في هذه البيئة الوخيمة ، ويفقد الإنسان استقراره وتوازنه النفسي ويلجأ للخمر والشراب يغرق فيهما همومه وأحزانه .

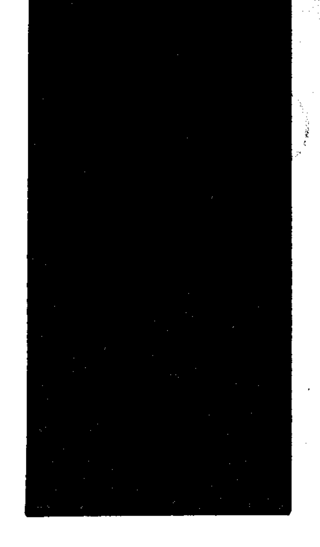
وعندما لا يؤمن الإنسان بالحياة الآخرة فليس أمامه سوى الملاذ الحسية . ويفتح الإنسان لنفسه الباب على مصراعيه وعندها تكون العفة ضعفًا أو خبالاً ويصبح الزنا والحب المحرم والغرام شغل الإنسان الشاغل لا يدع فرصة تفوته إلا ويستغلها . وتختلط الأنساب ولا يعرف الرجل ابنه ولا الولد أباه وتضعف الروابط العائلية ويصبح الزواج قيدًا لا لزوم له . أما السرقة فتأخذ أسماء مختلفة فمرَّة هي رشوة ومرة تدعىٰ عمولة وأخرىٰ تلاعب واختلاس أو ابتزاز . المهم أن يحصل الإنسان على المال من أي طريق كان ليسد جوعه ونهمه وجشعه إلى الحياة . وفي هذه البيئة الملوثة يفقد الإنسان العادي أمنه

---

(1) سورة الأعراف : آية 146 .

واستقراره يتوقع في كل لحظة أن يأتيه سارق أو يسطو عليه مسلح . وتنعدم الثقة بين المرأة وزوجها ويصبح الشك في الإنسان طبيعة وسجية وأمرًا ضروريًا في كل مرافق الحياة . أما عمل المرأة فأصبح ألوانًا من العبث بها وامتهانًا مدمرًا لتكوينها وفطرتها . وحُملت المرأة فوق طاقتها وتكلفت بأعمال لا تتلاءم مع وضعها الجسمي والنفسي . وأصبح لاستعباد المرأة واستغلالها اسم جديد ألا وهو تحرير المرأة . أما تعدد الزوجات فهو محرَّم لأنه يوقف المستهتر عند حده ويلزمه بتحمل مسؤولية أعماله ، أما الإكثار من العشيقات والخليلات فهو مجال للتباهي والتفاخر .

ونتساءل هل حققت الإباحية والفجور وعدم الإيمان والتفلت من كل التزام السعادة للغرب؟ فرغم التقدم العلمي والصناعي وتوفر أسباب الراحة والرفاهية للإنسان فإنه غير سعيد . حياته مليئة بالشك والعذاب وعدم الأمان ، والعزلة ، لا يثق بأحد ولا يطمئن لإنسان إلا فيما ندر . الأسرة مفككة والمرأة تعيسة إلى أبعد حدود التعاسة وعليها يقع العبء الأكبر في الأسرة . فهي أم الأولاد الذين لا يعترف بهم الأب وعليها إعالتهم ورعايتهم أو رميهم في الشارع للبحث عن ذاتها وملذاتها وتقدر الإحصائيات الأخيرة أن عدد اللقطاء في المجتمعات الغربية قد تجاوز 20% من نسبة المواليد أما الأمراض الجنسية والتناسلية والمنتشرة في المجتمعات المتحللة من الدين . فمنها ما يؤدِّي للموت ومنها ما يؤدِّي للعمى ومنها ما يؤدِّي للعقم . بالإضافة إلى أمراض الزهري والسيلان ومعظم هذه الأمراض وراثية تنتقل إلى الأولاد مسببة لهم العاهات والشفاء منها ميئوس .



الروم في فلسطين

نعود إلى فلسطين عام 63 قبل الميلاد لنجد النزاع قائمًا بين الأخوين استبولس الثاني وهركانس الثاني على ملك اليهودية . ويستعين هوكانس بـ بومبي القائد الروماني المنتصر في دمشق فيتدخل بومبي فاتحًا للقدس وينصب هركانس حاخامًا أعظم وحاكمًا بالاسم على بلاد اليهودية . أما الحاكم الحقيقي فهو أنتيباتر الادومي الذي أعان روما في هذه الحرب . وفي عام 43 قبل الميلاد يموت انتيباتر وتهاجم فلسطين قبائل الباراثيين الاتين من الشمال ـ أرمينيا ـ ويحتلونها وينصبوا عليها انتوجونس آخر ملوك الموكابيين . في نفس الوقت تنصب روما هيرودس الكبير ابن انتيباتر الادومي ملكًا على اليهودية . وتعين روما هيرودس بالأموال والسلاح فيهاجم أورشليم ويطرد الباراثيين من فلسطين ويعدم انتوجونس آخر ملوك السلالة الموكابية . وبتسلم هيرودس الأكبر زمام الأمور . تبدأ صفحة جديدة من الاستقرار والإعمار في بلاد اليهودية ويصفه المؤرخ يوسفوس كما يلي:

« كان رجلاً قوي البأس ، عظيم المهارة ، بارعا في رمي السهام والحراب ، صيادًا عظيمًا ، اقتنص في يوم واحد أربعين وحشًا . وكان محاربًا لا يستطيع إنسان أن يقف في وجهه . وكانت له صفات شخصية جذابة . فقد كان بوسعه على الدوام أن يتغلب بقوة الحجة أو بكثرة الرشوة على أعدائه الذين حاولوا أن يشوا به عند انطونيوس وكليوبترا . وقد خرج من كل الازمات وهو أقوى سلطانًا وأوسع ملكًا مما كان . وتمنى أغسطس لو أن هيرودس حكم سوريا ومصر بالإضافة إلى أملاكه » . ونذكر بهذا الصدد أن هيرودس ربما كان يهوديًا ولكن المؤكد أنه كان أدوميًا من أبناء عيسو الذين حرمهم يعقوب من البركة . ونذكر كيف أن يعقوب سجد لأخيه عيسو ونرى الآن الشعب اليهودي كله وقد خضع لهيردوس ، عكس البركات والأمنيات التي يحلم بها اليهود والتي ذكروها في كتبهم كذبا وبهتانا . كان هيردوس يحاول دمج الثقافة اليونانية بالتراث اليهودي . فأنشأ في أورشليم دارًا فخمة للتمثيل ومدرجًا وزينها بتماثيل لأغسطس وغيره من الوثنيين . وانفق في ذلك أموالاً طائلة ، وأدخل في بلاده الألعاب الرياضية والمباريات الموسيقية اليونانية . وجمَّل أورشليم بمبان فخمة على طراز معماري أجنبي[1] . وأقام في الأماكن العامة تماثيل يونانية أثارت دهشة اليهود وغضبهم بسبب عريها . كما أغضبهم عري المصارعين في الألعاب الرياضية . وأعاد هيرودس بناء الهيكل في أورشليم وأنفق عليه مالاً لا يحصىٰ . فكان يجمع من كل شخص يهودي مقدار قطعتين نقديتين في الشهر حتى غدا الهيكل من

(1) نفس الخطوات التي قام بها الخديوي إسماعيل في مصر فجلب الاستعمار على بلاده .

عجائب الدنيا التي لا تضاهى مساحة وفخامة . وكانت أقسام الهيكل كثيرة . وزينه بالنقوش والرخام الأبيض . واستمر بناء الهيكل ما يقرب من تسعين عامًا . وبنى هيرودس مرفأً عظيمًا عند قيصرية وأرهق هيرودس اليهود بالضرائب والأتاوات التي كان يفرضها عليهم ليجمل بها المدن ويبني العمائر بالإضافة لإدخاله الثقافة اليونانية التي أثارت الشعب بعريها وفجورها . فأخذوا يحيكون المؤامرات لقتله . ولكنه كان دائمًا يكتشف المؤامرات التي تحاك ضده فيقبض على المشتركين فيها ويقتلهم دون رحمة أو شفقة ولو كانوا أقرب المقربين إليه . بل كان يقتل أسر المتآمرين عليه ، وكانت عيونه وجواسيسه[1] تنقل له أخبار رعاياه أولاً بأول . وفي آخر أيام هيرودس انهارت قواه بفعل الحزن لتآمر أقرب المقربين إليه وهم أولاده وزوجاته . وقد نسب اليهود لكراهيتهم له أمراضًا كثيرة ادعوا أنه أصيب بها آخر عمره واعتبروها جزاء ما اقترفت يداه وهذه الأمراض هي: داء الاستسقاء ، القروح ، الحمى ، التشنج ، النفس الكريه الرائحة . ومات هيرودس وفي التاسعة والستين من عمره في سنة 4 قبل الميلاد .

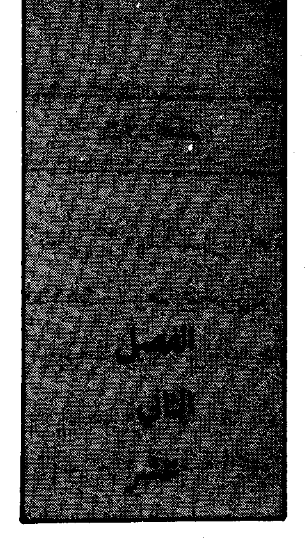
وتعليقًا على أعمال هيردوس العمرانية نجد أن جميع ما قام به إن هو إلا لتمجيد شخصه فكل الأبنية والملاعب والهيكل الذي قام ببنائه كانت نفقاتها على حساب الشعب المرهق بالضرائب . ولم يذكر التاريخ أن هيردوس قام بإصلاح قضائي أو تشريعي أو أنه شجع القيام بأعمال الري وجر المياه التي تنمي الثروة الزراعية ويستفيد منها الشعب إفادة حقيقية . أما ميناء قيصرية فكان لتصدير موارد الشعب المحروم منها واستيراد ما يرسله تجار روما المسيطرون على السوق العالمية . وأخطر ما قام به هيردوس هو استيراد الأفكار الأجنبية والتي حاول فرضها على الشعب بالإغراء وباسم التمدن . ونسى أن التمدن بالأخلاق العالية والسجايا الكريمة . لذلك كان اليهود يتمنون ظهور نبي قوي يخلصهم من سلطة الرومان ومن الأفكار الأجنبية التي غزت البلاد ويعيد لليهودية مجدها السابق فأرسل الله لهم نبيين كريمين بدلاً من نبيٍّ واحد هما: يسوع المسيح عيسى بن مريم ويوحنا المعمدان يحيى بن زكريا . ولكن اليهود على عادتهم قاموا فحاربوا أنبياءهم وأسلموهم للقتل .

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾[2] .

---

(1) لو كان هيردوس مهتمًا بمولد المسيح لأخبره جواسيسه عن مكان مولده .

(2) سورة المائدة: آية 70 .



الميلاد العظيم

نذرت والدة السيدة مريم الجنين الذي تحمله في بطنها ليكون خادمًا منذورًا لبيت المقدس لا يهتم بعمل آخر سوى خدمة الهيكل والتوجه بكليته في العبادة لله تعالىٰ . وكانت تأمل أن يرزقها الله بولد يكون على يديه خلاص بني إسرائيل من الاستعمار الروماني الجاثم على صدر اليهود في فلسطين وولدت زوجة عمران . وكان المولود أنثىٰ عكس ما تتمنىٰ وسمت المولودة المباركة مريم . وكلمة مريم تعني ـ العابدة ـ ووفت زوجة عمران بنذرها فقدمت ابنتها مريم لخدمة بيت المقدس ويشاء الله سبحانه وتعالىٰ أن يتوفى عمران وابنته مريم لا تزال صغيرة ، فيتنافس الكهنة لكفالة مريم والوصاية عليها حبًا في رئيسهم ووفاء له . ولما ظهر من النور والبركة على السيدة مريم فاقترعوا عليها فكانت كفالتها من نصيب زوج خالتها اليصابات ـ الكاهن زكريا ـ وتكرس الطفلة الصغيرة مريم حياتها للعبادة في غرفة خاصة في الهيكل وتظهر منها عجائب ومعجزات تلفت الأنظار . وكانت مريم مصدر خير وبركة لمن حولها . ويزداد حب الناس واحترامهم لها مع مرور الأيام فهي دائمًا الفتاة الواعية الذكية المتقية لله العابدة لله حقًا . فلا تُرىٰ إلا ساجدة أو راكعة متبتلة إلى الله تعالىٰ متوجهة إليه بكل إحساساتها وجوارحها لا تهتم بما يهتم به الناس من أمور الدنيا التافهة .

يخلق الله ما يشاء ويختار . واختار الله مريم على نساء العالمين وقدمها عليهن . فكان أبوها من أحسن الآباء وكانت أمها من أطهر الأمهات .

اختار الله السيدة مريم من بيت طاهر شريف مشهود له بالتقوى والعفاف . واشتهرت مريم بجمالها وكمالها وأدبها ورجاحة عقلها . أما تقواها وصلاتها ونُسكها فكانت منقطعة النظير بين النساء والرجال على حد سواء . كان الله يُعدّها لأمر عظيم لاتستطيع تحمله إلا امرأة عظيمة مثلها . وابتدأت تهيئة مريم للحدث العظيم بخدمة الملائكة لها .

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ * ﴾[1] .

إن من يرىٰ مريم يشتهي أن يكون له ذرية طيبة مثلها . فها هوذا الشيخ الكبير العابد لله طول عمره لم يصل إلى المرتبة التي وصلت إليها مريم في طفولتها فكيف لا يتمنى ذرية طيبة مثلها تَقَرُّ بها عينه ويسكن بها فؤاده . ولكن زوجة زكريا

(1) سورة آل عمران: الآيتان 37 ـ 38 .

الطاعن في السن كانت عاقرًا فمن أين سيأتيه الولد والذرية . ولكن هل هناك حدود لقدرة الله تعالىٰ . فهذه سارة العاقر رزقت في آخر أيامها بإسحق . واليوم هذه مريم تعيد ذكرى الأمس ويلمس منها زكريا خوارق العادات . وهنا يدعو زكريا ربه ويطلب منه الذرية الطيبة النقية الطاهرة الشبيهة بمريم العذراء ويتمنى أن يكون المولود ذكرًا ليرث الكهانة من أبيه علّة ينهض ببني إسرائيل الذين أذلهم الرومان .

تلك هي مريم المرأة العظيمة التي قدّسها القرآن . وهي لا تشبه بشكل من الأشكال تلك المرأة العادية المجهولة النسب التي تكلمت عنها الأناجيل . ووضعتها في موضع الشك والريبة بأن لفقت لها خطيبًا وسمته بيوسف النجار ونسبت المسيح إليه ظلمًا وبهتانًا . وجعلت من يوسف النجار أمينًا لسر مريم العذراء ورفيقًا لها في رحلاتها وسفراتها . ومنهم من زوّج مريم بيوسف وولّد لهما البنون والبنات ومنهم من قال إن يوسف متزوج من أخرىٰ وله أولاد منها هم الذين دعوا إخوة المسيح .

الإسلام ينكر بأن يكون لمريم العذراء خطيب أيًا كان اسمه ويعترف بأن يوسف النجار الرجل التقى الصالح هو ابن خال مريم إنسان متزوج وله أولاد وله زوجة اسمها مريم بنت كلوبا و إن تشابه الأسماء وارد في كل الأزمنة والأمكنة .

وفيما يلي سنورد ثلاث قصص لميلاد المسيح الإنسان العظيم . وسنعلق عليها ونستنتج منها لنعرف صحة كل منها وبعد ذلك فإن للقاريء حرية اختيار القصة التي يراها تليق بقداسة السيدة مريم وابنها الحبيب يسوع المسيح .

1 ـ قصة ميلاد المسيح حسبما هو وارد في إنجيل متّى :

« أما ميلاد يسوع المسيح فهذا خبره . لمّا كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف وجدت قبل أن يتساكنا حاملاً من الروح القدس . وكان يوسف زوجها بارًا فلم يرد أن يشهر بأمرها فعزم على تركها سرًا . وما فكر في ذلك حتى تراءى له ملاك الرب في الحلم . وقال له : يا يوسف ابن داود لا تخف أن تجيء بامرأتك مريم إلى بيتك إن الذي تحمله هو من الروح القدس وستلد ابنًا فسمه يسوع لأنه هو يخلص شعبه من خطاياهم . و إنما حدث هذا كله ليتم ما أوحى الرب إلى النبي فقال : إن العذراء ستحمل ابنًا يدعىٰ عمانوئيل . أي الله معنا فلما قام يوسف من النوم فعل ما أمره به ملاك الرب فجاء بامرأته إلى بيته على أنه لم يعرفها فولدت ابنًا فسماه يسوع . ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية على عهد الملك هيردوس قدم أورشليم مجوس من المشرق وقالوا أين الملك الذي ولد لليهود فقد رأينا نجمه طالعًا فجئنا لنسجد له . فلما بلغ الخبر الملك هيردوس اضطرب واضطربت أورشليم كلها معه . فجمع الأحبار وكتبة الشعب واستخبرهم أين يولد المسيح . فقالوا له : في بيت لحم اليهودية فقد أوحى إلى النبي نكتب : وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا ـ ليست الصغيرة في ولايات يهوذا فمنك يخرج وال يرعىٰ شعبي إسرائيل . فدعا هيردوس المجوس سرًا وتحقق منهم في أي وقت ظهر النجم . ثم بعثهم إلى بيت لحم وقال : اذهبوا فجدوا في البحث عن الطفل فإذا وجدتموه فأخبروني لأذهب وأسجد له . فلما سمعوا كلام الملك انصرفوا . و إذا النجم الذي رأوه طالعًا يتقدمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه . فلما أبصروا النجم فرحوا فرحًا عظيمًا جدًا . ودخلوا البيت فرأوا فيه الطفل وأمه مريم فجثوا له ساجدين . ثم فتحوا حقائبهم وأهدوا إليه ذهبًا وبخورًا ومرًا . ثم أوحى إليهم في الحلم ألا يرجعوا إلى هيردوس فانصرفوا سالكين طريقًا آخر إلى بلادهم .

وكان بعد انصرافهم أن تراءى ملك الرب ليوسف في الحلم وقال له: قم فاهرب بالطفل وأمه إلى مصر وأقم فيها حتى أعلمك لأن هيردوس سيبحث عن الطفل ليهلكه . فقام وسار بالطفل وأمه ليلاً ولجأ إلى مصر فأقام فيها إلى أن توفى هيردوس ليتم ما أوحى إلى النبي فقال: من مصر دعوت ابني . أما هيردوس فلما رأى أن المجوس سخروا منه استشاط غضبًا وأرسل فقتل كل طفل في بيت لحم وسائر أراضيها من ابن سنتين فما دون ذلك بحسب الوقت الذي تحققه من المجوس فتم ما أوحى إلى النبيّ أرميا فقال: صراخ سمع في الرامة ـ بكاء ونحيب ـ راحيل تبكي على بنيها وتأبى أن تتعزىٰ لأنهم زالوا عن الوجود . وما إن توفي هيردوس حتى تراءى ملاك الرب في الحلم ليوسف في مصر وقال له: قم فاذهب بالطفل وأمه وارجع إلى أرض إسرائيل . قد مات من كان يريد إهلاك الطفل . فقام وذهب بالطفل وأمه ورجع إلى أرض إسرائيل فسمع أن أرخلاوس خلف أباه هيردوس على اليهودية فخاف أن يذهب إليها . فأوحى إليه في الحلم فلجأ إلى الجليل وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسكن فيها ليتم ما أوحى إلى الأنبياء فقالوا: إنه يدعى ناصريًا »[1] .

من هذا النص نستنتج ما يلي:

1 ـ ولادة المسيح عيسى بن مريم في زمن هيردوس الكبير ملك اليهودية .

2 ـ اضطراب هيردوس علىٰ ملكه من طفل رضيع وهو البالغ من العمر على الأقل في ذلك الوقت خمسًا وستين عامًا .

3 ـ لماذا تضطرب أورشليم مع هيردوس والمفروض أنها تفرح لمجيء المخلص .

4 ـ لماذا يسجد المجوس لملك اليهود وما علاقتهم به . فالمجوس إن كانوا من الفرس فهم لم يؤمنوا بالمسيح و إن كانوا عربًا فليس اسمهم المجوس وكان اسمهم الاسماعيليين أو أبناء قيدار وموطنهم الجنوب وليس الشرق . ثم إن هيردوس تحقق منهم أن النجم ظهر منذ سنتين وهذا يعني أنهم ظلوا مسافرين مدة سنتين حتى وصلوا إلى أورشليم وهذا يعني أنهم أتوا من أقاصي الصين .

5 ـ إن مجيء المجوس لتحية المسيح والسجود له لم ينفعه بشيء و إنما سبَّب له التشرد إلى مصر ولأطفال بيت لحم الذبح مثل الخراف .

6 ـ يعتبر هيردوس عميلاً للاستعمار الروماني ومنفذًا لسياسته والمسيح الموعود سيأتي محررًا للشعب . فكيف يقوم الأحبار والكهنة بإخبار هيردوس عن مكان مولد المسيح . أليست هذه خيانة عظمى وتآمرا على النبيّ قبل تبليغ دعوته .

7 ـ إن قرية بيت لحم صغيرة جدًا وقريبة من أورشليم . فهل من الصعب على هيردوس إرسال جواسيسه ومخبريه ليحضروا له المسيح إن كان فعلاً يبحث عنه .

8 ـ متى كان المسيح ملكًا لليهود أو واليًا عليهم . وعلى حسب قول الأناجيل فإنه لم يلق من اليهود إلا الإهانة والتكذيب ثم الصلب والتعذيب . وكان من سخرية الحكام به أن علقّوا فوق خشبته سبب الحكم عليه كتب فيه هذا يسوع ملك اليهود .

---

(1) إنجيل متى الفصل: 1 والفصل 2 .

9 ـ لا بد أن ارتفاع النجم الذي كان يقود المجوس هو خمسة أمتار فقط أو على الأكثر عشرة أمتار ليتمكن المجوس من تحديد البيت الذي وقف فوقه النجم .

10 ـ إن يوسف ومريم كانا من سكان بيت لحم ومنزلها موجود فيها .

11 ـ هرب يوسف مع المسيح وأمه إلى مصر . وقد بقيا في مصر حتى مات هيردوس وصار عمر المسيح سبع سنوات . وهذا يعني أن عمر المسيح سنة 4 قبل الميلاد هو سبع سنوات أي أنه ولد قبل الميلاد بأحد عشر سنة حسب التاريخ المتبع اليوم .

12 ـ كان اليهود يكرهون هيردوس كثيرًا وكانوا يتسقطون أخطاءه وزلاته ويكتبون كل شنائعه في تواريخهم التي دونوها ولكن أحدًا من معاصريه لم يسجل أن هيردوس أمر بذبح الأطفال في بيت لحم بدون سبب اقترفوه ثم إن هناك سلطة روما والقيصر وهي تحاسب الولاة والحكام أمثال هيردوس على أعمالهم وتحاكمهم إذا اشتكى أحد منهم . ولأن قتل الأطفال بدون سبب من شأنه أن يثير الناس ضد الحكم الروماني .

13 ـ لم يعرف يوسف ومريم والمسيح الجليل والناصرة إلا بعد رجوعهم من مصر . وخوفهم من ارخيلاوس بن هيردوس . وكان عمر المسيح عند الذهاب للناصرة يجاوز السابعة .

14 ـ استشهد انجيل متّى ببعض النصوص الموجودة في العهد القديم . وهذه النصوص جميعًا لا تنطبق على واقع حال المسيح . بل هي نصوص أراد منها متّى أن يثبت اطّلاعه على العهد القديم وليوهم قارئه أنه من أتباع المسيح وأنصاره ولكن البحث والتحليل يثبت عكس ذلك .

يقول النص الأول : « بها إن العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل »[1] .

والنص الأساسي في العهد القديم يقصد بكلمة العذراء الفتاة الشابة ولا يقصد بها الفتاة البكر التي لم تتزوج وقد أكد هذا الشرح النسخة المكتشفة لنبوءة اشعيا في خرائب قمران في الأردن والتي يقدر أن وقت كتابتها هو سنة 600 قبل الميلاد .

ثم إن المسيح سُمِّي يسوع ولم يدع المسيح في يوم من الأيـام ولم يناده أحد باسم عمانوئيل . و إن أصل النص كان لبيان وقت تسلط ملك أشور على اليهودية . ومن شاء المزيد فليراجع الفصل السابع من نبوءة أشعيا ليعلم بأن النص لا علاقة له بالمسيح أو بمريم و إنما هو نبوءة و إنذار من أشعيا للملك آحاز . وقد تحققت النبوة بعد عشرين سنة من قولها وقبل مجيء المسيح بسبعمئة وعشرين سنة . ويقول النص الثاني : « وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغيرة في ولايات يهوذا فمنك يخرج والٍ يرعىٰ شعبي إسرائيل » .

وأصل النص في النبوءة كما يلي : « وأنت يا بيت لحم افراته انك صغيرة في الوف يهوذا ولكن منك يخرج لي متسلطًا على إسرائيل ومخارجه منذ القدم منذ أيام الأزل »[2] .

ونتساءل هل ينطبق هذا الوصف على المسيح . وهل كان المسيح في يوم من الأيام متسلطًا على إسرائيل .

---

(1) نبوءة أشعيا ، فصل : 7 ـ 14 .

(2) نبوءة منجا ، فصل : 5 ـ 2 .

والأرجح أن هذه النبوءات تشير إلى قيام دولة إسرائيل بعد الرجوع من السبي على يد الموكابيين وبقية نبوءة منحيا ترجح هذا الرأي .

والنص الثالث : « من مصر دعوت ابني » .

وأصل النص كما في ترجمة 1811 : « إذ كان يعقوب صبيًا أحببته ومن مصر دعوت أولاده . وكلما دعوتهم أكثر ارتدوا عني أكثر . وذبحوا للبعليم وجعلوا الحمرقات للتماثيل »[1] .

والفرق بين النصين واضح ومناسبة كل منهما مختلفة عن الآخر ولا يحتاج إلى تعليق و إنما الجدير بالتعليق هو البحث عن أسباب اختلاف الترجمات والتلاعب بالنصوص . ولتوضيح ما نعنيه نكتب هذا النص كما ورد بالانكليزية :

The Lord says: When Israel was a Child I loved him and called him out of Egypt as my son. But the more I called to him the more he turned away from me[2] .

أما النسخ الحالية والمتداولة بين أيدي القراء فمكتوبة بحيث توافق نص انجيل متّى . « إذا كان إسرائيل صبيًا أحببته ومن مصر دعوت ابني قد دعوهم لكنهم أعرضوا عنهم ذابحين للبعليم ومفترين للتماثيل » .

قد يجد بعض المترجمين أن الحقيقة مرة فيسارعون إلى إخفائها ولكنهم ينسون أن إضلال الناس و إخفاء الحقائق عنهم هو أكبر خيانة وهو المرارة الحقيقية لو كانوا يعلمون .

والنص الرابع « صراخ سمع في الراقة راحيل تبكي على بنيها وتأبىٰ أن تتعزىٰ لأنهم زالوا عن الوجود » .

وأصل النص كما يلي : « هكذا قال الرب صوت سمع بالراقة ندب وبكاء مر . راحيل تبكي على بناتها وقد أبت أن تتعزىٰ عن بنيها لأنهم ليسوا في الوجود . هكذا قال الرب : كفي صوتك عن البكاء وعينيك عن الدموع فإن لعملك أجرًا يقول الرب وسيرجع البنون سيرجعون من أرض العدو »[3] .

وأبناء راحيل هم يوسف وبنيامين أما سكان بيت لحم فهم أولاد يهوذا . والمقصود في النص الأصلي أولاد بنيامين الذين أُخذوا أسرىٰ وسبايا إلى بابل . وكلمة زالوا عن الوجود لا تعني سوىٰ رحيلهم المؤقت . والفقرة التالية تدل على عودتهم من السبي أما قصة الإنجيل فتدل على موتهم بيد هيردوس .

والنص الأخير « ليتم ما أوحى إلى الأنبياء فقالوا إنه يدعىٰ ناصريًا » .

وقد بحثنا عن هذه الفقرة في جميع أسفار العهد القديم فلم نجد لها أصلاً ولنلاحظ أن كاتب الإنجيل كتب ليتم ما أوحى إلى الأنبياء بينما كان يقول في النصوص السابقة ليتم ما أوحى إلى النبي . وهذا يدل على ورود هذا النص بكثرة في كتاب العهد القديم . ولكن الحقيقة أن هذا النص غير موجود لأن بلدة تسمىٰ الناصرة لم تكن موجودة في زمن الأنبياء .

وأصل النص إنه يدعى نذريًا وقد ترجمت إلى اليوناني ثم أعيدت إلى اللغة العربية لتستبدل الذال صادًا وكلمة نَذري أقرب في اللغة الأجنبية من ناصري Nazarene . ويظهر أن المترجم لم يفهم أن كلمة نَذري هي صِفَة للمسيح لأن

---

(1) هوشع فصل : 11 : 1 و 2 .

(2) Good News Bible: HOSEA 11 : 1 _ 2 ص٢١٠

(3) بنوءة أرميا فصل : 31 : 15 .

أمه كانت منذورة للهيكل . وظن أن كلمة نذري هي نسبة إلى بلد المسيح ففتش عن قرية أو مدينة قريبة من هذا اللفظ فوجد مدينة الناصرة . فوفّق بين الكلمتين وادعىٰ أن المسيح من الناصرة . ورغم ذلك فإنه في أول النص أثبت أن مريم ويوسف من سكان بيت لحم وبيتهم موجود فيها . كما دل النجم المجوسي عليه . ومدينة الناصرة لم يكن اسمها الناصرة بل كان اسمها الناذرة وهذا الاسم مشتق من الانذار . فالناصرة أو الناذرة لم تكن في يوم من الأيام وقبل المسيح أكثر من مخفر حراسة أمامي تنذر سكان إسرائيل باقتراب العدو من حدودهم .

2 ـ قصة ميلاد المسيح حسبما هو وارد في انجيل لوقا :

وفي ذلك الزمان أمر القيصر أغسطس بإحصاء جميع أهل المعمور . وجرىٰ هذا الإحصاء الأول إذ كان كيرينيوس حاكمًا في سورية . فذهب جميع الناس ليكتب كل واحد في مدينته وصعد يوسف أيضًا من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تدعىٰ بيت لحم فقد كان من بيت داود وذريته . ليكتتب ومريم خطيبته وكانت حاملاً وبينما هما فيها حان وقت ولادتها فولدت ابنها البكر . فقمطته وأضجعته في مذود لأنه لم يكن لهما موضع في الفندق . وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرية يتناوبون السهر في الليل على رعيتهم ففاجأهم ملاك الرب وأشرق مجد الرب حولهم فخافوا خوفًا شديدًا فقال لهم الملاك . لا تخافوا إني أبشركم بفرح عظيم يعم الشعب بأجمعه ولدلكم اليوم مخلص في مدينة داود وهو المسيح الرب . و إليكم هذه العلامة ستجدون طفلاً مقمطًامضّجعًا في مذوذ وانضم إلى الملاك بغتة جمهور من جند السماء يسبحون الله فيقولون : المجد لله في العلىٰ والسلام في الأرض لأهل رضاه فلما انصرفت الملائكة عنهم إلى السماء قال الرعاة بعضهم لبعض : هلم بنا إلى بيت لحم فنرىٰ هذا الحدث الذي أنبأنا به الرب . وجاءوا مسرعين فوجدوا مريم ويوسف . والطفل مضّجعًا في المذوذ . فجعلوا بعدما رأوا الطفل يخبرون بما قيل لهم فيه فصار كل من سمع الرعاة يعجب مما حدثوه به . وكانت مريم تحفظ جميع هذه الأمور وتتأملها في قلبها . ورجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوا ورأوا كما أُنبئوا . ولما بلغ يومه الثامن وهو اليوم الذي يجب أن يختن فيه سُمِّيٰ يسوع كما سماه الملاك قبل أن يحبل به . ولما حان يوم طهورهما بحسب شريعة موسىٰ صعدا به إلى أورشليم ليقرباه إلى الرب كما تقضي شريعة الرب من أن كل بكر ذكر ينذر للرب . وليقربا ما تفرضه شريعة الرب زوجي يمام أو فرخي حمام . وكان في أورشليم رجل بار تقي اسمه سمعان ينتظر الفرج لإسرائيل والروح القدس نازل عليه . وكان الروح القدس قد أوحى إليه أنه لا يذوق الموت قبل أن يرىٰ مسيح الرب . فأتى الهيكل بوحي من الروح ، ولما دخل بالطفل أبواه ليؤديا عنه ما تفرضه الشريعة حمله على ذراعيه وبارك الله ثم قال : رب أطلق الآن عبدك بسلام وفاقًا لقولك : فقد رأت عيناي ما أعددته من خلاص للشعوب كلها نورًا لهداية الأمم ومجدًا لشعبك إسرائيل . وكان أبوه وأمه يعجبان مما يقال فيه . وباركهما سمعان ثم قال لمريم أمه : إنه جعل لسقوط كثير من الناس وقيام كثير منهم في إسرائيل وآية ينكرونها . وأنت سينفذ سيف في نفسك لتتكشف الأفكار عن قلوب كثيرة[1] . وكانت هناك نبية هي حنة ابنة فانوئيل من سبط اشير طاعنة في السن وعاشت مع زوجها سبع سنوات بعد بكارتها . ثم بقيت أرملة فبلغت الرابعة والثمانين من عمرها لا تفارق الهيكل متعبدة بالصوم والصلاة ليل نهار . فحضرت في تلك الساعة وأخذت

---

(1) هذه الجملة مشوشة في النسخ العربية ومعناها أن السيدة مريم ستتألم عندما ينكشف لها ما في قلوب الناس وما يظنونه بها من الظنون السيئة فهم يبرؤونها باللسان ويتهمونها بالقلب .

تحمد الله وتحدث بأمر الطفل كل من كان ينتظر فداء أورشليم . ولما أتما جميع ما تفرضه شريعة الرب . رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة وكان الطفل ينمو ويترعرع ويمتليء حكمة وكانت نعمة الله عليه . وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشيم في عيد الفصح »[2] .

نستنتج من هذا النص بعد قراءته بتمعن ومقارنة مع نص إنجيل متّى ما يلي :

1 ـ يتحدث لوقا عن إنسان مختلف تمامًا عن المسيح الذي تحدث عنه متّى .

2 ـ إن ولادة المسيح كانت عندما كان كيرينيوس حاكمًا في سورية أي في السنة العاشرة للميلاد . وهنا نجد خلافًا تاريخيًا في تحديد تاريخ ولادة المسيح . هذا الخلاف يزيد عن عشرين سنة .

3 ـ لماذا ينزل يوسف ومريم في الفندق وعشيرتهما وأقرباؤهما في مدينة داود . فاليصابات قريبة مريم من مدينة داود أو يهوذا ثم ما هذا الفندق المزعوم في قرية صغيرة مثل بيت لحم هل هو للسياحة أم للاصطياف .

4 ـ هل من التكريم والتشريف القول بأن السيدة مريم ولدت في إسطبل وسط الحيوانات وأنها وضعت ابنها المسيح في معلف للحيوانات ؟

5 ـ نفهم من النص خبر انتشار ولادة المسيح وذيوعه بواسطة الرعاة على عكس ما جاء في إنجيل متّى إذ أن المجوس لم يخبروا أحدًا . حسب الأوامر التي تلقوها في الحلم .

6 ـ كان اليهود ينتظرون المسيح ولما جاء فرح به سمعان وباركه وتنبأ له .

7 ـ قامت النبية حنة بالتحدث للناس عن أمر الطفل . وينتج من ذلك أن خبر ولادة المسيح ذاع واشتهر بين الناس وفي الهيكل ولم يكن ذلك سرًا حتى يسأل عنه هيردوس ولا يعرف مكانه ـ علمًا بأن لوقا يحدد أن ولادة المسيح كانت بعد وفاة هيردوس بأربعة عشر سنة ـ والأحبار والكهنة الذين سألهم هيردوس إن كان وقتها حيًا ألم يكونوا في الهيكل ؟ ألم يشاهدوا ويسمعوا ما قال سمعان وما فعلت النبية حنة ؟ .

8 ـ نفهم من لوقا أن يوسف ومريم من سكان الناصرة ومنزلها فيها وليسا من سكان بيت لحم كما في متّى .

9 ـ لِمَ يسافر يوسف ومريم إلى مصر بل عادا إلى بلدتهما الناصرة .

10 ـ لماذا تتعجب مريم ويوسف مما يُقال في المسيح وقد أخبرهما الملاك إذ قال : « السلام عليك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك ، فاضطربت مريم لهذا الكلام وقالت في نفسها ما معنى هذا الكلام ؟ فقال لها الملاك : يا مريم لا تخافي فقد نلت حظوة عند الله فستحملين وتلدين ولدًا تسميه يسوع فيكون عظيمًا وابن العلى يدعىٰ . ويوليه الله ربنا عرش أبيه داود ويملك على بيت يعقوب أبد الدهر ولن يكون لملكه انقضاء »[1] .

وبعد قراءة هذا النص الأخير نتساءل هل تولي المسيح عرش داود . ثم هل كان المسيح من أحفاد داود ؟ وقد بينا أنه من نسل هارون . ثم هل ملك المسيح على بيت يعقوب ؟ وما هو أبد الدهر ؟ وهل ملك المسيح قائم إلى اليوم وهو الذي لم يكن قائمًا في يوم من الأيام ؟ و إذا راجعنا حياة المسيح نجد أنها كانت عكس ما ورد في هذه النبوءة فكان كما تصوره

(2) انجيل لوقا فصل : 2 : من 1 حتى 41 .

(1) لوقا الفصل : 1 : 28 وما بعدها .

الأناجيل شريدًا طريدًا ثم أهين وحوكم وصلب مع المجرمين ؟ فهل نقول إن المتكلم مع مريم هو ملاك صادق أم شيطان مضلل كذاب ؟

11 ـ يبين سمعان أن المسيح سيلاقي الإنكار وأن اليهود لم يتبعوه لأنه سيكون سببًا لسقوط كثيرين . ويبين سمعان لمريم بأن قلبها سينكسر من الحزن لما يفكر به الأشرار وهذه النبوءات التي قالها سمعان أصح وأصدق من النبوءات التي قالها الملاك .

12 ـ نفهم من نص لوقا أن هناك مكانًا خاصًا في الهيكل للنساء حيث كانت النبية حنة موجودة وغيرها من النساء يعبدون الله فيه ليل نهار . ونقول إن السيدة مريم كانت من جملة هؤلاء العابدات الزاهدات .

3 ـ قصة ميلاد المسيح حسبما هو وارد في القرآن الكريم :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۞ ﴾[1] .

فهذه هي منزلة مريم عند المسلمين . هي أفضل نساء العالمين . وهذه المنزلة لم تبلغها امرأة غيرها في قلوب المسلمين لأن الله تعالىٰ نص على أفضليتها فلا تنافسها فيها امرأة أخرىٰ . وفي هذه الآية نجد أن الله تعالىٰ يأمر مريم بكثرة العبادة لكي تستطيع تحمل العبء الذي سيلقيه الله عليها . وقد تنافس أركان الهيكل على كفالة مريم بعد وفاة والدها لما رأوا من النور والبركة الملازمان لها .

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۞ ﴾[2] .

وكيف لا يختصمون على مريم وهي البقية الصافية النقية من سلالة هارون . شريفة معروفة النسب لا يوجد من جداتها امرأة فاجرة أو مبذولة لأن موسىٰ حرمَّ على أولاد هارون القيمين على الكهانة التزوج من غير الأبكار الشريفات المعروفات .

« وأما الأرملة أو المطلقة أو المبذولة أو الفاجرة فتلك لا يتخذها . بل امرأة بكرًا من قومه فليتخذ . ولا يبتذل نسله بين قومه لأني أنا الرب مقدسه »[3] .

ولم تحل مشكلة الخصام على مريم إلا بالاقتراع فكانت كفالتها من نصيب زكريا النبي المعروف وقصة المولد العظيم وردت في القرآن الكريم كما يلي :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۞ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۞ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۞

---

(1) سورة آل عمران : الآيتان 42 و 43 .

(2) سورة آل عمران : الآية 44 .

(3) سفر الأحبار فصل : 21 : 14 و 15 .

وَرَسُولاً إِلَى بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ . . . ﴾[1] .

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا[2] فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي[3] قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا[4] * يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ[5] مَا كَانَ أَبُوكِ[6] ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا[7] * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ * ﴾[8] .

نستنتج من هذه الآيات الآتي :

1 ـ إقامة مريم في الهيكل في قسم النساء وتفرغها للعبادة .

2 ـ دخول الملاك عليها وهو بهيئة رجل وهي في قسم النساء في الهيكل . وكانت مريم وحدها مما فاجأها دخول رجل غريب فاستجارت بالله واستعاذت به من أن يتصرف أو يتكلم هذا الشخص بما لا يليق ومقامها العالي . وهنا نذكر أن الملكين اللذين قابلا لوطا كانا على هيئة رجلين ولم يعرفها لوط في بادىء الأمر حتى عرَّفاه بنفسيهما . وهنا أيضًا فإن مريم لم

---

(1) آل عمران : الآيات 45 حتى 49 .

(2) روحنا : جبريل عليه السلام .

(3) تشجيع : وترغيب على الحركة .

(4) شيئًا فريًا : شيئًا لا يُصدَّق .

(5) من نسل هارون وهذا التعبير دارج في العربية .

(6) يقصد به يهوذا الذي زنا مع كنته .

(7) يقصد البغية راحا .

(8) سورة مريم : الآيات من 16 حتى 40 .

تعرف الملك حتى أخبرها بحقيقته وأخبرها أنه آتٍ لبشارتها بالمولود المبارك عيسى بن مريم رسول الله .

3 ـ استغراب مريم حصول الولد منها وهي التي لم تتزوج بعد . وإجابة الملاك لها بأن الله على كل شيء قدير . ونتذكر هنا قول يوحنا المعمدان وهو يوبخ قومه مدللاً على قدرة الله تعالىٰ : « لا تقولوا إن أبانا هو إبراهيم ، أقول لكم إن الله قادر على أن يخرج من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم »[1] .

فالذي يؤمن على بقدرة الله على خلق أولاد لإبراهيم من الحجارة يؤمن بأن الله قادر على أن يخلق من مريم ابنها المسيح دون واسطة أو رجل .

4 ـ أخبرها الملاك بأن ولادة المسيح ستكون بدون أب . وهذه الولادة هي بحدِّ ذاتها معجزة من المعجزات الباهرة ورحمة من الله لبني إسرائيل وتذكير لهم بقدرة الله تعالى التي لا يحدها ولا يقف في وجهها قانون .

5 ـ عندما شعرت السيدة مريم باقتراب الوضع والروايات تذكر أن عمرها كان قريبًا من أثنتي عشرة سنة . خرجت من الهيكل إلى البساتين تمشي على غير هدًى حتى ألجأها المخاض إلى جذع النخلة فجلست تحتها ، وهي في وضع لا تحسد عليه وعندها تمنت الموت . ولم تمض لحظات حتى ولدت وسمعت الغلام الوليد يتحدث معها . فهدأت نفسها واستعادت رباطة جأشها واستسلمت لأمر الله . وطلب منها الغلام أن تهز شجرة النخل المستندة عليها ليتساقط عليها التمر والرطب الجني والشهي . وكذلك فإن الله أجرىٰ نبع ماء بقربها فأكلت وشربت واستعادت قوتها وعزيمتها . ومضت إلى أهلها تحمله . وقد أوصاها الغلام بأن لا تتحدث مع أي إنسان . وإذا كلمها شخص ما فلتشر إليه بأنها صائمة عن الكلام وكان الامتناع عن الكلام أحد العبادات المعروفة عند بني إسرائيل .

6 ـ استغراب قومها وهم اليصابات خالتها وزكريا زوج خالتها ويوسف النجار ابن خالها وزوجته مريم بنت كلوبا والتي ورد اسمها (مريم أخت مريم) وباقي الأقرباء والجيران وكان الحاضرون كثيرين لقلقهم على غيابها . جمعهم الله في بيت زكريا ليشهدوا ببراءة السيدة مريم وليروا المعجزة التي لـم تذكرها الأناجيل . وهي كلام المسيح في المهد وكان والد ووالدة مريم متوفيين . إلا أن مريم كانت تتمتع بمحبة الجميع للنور الظاهر في محياها ولتقواها وللبركة التي لمسها منها جميع من عرفها . ولذلك قالوا لقد رأينا شيئًا عجيبًا ولا يصدق فأمك يا مريم طاهرة وأبوك من الأتقياء الصالحين ، ولم يعرف عن أجدادك أو جداتك ما يغمزون به فكلهم من النسل الطيب الطاهر من نسل نبي الله هارون .

7 ـ لم تتكلم مريم كما أوصاها ابنها بل أشارت إليه فزاد عجبهم وقالوا هل نكلم طفلاً رضيعًا في مهده فأعلمهم المسيح عن نفسه قائلاً :

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۞ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۞ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۞

---

(1) لوقا فصل : 3 : 8 .

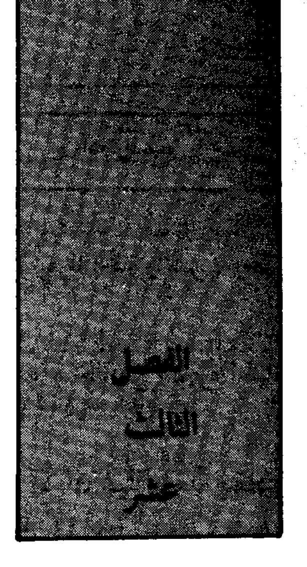
وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[1] .

8 ـ اختلف المسيحيون في تحديد طبيعة المسيح فالذين ألهوا المسيح وجعلوه إلهًا و ابن إله متأثرين بالديانة اليونانية القديمة فهم الظالمون الغارقون في الكفر والضلال .

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] :

(1) سورة مريم : الآيات من 30 حتى 36 .

(2) سورة المائدة : آية 17 .



بين آدم والمسيح

يوجد أكثر من مناسبة تجمع بين المسيح وآدم فإنجيل لوقا[1] يذكر أن المسيح من أحفاد آدم وأن آدم هو ابن الله موافقًا بذلك أقوال اليونانيين أن البشر هم أبناء الله . وأن الله هو أبٌ لجميع البشر . وهذا يتعارض مع نصوص القرآن الكريم .

﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝** ﴾[2] .

ويقرر القرآن التشابه بين خلق آدم وخلق المسيح عيسى بن مريم .

﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝** ﴾[3] .

وقد خُلق آدم من تراب الأرض التي نعيش عليها .

« وأن الرب الإله جَبَلَ الإنسان ترابًا من الأرض ونفخ في أنفه فصار الإنسان نفسًا حيةً »[4] .

وأسكن الله أدم الجنَّة شرقي عدن . وهذه الجنة موجودة على الكرة الأرضية وليست في السماء .

﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً . . .** ﴾[5] .

« وأمر الرب الإله الإنسان قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها فإنك يوم تأكل منها تموت موتًا »[6] .

« وفي هذا النص يحدد الله عقوبة أكل الشجرة . ويأكل آدم وحواء من الشجرة .

« ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعيون وأن الشجرة منية للعقل فأخذت من ثمرها . وأكلت . وأعطت بعلها أيضًا معها فأكل »[7] .

---

(1) لوقا الفصل : 3 : 38 .

(2) سورة الإخلاص .

(3) سورة آل عمران : آية 59 .

(4) سفر التكوين فصل : 2 : 7 .

(5) سورة البقرة : من آية 29 .

(6) سفر التكوين فصل : 2 : 17 .

(7) سفر التكوين فصل : 3 : 6 .

ولم يمت آدم ولم تمت حواء فقد كذب الله[1] عليهما وخوفهما من أكل هذه الشجرة حتى لا يعرفا الخير والشر . وحتى لا يتطاولا فيأكلا من شجرة الحياة .

« وقال الرب الإله هوذا آدم قد صار كواحد منا يعرف الخير والشر . والآن لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل فيحيا إلى الدهر »[2] .

ويخاف الله من آدم وقد صار كواحد « منهم » وهنا نجد تعدد الآلهة . ويصبح آدم إلهًا إلا أن شيئًا واحدًا ينقصه ألا وهو الأكل من شجرة الحياة وعندها فإنه يصبح منافسًا قويًا لله وقد يصبح أقوىٰ منه . وهنا لا بد أن يقع صراع بين الله والإنسان . لا يعرف الله عاقبة هذا الصراع . وقد مرَّ معنا كيف أن يعقوب تصارع مع الله في مخاضة يبوق[3] . وكيف أن يعقوب أمسك بالاله المزعوم ولم يطلقه حتىٰ شرط عليه أن يباركه . وحتى يحمي الله نفسه من الإنسان طرده من الجنة وأقام حراسة مشددة على شجرة الحياة .

« فأخرجه الله من جنة عدن ليحرث الأرض التي أُخِذَ منها . فَطُرِد آدم . وأقام الله شرقيَّ جنة عدن الكروبين وبريق سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة »[4] .

وتمضي الأيام والسنون ويأتي المسيح[5] ليقول : « أنا خبز الحياة من يأتيني لا يجع أبدًا ومن يؤمن بي لا يعطش أبدًا »[6] .

« هوذا الخبز النازل من السماء ليأكل منه الإنسان فلا يموت . أنا الخبز الحيّ الذي نزل من السماء من يأكل هذا الخبز يحيا للأبد . والخبز الذي أنا أعطيه هو جسدي الذي أبذله ليحيا العالم »[7] .

« من أكل جسدي وشرب دمي فله الحياة الأبدية »[8] .

ومن هذا الكلام الواضح الذي لا لبس فيه ولا غموض نستنتج أن المسيح هو شجرة الحياة . وبما أن المسيح هو ابن الله فقد خاف أن يأكله آدم فوكل الملائكة الكروبين لحراسته وحراسة الطريق إليه .

ولكن كيف استطاع المسيح « شجرة الحياة » الإفلات من الحراسة المشددة والنزول إلى البشر ليأكلوه وليحصلوا على الحياة الأبدية ؟ وهذا ما لا يرغب به الله ؟

ومن هنا نجد أن غاية المسيحية حسب النصوص الإنجيلية[9] هي تأليه الإنسان ويحصل الإنسان على الألوهية بحلول جسد المسيح ودمه في المؤمن به عن طريق أكل جسد المسيح وشرب دمه . وقد تقبل اليونانيون هذه الفكرة لمشابهتها

---

(1) اتهم اليهود الله بالكذب والندم .

(2) سفر التكوين فصل : 3 : 22 .

(3) سفر التكوين فصل : 32 .

(4) سفر التكوين فصل : 3 : 24 .

(5) المسيح لم يقل تعالوا كلوا جسدي واشربوا دمي إنما قال هذا ـ يوحنا ـ كاتب الإنجيل .

(6) يوحنا فصل : 6 : 35 .

(7) يوحنا فصل : 6 : 50 و 51 .

(8) يوحنا فصل : 6 : 54 .

(9) على الأخص إنجيل يوحنا .

دياناتهم الوثنية . ويمكننا أن نقول إن الدين المسيحي هو من نتائج تأثير الديانة اليهودية في الديانات اليونانية .

ويذكر القرآن خطيئة آدم وتوبته منها وقبول الله منه هذه التوبة . ويحصل آدم على مغفرة الله له . ويعرف آدم أن له عدوًا هو الشيطان يريد أن يغويه ويضلله ويزين له الباطل ويحضه على المعصية .

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۝ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ[1] وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ[2] وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝ ﴾[3] .

وهنا نرى أن القرآن لا يلقي باللوم إلا على آدم فالإسلام لا يعتبر المرأة أداة غواية ، ولا يجعل منها أُلعوبة بيد الحية التي توصف بالحيلة . ثم لماذا تريد الحية الإيقاع بآدم وزوجته . وكلمة الحيلة في هذا النص « وكانت الحية أحيل جميع حيوان البرية »[4] .

ترمز إلى الخبث والشر . وقد عبد اليهود الحية النحاسية التي صنعها موسى وحطمها حزقيا ابن أحاز ملك يهوذا ليبعد اليهود عن عبادتها .

ويبين النص القرآني أن الله قد تاب على آدم وعفا عن خطيئته . وأن نزول آدم إلى الأرض هو لأجل الاختبار والتأهيل وليس تنفيذًا لعقوبة على ذنب اقترفه آدم . فالأرض هي المكان الطبيعي لسكنى آدم لأنه خُلق من ترابها . ووجودنا على الأرض لا يعني أننا اليوم في منفى أو مكان عذاب . والعذاب أو الثواب يكون في الحياة الآخرة بعد أن يحاسب الإنسان على ما اقترفت يداه .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾[5] .

وأما الآلام والعذاب الذي يلاقيه الإنسان في الحياة الدنيا . فلا يقاس مع الذي يلاقيه الإنسان في الآخرة . وقد أوجده الله في الدنيا حتى نعرف معنى الألم والعذاب فنرتدع عن الأعمال السيئة والشريرة . خوفًا ورهبة مما سنلاقيه في الآخرة جزاءً على أعمالنا . وكذلك فإن الفرح والسعادة والسرور واللذائذ التي نتذوقها في الدنيا هي جزء يسير مما سنراه في الآخرة وهو ترغيبٌ لنا وتشجيعٌ على عمل الخير الذي سنلاقي جزاءه في الآخرة .

---

(1) لا يوجد شجرة تدعى شجرة الخلد . إنما اخترعها إبليس ليغوي آدم ويضله .

(2) يوجد تشابه بين القرآن والتوراة لأن مصدرهما واحد ـ ولكن اليهود تلاعبوا بكتبهم .

(3) سورة طه : الآيات من 115 حتى 126 .

(4) سفر التكوين فصل : 3 : 1 .

(5) سورة الزلزلة : الآيتان 7 و 8 .

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ * ﴾[1] .

وقد ظن كثير من الناس أن الله يشبه آدم أو أن آدم يشبه الله . وذلك من النص « وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا »[2] .

وقد ضل كثير من الناس عن الحقيقة بسبب هذا النص ويفسر ابن ميمون[3] بقوله : « المراد من الصورة . الصورة النوعية التي هي الإدراك العقلي لا الشكل والتخطيط »[4] .

أما المسلمون فيفسرون بأن الله خلق آدم على صورتنا ومثالنا نحن الحاليين . نافين التطور وآدم هو الجد الأول للإنسان . أما القرود وأشباه الإنسان فليست من أجدادنا .

وننتقل بعد هذا إلى خلق حواء : « فأوقع الرب الإله سباتًا على آدم واستل إحدى أضلاعه وسدَّ مكانها بلحم وبنىٰ الإله الرب الضلع التي أخذها من آدم امرأة فأتى بها آدم »[5] .

هل كان آدم أبًا لحواء ؟ إذًا فمن هي أم حواء ؟ وعندما تَرِدُ قصة خلق حواء يسكت الجميع معتبرين أنها خلقت بقدرة الله تعالىٰ كما خلق آدم من التراب . ولكن عند الحديث عن مولد المسيح من امرأة يكثر اللغط والهرج والمرج ويبدأ الشك[6] . لم يقل أحد إن حواء ابنة الله . فلماذا يقولون المسيح ابن الله ! إن خلق حواء هو حالة معاكسة لخلق المسيح . فحواء خلقت من آدم بواسطة الانقسام الذاتي . وكذلك المسيح خلق من مريم بلا رجل وما ذلك على الله بعزيز . خالق السموات والأرض ومن فيهن . إن خلق عيسىٰ بهذه الطريقة الفريدة من نوعها كانت ردًا على الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالآخرة . ودليلاً جديدًا على قدرة الله تعالىٰ التي لا تحدها الحدود ولا تقيدها القوانين الطبيعية . لقد تمنى اليهود أن يرسل الله لهم بطلاً اسطوريًا في مولده وأعماله يضاهون به أبطال اليونان والرومان وآلهتهم فاستجاب الله لدعائهم وحقق لهم أمنيتهم وأرسل لهم المسيح . . . فكفروا به .

---

(1) سورة الملك : الآيتان 1 و 2 .

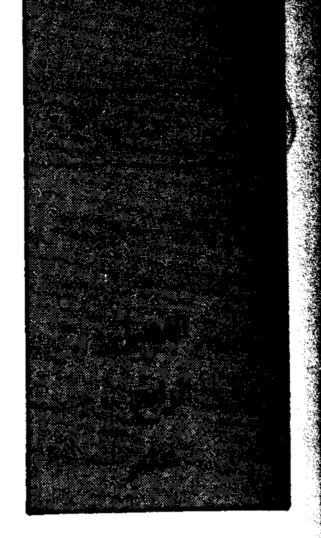
(2) سفر التكوين فصل : 1 : 26 .

(3) موسىٰ ابن ميمون من فلاسفة اليهود العرب .

(4) من كتاب دلالة الحائرين .

(5) سفر التكوين فصل : 2 : 21 و 22 .

(6) اليهود هم الذين يشككون بطهارة مريم .



يحيىٰ بن زكريا[1]

﴿ . . . كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۞ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۞ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ۞ ﴾[2] .

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۞ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۞ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۞ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا[3] ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۞ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۞ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۞ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۞ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ۞ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۞ ﴾[4] .

هذه هي قصة يحيى كما يرويها القرآن ونلمح فيها صورة يحيىٰ قوية واضحة فهو نبيٌّ ابن نبيّ ولد في جو دينيٍّ تقي طاهر . آتاه الله من الصفات والمزايا ما لم يؤت غيره . فهو متمسك بالكتاب بقوة يطبق تعاليم الشريعة دون تهاون أو تساهل . وهو يأمر الناس باتباعها والاقتداء به . بدأ يحيى الوعظ والإرشاد في سن مبكرة في الثانية عشرة من عمره . وكان حديثه بصيغة الآمر الناهي . وكان الناس يخضعون له ويستجيبون لأوامره لهم بالتوبة . وكانت خطبه ومواعظه كالسياط

---

(1) يحيىٰ بن زكريا هو يوحنا المعمدان .

(2) آل عمران : الآيات من 37 حتى 41 .

(3) سميًّا ـ شخصًا باسمه أو مثيلاً له في الأعمال والتقوى .

(4) سورة مريم : الآيات من 2 حتى 15 .

تنزل على ظهور بني إسرائيل فتقودهم إلى التوبة . وكان الناس يتقاطرون إليه ليعمدهم من نهر الشريعة . وكثر أتباعه ومريدوه حتى تخوفت منه السلطة وبدأت تدبر مؤامرة لاغتياله .

كان يحيىٰ زاهدًا متقشفًا ، قويًا في قول الحق لا يخاف إلا من الله وحده ، يندد بالظلم والظالمين ، والمقلدين لليونانيين الذين بدأوا ينحرفون عن عبادة الله إلى عبادة الأوثان ولكنه لم يكن جاف الطباع قاسيًا متعجرفًا كأكثر المتقشفين الكاذبين . كان رقيق الطباع ، دمث الأخلاق ، متواضعًا عطوفًا على الفقراء والمساكين ، على الضعفاء والمنكسرين ، قلبه مليء بالحنان والشفقة على أمه وأبيه برًا بهما يكرمهما ويطيعهما ويراعي شيخوختهما . كان يحيىٰ شبيهًا بالمسيح خلقًا وخُلقًا . فأمه خالة السيدة مريم . وكانا يعيشان في بيت واحد لأن زكريا والد يحيىٰ كان كافلاً للسيدة مريم . وامتهن المسيح النجارة في دكان زوج مرضعته يوسف النجار . أما يحيىٰ فكان يُعِّد نفسه ليخلف أباه في منصبه الكهنوتي . . كانت عائلة مباركة كلهم من الأنبياء المقدسين الأتقياء الطاهرين يتسابقون في العبادات ويتبارون في الطاعات . وكان من المنتظر خلاص بني إسرائيل على أيديهم .

لقد بعث الله هذين النبيين الكريمين والشابين المتحمسين في وقت واحد لإنقاذ بني إسرائيل . ولكن مع الأسف فإن هذين النبيين طلبا من الله إنقاذهما من بني إسرائيل . لقد كانا معروفين جيدًا ولدا بطريقة تدعو للاستغراب وفيها معنى أن الله يفعل ما يشاء . ولكن بنى إسرائيل رفضوهما بل حاربوهما وأسلموهما إلى الموت وهم مرتاحوا الضمير . لقد استمرأ بنو إسرائيل الكفر والعصيان والجري وراء اللذات والمنافع المادية . وبرهنوا لأنفسهم وللعالم أجمع أنهم قوم لا يستحقون الحياة والتكريم . لذلك نزع الله منهم الرسالة وحرمهم الوحي الإلٰهي وأسلمه لقوم يعملون ثماره . وانتقلت الرسالة إلى العرب أبناء إبراهيم و إسماعيل وقيدار . وجاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لينشر دين الله الحق كما جاءت البشارات على لسان إبراهيم وموسى وداود وعيسى وباقي الأنبياء .

وقد جاءت ولادة يوحنا في إنجيل لوقا مشابهة لما ورد في القرآن الكريم ولكنْ لا بد من بعض الزيادات التي سنذكرها ونبين صحتها أو غلطها .

1 ـ يعين إنجيل لوقا زمن ولادة يوحنا بأنه في زمن هيرودس الكبير ملك اليهودية . كما يبين أن الفرق بين حمل مريم والدة المسيح واليصابات والدة يوحنا هو ستة أشهر .

2 ـ إن اليصابات والدة يحيىٰ هي من بنات هارون . وزوجها زكريا هو أيضًا من أولاد هارون لأنه كاهن . ولا يجوز للشخص في الدين اليهودي أن يكون كاهنًا إلا إذا كان من أولاد هارون .

3 ـ جاء في البشارة وصف يوحنا قبل أن يولد وأنه سيكون عظيمًا لدىٰ الرب . ولن يشرب خمرًا أو مسكرًا ويمتلىء من الروح القدس وهو في بطن أمه . ويهدي كثيرًا من بني إسرائيل إلى الله ربهم . وهو يتقدم المسيح وفيه روح إيليا وقوته ليعطف الآباء على الأبناء ، ويرجع العصاة إلى حكمة الأبرار فيعدُّ للرب شعبًا صالحًا .

وهذه البشارة تحوي الأمل الواسع العريض والغد المشرق الباسم . ولكن مع الأسف لم يتحقق منها شيء . فإيليا وسوف نكتب سيرته في الفصل القادم حطم الأصنام وذبح عابديها وكهنتها . بينما يذكر الانجيل بأن هيردوس قطع رأس يوحنا المعمدان . وثانيًا : إنه سيعد شعبًا صالحًا ويرجع العصاة إلى حكمة الأبرار وهذا لم يتحقق أيضًا . وبما أن بشارة الملك تعني أنها بشارة من الله تعالىٰ وبما أن الله علام الغيوب وبما أن البشارة لم تتحقق فمعنىٰ ذلك أن كاتب البشارة قد

اختلقها وكتب على هوىٰ نفسه . خلافًا للواقع والآيات القرآنية التي تصف يحيىٰ بالتقوىٰ والعمل الصالح فقط .

ويولد الطفل يحيىٰ بن زكريا ويتحدث الناس بجميع العجائب والكرامات التي رافقت ولادته ، وينتشر الخبر في جبال اليهودية كلها وكان كل من يسمع بذلك يحفظه في قلبه قائلاً : « ما عسىٰ أن يكون هذا الطفل . فإن يد الرب كانت معه »[1] .

لقد عرف اليهود يوحنا وهو طفل وعلقوا عليه آمالاً كبارًا . وقد قام يوحنا بنشاط ديني وتبشيري واسع .

« في ذلك الزمان ظهر يوحنا المعمدان يعظ في برية اليهودية فيقول : توبوا قد اقترب ملكوت السموات . وإياه عني أشعيا بقوله صوت منادٍ في البرية . أعدوا طرق الرب . واجعلوا سبله مستقيمة . وكان يوحنا يلبس ثوبًا من وبر الإبل وعلى وسطه زنار جلد . وكان قوته من الجراد والعسل البرّي . وكانت تخرج إليه أورشليم وجميع اليهودية وناحية الأردن بأسرها فيتعمدون على يديه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم . ورأى كثيرًا من الصدوقيين والفريسيين يقبلون على معموديته فقال لهم[2] : « يا أولاد الأفاعي من علمكم أن تهربوا من الغضب الآتي ألا أثمروا ثمرًا جديرًا بالتوبة ولا يخطر ببالكم أن تعللوا النفس فتقولوا إن أبانا هو إبراهيم . أقول لكم إن الله قادر على أن يخرج من هذه الحجارة أبناءً لإبراهيم . ها هي ذي الفأس على أصول الشجر فكل شجرة لا تثمر ثمرًا طيبًا تقطع وتلقىٰ في النار . أنا أعمدكم في الماء من أجل التوبة وأما الذي يأتي بعدي فهو أقوىٰ مني . وإني لست أهلاً لأن أحمل نعليه . وهو يعمدكم بالروح القدس والنار . ويأخذ المذرىٰ بيده وينقي بيدره فيجمع قمحه في الأهراء أما التين فيحرقه بنار لا تطفأ »[3] .

وهذه الفقرة بشارة صريحة بالنبيِّ العربي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد بشر يوحنا بملكوت السموات كما فعل المسيح إذ قال كلٌّ منهما : « توبوا قد اقترب ملكوت السموات »[4] .

ولو كان يوحنا يبشر بالمسيح واتباعه ويقصدهم بكلمة ملكوت السموات . لقال المسيح ها قد جاء ملكوت السموات بدلاً من تكرار قول يوحنا توبوا قد اقترب ملكوت السموات فالنبيان الكريمان يبشران بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته التي دعوها بملكوت السموات . أي أن الشعب أصبح محكومًا بشريعة منزلة من الله تعالىٰ . وعندما يأتي نبي فإنه يعرِّف الناس بنفسه ويشرح لهم مهمته كما قال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ **قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** . . . ﴾[5] .

وكان يوحنا المعمدان يهدد اليهود ويقول إذا لم تتوبوا وتتعمدوا بالماء فسيبعث الله محمدًا النبيَّ العربي ليعمد بالروح القدس الذين يؤمنون به وبالنار أولئك الذين يكفرون به . وهذا تهديد عظيم وإنذار خطير . وقد كشف الروح القدس لمحمد خبث اليهود وأعمالهم السيئة وعنادهم فاستأصل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ شأفتهم من الجزيرة العربية قتلاً وتشريدًا .

---

(1) لوقا فصل : 1 : 65 و 66 .
(2) متّى فصل : 3 : 1 حتى 7 .
(3) متّى الفصل : 3 : 7 حتى 12 .
(4) متّى الفصل : 4 : 17 .
(5) سورة الأعراف : آية 158 .

وهذا هو معنى التعميد بالنار . ولا ينطبق هذا القول على المسيح لأن المسيح كان يعمد الناس بالماء كما كان يفعل يوحنا المعمدان .

« ذهب يسوع وتلاميذه بعد ذلك إلى أرض اليهودية فأقام معهم . وأخذ يعمد وكان الناس يأتون فيتعمَّدون لأن يوحنا لم يكن وقتئذ قد ألقي في السجن . وقام جدال بين تلاميذ يوحنا وأحد اليهود في شأن الطهارة فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له : رابي هوذا الرجل الذي كان معك عبر الأردن وشهدت له[1] يعمد ها هنا ويذهب إليه جميع الناس . فأجاب يوحنا : ليس لأحد أن يأخذ شيئًا لم تعطه إياه السماء[2] »[3] .

وهنا نجد أن المسيح لم يعمد بالروح القدس أو النار وإنما عمدَّ بالماء . ويقول يوحنا المعمدان وأما الذي يأتي بعدي فهو أقوىٰ مني . وهنا نذكر بأنه لو كان يبشر بالمسيح لقال وأما المسيح فهو أقوىٰ مني . فلماذا يحدد بالذي يأتي بعده الذي يأخذ المذرىٰ وينقي بيدره فيجمع قمحه في الاهراء وأما التين فيحرقه بنار لا تطفأ .

وفي هذه الجملة تهديد بأن الإنسان السيء سوف يحرق بيد الذي سيأتي بعد يحيىٰ . فماذا فعل المسيح ؟ ولمن أحرق ؟ ولمن استبعد ؟ وهو على زعمهم عُذِّب وأُهين وصُلب .

وتسأل الجموع يوحنا المعمدان وتستهديه عن الطريق الذي يجب أن يسلكوه لينالوا المغفرة .

« فقال : من كان لديه ثوبان فليقسمهما بينه وبين من لا ثوب له . من كان لديه طعام فليعمل كذلك . وأتاه بعض العشارين ليعتمدوا على يده فقالوا له : يا معلم ماذا نعمل ؟ فقال لهم لا تجبوا أكثر مما فرض لكم . وسأله أيضًا بعض الجنود : ونحن ماذا نعمل ؟ فقال لهم : لا تظلموا أحدًا ولا تفتروا الكذب على أحد واقنعوا بأرزاقكم »[4] .

وعندما ترغب الجموع بالتوبة والرجوع إلى الله يبين لهم يوحنا أن التوبة ليست لفظًا يُنطق به أو اغتسالاً بل هي عمل صالح ومشاركة للآخرين . فمن كان له ثوبان فليعط أحدهما من لا ثوب له . ومن كان له طعام فليقسمه أيضًا أما العشارون والجنود فلم يطلب منهما التمرد والعصيان على الحكومة . أو ترك وظائفهم والاشتغال بالأعمال الحرة بل طلب منهم رفض الرشوة ، وعدم الظلم وافتراء الكذب ، والاكتفاء برواتبهم[5] . وهنا نتبين أن الشعب كان مقسوما إلى قسمين : قسم فقير معدم وقسم آخر غني مُرفّه . لا يُحس بالفقراء وآلامهم . وهناك المفاسد الاجتماعية ـ الرشوة ـ الظلم ـ الاتهامات الكاذبة . أما رجال الدين فكانوا من المرتزقة وعملاء للحكومة التابعة للاستعمار الروماني . ينصرون القوي على الضعيف ويصدرون الفتاوي الخاطئة التي تؤمن لهم حظوة في عين السلطات كانوا عديمي التقوىٰ ضعيفي الإيمان ، يستحلون الحرام ، ويحرمون الحلال ، ورجال الدين هؤلاء هم الذين حكموا على المسيح بالموت مصلوبًا . إن أمّـه تحمل مثل هذه الصفات لا تستحق الحياة ، وهذا ما كان .

---

(1) من سياق الحديث يتبين لنا أن شهادة يوحنا كانت حسنة بالمسيح ولكنها لا تؤهله لأن يقوم بتعميد الناس .

(2) يقصد بكلمة السماء هنا الله . فهو المعطي . والعطاء هنا روحي وليس ماديا . أما الأخذ المادي فيمكن الحصول عليه بالحيلة أو الشعوذة أو القوة أو السرقة .

(3) يوحنا الفصل : 3 : 22 حتى 28 .

(4) لوقا الفصل : 3 : 10 حتى 15 .

(5) ما أشبه اليوم بالبارحة .

وفي النصوص أعلاه نجد يوحنا المعمدان مصلحًا اجتماعيًا ودينيًا ، ولم يكن ثائرًا سياسيًا كما تصوره بعض المصادر .

أما العلاقة بين المسيح و يوحنا المعمدان فيصورها إنجيل متّى كما يلي :

« ثم ظهر يسوع فجاء من الجليل إلى الأردن قاصدًا يوحنا ليعتمد على يده . فجعل يوحنا يمانعه فيقول أنا أحتاج إلى الاعتماد على يديك فكيف تجيء أنت إليَّ . فأجاب يسوع : دع الآن فهكذا ينبغي أن نتم كل بر . فكفّ عن ممانعته . واعتمد يسوع وخرج لوقته من الماء فإذا السموات قد انفتحت فرأى روح الله يهبط كأنه حمامة وتنزل عليه و إذا صوت من السماء يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت »[1] .

أما إنجيل يوحنا فيصور هذه الحادثة بأسلوب آخر :

« وفي اليوم الثاني رأى يسوع آتيا نحوه فقال : هذا الذي قلت فيه يأتي بعدي رجل قد تقدمني لأنه كان قبلي . ولم أكن أعرفه فجئت أعمد في الماء لكي ينجلي لإسرائيل وشهد يوحنا فقال : رأيت الروح ينزل كأنه حمامة فيستقر عليه . ولم أكن أعرفه ولكن الذي أرسلني أُعمد في الماء قال لي إن الذي ترىٰ الروح ينزل عليه فيستقر هو ذاك الذي يعمد في الروح القدس وأنا رأيته وشهدت أنه هو ابن الله »[2] .

من النص الأول نجد أن يحيىٰ يعرف مقدار المسيح وفي نفس الوقت فإن المسيح يعرف مقدار يوحنا المعمدان . لذلك كل واحد منهما طلب أن يتعمد من الآخر . ومن هذا النص نتأكد من تقدم ورئاسة يحيىٰ على المسيح . وفي النص الثاني نجد أن يوحنا لم يعرف المسيح إلا بعد أن نزلت عليه الحمامة . أما لوقا فله رأي يخالف فيه متى و يوحنا و يقرر أن يوحنا يعرف المسيح حتى ما قبل الولادة .

« وفي تلك الأيام مضت مريم تجد السير إلى الجبل إلى مدينة يهوذا . ودخلت بيت زكريا وسلّمت على اليصابات ، فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت اليصابات من الروح القس . فهتفت بأعلىٰ صوتها : مباركة أنت في النساء ومباركة ثمرة بطنك . أني لي أن تأتيني أم ربي . فما إن وقع صوت سلامك في مسمعي حتىٰ اهتز الجنين طربًا في بطني . فطوبىٰ لك يا من آمنت بأن ما بلغها من عند الرب سيتم »[3] .

وقد وقعت هذه الحادثة عندما كانت مريم مخطوبة . فكيف علمت اليصابات بحملها ؟ ونعود إلى إنجيل متى لنجد أن يوحنا لم يعرف المسيح ولم يبشر به ، بل كان يبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

« وسمع يوحنا في السجن بأعمال المسيح فأوفد إليه بعض تلاميذه ليقولوا له : أأنت الآتي أم ننتظر آخر ؟ فأجابهم يسوع : اذهبوا فأخبروا يوحنا بما تسمعون وترون ، إن العمي يبصرون ، والكسحان يمشون ، والبرص يبرأون ، والصم يسمعون ، والموتىٰ يقومون ، والفقراء يبشرون ، وطوبي لمن لا يشك فيَّ . فلما انصرفوا أخذ يسوع يقول للجموع في شأن يوحنا : ماذا خرجتم إلى البرية تنظرون : أقصبة[4] تهزها الريح بل ماذا خرجتم ترون ؟ أرجلاً يلبس الثياب الناعمة ؟ ولكن

---

(1) متى الفصل : 3 : 13 حتى 17 .

(2) إنجيل يوحنا الفصل : 1 : 30 حتى 34 .

(3) لوقا فصل : 1 : 39 حتى 45 .

(4) وردت قصبة في بعض الأناجيل بمعنىٰ نبتة خضراء . ونحن نرىٰ أن المسيح يقصد بها نايا أو مزمارا .

الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في قصور الملوك . بل لماذا خرجتم ألكي ترون نبيًا ؟ أقول لكم أجل بل أكرم[1] من نبيّ . فهذا الذي كتب في خبره ، ها أنذا أرسل رسولي قدامك . ليعد الطريق أمامك وقال المسيح جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فقالوا إن به مسًا من الشيطان ، وجاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فقالوا هوذا رجل اكدل سكير صديق للعشارين والخاطئين بيد أن الحكمة زكّتها أعمالها »[2] .

وتحليلاً لهذه الفقرة مع مقارنتها بالفقرات السابقة نقول :

إن يوحنا المعمدان من أقرباء المسيح ويعرفه جيدًا . ويعرف قصة مولده الخارق للمألوف . وقد جاءت حادثة هبوط الحمامة عليه لتؤكد هذه المعرفة وتوثقها . فإذا جاء تلاميذ يوحنا ليسألوا المسيح أأنت الآتي أم ننتظر آخر ؟ فمعنىٰ ذلك أن يوحنا المعمدان كان يبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم . وأن أوصاف محمد كما ذكرها يوحنا لا تشابه أو تنطبق على المسيح . لذلك شك التلاميذ هل المسيح هو الذي كان يبشر به يوحنا ؟ أم أنه كان يبشر بإنسان غيره ؟ وكان المفروض على المسيح أن يقول لتلاميذ يوحنا وبصراحة الأنبياء المعهودة . نعم أنا هو من تبحثون عنه . وعليكم اتباعي وملازمتي بعد فقدكم لمعلمكم . ولكن إجابة المسيح تبين أن عمله لا يزيد عن عمل طبيب ناجح في مستشفىٰ خيري ، فهو يشفي المرضىٰ ويمشّي الكسحان . وانصراف تلاميذ يوحنا عن المسيح وعدم ملازمتهم له يدل على أنه ليس الشخص المطلوب الذي تنتظره كل قبائل الأرض . ويقول المسيح للجموع التي جاءت لتستمع إلى مواعظ يوحنا المعمدان[3]، موبِّخا لهم لافتًا أنظارهم إلى المسؤولية التي عليهم أن يحملوها دون تهاون أو تراخ سائلاً إياهم هل خرجتم إلى البرية لتروا حفلة موسيقية ؟ أم جئتم لتتفرجوا على أحدث موضات الأزياء ؟ لقد خرجتم لتروا نبيًا وتستمعوا إلى تعاليمه ثم تطبقوها . ويستطرد المسيح فيقول لقد كان يوحنا المعمدان من كرام الأنبياء[4] . وهو هنا يبين للجماهير المكانة الروحية العالية ليوحنا ويشهد له بأنه من الأنبياء . وهذه مرتبة لا تعلوها إلا مرتبة الألوهية .

ويؤكد إنجيل يوحنا معرفة يوحنا المعمدان لعيسى بن مريم إذ يقول :

« هو ذاك الذي يعمد في الروح القدس وأنا رأيته وشهدت أنه هو ابن الله »[5] .

ونتساءل إذا كان يوحنا يعرف المسيح ويقصده بأقواله فلماذا يرسل إليه تلاميذه ليستوضحوه أأنت الآتي . أم ننتظر آخر .

« وكان يوحنا في الغد قائمًا هناك ومعه اثنان من تلاميذه فنظر إلى يسوع وهو قارٌّ ثم قال : هوذا حمل الله . فسمع التلميذان كلامه فتبعا يسوع . فالتفت يسوع فرآهما يتبعانه فقال لهما : ماذا تريدان . قالا له : رابي (أي يا معلم) أين تقيم ؟ فقال لهما : هلمّا فانظرا . فذهبا ونظرا أين يقيم . فأقاما معه ذلك اليوم . وكانت الساعة نحو العاشرة . وكان اندراوس

---

(1) لا يوجد أكرم من نبيّ أفضل منه . وترجمة هذه العبارة غير سليمة والأصح نبيٌّ كريم .

(2) متّى فصل : 11 : 2 حتى 10 و 18 ـ 19 .

(3) كان المسيح يقوم بإلقاء المواعظ عند غياب يوحنا . وعند سجنه استلم المسيح رئاسة التلاميذ وتوجيههم . وقد كان المسيح ويوحنا متلازمين دائمًا يقومان بهداية الناس معًا .

(4) لا يوجد بين البشر رتبة أعلى من رتبة النبيّ .

(5) إنجيل يوحنا فصل : 1 : 34 .

أخو سمعان أحد اللذين سمعا الكلام من يوحنا ، فتبعا يسوع . ولقي عند الصباح أخاه سمعان فقال له : وجدنا ماشيما أي المسيح . وجاء به إلى يسوع فنظر إليه يسوع وقال أنت سمعان بن يونا وستدعىٰ كيفا (أي صخرا) »[1] .

وهنا نرىٰ أن يوحنا دعىٰ المسيح بحمل الله وهناك فرق كبير بين حمل الله وابن الله . والحمل هنا هو رمز للطيبة والوداعة . ويرمز أحيانًا لمسلوبي الإرادة عديمي التفكير[2] . والمسيح نفسه يقول أنا الراعي الصالح[3] . وهناك فرق بين الراعي والحمل ويكمل المسيح موعظته التي ألقاها على الجموع . مبينًا حال الشعب اليهودي وسيرته مع الأنبياء . فبدلاً من أن يطيعوا أوامرهم ويقتدوا بأعمالهم نراهم يوجهون الانتقادات المُرة لهؤلاء الأنبياء معبرين عن عدم إعجابهم ورضاهم عنهم . فهذا يوحنا به مسٌ من الشيطان وذاك المسيح رجل أكول سكير صديق العشارين والخاطئين . وهذه الفقرة من الموعظة شكوى مُرة ويأس كبير من هداية بني إسرائيل علمًا بأن المسيح لم يكن أكولاً بل كان كثير الصيام . وإنسان أكول وسكير لا يصبر على الصيام أربعين يومًا متواصلة . وإنسان سكير غير أهل لمناجاة الله تعالىٰ وتلقي الرسالة منه . وقد مُنع الكهنة من شرب الخمر .

« لا تشرب خمرًا ولا مسكرًا أنت وبنوك عند دخولكم خباء المحضر لئلا تهلكوا رسم أبدي على ممر أجيالكم »[4] .

فكيف يمكن لنبي ورسول أن يبلغ رسالة ربّه وهو سكران ؟ وقد ورد في موضع آخر من الإنجيل أن المسيح سوف يدين الأحياء والأموات . ونتساءل كيف سيحاسب المسيح أصدقاءه الذين كان يسكر معهم ؟ وأظن أنهم سيقولون دعك من الحساب والعتاب وهات الكأس والطاس لنشرب من خمر عمك قرطاس[5] .

ونحن لا نستغرب هذه الصفات والأعمال والأقوال الملفقة على المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فقد قال اليهود على أجداده كلامًا أسوأ من هذا بكثير .

ونعود إلى حادثة اعتماد المسيح على يد يوحنا لنقول إن الصوت الآتي من السماء عند نزول الحمامة[6] . مأخوذة نصها عن نبوءة أشعيا بعد تحريفها بما يلائم المناسبة . وإتمامًا للفائدة فإننا نورد نص النبوءة أو البشارة التي أطلقها النبيّ أشعيا والتي لا تنطبق إلا على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم الأنبياء والمرسلين :

« 1 ـ هوذا عبدي الذي أعضده . مختاري . الذي سرت به نفسي قد جعلت روحي عليه فهو يبدي الحكم للأمم .

2 ـ لا يصيح ولا يُجلب ولا يسمع صوته في الشوارع .

3 ـ قصبة مرضوضة لا يكسر وكتانًا مدخنًا لا يطفىء . يبرز الحكم بحسب الحق .

4 ـ لا يني ولا ينكسر إلى أن يجعل الحكم في الأرض فلشريعته تنتظر الأمم .

---

(1) إنجيل يوحنا : 1 : 35 حتى 42 .

(2) يستحسن الرجوع إلى الفصل التاسع والمقارنة بين المسيح حمل الله وديونيسوس ابن الإله الذي قُلب إلى ماعز .

(3) إنجيل يوحنا فصل : 10 : 11 و 14 .

(4) سفر الاحبار فصل : 10 : 9 .

(5) عرق قرطاس من الخمور المشهورة .

(6) لم يقل الإنجيل من الذي تكلم بالصوت كما لم يذكر من هؤلاء الذين سمعوا الصوت .

5 ـ هكذا قال الرب خالق السماوات وناشرها باسط الأرض مع ما ينبت فيها الذي يعطي الشعب عليها نسمة والسالكين فيها روحًا .

6 ـ أنا الرب دعوتك لأجل البر وأخذت بيدك وحفظتك وجعلتك عهدًا للشعب ونورًا للأمم .

7 ـ لكي تفتح العيون العمياء ، وتخرج الأسير من السجن والجالسين في الظلمة من بيت الحبس .

8 ـ أنا الرب وهذا اسمي ولا أعطى لآخر مجدي ولا للمنحوتات حمدي .

9 ـ الأوائل قد أتت فأنا أخبركم بالمحدثات وأسمعكم بها قبل أن تنبت .

10 ـ انشدوا للرب نشيدًا جديدًا . تسبيحة له من أقاصي الأرض . ياها بطي البحر . ويا ملأه ويا أيتها الجزر وسكانها .

11 ـ لتنشد البرية ومدنـها والحظائر التي يسكنها قيدار . وليرغم سكان الصخرة وليهتفوا من رؤوس الجبال .

12 ـ ليؤدوا المجد لله . ويخبروا بحمده في الجزائر .

13 ـ الرب كجبار يبرز وكرجل قتال يثير غيرته ويهتف ويصرخ ويظفر على أعدائه .

14 ـ طالما سكت وصمت وضبطت نفسي فالآن أصبح كالتي تلد وأنفخ وأزفر .

15 ـ أضرب الجبال والتلال وأيبس كل عشبها وأجعل الأنهار يبسا واجفف الغدران .

16 ـ وأسير العمى في طريق لم يعرفوه وأسلكهم مسالك لم يعهدوها وأجعل الظلمة نورًا أمامهم والمتأودات مستقيمة . هذه الأمور سأصنعها ولا أخذلهم .

17 ـ قد ارتد إلى الوراء المتوكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا وخزوا خزيًا .

18 ـ أيها الصم اسمعوا ، أيها العُمى انظروا وابصروا .

19 ـ من أعمى إلا عبدي[1] أو أصم كرسولي[2] الذي أرسلته . من أعمى كمسالمي ومن أعمى كعبد الرب .

20 ـ تنظر أمورًا كثيرة ولا تلاحظها . يفتح أذنيه ولا يسمع .

21 ـ كانت مرضاة الرب ببره وبأن يعظم الشريعة ويكرمها .

22 ـ لكنه شعب منهوب مسلوب . قد اصطيدوا كلهم في الحفر وخبئوا في بيوت الحبس صاروا نهبًا وليس من ينقذ وسلبًا وليس من يقول اردد .

23 ـ من منكم يصيخ لذلك ويصغى ويستمع لما سيأتي .

24 ـ من جعل يعقوب سلبًا و إسرائيل نهبًا . أليس الرب الذي خطئنا إليه لأنهم أبوا أن يسلكوا في طرقه ويسمعوا شريعته .

25 ـ وصبَّ عليهـم ضرام غضبه مع شدة القتال فألهبة من كل جهة ولم يعلم وأحرقه ولم يخطر له ببال »[1] .

وفيما يلي شرح كلمات ومعاني نبوءة أشعيا .

(1 و 2) عبدي ورسولي : أولاد يعقوب الذين اختصهم الله برسالة التوحيد .

(3) نبوءة أشعيا الفصل : 42 .

1 ـ عبد الله هو لقب من ألقاب محمد صلى الله عليه وسلم .

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ . . . . ﴾[1] .

وأما المسيحيون فيرفضون أن يكون المسيح عبدًا لله . و إنما يدعونه ابنًا . وقد ذكرت الأناجيل أن الصوت الآتي من السماء قال هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت . فصوت من هذا ؟ هل هو صوت الله ؟ وبأية لغة قيل هذا الكلام ؟ ومن الذي سمعه ؟ ومن الذي نقله ؟ وقد اختلفت رواية متّى عن رواية مرقس ولوقا . فالخطاب لمتّى بالصيغة التالية : « هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت »[2] . وفي هذه الرواية نجد أن الصوت يخاطب انسانًا غير المسيح أو يخاطب جمهورًا ويُعرِّفهم بالمسيح . أما رواية مرقس : « أنت ابني الحبيب الذي عنه رضيت »[3] فهو خطاب من الصوت إلى المسيح وهنا فإن المسيح لا يعرف نفسه ولا ابن من هو فيقول له الصوت في إنجيل لوقا : « أنت ابني الحبيب عنك رضيت »[4] وهذا الخطاب مشابه لخطاب مرقس . أما إنجيل يوحنا فيجعل يوحنا هو الذي رأى وسمع وشهد « وأنا رأيته وشهدت أنه هو ابن الله »[5] ولكن يوحنا يذكر هنا أنه لم يستدل على المسيح بسبب الصوت الآتي من السماء . ولكنه رأى الروح يستقر عليه . وأما معنى كلمة أعضده : فتعني الدعم والتأييد . وعند المسلمين فإن الله تعالىٰ أيد المسيح بروح القدس . أما عند المسيحيين فإن الله تخلىٰ عن المسيح وخذله عندما قبض عليه أعداؤه . وشرَّبه من كأس لم يرغب المسيح بشربها بل دعىٰ الله عدة مرات أن يصرفها عنه فلم يستجب له الله وشرَّبه إياها رغمًا عن أنفه حتى الثمالة . وأما الدعم والتأييد والنصر الذي لاقاه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حياته كلها فهو موجود في القرآن الكريم . وقد أمد الله رسوله والمؤمنين بالملائكة تسعدهم وتنصرهم على أعدائهم . وقد لقبت الأناجيل محمدًا بالمويد[6]

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝ ﴾[7] .

وجميع الأنبياء هم من المصطفين الآخيار . ومن أسماء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المصطفىٰ المختار . وأما معنى قوله قد جعلت روحي عليه فهو يبدي الحكم للأُمم . فهو أن عبد الله المختار الذي سرت به نفس الله سيتلق من الله الوحىٰ بواسطة جبريل الذي يُنَزِّل عليه أحكامًا وشرائع تخص جميع الأمم والشعوب . وهذه الفقرة لا تنطبق إلا على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما المسيح فلم يرسل بشريعة أو أحكام وكان رسولاً خاصًا ببني إسرائيل ولم يُبشّر غيرهم .

---

(1) سورة الإسراء : من الآية 1 .

(2) متىَّ فصل : 3 : 17 .

(3) مرقس فصل : 1 : 11 .

(4) لوقا فصل : 3 : 22 .

(5) إنجيل يوحنا فصل : 1 : 34 .

(6) إنجيل يوحنا ، الفصول : 14 ، 26 ، 15 ، 26 ، 16 ، 7 .

(7) سورة التوبة : الآيتان 25 و 26 .

2 ـ كان النبيُّ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثال الإنسان المهذب صاحب ذوق رفيع . وكانت توجهيات النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالتزام الهدوء وعدم صنع الجلبة والضوضاء والأصوات العالية والشاذة . وأحاديث النبي خير شاهد على تعاليمه تلك . وقد وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] .

ويوجه القرآن المسلمين للأخلاق الفاضلة والتهذيب العالي ولنسمع محاورة بين لقمان الحكيم وابنه إذ يقول له : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ[2] خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[3] .

3 ـ القصبة المرضوضة تعني الطفل اليتيم والعبد الرقيق والأرملة الحزين . وكل إنسان فقد من يُعزه ويقويه وأصبح ضعيفًا في المجتمع . وهنا فإن النبيَّ صلى الله عليه وسلم إنسان رقيق وحنون ومتعاطف مع المساكين يمد لهم يد العون . وهو ليس بجبار يسحق الآخرين . وقد شبّه أشعيا الفقراء وذوي الحاجة بلهب مصباح زيتي فتيلته من الكتان وهي تدخن دليلاً على نفاذ الزيت من المصباح . ويأتي النبيُّ الكريم فلا يسمح لهذا الكتان المدخن بالانطفاء بل يمده بالزيت اللازم . أي يساعد الفقراء والمحتاجين ويعطيهم ما يقويهم ويرجعهم إلى الحياة بعد اقترابهم من الموت جوعًا وهزالاً . وقد فرض الإسلام الزكاة مساعدة مالية يقدمها الأغنياء للفقراء .

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[4] .

وفي تفسير آخر لهذه الفقرة فإن القصبة المرضوضة هي كناية عن الكتابات الدينية السابقة والشروح والتفاسير التي تحاول أن تبين الدين للناس وتحثهم عليه ولكنها لا توفق إلى الشيء المقنع الذي يتقبله الناس . وهنا فإن الإسلام لا يرفض هذه الكتابات ولكنه يبرزها بشكلها الصحيح وبلهجة فصيحة ومقنعة . وهو لا يكسر هذه الأقلام بل يجبر رضّها . ويدافع عن الحق الذي كتبته هذه الأقلام . وأما الكتان المدخن فهو كناية عن مشاعل النور والهداية التي بدأت تخبو لعدم وجود ما تستمد منه أنوارها فكما قال المسيح لتلاميذه أنتم نور العالم فإن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاء ليمد مشاعل الهداية هذه بالنور الإلهي لكي تستمر ولا تنطفىء .

وأما إبراز الحكم بحسب الحق فمعناه تبيان وكشف الأحكام التي أخفاها أو اختلف عليها بنو إسرائيل والمسيحيون .

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[5] .

---

(1) سورة ن : آية 4 .
(2) لا تصعّر خدّك : لا تتكبر على الناس .
(3) سورة لقمان : الآيات 17 و 18 و 19 .
(4) سورة الضحىٰ : الآيات 19 حتى 11 .
(5) سورة المائدة : الآيات 15 و 16 .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ[1] ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ ﴾[2] .

4 ـ ثابت العزم ، لا يتراجع ، لا يفقد الأمل والشجاعة حتى يُبَلِّغ رسالة ربه . ويوطد دعائم الحكم ، وينشر الشريعة الإسلامية التي تنتظرها كل الأمم والشعوب . ولنذكر هنا بأن لا أحد من الأنبياء بعد موسىٰ ذكر بأنه أتى بشريعة جديدة بل جميع الأنبياء كانوا على شريعة موسىٰ . حتى المسيح صرح أنه لم يأت لينقض بل أتى ليكمل . وأوصىٰ تلاميذه بتطبيق التعاليم التي ينادي بها الفريسيون مع تحذيرهم من تقليدهم بالأعمال لأنهم مراؤون .

5 ـ إن هذا الكلام الذي يبشر به أشعيا ليس من عنده بل من عند الله تعالىٰ . رب العالمين خالق السموات والأرضين ، واهب الحياة .

6 ـ أنا الرب دعوتك يا محمد وأمددتك بالقوة وأيدتك بالوحي وحفظتك من الأعداء . وقد قال البوصيري بهذه المناسبة مبينًا حفظ الله لرسوله :

وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأطم

وجاء في القرآن الكريم أيضًا :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ . . . ﴾[3] .

أما المسيح فلم يكن محفوظًا حسب دعاوى الإنجيل . بل أهين وعذب وصلب والمسلمون لا يتفقون مع المسيحيين في هذا بل يقولون إن الله حفظ نبيه ورسوله عيسىٰ بن مريم من أذىٰ بني إسرائيل .

ثم يذكر أشعيا أن الله سيجعل من خلال محمد عهدًا جديدًا لخلاص الشعوب والأمم . وقد ادعىٰ المسيحيون لأنفسهم هذا الشرف فسموا أناجيلهم العهد الجديد . والذي يرجع إلى القرآن يجد أن العهود والمواثيق التي أخذها الله على الأشخاص والشعوب كثيرة نذكر مثالاً عليها . العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۞ ﴾[4] .

وقد نقض اليهود العهود والمواثيق المأخوذة عليهم ، وأول ما نقضوه هو كفرهم بالأنبياء ، بل إنهم قتلوا أنبياء الله وكفروا بهم ، فلعنة الله على الكافرين .

---

(1) تعني دفع الأموال للأقرباء ذوي الحاجة .

(2) سورة النحل : آية 90 .

(3) سورة المائدة : آية 67 .

(4) سورة المائدة : آية 12 .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ . . . ﴾[2] .

وأما العهد بين الله والمسلمين فهو عهد لا يخص شعبًا من الشعوب ولا أمة من الأمم بل هو عامٌ لجميع البشر . ولذلك قال أشعيا جعلتك عهدًا للشعوب ونورًا للأمم . وهذا العهد لا يختلف عن العهود التي وعدها الله بني إسرائيل أو تعهدها للنصارىٰ لذلك فالإسلام دين عالمي . يجعل من البشرية جمعاء أسرة واحدة ولغةً واحدة .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * ﴾[3] .

7 ـ هذه الفقرة ترمز إلى الإنقاذ الروحي والإنقاذ المادي سيقوم به محمد ففتح العيون العمياء يرمز إلى تبصير الناس وتنويرهم . بعد أن كانوا متخبطين في ظلام الجهل والضياع . ومهمة الأنبياء هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور ـ أي من العمىٰ إلى الإبصار .

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ . . . ﴾[4] .

أما الذين أطلق الإسلام سراحهم وأخرجهم من ظلمات السجون . فهم عملاء الحكم الفارسي الذين تعاونوا معه أثناء احتلاله لبلاد الشام . ولما عاد الاستعمار الروماني إلى هذه البلاد سجن الزعماء السياسيين والدينيين الممالئين للفرس لذلك دعوا بالأسرىٰ لأنهم مسجونون ولكن لأسباب سياسية أو محبوسون لأسباب دينية .

9 ـ إن ما ذكرناه من العلاقات والصفات والتي تبشر بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وردت على لسان الأنبياء قبل أشعيا أما ما سيورده بعد هذه الفقرة فهو علامات و إشارات جديدة .

10 ـ النشيد الجديد هو الدين الجديد وسيسمع التسبيح لله من أقاصي الأرض .

11 ـ أما البرية فهي صحراء العرب وأما قيدار[5] فهو جد النبي العربي ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ وسكناه في بلاد الحجاز . وأما سكان الصخرة فهم أهالي مكة ودعيت الكعبة بالصخرة لأنها تشبه صخرة سوداء عظيمة . وأما الهتاف من أعالي الجبال فهو نشيد الحجاج في جبل عرفات وهم يهللون ويكبرون .

(1) سورة النساء : آية 155 .

(2) سورة المائدة : آية 13 و 14 .

(3) سورة التوبة : الآيتان 111 و 112 .

(4) سورة إبراهيم : آية 1 .

(5) سفر التكوين فصل : 25 : 13 .

13 ـ تبين هذه الفقرة أن أمة محمد هي أمة مجاهدة والنصر يتقدمها بتأييد الله .

14 ـ مرّت فترة طويلة من الاضطهاد الديني . وقد حانت ساعة الانتقام بميلاد الدين الجديد وعلى يد المؤمنين الجدد . الذين طردوا الاستعمارين الروماني والفارسي في وقت واحد .

15 ـ الجبال والتلال والغابات[1] هي مراكز للعبادات الوثنية الداعرة التي كانت تمارس في فلسطين ولبنان . وقد جاء الإسلام يمحوا آثار هذه العبادات ذات الاحتفالات الإباحية الماجنة . أما نار الفرس والأنهار والغدران فهي أيضًا من الأماكن المقدسة وكان جفافها من إرهاصات النبوة المحمدية . وقد قال البوصيري في هذه المناسبة يصف الأنهار والبحيرات وخاصة بحيرة ساوة التي كانت من مراكز العبادات الوثنية .

والنار خامدة الانفاس من أسفٍ عليه[2] والنهر ساهي العين من سدم

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ورد واردها بالغيظ حين ظمي

16 ـ العمي هم العرب الذين اهتدوا بنور الإسلام . فسهّل الله أمامهم الصِّعاب ، ونصرهم الله في كل مجال ولم يخذلهم ولم يتخل عنهم إلا في هذه الأيام بسبب تخليهم عن دينهم وشريعة ربهم . وهذه الفقرة بشارة بفتح المسلمين للبلاد شرقًا وغربًا .

17 ـ أما عابدوا الأصنام فلم يعد لهم وجود في بلاد العرب والإسلام وأخزاهم الله ونكّس أعلامهم ، وحطم أصنامهم ، خاصة عند فتح مكة وما بعدها .

18 ـ يخاطب هنا النبي أشعيا بني إسرائيل فيصفهم بالعمى والصم الذين لا علاج لهم والذين لا يوجد لهم مثيل . وقد قال فيهم البوصيري :

عموا وصموا فإعلان البشائر لم تسمع وبارقة الإنذار لم تُشم

19 ـ حتى أولئك الذين يعبدون الله منقطعين إليه في الصوامع والبراري والأديرة يرفضون نشيد الإيمان الجديد ولا يرون النور فهم عميان عن الحقيقة لتعصبهم وجمود أفكارهم . وهم يحسبون أن الطريق الذي يمشون فيه هو الطريق الوحيد الذي سيوصلهم إلى الله . ولكنهم نسوا لو أن البشرية جمعاء اقتدت بهم لتعطلت الأعمال ووقف التقدم وتراجعت الإنسانية إلى الوراء . وقد جُعلت رهبانية الإسلام في الجهاد والحركة . عكس السكون والمسالمة التي انتهجها عُبّادُ بني إسرائيل ومن بعدهم رهبان النصارىٰ .

20 ـ 25 ـ يبين الجمود الروحي والفكري لدى بني إسرائيل ، وابتعادهم عن تطبيق الشرائع التي جاء بها موسى . وهم لا يتعظون بالحوادث والكوارث التي جلبتها عليهم معاصيهم ، لذلك فهم لا يستحقون الحياة وأن الله غاضب عليهم .

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ[3] مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ

---

(1) سفر الملوك الثالث الفصل : 14 : 23 .

(2) الضمير في كلمة عليه تعود على إيوان كسرىٰ والذي سقطت منه أربع عشرة شرفة عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم . وقد تحدث المسيح عن هذه الأحداث في إنجيل مرقس فصل : 13 : 7 .

(3) هذه الآية تبين أن اليهود سيستأسدون بعد ذلتهم وذلك بأن الله سيمدهم في طغيانهم وسيساعدهم أناس آخرون وقد تحققت هذه الآية وهذه دول الغرب المسيحي تمد يد المساعدة بالمال والسلاح لليهود . ولكن هذه الحال لن تدوم . وستكون فلسطين قبرًا للمعتدين .

ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[1] .

ونعود إلى خطبة السيد المسيح في الجموع والذين أتوا ليستمعوا بعد غياب يوحنا المعمدان في السجن فيذكر لهم المسيح عظمة يوحنا ومنزلته الرفيعة عند الله ولكن في نفس الوقت يبين للناس ويبشرهم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته .

« الحق أقول لكم لم يظهر في أولاد النساء أكبر من يوحنا المعمدان . ولكن أصغر الذين في ملكوت السموات أكبر منه . فملكوت السموات ما زال في جهاد منذ أيام يوحنا إلى اليوم . والمجاهدون يأخذونه عنوة . فقد توالت جميع نبوءات الأنبياء وآيات الشريعة حتى انتهت إلى يوحنا فإذا شئتم أن تصدقوني فاعلموا أنه إيليا الذي يُنتظر رجوعه ، من كان له أذنان فليسمع »[2] .

وقبل أن نكتب النص الأصلي للقسم الأخير من موعظة المسيح نتعجب من قول المسيح عن يوحنا إنه أكرم من نبيّ ثم يقول لم يظهر في أولاد النساء أكبر من يوحنا ثم يردف فيقول ولكن أصغر الذين في ملكوت السموات أكبر منه . ونسأل إذًا من هو الأكبر في ملكوت السموات ؟ ويجيبنا متّى عن هذا السؤال بجواب مفحم لا يقبل الجدل أو المناقشة .

« الحق أقول لكم إن لم تعودوا مثل الأطفال لا تدخلون ملكوت السموات . فمن وضع نفسه وصارت مثل هذا الطفل فذاك هو الأكبر[3] في ملكوت السموات »[4] .

ولا نريد التعليق على كلمات متّى بل نترك ذلك للقارىء اللبيب ونتجه إلى إعادة صياغة القسم الأخير من موعظة المسيح والتي ذكر شراح الأناجيل أن هذه الآية صعب[5] تفسيرها لما تحوي من غموض ولعدم وضوح معنى ملكوت[6] السموات في أذهان المفسرين والشراح . وقبل أن نكتب النص نبين معناه كما يلي :

أراد المسيح أن يبين للجموع مكانة المسلمين وعظيم أجرهم عند الله تعالىٰ . ويحدد في هذا النص موعد دخول المسلمين إلى القدس وافتتاحها عنوة . وهذا المقدار يعادل عمر يوحنا المعمدان . ابتداء من تلقي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ للوحي وجهاده ضد المشركين حتى فتح القدس ومقداره أقل من ثلاثين سنة . وهو عمر يوحنا حين سجن . ويصبح النص : الحق أقول لكم لم يظهر في هذا الزمان من أولاد النساء من هو أكبر من يوحنا المعمدان « يستثنى من هذا الكلام المسيح ذاته » ولكن بعض أصحاب محمد أكبر منه . فالمسلمون يقضون في الجهاد مدة تساوي عمر يوحنا إلى اليوم حتى يأخذوا مدينة القدس عنوة وقد توالت جميع نبوءات الأنبياء وآيات الشريعة حتى انتهت إلى محمد . فإذا شئتم أن تصدقوني فاعلموا أنه إيليا[7] الذي يُنتظر قدومه . من كان له أذنان فليسمع .

---

(1) سورة آل عمران : آية 112 .

(2) متّى فصل : 11 : 11 حتى 15 .

(3) ورد في فقرة أخرىٰ أن الأكبر في ملكوت السموات هو من يطبق شريعة موسىٰ والاصغر من يأمر الناس بتركها .

(4) متّى فصل : 18 : 3 و 4 .

(5) الكتاب المقدس شرح وتعليق الأب صبحي حموي والأب يوسف توشاقجي .

(7) ملكوت السموات : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ودولته .

(8) إيليا هو كناية عن محمد لأنهما قاما بتحطيم الأصنام . وذبحا كهنة البعليم . ونجحا في المهمة التي أرسلا من أجلها .

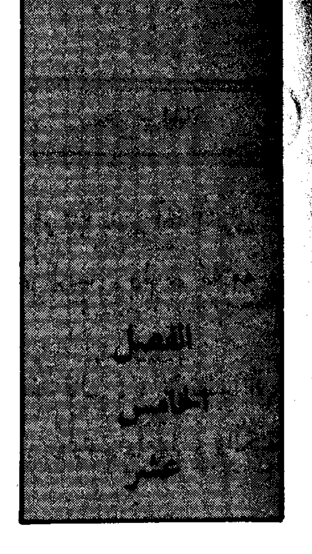
ويسمع المسيح بأن يوحنا المعمدان قد قتل في سجنه وأن السلطات جادةٌ في متابعة تلاميذه . فينتقل بدعوته من اليهودية والبرية إلى الجليل والمدن العشر هربًا من هيردوس انتيباس . ومن هناك يبشر ويعد التلاميذ متخفيًا عن الأنظار لا يقر له قرار ولا تُعرف له دار . يتجول في القرىٰ والمدن الصغيرة بعيدًا عن رقابة السلطة الغاشمة . وهو يبشر بملكوت السموات وبالمؤيد ويقول : قد اقترب ملكوت السموات . منددًا باليهودية مهددًا إياهم إن لم يتوبوا فإن الله سيستبدلهم بأمة أخرىٰ ضاربًا لهم الأمثال قائلاً :

« غرس رب بيت كرمًا فسيَّجه وحفر فيه ، معصرة ، وبنى برجًا ، وآجره بعض الكرامين وسافر فلمّا حان وقت الثمر أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذوا ثمره . فأمسك الكرامون عبيده فضربوا أحدهم وقتلوا غيره ورجموا الآخر . فأرسل عبيدًا سواهم أكثر من الأولين عددًا ففعلوا بهم الفعل نفسه . فأرسل إليهم ابنه آخر الأمر ، وقال سيهابون ابني فلما رأى الكرامون الابن قال بعضهم لبعض : هوذا الوارث هلم نقتله ونأخذ ميراثه . فأمسكوه وألقوه خارج الكرم وقتلوه . فماذا يفعل رب الكرم بأولئك الكرامين عند عودته قالوا يهلك هؤلاء الأشرار شر هلاك ، ويؤجر الكرم كرامين آخرين يؤدون له الثمر في وقته . قال يسوع أما قرأتم في الكتب : الحجر الذي رذله البناؤون قد أصبح رأس الزاوية لذلك أقول لكم . إن ملكوت الله سينزع عنكم ليسلم إلى أمـة تجعله يخرج ثمره فلما سمع الأحبار والفريسيون هذين المثلين أدركوا أنه يعرض بهم في كلامه فحاولوا أن يمسكوه ولكنهم خافوا الجموع لأنهم كانوا يعدونه نبيًا »[1] .

والجملة الأخيرة في هذا النص تبين أن الناس كانوا ينظرون إلى المسيح على أنه أحد الأنبياء ، ولا أكثر . كما تبين أن المسيح هو آخر أنبياء بني إسرائيل وأن النبوة بعده ستنتقل إلى أمة أخرىٰ تجعله يخرج ثمره . وقد كان ما تنبأ به المسيح وظهرت أمة العرب تحمل رسالة السماء لتهديها إلى العالم أجمع .

---

(1) انجيل متّى فصل : 21 : 33 ـ 46 .



من هو إيليا ؟

هذه شهادة يوحنا إذ أرسل اليهود من أورشليم بعض الكتبة واللاويين يسألونه : من أنت ؟ فاعترف غير منكر قال : لست المسيح . فسألوه . فمن أنت إذًا ؟ أأنت إيليا ؟ قال لست إيليا . أأنت النبيّ ؟ أجاب : لا . فقالوا له : من أنت فنحمل الجواب إلى الذين أرسلونا ؟ هلا قلت من أنت ؟ قال : أنا صوت منادٍ في البرية ، قوموا طريق الرب ، كما قال النبيُّ أشعيا . وكانوا رسلاً للفريسيين فسألوه أيضًا : إذا لم تكن المسيح ولا إيليا ولا النبيّ فلم تعمد إذًا ؟ »[1] .

لقد كان اليهود في انتظار أحد ثلاث أشخاص لينقذوهم ويتوبوا على أيديهم وهم المسيح ، إيليا ، النبيّ . أما يوحنا فكان يرفض ذكر لقبه . . فلماذا ؟

لقد كان يوحنا ابن زكريا معروفًا وبشكل جيد . فلماذا يسأل عنه الناس والكهنة ؟ ولنلاحظ بأن السائلين لم يكونوا ليسألوا على الاسم بل كانوا يسألون عن اللقب . فالمسيح و إيليا والنبيّ هي ألقاب وليست أسماء . وجواب يوحنا واضح وصريح . لست المسيح ، لست إيليا ولا النبيّ . ويُعرّف يوحنا عن لقبه بأنه صوت صارخ في البرية .

يوحنا يصرح وبشكل قاطع لست إيليا . وهل يوجد إنسان لا يعرف نفسه . ولكن متّى يؤكد[2] أن يوحنا هو إيليا فأيهما نصدق متّى أم يوحنا ؟

ويشهد على أن إيليا هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبوءة ملاخي .

« اذكروا شريعة موسىٰ عبدي التي أوصيته بها في حوريب إلى جميع إسرائيل رسومًا وأحكامًا . هأنذا أرسل إليكم النبيّ قبل مجيء يوم الرب الرهيب العظيم[3] فيرد قلوب الآباء إلى البنين وقلوب البنين إلى آبائهم لئلا آتي وأضرب الأرض بالابسال »[4] .

والوصية الملقاة على موسىٰ في حوريب هي :

فقال الرب سأقيم لهم نبيًا من إخوتهم[5] مثلك وألقي كلامي في فيه فيخاطبهم بجمع ما آمره به . وأي إنسان لم يطع

---

(1) يوحنا، فصل 1 : 19 حتى 29.

(2) متى، فصل 11 : 19.

(3) يوم القيامة.

(4) نبوءة ملاخي، فصل 4 : 5 : 5.

(5) أبناء إسماعيل.

كلامي[1] الذي يتكلم به باسمي فإني احاسبه عليه . وأي نبي تجبّر فقال باسمي قولاً لم آمره أن يقوله أو تنبأ باسم آلهة آخرى . فليقتل ذلك النبي فإن قلت في نفسك كيف يعرف القول الذي لم يقله الرب . فإن تكلم النبيّ باسم الرب . ولم يتم كلامه . ولم يقع فذلك الكلام لم يتكلم به الرب . بل لتجبره تكلم به النبيّ فلا تخافوه »[2] .

أما مـن يرد قلوب الآباء إلى البنين فهو الإسلام الذي يقضي ببر الوالدين . أما المسيح فقد قال : « لا تظنوا أني جئت لأحمل السلام إلى الأرض ما جئت لأحمل سلامًا بل سيفًا ، جئت لأفرق بين المرء وأبيه ، والبنت وأمها ، والكنة وحماتها .ويكون أعداء الإنسان أهل بيته »[3] .

ويستمر إنجيل متّى على التأكيد ـ وهو تأكيد مشوب بالشك ـ بأن يوحنا هو إيليا .

« وبينما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً : لا تخبروا أحدًا بهذه الرؤيا إلى أن يقوم ابن الإنسان من بين الأموات . فسأله التلاميذ : فلماذا يقول الكتبة يجب أن يأتي إيليا أولاً . فأجابهم : أجل سيأتي إيليا ويصلح كل شيء ولكن أقول لكم إن إيليا قد أتى فلم يـعرفوه بل فعلوا به على هواهم . وكذلك ابن الإنسان سيلقىٰ منهم الآلام . ففهم التلاميذ أنه عنى بكلامه يوحنا المعمدان »[4] .

ونلاحظ في الفقرة تناقضًا كبيرًا بين قوليّ المسيح :

1 ـ سيأتي إيليا ويصلح كل شيء .

2 ـ إن إيليا قد أتى فلم يعرفوه بل فعلوا به على هواهم .

و إذا بدّلنا في هذا النص الرمز إيليا بالإسم الصريح محمد فإن النص يصبح كما يلي :

فلماذا يقول الكتبة يجب أن يأتي محمد أولاً ـ ويقصد بكلمة أولاً أي أول شروط قيام الساعة ـ فأجابهم المسيح : أجل سيأتي محمد ويصلح كل شيء .

ولكن أقول لكم : وعندما يأتي محمد فإن اليهود لن يؤمنوا به وسيحرّفون البشارات والإشارات علىٰ هواهم .

ولنفرض أن هذا النص كان بحق يوحنا وهنا نتساءل :

1 ـ ما هو تفسير التناقض بين قولي المسيح سيأتي ، ثم تراجعه ، لقد أتى .

2 ـ إن يوحنا سيصلح كل شيء . فما هي الأشياء التي قام بإصلاحها .

وهناك تساؤل آخر : هل كان التلاميذ يفهمون كل ما يقوله لهم المسيح أم أثبتت الأحداث أن فهمهم كان خاطئًا بالنسبة لأشياء كثيرة ولم يفهموها إلا بعد أن تمت « فشاع بين الإخوة أن هذا التلميذ لا يموت مع أن يسوع لم يقل لبطرس إنه لن يموت »[5] .

---

(1) القرآن الكريم.

(2) سفر التثنية فصل : 18 : 18 حتى 22 .

(3) انجيل متّى فصل : 10 : 34 .

(4) متّى فصل : 17 : 9 ـ 14 .

(5) انجيل يوحنا فصل : 21 : 23 .

وهنا نرى أن تلاميذ المسيح حسب روايات الإنجيل لا يفهمون أشياء كثيرة لذلك لا يعتمد على فهمهم أو تفسيرهم . و إيليا إذا هو رمز لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذي أتى وأصلح كل شيء .

وقصة حياة إيليا وخليفته اليسع مذكورة في سفر الملوك الثالث وسفر الملوك الرابع .

ظهر إيليا على مسرح الحياة السياسية فجأة كما اختفى فجأة كان ذلك في القرن التاسع قبل الميلاد ولكن بين ظهوره واختفائه قام بتطهير البلاد من عبادة الأصنام ، ومسح عددًا من الملوك ثم توارى عن الأنظار بعد أن عيَّن اليسع خلفًا له .

وتبدأ القصة بوقوف النبيّ إيليا في وجه ملك إسرائيل آحاب . وتهديده بأن الله لن ينزل المطر من السماء بسبب انحراف بني إسرائيل عن عبادة الله إلى عبادة البعل التي أدخلتها على البلاد إيزابيل زوجة الملك آحاب .

وتحبس السماء ماءها فلا تمطر . وتتعرض فلسطين لموجة شديدة من القحط والجفاف . وينزوي إيليا في الصحراء قرب أحد العيون بجانب مضارب الأعراب[1] الذين كانوا يقدمون الطعام إلى إيليا . وتجف عين الماء فيرحل الأعراب . ويتحول إيليا أيضًا إلى مكان آخر حيث يعيش بالقرب من بيت أرملة وببركة النبيّ إيليا لا تفرغ جرة الدقيق ولا تنقص جرة الزيت في بيت الأرملة . ويأكل النبيّ إيليا والمرأة وابنها من هذا الدقيق والزيت وهذه المعجزة تذكرنا بمعجزات المسيح حيث كان يطعم الكثيرين من عدد محدود من الأرغفة والسمك ويشبع الجميع ويبقى بعدها الشيء الكثير . كما نذكر المعجزات التي جرت للنبيّ موسى حيث أطعم الله بني إسرائيل المن والسلوى وهم في صحراء سيناء .

و يصدف أن يتوفى ابن الأرملة فتبكي وتنوح عليه . ويتقدم إيليا لإصعاده إلى السطح مدة ثلاثة أيام وهو يضرع إلى الله أن يعيد الحياة لهذا الصبي . ويستجيب الله دعاء النبيّ إيليا . ويعود الطفل إلى الحياة كما عاد أولئك الذين احياهم المسيح . ونذكر هنا بأن أحدًا لم يقل عن إيليا إنه إله أو ابن إله بسبب إحيائه للموتى .

وبعد ثلاث سنوات من انقطاع المطر تفرغ قارورة الزيت ولا يبقى في الجرة شيء من الدقيق فيفهم إيليا أن الوقت قد حان ليقوم بعمله . فينطلق لمقابلة آحاب ملك إسرائيل . ولما رأى آحاب إيليا قال له : أأنت إيليا مقلق إسرائيل ؟ فقال له : لم أقلق إسرائيل أنا بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب واقتفائكم البعليم . وطلب إيليا من آحاب أن يوجه الرسل إلى كل إسرائيل وليجمع إلى جبل الكرمل أنبياء البعل الأربع مئة والخمسين وأنبياء العشتروت الأربع مئة الذين يأكلون على مائدة إيزابيل .

فأرسل آحاب إلى جميع بني إسرائيل وجمع الأنبياء في جبل الكرمل فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال لهم : إلى متى أنتم تعرجون بين الجانبين ؟ إن كان الرب هو الإله فاتبعوه و إن كان البعل فاتبعوه . فلم يجبه القوم بكلمة . فقال إيليا للشعب : أنا الآن وحدي بقيت نبيًا للرب . وهؤلاء أنبياء البعل أربع مئة وخمسون رجلاً فليؤت لنا بثورين فيختاروا ثورًا ثم يقطعوه . ويجعلوه على الحطب ولا يضعوا نارًا وأنا أهيء الثور الآخر ، وأجعله على الحطب ولا أضع نارًا . ثم تدعون أنتم باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب . والذي يجيب بنار فهو الإله . فأجاب جميع الشعب : الكلام حسن . فقال إيليا لأنبياء البعل اختاروا لكم ثورًا وافعلوا أولاً لأنكم كثيرون . وادعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا نارًا . فأخذوا الثور الذي أعطاهم وقربوا ودعوا باسم البعل من الغداة إلى الظهر وهم يقولون : أيها البعل أجبنا فلم يكن من صوت أو مجيب . وكانوا

---

(1) في النسخ اليونانية أن الغربان هي التي كانت تقدم الطعام لإليا. ومن الواضح أن هناك خطأ في الترجمة.

يرقصون حول المذبح الذي صنعوا . فلما كان الظهر سخر منهم إيليا وقال : اصرخوا بصوت أعلى فإنه إله لعله في محادثة أو خلوة أو في سفر . أو لعله نائم فيستيقظ . فكانوا يصرخون بصوت عظيم . وتهشموا على حسب رسمهم[1] بالسيوف والرماح حتى سالت دماؤهم عليها . فلما فات الظهر وهم يتنبأون إلى أن حان وقت إصعاد التقدمة وليس صوت ولا مجيب ولا مصغ . قال إيليا لجميع الشعب ادنوا مني فدنا جميع الشعب منه فرمم مذبح الرب الذي كان قد تهدم وأخذ إيليا اثني عشر حجرًا على عدد أسباط بني إسرائيل . الذي كان كلام الرب إليه قائلاً إسرائيل يكون اسمك . وبنى تلك الحجارة مذبحًا على اسم الرب . وحول المذبح قناة تسع مكيالين من الحب . ثم نضَّد الحطب وقطَّع الثور وجعله على الحطب . وقال املأوا أربع جرار ماء وصبوا على المحرقة وعلى الحطب . ثم قال : ثنُّوا ، فثنوا . ثم قال : ثلِّثوا ، فثلَّثوا . فجرى الماء حول المذبح دائرًا وامتلأت القناة أيضًا ماءًا . فلما حان وقت إصعاد التقدمة تقدم إيليا النبيُّ وقال : أيها الرب إله إبراهيم و إسحق و إسرائيل لُيعلم اليوم أنك إله في إسرائيل . و إني أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور . استجبني يا رب ليعلم هذا الشعب أنك أيها الرب أنت الإله وأنك أنت رددت قلوبهم إلى الوراء . فهبطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب حتى لحست الماء الذي في القناة .

فلما رأى ذلك جميع الشعب خروا على وجوههم وقالوا : الرب هو الإله ، الرب هو الإله . فقال لهم إيليا : اقبضوا على أنبياء البعل ولا يفلت منهم أحد . فقبضوا عليهم فأنزلهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك . وقال إيليا لآحاب اصعد كل واشرب فهوذا صوت دوي المطر .

وتغتاظ إيزابيل وتقسم لتقتلن إيليا أو تموت دون هذه الغاية . و يأمر الله إيليا بمسح حزائيل ملكًا على آرام . ومسح ياهو بن نمشي ملكًا على إسرائيل . ومسح اليشاع بن شافاط نبيًا يخلفه . ويكون من أفلت من سيف حزائيل يقتله ياهو ومن أفلت من سيف ياهو يقتله اليشاع . وأما نهاية إيليا فهي غريبة ومبهمة .

قال إيليا[2] لليشاع[3] سلني ماذا أصنع لك قبل أن أوخذ عنك ؟ فقال اليشاع : ليكن لي سهمان في روحك . قال قد سألت أمرًا صعبًا ، إن أنت رأيتني عندما أوخذ من عندك يكون لك ذلك . و إلا فلا . وبينما كانا سائرين وهما يتحادثان إذ مركبة نارية وخيل نارية قد فصلت بينهما . وطلع إيليا في العاصفة نحو السماء . واليشاع ينظر وهو يصرخ : يا أبي[4] يا أبي . يا مركبة إسرائيل وفرسانه . ثم لم يره أيضًا . فأمسك ثيابه وشقها شطرين . ورفع رداء إيليا الذي سقط عنه وضرب المياه وقال : أين الرب إله إيليا الآن أيضًا ؟ وضرب المياه فانفلقت إلى هنا وهناك وعبر اليشاع . ورآه بنو الأنبياء الذين في أريحا تجاهه فقالوا : قد حلّت روح إيليا على اليشاع . وجاءوا للقائه وسجدوا له على الأرض .

وقبل أن نذكر شيئًا عن معجزات اليشاع . نورد الملاحظات التالية حول حياة إيليا .

لايذكر كتاب العهد القديم شيئًا عن طفولية إيليا ولايذكرون من هما والده ولايبينون من أي الأسباط هو. ومن هم

---

(1) نذكر هنا أن هذه الطقوس لا تزال متبعة في بعض الديانات الوثنية حتى اليوم .

(2) إيليا هو الياس كما ورد في القرآن الكريم .

(3) اليشاع هو اليسع كما ورد في القرآن الكريم .

(4) لم يكن إيليا أباً لاليشاع و إنما هذا القول هو على سبيل المجاز . وكلمة أب أو ابن تدل في كثير من الأحوال على القرب أو ترمز إلى التربية .

اجداده . علمًا بأن إيليا من مشاهير أنبياء بني إسرائيل الذين نجحوا في عملهم وأنجز ما يلي :

1 ــ تنبأ بعدم سقوط المطر مدة ثلاث سنوات ونصف متوالية . . وقد تحقق ذلك .

2 ــ قام بتكثير الطعام وهو في بيت الأرملة .

3 ــ أحيا ابن الأرملة التي نزل بجوارها . وذلك بعد موته بثلاثة أيام .

4 ــ قدم لله قربانًا أكلته النار . دليلاً على تأييد الله له . ورضاه عنه .

5 ــ ذبح كهنة البعليم وأعاد إلى بني إسرائيل ثقتهم بربهم وبدينهم . بعد أن مالوا إلى عبادة البعل .

6 ــ شق مياه النهر بضربة من ردائه . كما فعل موسىٰ عندما شق البحر بعصاه .

7 ــ أصبح له من القوة والتأثير بأن من يمسحه ملكًا يكون ملكًا . وخضع له الملوك وأذعنوا لتهديداته و إنذاراته وكأنها القضاء المبرم وتذللوا له .

8 ــ أباد فرقًا عسكرية بمفرده . إذ أرسل عليهم نارًا تأكلهم .

9 ــ لم يمت و إنما صعد إلى السماء بمركبة نارية بمرأى من خليفته اليشاع .

10 ــ لا يزال بنو إسرائيل يحلمون بعودة إيليا لإنقاذهم .

وبعد كل هذه المعجزات فإن أحدًا لم يجعل من إيليا إلهًا أو ابنًا لإله . وكان إيليا دائمًا يقول عن نفسه إنه عبد للإله ولا لزيادة له على البشر سوىٰ قربه من الله بسبب تقواه ولا مجال للمقارنة بين أعمال إيليا مع أعمال يوحنا أو مع أعمال المسيح .

و يلفت نظرنا في النص السابق جملتان :

1 ــ قول اليشاع لإيليا : ليكن لي سهمان في روحك .

2 ــ قول بني الأنبياء اليشاع : قد حلت روح إيليا على اليشاع .

إن تحليل هذين القولين يفضي إلى البحث في المواضيع التالية :

الحلول ــ الاتحاد ــ التناسخ ــ التقمص والانسلاخ .

وهذه المواضيع يُعتقد بها وموجودة في الديانات غير السماوية . ولكن بعض الأفكار تسربت إلى الديانات السماوية بسبب دخول الوثنيين في أحد الأديان السماوية مع احتفاظهم ببعض المعتقدات الخاطئة والتي لم تنفها أو تثبتها اليهودية أو المسيحية بشكل واضح .

تتفق الديانات السماوية : اليهودية ــ المسيحية ــ الإسلام ، في مواضيع كثيرة أهم هذه المواضيع هي :

1 ــ الإيمان بإله واحد لا شريك له ، خالق كل شيء .

2 ــ الإيمان باليوم الآخر[1] ــ يوم الدينونة ــ يوم البعث ــ يوم الرب العظيم الرهيب .

و إن مقتضىٰ الإيمان بيوم الحساب يعني أن كل إنسان يشكل وحدة متكاملة ــ جسدًا وروحًا ــ هذا الإنسان

(1) يوجد بعض الفرق اليهودية مثل الصدوقيون لا يؤمنون بالآخرة . ويعتقدون بأن حساب الإنسان على أعماله يكون في هذه الحياة الدنيا إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر .

مسؤول عن أعماله وأقواله أمام الله تعالىٰ . وسوف يثاب أو يعاقب عما عمله في الحياة الدنيا وتكون النتيجة إما أن يدخل الجنة أو يدخل النار .

أما الحلول فيعني أن روح الله أو جزءًا منها قد حلَّت في بدن إنسان . ويعتقد البوذيون مثلاً أن روح الإله قد حلت في بوذا . وأتباع بوذا يعتبرونه كائنًا لاهوتيًا هبط إلى هذا العالم لينقذه مما فيه من الشرور .

وقد ادعىٰ بعض الأشخاص حلول الله فيهم مثل الحلاج فكان يخرج إلى الأسواق وهو يصيح : أنا الله ، أنا الله ، فقبضت عليه السلطات واستتابته فلم يتب فصلب في بغداد واستراح الناس من شروره . وأمثاله كثيرون . وقد نسب آخرون حلول الإله في شخصيات عظيمة فكان الأباطرة الرومان يؤلهون أنفسهم . وهذه الأفكار تسربت من الهند عبر الشرق الأوسط إلى اليونان ، وبعضها جاء مع القبائل المهاجرة إلى شرق أوروبا وجنوبها من أواسط آسيا . وكانوا يعتقدون بأنصاف الآلهة أو البشر المؤلهين . وقد اضمحلت هذه الأفكار الخاطئة ولم تعد موجودة بصيغتها القديمة بل تحورت في يومنا هذا ولبست ثوبًا جديدًا . و إن ازدياد الوعي العلمي والثقافي في العالم كفيل بالقضاء على مثل هذه الأفكار والتي تعبر عن رغبة الإنسان في الحصول على القوة الخارقة التي لا تقهر ، والشباب الدائم الذي لا يذبل ، والثروة الوفيرة التي لا تنضب . و إن إقبال الناس على أفلام السوبرمان وغيرها من التي تسير على منوالها والتي تخلق أشخاصًا خرافيين لا يقهرون وهم على كل شيء قادرون . إن هو إلا تعبير عن هذه الرغبة الكامنة في النفوس البشرية .

والحلول أنواع . فقد كان البعض يعتقد أن روح الله يمكن أن تحل بحيوان . ولذلك فإن هذا الحيوان مقدس ودُعي بالطوطم . والبعض يعتقد إمكانية حلول الله أو روحه في صنم أو شجرة أو غيرها . ودائمًا يوجد كهنة وسدنة يروجون لأمثال هذه الأفكار الخرقاء ، يستغلون السذج من الناس لأغراضهم وأهدافهم الشخصية ، ويدعمون بها سلطانهم ومركزهم في المجتمع . ويجمعون من وراء ذلك الثروات الطائلة .

وهناك الاتحاد وهو شبيه بالحلول . وقد وجُد أشخاص كثيرون ادعوا الاتحاد بالله . ويدعي البعض أن الاتحاد بالله يتم بعد الموت . وبعد أن تصفـوا الروح من أكدارها وتتخلص من ميولها وشهواتها ولا يعود لها رغبة في شيء عندها تبدأ رحلتها للعودة إلى الروح الأكبر ، حيث يعتقدون بأن روح الإنسان تمثل شرارة من نار . تعود لتندمج في النار وعليه فإن الإنسان نوع من الإله وروحه لا تختلف عن الروح الأكبر ، روح الإله ، إلا كما تختلف البذرة عن الشجرة . ويعبر عن هذا المبدإ بمبدإ وحدة الوجود ، وهذا المبدأ لا يستند إلى عقل أو منطق ولا يوجد فيه تجربة أو برهان . إنما هو فرضية يتربى عليها الصغار فيعتقدونها وهم كبار .

أما تناسخ الأرواح فيعني تكرار المولد ، فإذا حدث ما نسميه الموت . مات الجسد المادي وعاد ترابًا . أما الروح فلا تموت بل تعود للحياة في جسد وليد آخر . قد يكون إنسانًا أو قد يكون حيوانًا . ذلك حسب أعمال الإنسان السابقة قبل موته الأول . وفي الحياة الثانية . فإن الروح لا تعود تذكر شيئًا عن عالمها السابق . وهناك من يجعل من تكرار المولد محددًا بسبع مرات ، والإنسان يترقى إلى الأعلى إن كان عمله صالحًا . أو يتدنىٰ إلى أسفل إن كان عمله طالحًا . وفي نهاية الدورات السبع إما أن يدخل الجنة أو يدخل النار حسب رقيـه أو تدنيه . وبعض المذاهب تنهي حياة الإنسان في دوره السابع فيصير ملاكًا أو يصير شيطانًا . والمطلع على هذا المذهب لا يتمالك نفسه من الضحك المتواصل . فمثلاً يقول كاتب[1]

(1) لا حاجة لإيراد الأسماء .

المذهب : إن الرجل غير المؤمن صاحب أعمال الصالحة ينقلب بتكرار المولد إلى حصان مدلل . أما إذا كانت أعمال الإنسان سيئة وشريرة فإنه قد ينقلب بتكرار المولد إلى حمار لا يلاقي من صاحبه إلا العمل الشاق والضرب المتواصل . ويعتقد هؤلاء الناس بأن ذبح الحيوان هو الوسيلة الناجعة لتخليص الروح الموجودة في هذا الحيوان لتعود بتكرار المولد إلى الحالة الإنسانية وهذا المبدأ ما زال موجودًا في بعض العقول المنحرفة والضالة .

أما التقمص فمعناه أن الروح تختار لنفسها قميصًا ـ (جسمًا بشريًّا أو حيوانيًّا) فتتلبسه . وقد ادعىٰ بعض الأشخاص أن باستطاعتهم التفريق بين أجسادهم وأرواحهم ، وسمَّوا هذه العملية بالطرح الروحي . ولم يثبت العلم هذا الموضوع حتى الآن .

ونحن نقول : إن روح الإنسان موجودة في جسمه ما دام حيًّا . وعندما يموت الإنسان تنفصل الروح عن الجسم . وهناك التباس بين كلمتي النفس والروح . ويعبر كثيرون عن إحداهما بالأخرىٰ . أما الاتصال الروحي وانتقال الأفكار أو قراءتها فإن هناك أشخاصًا موهوبين أثبتوا أن بإمكانهم عمل ذلك[2] . وكذلك فإن التنويم المغناطيسي ، والايحاء ، موجودان منذ الزمن القديم . وبما أن هناك كثيرًا من المشعوذين والدخلاء يفسدون المعنى العلمي والسامي للدراسات الروحية فعلىٰ الإنسان العاقل أن لا يعتمد إلا على تجاربه الشخصية . ولا يصدق ولا يعتقد إلا الأخبار الموثوقة القطعية الواردة في القرآن الكريم . وأما ما عداها من الأخبار فإنه يبقىٰ في دائرة الشك . لأن الادعاء والكذب من صفات المشعوذين الدجالين الذين يلبسون الحق بالباطل . ولا يمكن التحقق من صدق كلامهم ؛ لأنهم يتحدثون عن موضوع روحي . غير خاضع للتجربة والبرهان . وبسبب وجود الجن والشياطين والتي نؤمن بوجودها ولكن لا نراها نحترس كثيرًا ولا نعطي رأيًا .

وهناك علمان غير السحر ذكرهما الله تعالىٰ في القرآن الكريم وهما : العلم اللدنّي ، وعلم الكتاب . وهذان العلمان هبة من الله تعالىٰ يعلمها من يشاء من عباده .

ويرفض ايليا أن يعطي اليشاع سهمين من روحه موجهًا إياه لأن يطلب القوة والعون من الله تعالىٰ فقط وليس من إنسان مثله . وعندما يضطر الإنسان للمعونة أو المساعدة فإنه يطلب من الله أن يبعث من يقدم له يد العون والمساعدة . أو أنه يطلب المعونة من شخص معين مباشرة . وهذا الطلب ينطبق على الأمور المادية والروحية على السواء . وقد يبعث الله العون للإنسان قبل أن يطلب الإنسان ذلك .

أما قول العامة إن روح ايليا قد حلّت باليشاع فهو يعني أن اليشاع أصبح نبيًّا قبل إيليا . وقد بدأ اليشاع عمله النبوي بتحلية[1] مياه المدينة . وقد أصبحت هذه المياه حلوة صالحة للشرب والزراعة . والفرق بين معجزة الأنبياء وعمل السحرة والمشعوذين هو أن أعمال الأنبياء تبقىٰ ثابتة فهم يغيرّون جوهر الأشياء بواسطة الدعاء فقط كما فعل موسىٰ عندما ألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين على الحقيقة . أما السحرة فإنهم يخدعون نظر الجمهور مؤقتًا ولا يستطيعون قلب جوهر الأشياء . ولو كان بإمكانهم ذلك لقلبوا المعادن إلى ذهب واستراحوا من العناء والتعب .

ويشير اليشاع على الملوك المتحالفين[2] ضد المؤابيين بحفر أرض المعركة وبسبب وجود النبيّ ودعائه تمتلىء هذه الحفر

---

(1) سفر الملوك الرابع الفصل : 2 : 16 ـ 22 .

(2) سفر الملوك الرابع الفصل الثالث .

بالماء دون نزول مطر . وهذه معجزة ثانية .

وتعترضه امرأة[1] وتطلب منه مساعدتها لأن زوجها مات وعليها دين والمدين سيأخذ ولديها عبدين مقابل دينه . فيطلب منها أن تصّب الزيت الموجود لديها في جميع أواني المنزل . فتمتلىء الأواني من الزيت . وتبيع المرأة الزيت وتفك دينها وتنقذ ولديها من العبودية . وهذه معجزة ثالثة وتطلب منه امرأة عاقر[2] وزوجها شيخ كبير أن يدعو لها ليرزقها الله طفلاً . فيفعل . وتلد المرأة . ويذهب الطفل مع أبيه من أجل الحصاد . وهناك يصيح الطفل رأسي رأسي فيرجعه الزوج إلى أمه . وهناك يموت الصبي على ركبتيّ أمه . فتحمله إلى السرير . وترسل في طلب النبيّ اليشاع . ويدخل اليشاع إلى البيت فإذا الصبيّ ميت مضطجع على سريره . يغلق اليشاع باب الغرفة ويصلي إلى الرب ثم يصعد وينبسط على الصبيّ ويجعل فاه على فيه وعيناه على عينيه وكفاه على كفيه . ويتمدد عليه فيسخن الصبي . ويعاود اليشاع الكرة عدة مرات حتى يعطس الصبيّ سبع مرات ثم يفتح عينيه .

وهكذا نجد أن اليشاع قد أحيا الميت أيضًا فهل قال عنه أحد إنه إله أو ابن إله ونضيف إلى معجزاته السابقة أنه قلب الحنظل السام إلى طعام[3] صالح للأكل . وأشبع مئة شخص من عشرين رغيفا من الشعير[4] . وزاد من الخبز الشيء الكثير . ثم يقوم اليشاع بشفاء نعمان السرياني من البرص[5]. وتستمر معجزات اليشاع وينبىء بأشياء كثيرة تتحقق .

---

(1) سفر الملوك الرابع الفصل 4 .

(2) سفر الملوك الرابع الفصل 4 .

(3) سفر الملوك الرابع الفصل : 4 : 39 ـ 41 .

(4) سفر الملوك الرابع الفصل :4 : 43 ـ 44 .

(5) سفر الملوك الرابع الفصل الخامس .



معجزات المسيح

المعجزات سلاح الأنبياء يبرهنون بها على أنهم مرسلون من قِبَلِ الله تعالىٰ . فيقومون بأعمال خارقة يعجز البشر عن الاتيان بمثلها . وعندما يرىٰ الإنسان هذه المعجزات ويتفكر فيها يتحقق صدق الرسول . وعندما يرى الإنسان المعجزة ولا يؤمن بالنبيّ فإن حُجّة الله تعالىٰ تقام عليه . وكثير من الأمم هلكت لرفضها الإيمان بعد رؤية المعجزات .

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾[1] .

وتكون المعجزة إما معجزة هداية أو معجزة إنذار أو معجزة تكريم . وكانت المعجزات مصاحبة للأنبياء منذ أن أرسلهم الله تعالىٰ لهداية البشر . وقد ذهبت معجزات الأنبياء بذهابهم ولم يبق سوىٰ معجزة الرسول العربي الخالدة ألا وهي القرآن الكريم . وهذه المعجزة الباقية والظاهرة حجة الله على الناس أجمعين وخاصة العرب الذين يتكلمون ويقرأون اللغة العربية وإن هذه المعجزة الباقية الخالدة ثبتت جميع معجزات الأنبياء السابقين وذكرتها بالتفصيل تارة وبالإجمال تارة أخرىٰ .

وتذكر الأناجيل عددًا كبيرًا من معجزات المسيح . ينحصر جُلُّها في شفاء المرضىٰ والمصروعين . وإن قارىء الأناجيل يحسب أن بلاد اليهودية مستشفى كبير يغصّ بالمرضى والعميان والمصاريع والبرصان . . الخ . من كثرة الأشخاص الذين يشفيهم الله على يد المسيح . وقد أغفلت الأناجيل معجزات هامة ذكرها القرآن الكريم . وليعلم المسيحيون أن المسلمين يحبون المسيح أكثر مما يحبه المسيحيون ويعترفون بمعجزاته بل يعرفون له من المعجزات ما لا يعرفه المسيحيون عنه .

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَـٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَـٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَـٰلَمِينَ ۞ يَـٰمَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّٰكِعِينَ ۞ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۞ إِذْ قَالَتِ الْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّـٰلِحِينَ ۞ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۞ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ۞ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ

(1) سورة النمل : الآية 14 .

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ *﴾[1] .

و إن الآية الكبرىٰ والمعجزة العظمىٰ هي مولد المسيح عليه السلام بدون أب . وهذه الولادة الخارقة كانت سببا وبداية للتقارب بين الوثنية والتوحيد . فاليونان والرومان الذين يؤمنون بأنصاف الآلهة قد توحدت آلهتهم في شخص المسيح . وهذه نقلة كبرىٰ من الوثنية إلى عبادة الله الواحد و إن أخذت شكلها غير الصحيح . والنقلة الثانية هي التوحيد والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين وهي تقع على عاتق المسلمين الذين يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة و يجادلون مخالفيهم بالتي هي أحسن .

والمعجزة الثانية : وهي ذات أهمية كبيرة جدًا . وهي كلام المسيح في المهد . وهذا الكلام عدا عن كونه معجزة فهو دليل براءة أمه الطاهرة البتول من أية تهمة أو دنس ، وفي نفس الوقت أعلن المسيح عن نفسه بأنه عبد الله ورسوله . وهذه المعجزة غير مذكورة في الأناجيل .

والمعجزة الثالثة : هي معرفة المسيح بالكتب المنزلة قبله وهي ـ الكتاب ـ الحكمة ـ التوراة ثم الإنجيل ـ المنزّل عليه دون أن يكون له معلم . و إنما كانت معرفته وحيًا من الله تعالىٰ .

والمعجزة الرابعة : وهي أن المسيح كان يجعل من الطين على هيئة الطير و ينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله تعالىٰ . وقد أغفلت الأناجيل هذه المعجزة دليلاً على أن كتّاب الأناجيل لم يطلّعوا على حياة المسيح ولم يعاصروه و إنما نقلوا من غيرهم وأثبتوا ما وافقهم .

والمعجزة الخامسة : وهي شفاء الأمراض المستعصية على الأطباء أو مستحيلة الشفاء . وكان الشفاء يتم بمجرد أن يتفوه المسيح بكلمة أو يمد يده فيلمس المريض فتكون هي البلسم الشافي والدواء المعافي .

والمعجزة السادسة : أنه كان يخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم .

والمعجزة السابعة : هي إحياء الموتىٰ بإذن الله تعالىٰ .

وتستمر معجزات المسيح ويستمر إنكار اليهود وتعنتهم فهم لا يريدون نبيًا يشفي عللهم الظاهرة والباطنة ويداوىٰ مرض نفوسهم وأرواحهم . إنهم ينتظرون نبيًا يخلصهم من الرومان ومن العشور والضرائب التي يدفعونها . كانوا يريدون نبيًا يحاربون معه الأمم المجاورة ويخضعونها لسيطرتهم و يفرضون عليها الأتاوات والغرامات والضرائب كما يفعل بهم الرومان وليجمعوا الثروات وليزدادوا فسقًا وفجورًا و إثمًا . لقد رفضوا يوحنا المعمدان الذي طلب منهم التوبة والهرب من الغضب الآتي . وقالوا إن به مسًا من الشيطان . وأسلموه لأعدائه ليقتل أمام أعينهم ولم يحرك أحد منهم ساكنًا . وهذا المسيح لم يسر حسب رغباتهم فتآمروا عليه يريدون قتله .

أما أولىٰ معجزات المسيح حسب الأناجيل فهي تحويل الماء إلى خمر .

---

(1) سورة آل عمران : الآيات من 42 حتى 52 .

« وفي اليوم الثالث كان في قانا الجليل عرس وكانت فيه أم يسوع . فدُعي يسوع وتلاميذه إلى العرس . ومسّت الحاجة إلى الخمر لأن خمرة العرس نفدت فقالت ليسوع أمه : لم يبق عندهم خمر . فقال لها يسوع : ما لي ولك أيتها المرأة . لم تأت ساعتي بعد . فقالت أمه للخدم : افعلوا ما يأمركم به . وكان هناك ست اجاجين من حجر لقضاء الطهارة عند اليهود تَسَعُ كل واحدة منها مقدار مكيالين أو ثلاثة . فقال لهم يسوع : املأوا الاجاجين ماء . فملؤوها حتىٰ طفحت فقال لهم : اغرفوا الآن وناولوا وكيل المائدة . فناولوه فذاق وكيل المائدة الماء الذي صار خمرًا وكان لا يدري من أين أتت . غير أن الخدم الذين استقوا كانوا يدرون فدعا وكيل المائدة العروس وقال له : جرت عادة الناس أن يقربوا الخمرة الجيدة أولاً . فإذا أخذ منهم الشراب قربوا ما كان دونها في الجودة . أما أنت فأخرت الخمر الجيدة إلى الآن . فهذه أولىٰ آيات يسوع أتى بها في قانا الجليل »[1] .

بعد دراسة النص نذكر الملاحظات التالية :

1 ـ من هم تلاميذ المسيح . وهو يُصرّح بأن ساعته لم تأت بعد . أي أن عمله النبوي لم يبدأ بعد .

2 ـ المسيح وأمه ضيوف في حفلة عرس وفي غير بلدهم . وعندما ينتهي الخمر فإن أهل العرس يأتون به أو يطلبونه . فلماذا تطلبه والدة المسيح وبأية صفة .

3 ـ نلاحظ اللهجة الخشنة التي ردَّ بها المسيح على أمه وهو رد غير لائق بالنسبة لشخص عادي . فكيف إذا كان هذا الشخص نبيًا . وقد جاء في وصف النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن : ﴿ . . . **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** . . . ﴾[2] .

4 ـ نلاحظ من جملة : لقضاء الطهارة عند اليهود . أن قائلها من غير اليهود . وهو يشرح لقوم من غير اليهود . ولكن ترجمة حياة كاتب إنجيلْ يوحنا تؤكد أنه من تلاميذ المسيح وأنه من اليهود . ونترك الحكم في هذا الموضوع للقارىء ليستنتج ما يحلوله .

5 ـ من المعروف أن الخمر هي مفتاح الشرور والآثام . وما كان للمسيح أن يسقي الناس الخمر وهو يدعوهم للعقل والتقوىٰ . يدعوهم للحكمة والدعة والوفاق وعدم إثارة الشغب والمنازعات .

« لمن الويل ؟ لمن الشقاء ؟ لمن المنازعات ؟ لمن الشكوىٰ ؟ لمن الجراحات من غير علة ؟ لمن إظلام العينين ؟ . . للذين يدمنون الخمر »[3] .

« بالخمر الدعارة . وبالمسكر الجلبة . كل من نهج بهما فليس بحكيم »[4] .

ويكتب الرسول بولص ناهيًا تلاميذه عن مخالطة شاربي الخمر ومرتكبي الآثام ومحرمًا إياها عليهم « والآن أكتب اليكم ألا تخالطوهم . أي إن كان أحد يسمىٰ أخًا زانيًا أو بخيلاً أو عابد أوثان أو شتامًا أو سكيرًا أو خاطفًا فمثل هذا لا تؤاكلوه .

---

(1) انجيل يوحنا الفصل : 2 : 1 حتى 11 .

(2) سورة آل عمران : من الآية 159 .

(3) سفر الأمثال فصل : 23 : 29 .

(4) سفر الأمثال فصل : 20 : 1 .

لا تضلوا فإنه لا الزناة ولا عُبّاد الأوثان و لا الفساق ولا المفسدون ولا مضاجعوا الذكران والسارقون . ولا البخلاء ولا السكيرون ولا الشتامون ولا الخطفة يرثون ملكوت السموات »[1] .

« لا تسكروا من الخمر التي فيها الدعارة بل امتلئوا من الروح »[2] .

« و إن الداء العضال المتفشي اليوم في الأمم المسيحية والذي يبعدها عن الإسلام هو الخمر والزنا والمسيحيون محرومون لذلك من ملكوت السموات حتى يقلعوا عن هذه العادات الذميمة و يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم . كما بيَّن ذلك المسيح في إنجيل يوحنا .

« فمتى جاء روح الحق[3] أرشدكم إلى الحق كله لأنه لا يتكلم بشيء من عنده بل يتكلم بما يسمع وينبئكم بما يحدث . سيمجدني[4] لأنه يأخذ مما لي . ويطلعكم عليه . »[5] .

ونذكر معجزة ثانية وردت في انجيلي متّى ومرقس بشكلين مختلفين ولا يهمنا التناقضات الظاهرة بين النصين ، ولكن يهمنا ما يمكن أن نفهمه من تحليل هذين النصين المتشابهين والمختلفين في نفس الوقت .

« ثم خرج يسوع من هناك وذهب إلى نواحي صور وصيدا . و إذا امرأة كنعانية خارجة من تلك البلاد تصيح رحماك سيدي . يا ابن داود إن ابنتي يتخبطها الشيطان تخبطًا شديدًا . فلم يجبها بكلمة فدنا تلاميذه يتوسلون إليه . فقالوا أجب طلبها و إصرفها فإنها تتبعنا بصياحها . فأجاب : لم ارسل إلا إلى الخراف الضالة من آل إسرائيل ولكنها وصلت إليه وسجدت وقالت : اغثني سيدي . فأجابها : لا يحسن أن يؤخذ خبز البنين فيلقىٰ إلى جراء الكلاب . فقالت : رحماك سيدي حتى جراء الكلاب تأكل من الفتات الذي يتساقط عن موائد أصحابها . فأجابها يسوع : فليكـن لك ما تريدين فشفيت ابنتها من ساعتها »[6] .

« ثم مضى من هناك وذهب إلى نواحي صور وصيدا فدخل بيتًا . وكان لا يريد أن يعلم به أحد فلم يستطع أن يخفي أمره . فقد سمعت به وقتئذ امرأة لها ابنة صغيرة فيها روح نجس[7] فجاءت وارتمت على قدميه . وكانت المرأة وثنية ترجع إلى أصل فينيقي سوري . فسألته أن يطرد الشيطان عن ابنتها . فقال لها : دعي البنين أولاً يشبعون فلا يحسن أن يؤخذ خبز البنين فيلقىٰ إلى جراء الكلاب . فأجابت : نعم سيدي حتى جراء الكلاب تـأكل تحت المائدة من فتات الصغار . فقال لها : اذهبي من أجل قولك هذا قد خرج الشيطان من ابنتك . فرجعت إلى بيتها فوجدت ابنتها على السرير قد أقلع عنها الشيطان »[8] .

---

(1) رسالة بولس إلى أهل كورنتس .

(2) رسالة بولس إلى أهل افسس .

(3) روح الحق : محمد صلى الله عليه وسلم أرشد المسيحيين إلى حقيقة المسيح .

(4) مجد محمد المسيح وأعلى من شأنه وبرّأ أمه .

(5) انجيل يوحنا فصل : 16 : 13 و 14 .

(6) انجيل متّى فصل : 15 : 21 حتى 28 .

(7) راجع فكرة الحلول في الفصل السابق .

(8) انجيل مرقس فصل : 24 حتى 30 .

ويمكننا أن نفهم ما يلي :

1 ـ بسبب اختلاف الروايات في الأناجيل وبعدها عن بعضها نستطيع أن نقول إن كُتّاب الأناجيل كانوا يكتبون حسب معلوماتهم وننفي الوحي والإلهام عن كُتّاب الأناجيل . ويمكننا أن نعاملهم كما نعامل المؤرخين الذين كتبوا في سيرة الملوك والعظماء . فوصفوهم ليس بحسب الحقيقة بل كما كانوا يتخيلونهم . أو كما كانوا يريدونـهم أن يكونوا . وكل مؤرخ يكتب من زوايته الشخصية .

2 ـ إن قول امرأة كنعانية أو سورية للمسيح يا ابن داود لا يعني أن المسيح حقًا من أولاد داود ، لأن المسيح ذاته ينكر هذا النسب ويبين للتلاميذ بطلانه ولأنه من أولاد هارون .

وبينما الفريسيون مجتمعون سألهم يسوع ما قولكم في المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود ربًّا ؟ وهو يقول بوحي من الروح (قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك تحت قدميك . .) فإذا كان داود يدعوه ربَّه فكيف يكون ابنه . فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ولا جرؤ أحد منذ ذلك الوقت أن يسأله عن شيء »[1] .

3 ـ يدّعي كثير من المسيحيين أن المسيح هو إله وابن إله بينما كاتب انجيل مرقس ينسب العجز للمسيح فهو لم يقدر أن يخفي أمره . و إن نسب العجز للإنسان شيء بديهي أما نسب العجز لله فهو شيء مخالف للبديهة ولا معنى لعبادة إله عاجز . و إذا رجعنا إلى مفهوم الآلهة عند اليونان فإننا نرىٰ أن تلك الآلهة تعجز عن أشياء كثيرة لذلك فإنها كانت تستعين ببعضها البعض وأحيانًا تستعين بالإنسان لإنجاز ما تعجز عنه .

4 ـ نلاحظ جواب المسيح : لم أرسل إلا إلى الخراف الضالة من آل إسرائيل . يبين أن المسيح بشر مثل باقي الأنبياء والمرسلين وهو مأمور من الله تعالىٰ الذي أرسله فقط إلى بني إسرائيل . وأنه لا يستطيع تجاوز التعليمات والآوامر الإلهية الصادرة إليه . فليس له حرية الاختيار بل هو عبدٌ مأمور . وقد استمر التلاميذ على خطة المسيح فلم يدعوا أحدًا من غير بني إسرائيل كما نبههم إلى ذلك المسيح بقوله :

« لا تسلكوا طريقًا إلى الوثنيين ولا تدخلوا مدينة للمسامريين . بل اذهبوا نحو الخراف الضالة من آل إسرائيل »[2] .

5 ـ نلمح من خلال السطور غطرسة الإسرائيليين واحتقارهم للبشر واعتبارهم كلابًا وبهائم ما داموا غير إسرائيليين . وحقًا فإن كتب الإسرائيليين تطفح بالعنصرية فهم البشر ومـن عداهم كلاب وحيوانات خلقت من أجل خدمتهم والخضوع لأوامرهم[3] . ولو كان عند المرأة ذرة من الكرامة لرفضت مساعدة المسيح الذي بدأ بشتمها وتحقيرها والاستعلاء عليها وعندما ترضى هذه المرأة وتعترف أنها من صنف الكلاب يتحنن عليها المسيح ويشفى ابنتها والمسلمون يرفضون أن يكون للمسيح هذه الصورة الفظّة الخشنة حيث تنعدم الانسانية والرأفة والرحمة وتبقى الغطرسة والعنجهية الإسرائيلية الممقوتة .

---

(1) هذه الفقرة مذكورة في الأناجيل الثلاثة متّى ـ مرقس ـ لوقا .

(2) متّى فصل : 10 : 5 .

(3) بروتوكولات حكماء صهيون .

ونذكر معجزة أخرى للمسيح وردت أيضًا في انجيلي متَّى ومرقس .

« ولمَّا خرجوا في الغد من بيت عينا أحس بالجوع ورأى عن بعد تينة مورقة فقصدها راجيًا أن يجد عليها ثمرًا . فلما وصل إليها لم يجد عليها غير الورق . لأن وقت التين لم يكن قد حان . فخاطبها قائلاً : لا يأكلن أحد ثمرًا منك إلى الأبد . وسمع تلاميذه ما قال . . . وعند المساء مضى إلى خارج المدينة وبينما هم راجعون في الصباح رأوا التينة قد يبست من أصلها فتذكر بطرس كلامه فقال له : رابي ، إن التينة التي لعنتها قد يبست . فقال لهم يسوع : آمنوا بالله ، الحق أقول لكم من قال لهذا الجبل قم فاهبط في البحر وهو لا يشك في قلبه بل يؤمن بأن ما يقوله سيكون تَمَّ له ذلك . ولهذا أقول لكم كل شيء تطلبونه في الصلاة آمنوا بأنكم قد نلتموه يتم لكم ، و إذا قمتم إلى الصلاة وكان لكم شيء على أحد فاعفوه منه لكي يعفوا عن زلاتكم أبوكم[1] الذي في السموات »[2] .

ويمكننا أن نقرأ من وراء هذه السطور ما يلي :

1 ـ إن كاتب الانجيل يستخف بالمسيح ويهزأ منه فيجعل منه مرة ابن إله ويجعل منه مرة أخرىٰ إنسانًا جائعًا لا يحسن التصرف بتأثير الجوع . و إن قارىء هذا النص يتعجب هل هذا الذي يقرأ عنه هو نفسه الذي صام أربعين يومًا . ورفض أن يحول الحجر إلى خبز . أم أن هذا شخص آخر . ثم إن الجائع لا يبحث عن طعامه على الأشجار بل يذهب إلى السوق ليشتري ما يحتاج إليه ولا يأكل من مال الناس دون إذن منهم .

2 ـ إن نص الإنجيل يبين أن المسيح كان في ضيافة أحد تلاميذه في بيت عينا . فلماذا لم يأكل في بيت مضيفه .

3 ـ يريد كاتب الانجيل أن يجعل مقارنة فيما يظنه الناس بالمسيح وهو التقدير والاحترام وفيما هي حقيقة المسيح إنسان جائع وطائش . فقبل أن يلعن المسيح التينة نجد النص التالي :

« وبسط كثير من الناس أرديتهم على الطريق . وفرش آخرون أغصانًا قطعوها من الحقول . وكان الذين يتقدمونه والذين يتبعونه يهتفون :

حيوه ! ! تبارك الآتي باسم الرب . تباركت المملكة الآتية . مملكة ابينا داود هو شعنا في العلُى »[3] .

الناس تنادي المسيح وتهتف له على أنه المنقذ وأنه الملك . وكاتب الإنجيل يكشف أنه جائع ولا يعرف وقت إثمار شجر التين . ثم هو حاقد يلعن من لا يستحق اللعن .

4 ـ إذا كان المسيح جائعًا إلى هذه الدرجة فكيف كان حال تلاميذه ؟ أليس من الأجدى والأنفع وأظهر للمعجزة أن ينادي المسيح تلاميذه ويقول لهم : يا تلاميذي ويا أحبائي إني اليوم أدعوكم إلى وليمة فاخرة وسأطلب من شجرة التين هذه أن تقدم لنا ثمرًا قبل أوانه حلوًا لذيذًا . لقد كان المسيح المعلم الأول للمحبة فكيف يمكننا أن نتصوره حاقدًا لئيمًا . إن مغزىٰ هذه القصة طعن في شخصية المسيح ونتعجب كيف يتقبلها المسيحيون ويفتخرون بها .

5 ـ إذا كان في استطاعة المسيح تيبيس شجرة التين بدون ذنب جنته أو اقترفته فلماذا لم يبيس أيدي أولئك المجرمين

---

(1) آباء المسيحيين هم : الأب الحقيقي ـ آدم ـ القيسين ـ البابا ـ المسيح ـ الله .

(2) انجيل مرقس فصل : 11 : 12 حتى 25 .

(3) مرقس فصل : 11 : 8 حتى 11 .

الذيـن أرادوا صلبه . وبهذه المناسبة نذكر ما فعله إيليا مع الجنود الذين بعثهم الملك أحزيا للقبض عليه .

« قال قائد الخمسين وهو المكلف بالقبض على إيليا الجالس على رأس الجبل . يا رجل الله : الملك يقول لك انزل . فأجاب إيليا لقائد الخمسين : إن كنت أنا رجل الله فلتهبط نار من السماء وتأكلك أنت وخمسينـك . فهبطت نار من السماء فأكلته هو وخمسينـه . ثم عاد الملك فبعث إلى إيليا رئيس خمسين ثانيًا فكلمه وقال له يا رجل الله هكذا قال الملك انزل عاجلاً . فأجاب إيليا : إن كنت أنا رجل الله فلتهبط نار من السماء وتأكلك أنت وخمسينـك فهبطت نار من السماء فأكلته وخمسينه »[1] .

إن المقارنة بين المسيح مع شجرة التين وموقفه مع الذين أرادوا صلبه يثير العجب والاستغراب .

6 ـ يعلمنا المسيح في مثل آخر كيف نتعامل مع الأشجار . فيوصينا بالتأني والرفق بها والصبر عليها وفي نفس الوقت فإن المسيح ينذر بني إسرائيل ملمِّحًا لهم إن لم يتوبوا و يثمروا ثمرًا يليق بتوبتهم فإن قطعهم ورميهم إلى النار أولىٰ وأجدىٰ . و إن الله قادر على أن يستبدلهم بقوم آخرين يثمرون و يعطون .

« وضرب هذا المثل . كان لرجل تينة مغروسة في كرمه فجاء يطلب ثمرًا عليها فلم يجد فقال للكرام : إني أجيء منذ ثلاث سنوات إلى تلك التينة أطلب ثمرًا عليها فلا أجد فاقطعها ، لماذا ندعوها تعطل الأرض ؟ فأجابه : سيدي دعها أيضًا هذه السنة حتى أقلب الأرض من حولها واسمدها . فإما أن تثمر في العام المقبل و إما تقطعها »[2] .

7 ـ في عصرنا الحاضر تشجع الدول على غرس الأشجار المثمرة وغير المثمرة وتعتبر هذا العمل تجميلاً و إغناء للبلد . لذلك أوجدوا يومًا في السنة دُعي بيوم الشجرة تنبيهًا للناس وليعرفوا قيمة الأشجار وفوائدها . فما هو قصد المسيح من تعطيل شجرة مثمرة يستفيد الناس من ثمرها وظلها ؟ ومن هو الخاسر من هذه العملية أليس صاحب الشجرة . وكذلك الناس الذيـن يستظلون بها من حرّ الصيف . إن ما قام به المسيح حسب ادعاء كاتب الإنجيـل هو عمـل تخريبي . ونقول : ليست هذه هي المرة الأولى أو الأخيرة التي يشوه بها كتاب الأناجيل حقيقة المسيح العظيمة .

8 ـ إن الله سميع الدعاء وهو مجيب الدعاء و يعطي الجميع المؤمن والكافر و يحقق الأماني والآمال فضلاً منه وكرمًا . وهذه الإنسانية تطلب من الله من عهد آدم حتى الآن . فيجيبهـا الله إلى ما تحتاجه . ولكن نتساءل لماذا لم يستجب الله لدعاء المسيح أن يصرف عنه كأس الموت . ثم لماذا لم يخطر ببال أحد تلاميذ المسيح الدعاء على الذين قبضوا عليه ليهلكهـم الله ويخسف بهم قبل أن يصلبوا المسيح ؟ أم أنهم دعوا وابتهلوا ولكن الله لم يبال بهم ؟ ولم يستجب دعاءهم ؟

لم ينكر معجزات المسيح إلا اليهود والملحدون وقد أثبت القرآن للمسيح معجزات باهرات لم تذكرها الأناجيل . و إن المسلمين لا يعترضون على معجزات المسيح و يصدقون بها و إنما يعترضون على أسلوب رواية المعجزة والتي تشوهها أو تدس فيها ما يريده الكاتب ليثبت في النص رأيه الشخصي على أنه من أقوال المسيح وعندما نذكر حادثة أو معجزة أكثر من مرة في أكثر من إنجيل فإنها تنقل بشكل متضارب ومتناقض أحيانًا . و يذكر إنجيل متّى عشر معجزات للمسيح . لا نريد أن نذكرها ومن أراد الاطلاع عليها فهي مذكورة في الفصل الثامن ولكن نعلّق وبشكل سريع على أحداث بعضها .

---

(1) سفر الملوك الرابع فصل : 1 : 9 .

(2) انجيل لوقا فصل : 13 : 6 .

1 ـ يوصي المسيح أولئك الذين شفاهم بالا يخبروا أحدًا يريد إخفاء معجزاته[1] . فلماذا ؟

2 ـ من الملاحظ بأن أولئك المشفيين لا يتبعون المسيح بل يعود كلٌّ منهم إلى أهله[2] .

3 ـ يذكر الإنجيل أن المسيح أخذ الأسقام وحمل الأمراض[3] المتفشية في بني إسرائيل . فهل كان المسيح يأخذ أسقام الناس ويحمل أمراضهم فلو أنه شفىٰ إنسانًا أعمىٰ هل يصير المسيح أعمىٰ بدلاً منه . أم كيف يأخذ الإنسان أسقام وأمراض الآخرين ؟ هل معه حقيبة يجمع فيها العلل والأسقام ؟ هل كان المسيح مزدرىٰ ومخذولاً من الناس ، رجل أوجاع ومتمرسًا بالعاهات ، ومثل ساترا وجهه عن الناس . مزدرىٰ فلا يعبأ به إنسان : هل كان الناس يظنون أن المسيح ذا برص معزوبًا من الله ومذللاً[4] . لقد كان المسيح جميلاً فشوهته الأناجيل وكان صحيحًا سليمًا معافي بل كان يشفي الناس من أمراضها وأسقامها فجعلوه مريضًا عليلاً .

4 ـ عندما يتجمع الناس ليسمعوا من المسيح وليتتلمذوا على يديه يهرب منهم ويغادرهم إلى مكان آخر . ولماذا يتنقل المسيح من مكان إلى آخر هل للاختفاء أم لدعوة الناس ؟ الأناجيل تذكر أنه يقوم بعمل تبشيري . فهاهم الناس قد اجتمعوا ليسمعوا له . فلماذا يتركهم ويرحل ؟[5] .

5 ـ في معجزة تهدئة البحر الهائج وتسكين العاصفة . نجد أقوال التلاميذ كما يلي :

« يوقظ التلاميذ المسيح ويقولون له : ربنا نجنا لقد هلكنا »[6] .

« فأيقظوه وقالوا له : يا معلم أما تبالي أننا نهلك »[7] .

« فدنوا منه فأيقظوه وقالوا : يا معلم . . يا معلم لقد هلكنا »[8] .

وفي هذه المعجزة اتفق الإنجيليون الثلاثة على أن المسيح كان يغط في نومه ولا يشعر بما حوله من الاضطراب والهيجان . هل كان المسيح عديم الإحساس متبلد الشعور ؟ حاشا لله . ولكن الإنجليين يمتدحون المسيح في الظاهر ويشتمونه في الباطن .

ونعود إلى كلمات التلاميذ ففي إنجيل متّى يخاطب التلاميذ المسيح بالربوبية . فهل يقصد من هذا أن التلاميذ قد عرفوا أن المسيح هو الرب الإله أم يقصد بكلمة الرب هنا المسؤول عن الجماعة كما نقول رب البيت ونقصدبها كبير الأسرة ؟ وفي قولهم هنا طلب النجاة والإنقاذ . أما في انجيل مرقس فكان الخطاب : يا معلم أما تبالي إنا نهلك ؟ وفي هذا الخطاب لا يطلب التلاميذ من المسيح إنقاذهم لأنهم لا يعرفونه حق المعرفة بل يقولون أما تبالي . توبيخًا له على عدم إحساسه وبلادته . وعندما يسكن البحر يستولى على التلاميذ خوف شديد ويتسألون من تُرى هذا ؟

---

(1) متّى فصل : 8 : 4 .
(2) لوقا فصل : 17 : 11 حتى 19 .
(3) متّى فصل : 8 : 17 .
(4) نبوءة أشعيا فصل : 53 : 2 ـ 4 .
(5) متّى فصل : 8 : 18 .
(6) متّى فصل : 8 : 26 .
(7) مرقس فصل : 4 : 38 .
(8) لوقا فصل : 8 : 24 .

أما رواية لوقا فإن فيها إخباراً للمسيح بأن ركاب السفينة اقتربوا من الهلاك وهو من جملتهم فأيقظوه ليأخذ حذره . وينتبه إلى الخطر المحدق به وهو غافل عنه .

ونلاحظ اختلاف الصفة التي ينادي بها التلاميذ المسيح فمتّى يقول نادوه : يا رب . ومرقس ولوقا قال : يا معلم . وعلينا هنا الانتباه فإن كلمة واحدة في النص تقلب معناه وتسيّره في غير مجراه . ففرق كبير بين المعلم والرب والإله والسيد والأب والابن . ولكن بما أن الأناجيل مترجمة من اليونانية . واليونانيون لا يفرقون بين الإنسان والإله فيجعلون من الإله إنساناً[1] ويجعلون من الناس آلهة[2] وأبناء آلهة . لذلك ضاع المترجون وضاعت الحقيقة في ترجماتهم واندسّ المضللون خلال السطور .

6 ـ نلاحظ أن الغرباء والشياطين تنادي المسيح بابن داود[3] أو يا ابن العلي[4] . وهذه الأرواح نجسة تريد تضليل الناس لذلك كان المسيح ينتهرها[5] ويمنعها من الكلام ورغم ذلك فقد قلد المسيحيون هؤلاء الشياطين وأصروا على تلقيب المسيح بابن الله اقتداء بالشياطين والأرواح النجسة والشريرة .

7 ـ ينبه المسيح تلاميذه إلى عدم دخول مدن الوثنيين أو السامريين ولكنه هو شخصيًا لا يتبع الوصايا التي يطلبها من تلاميذه . فعندما يجتمع إليه المؤمنون به يريدون منه الهداية يهرب منهم إلى مدن الوثنيين حيث يقوم بإغراق ألفي خنزير في البحيرة ويغضب الأهالي على المسيح ويطردونه من بلادهم[6] .

هل فعل المسيح هذا لأن الخنزير حيوان نجس ولا قيمه له عنده ؟

أم أنه أراد الإضرار بأصحاب الخنازير ؟

وفي هذه القصة أو المعجزة نجد أن الخنازير هي التي حملت الأسقام والأمراض والشياطين وقذفت بنفسها في البحر . وهنا نتساءل هل الخنازير هي التي غرقت وماتت وحدها أم أن الشياطين التي بداخلها ماتت معها ؟

هل كان المسيح حكيمًا عندما تحرّش بالوثنيين وأوقع الأضرار بهم ؟ وهو الوديع الذي يدعو للسلام والمحبة والتسامح .

8 ـ إن الأناجيل هي عرض لمعجزات المسيح ولكن متّى ومرقس بعد أن ذكرا معجزات المسيح ينفيان أن يكون للمسيح أية معجزة سوى معجزة يونان النبي .

ثم كلمه بعض الكتبة والفريسيين فقالوا : يا معلم . . نريد أن نرىٰ منك آية . فأجابهم : جيل فاسد يطلب آية ولن يجعل له سوىٰ آية النبيّ يونان . فكما بقي يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال فكذلك يبقىٰ ابن الإنسان في جوف الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال . أهل نينوىٰ سيقومون يوم الدين مع هذا الجيل ويحكمون عليه لأنهم تابوا بإنذار

---

(1) بعض الآلهة تزوجوا من البشر وأصبحوا منهم .

(2) بعض البشر قاموا بأعمال عظيمة فأصبحوا آلهة كاغريرت الذي ساعد الايرانيين (الشاهنامة) الحاسب .

(3) المرأة اللبنانية التي طلبت شفاء ابنتها .

(4) متّى فصل : 8 : 29 . ومرقس فصل : 5 : 7 .

(5) مرقس فصل : 3 : 11 و12

(6) مرقس 5: 17.

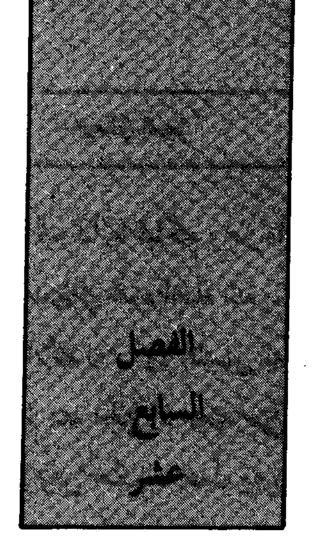
يونان . وههنا أعظم من يونان ملكة الجنوب ستقوم يوم الدين مع هذا الجيل وتحكم عليه لأنها جاءت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان . وههنا أعظم من سليمان »[1] .

« فأقبل الفريسيون وأخذوا يجادلونه طالبين آية من السماء ليجربوه . فتنهد من أعماق نفسه وقال ما بال هذا الجيل يطلب آية . الحق أقول لكم لا يجعل لهذا الجيل آية . ثم تركهم وعاد إلى السفينة فركبها وعبر إلى الشاطيء المقابل »[2] .

وفي النص الأخير فإن المسيح بذاته يرفض أن يكون لهذا الجيل آية بينما متّى يجعل للمسيح آية واحدة وهي آية يونان والتي سوف نناقشها في الفصول القادمة ونبين معناها .

(1) متّى فصل : 12 : 38 حتى 42 .

(2) مرقس فصل : 8 : 11 حتى 13 .



التحدي المعجز

كانت المعجزات التي قام بها الأنبياء لم يطلّع عليها عيانًا غير الموجودين في مكان حدوث المعجزة . وأما الناس الآخرون والذين سمعوا بحدوث تلك المعجزات فهم بين مصدق ومكذب . وقد ترك لنا محمد صلى الله عليه وسلم معجزة الإسلام الخالدة ألا وهي القرآن الكريم . هذه المعجزة باقية ما بقي القرآن في أيدي الناس يتلونه ويتعبدون به الله تعالىٰ . وهو حجة الله على خلقه فلا أحد بعد الآن يستطيع أن يقول لم أر معجزة أو آية . فالقرآن الكريم هو الآية العظمىٰ وفيه التحدي للبشر للإنس والجن مجتمعين ليأتوا بمثله مستخدمين العقول الالكترونية وما شاءوا لمساعدتهم في هذا المضمار .

لقد جاء تحدي القرآن سافرًا صريحًا في عدد من السور . وقد مضىٰ على القرآن خمسة عشر قرنًا لم يتمكن أحد من العلماء أو البلغاء أو الحكماء أو المشرعين من الإتيان بما يعارض القرآن .

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝ ﴾[1] .

ويتحدّى القرآن كل من يقول إن هذا القرآن من صنع البشر .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ ﴾[2] .

ويأتي التهديد والوعيد لكل من لا يؤمن بهذا الدين بعد الاعتراف بإعجاز القرآن للبشر

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ۝ ﴾[3] .

وقد تكلم العلماء والفقهاء والأدباء . وكتبوا الكتب الكثيرة في مواضيع إعجاز القرآن . ونحن في هذا الكتاب سوف نحاول كشف بعض وجوه الإعجاز في القرآن الكريم .

---

(1) سورة الإسراء : آية 88 .

(2) سورة هود : الآيتان 13 و 14 .

(3) سورة البقرة : الآيتان 23 و 24 .

قال الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم في وصف القرآن الكريم : « **كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغىٰ الهدىٰ في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهداء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : لقد سمعنا قرآنا عجبًا ، يهدي إلى الرشد ، فآمنا به . من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدىٰ إلى صراط مستقيم** » .

وقد وصف الوليد بن المغيرة القرآن فقال : « والله إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة و إن أعلاه لمثمر و إن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر » .

وقال الأستاذ أمين الريحاني وهو الأديب اللبناني المسيحي المعروف للأستاذ محمد حسين النجفي : من يا ترىٰ يرفض ما جاء في القرآن من مثل هذه الآيات :

﴿ . . . وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ . . . ﴾[1] .

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ . . . ﴾[2] .

﴿ . . . لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا . . . ﴾[3] .

﴿ . . . وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ . . . ﴾[4] .

﴿ . . . وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا . . . ﴾[5] .

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[6] .

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ . . . ﴾[7] .

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى . . . ﴾[8] .

﴿ . . . أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم . . . ﴾ – ﴿ . . . وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ . . . ﴾[9] .

---

(1) سورة الأنعام : من آية 164 .

(2) سورة المؤمنون : من آية 96 .

(3) سورة البقرة : من آية 233 .

(4) سورة الحجرات : من آية 11 .

(5) سورة الحجرات : من آية 12 .

(6) سورة النجم : آية 39 .

(7) سورة البقرة : من آية 112 .

(8) سورة البقرة : آية 263 .

(9) سورة البقرة : الآيتان 254 و 272 .

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ . . . ﴾[1] .

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ . . . ﴾[2] .

﴿ . . مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا . . . ﴾[3] .

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * ﴾[4] .

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ . . . ﴾[5]

ثم استطرد الأستاذ أمين الريحاني فقال للأستاذ النجفي : هات يدك أصافحك على هذه وأمثالها في القرآن فأنا فيها مثلك مسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

وشهد الدكتور هنري استب فقال : لغة القرآن وأسلوبه في درجة منقطعة النظير . حتى إن محمدًا صلى الله عليه وسلم اتخذه أكبر شاهد على صدق رسالته . لأنه خارج عن طوق البشر . وتحدىٰ العرب وغيرهم بأن يأتوا بعشر سور من مثله مفتريات . فعجزوا . والمسلمون يعتبرون كل آية من آياته معجزة كبرىٰ . ويقولون : إن كانت المعجزات براهين على صدق الأنبياء وصحة رسالتهم فإن في القرآن ثلاثة آلاف من الآيات البينات كل منها معجزة قائمة بذاتها . ولمحمد فوق ذلك معجزات أخرىٰ تجل عن الحصر . غير أنها في باب الاقناع دون القرآن الكريم . لأنها لم تقع إلا مرة واحدة ولم يشاهدها إلا قليل من السلف . تقبلها منهم الخلف تعويلاً على نزاهتهم ورجاحة عقلهم . من أجل ذلك كان حقًا ما يقال إن الله ميّز محمدًا فأرسله للناس بمعجزة خالدة . لتكون حجة قائمة في جميع العصور تتداولها العصور .

إن إعجاز القرآن ينبع من كونه كتاب حق أنزل ﴿ . . . وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * ﴾[6] .

﴿ . . . وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا * ﴾[7].

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * ﴾[8] .

وهذا القرآن يهدي إلى طريق الحق والرشاد .

---

(1) سورة البقرة : من آية 276 .
(2) سورة النساء : من آية 79 .
(3) سورة المائدة : من آية 32 .
(4) سورة الأنعام : آية 160 .
(5) سورة النحل : من آية 125 .
(6) سورة فصلت : الآيتان 41 و 42 .
(7) سورة النساء : من آية 82 .
(8) سورة هود : الآيتان 1 و 2 .

﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1] .

وبسبب الحروب والاضطهادات وبغي الأباطرة وظلم الاستعمار . وبسبب تلاعب رجال الدين بكتبهم وتحريفها ضاعت الحقيقة . ويظهر إعجاز القرآن بتبيان الأمور المختلف عليها وتبيين الحكم الصحيح البعيد عن الهوىٰ والغرض والمصلحة الشخصية أو الطبقية . وتبيين الأحكام التي تعمد رجال الدين السابقون إخفاءها واستبدالها لمصالحهم الدنيوية . وكان العالم ينتظر محمدًا صلى الله عليه وسلم يبين لهم هذه الحقائق كما بشر به المسيح .

« و إذا كنتم تحبوني حفظتم وصاياي وأنا أسال أبي فيهب لكم مؤيدًا[2] آخر يبقىٰ معكم إلى الأبد »[3] .

وقد أشار القرآن إلى المعاني التي ذكرناها كما يلي :

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۞ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۞ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۞ ﴾[4] .

﴿ الٓر كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۞ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۞ ﴾[5] .

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ ﴾[6] .

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۞ ﴾[7] .

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ ﴾[8] .

ومن إعجاز القرآن أن الأمة التي تتبع تعاليمه وتؤمن به تعلوا على الأمم .

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ ﴾[9] .

---

(1) سورة الإسراء : آية 9 .

(2) المؤيد : هو محمد أيده الله بجبريل وبالمؤمنين .

(3) يوحنا فصل : 14 : 16 .

(4) سورة البينة : الآيات 1 و 2 و3 .

(5) سورة إبراهيم : الآيتان 1 و 2 .

(6) سورة النحل : آية 64 .

(7) سورة النحل : الآيات 89 و 90 و 91 .

(8) سورة المائدة : الآيتان 15 و 16 .

(9) سورة الأنبياء : آية 9 .

وهؤلاء هم العرب لما تمسكوا بالقرآن استلموا مشعل الحضارة وقادوا الأمم ألف سنة من الزمان ولما تخلوا عن القرآن رجعوا ليتبوأوا مقعدهم اللائق بهم في صف الأمم الضعيفة المُستغلة والأمـة المتقدمة التي ستعتنق الإسلام ستخطوا أشواطًا بعيدة إلى الأمم بالحضارة الإنسانية وستصبح قبلة الأمم ومثالاً يحتذى .

قال السير هنري جونسون يصف ما يفعله القرآن في أفريقية :

قد تمر بالقرية الزنجية الوثنية في قلب أفريقيا فتجد أهلها في أحط درجات البشرية من حيث النظافة ومن حيث العلاقات الاجتماعية والأسرية . وهم لا يتقذرون من فضلاتهم ولا يغتسلون من دنس . وتراهم يأكلون الميتة ويشربون الدماء . ويذبحون آباءهم وأجدادهم إذا شاخوا ، أو عجزوا ، ويغيرون على الجار ، ولا يرعون له حرمة ، ويغتصبون امرأته وبنته نهارًا لا يرون في ذلك عيبًا أو نقيصة . فإذا مررت بالقرية نفسها بعد عشر سنوات وقد دخلها الإسلام تراهم يدركون معنىٰ النظافة والطهر ، ويستعملون الماء للاغتسال والوضوء وتنظيف الأجسام والثياب ، وتترابط أسرهم ويصلون أرحامهم ، ويحمون جارهم ، ويرعون حق القريب وحق الغريب ، فلا تكاد تتعرفهم لشدة ما لحقهم من الفضائل ومكارم الأخلاق ومظاهر الرقي والحضارة .

فالإسلام وهو دين العرب يزرع الآن بذور المدنية في قلب أفريقية المظلمة أو القارة السوداء فيبدد سواد ليلها[1] . وفي تمباكتو والسنغال أو داهـومي تلقىٰ أُناسًا سود الوجود بيض القلوب أنقياء الضمير يقرأون فلسفة ابن رشد ومؤلفات الغزالي ويتأدبون بأدب الإسلام . وربما كان من أسلافهم من يأكل لحوم البشر . ولم يكونوا ليقرأوا تلك الكتب ذات القيمة الفلسفية والأدبية العالية لولا دين الإسلام الذي تتبعه اللغة العربية أينما ذهب لضرورة درس القرآن كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

إن الأمة التي سوف تتبنىٰ الإسلام وتسير حسب توجيهات القرآن ستكون خير أمة أخرجت للناس فلا يوجد فقير أو كسير أو منبوذ . ستكون تلك الأمة جسمًا واحدًا وقلبًا واحدًا وهدفًا واحدًا . وستُحل جميع المشاكل المستعصية فلا أفيون ولا مخدرات ولا زنا ولا لقطاء ، أو مشوهين ، وستزول الأمراض الجنسية والزهرية ويعيش الناس أسرة واحدة متحابة متلاحمة . وسيتحقق أمل الإنسانية المنشود في السلام والرفاهية . فلا سرقات ولا اعتداءات ولا اغتصاب . وتنسخ شريعة الغاب لتحل محلها شريعة الله التي طالما انتظرتها الأمم والشعوب .

أما الفرد المؤمن المتمسك بتعاليم الدين وتوصيات القرآن فهو الإنسان السوبرمان الذي كتب عنه المفكرون والأدباء . وهو الإنسان المثالي الواقعي الذي تحلم به البشرية ويمكن أن نذكر بعض الصفات الإيجابية التي يحض عليها القرآن الكريم . ولنعترف أن المسلم الحق أشبه بالملائكة منه بالإنسان . وبعض الصفات التي يغرسها القرآن في نفس المؤمن :

النظافة ـ الطهارة ـ الأناقة .

الأدب ـ الأخلاق ـ التهذيب .

صحة : الجسم ـ العقل ـ النفس .

العلم ـ العمل ـ الجد ـ الاجتهاد .

---

(1) وهذا ما سيفعله الإسلام في أدريا المظلمة روحيًا وأخلاقيًا . إذا اعتنقت الإسلام فالتقدم العلمي في الغرب . لا يكفي وحده لسعادة الإنسان .

صلة الرحم ـ بر الوالدين ـ التعاون على البر والتقوىٰ .

الشعور بالمسؤولية ـ مواساة الفقير واليتيم ـ نصرة المظلوم .

الأمانة ـ الوفاء ـ الصدق ـ التضحية ـ الإخلاص .

إكرام الضيف ـ الجود ـ السخاء ـ الإيثار .

الشجاعة ـ القوة ـ الصبر .

الحلم ـ الأمل ـ الرحمة ـ التواضع .

الهدى ـ التقوىٰ ـ العفاف .

فإذا كانت الإنسانية تنشد أكثر من هذا فعليها بالقرآن فإن فيه الزيادة والمزيد لكل طالب ومريد .

وعندما ندرس أسلوب القرآن نلاحظ أنه مصوغ على أسلوب كونه كلام الله تعالىٰ .

فالله بذاته الجليله هو المتكلم بالكلمة القرآنية . ولذلك فإن ضمير المتكلم يعود على الله سواء أكان ضمير المتكلم العادي أو ضمير المتكلم العظيم (إنّا ـ نحن) . وتضاف الأشياء إلى ذاته العلية كونها صادرة عنه وباعتباره متكلمًا عنها . وهو الذي يصف البشر بالعبودية فلا ينبغي لأحد أن يخاطب البشرية بيا عبادي إلا الله تعالىٰ وحده .

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾[1] .

أما النبي صلى الله عليه وسلم فيُخاطب في القرآن خطاب المتحدث إليه :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ . . . ﴾[2] .

﴿ . . . عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ . . . ﴾[3] .

﴿ . . . إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾[4] .

ويخاطب النبيُّ أحيانا بلهجة المأمور الذي يطلب منه تنفيذ الأمر .

﴿ . . . فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ . . . ﴾[5] .

﴿ . . . وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا . . . ﴾[6] .

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ ﴾[7] .

---

(1) سورة الزمر : آية 53 .

(2) سورة البقرة : من الآية 4 .

(3) سورة التوبة : آية 43 .

(4) سورة يسٓ : آية 3 .

(5) سورة النساء : من الآية 81 .

(6) سورة طه : من آية 132 .

(7) سورة المزمل : آية 10 .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً * ﴾[1] .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا * ﴾[2] .

﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * ﴾[3] .

ويتحدث القرآن أحياناً عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بصيغة الغائب .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ * ﴾[4] .

﴿ . . . وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ﴾[5] .

أما بالنسبة لكتب العهد القديم فنلاحظ أنها موضوعة على أساس أن الأنبياء يخاطبون شعوبهم يحذرونهم ويأمرونهم وينهونهم . وأما بالنسبة للأناجيل فهي من إنشاء التلاميذ حسب ما رأوا أو سمعوا أو فهموا . والفرق واضح بين كلام الله وكلام النبيّ وكلام التلميذ . هذا إذا لم نعتبر التحريف والتبديل الواقع على التوراة والإنجيل .

وسنبين بعض وجوه الإعجاز في أسلوب القرآن الكريم . فالأمثال هي دروس لتعليم الحكمة بطريقة تستلذها النفس ويتقبلها العقل .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ * ﴾[6] .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ * ﴾[7] .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا

---

(1) سورة المزمل : الآيات 1 و 2 و 3 و 4 .
(2) سورة الكهف : آية 110 .
(3) سورة الجن : آية 20 .
(4) آل عمران : آية 144 .
(5) سورة محمد : من الآية 2 .
(6) سورة إبراهيم : الآيات من 24 حتى 27 .
(7) سورة النحل : آية 112 .

كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً * قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً * قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا * ﴾[1] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * ﴾[2] .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ * ﴾[3] .

﴿ اعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَـٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا وَفِي الْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَـٰعُ الْغُرُورِ * ﴾[4] .

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَـٰلَمِينَ * فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ الظَّـٰلِمِينَ * ﴾[5] .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ * قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * ﴾[6] .

ومن أراد المزيد من الآيات والأمثال القرآنية وشرحها فعليه بكتب التفسير فإنها تروي الغليل .

لقد حاور القرآن وجادل ووعظ وزجر ، وأمر بأسلوب من الأدب الرائع ، وبكلمات تعذب في الأسماع فتنحدر إلى أعماق القلوب . ولا نرىٰ في كتاب الله كلمة تحمّر لها الوجنات خجلاً أو تطرق لها الرؤوس حياء وأدبًا . وهو يكني بدل الصريح . فكله أدب وأخلاق وسياسة . وأمثال ذلك التلميح دون التصريح في قوله تعالىٰ :

---

(1) سورة الإسراء : الآيات من 89 حتى 96 .

(2) سورة الحج : الآيتان 73 و 74 .

(3) سورة العنكبوت : آية 41 .

(4) سورة الحديد : آية 20 .

(5) سورة الحشر : الآيتان 16 و 17 .

(6) سورة الجمعة : الآيات من 5 حتى 8 .

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ . . . ﴾[1] .

وفي هذه الآية لفتة مهذبة إلى ما يقوم به الإنسان من اخراج الفضلات بعد الطعام .

لقد قام بشرح معجزات القرآن في الأدب التشريعي والاجتماعي وتكفلت الأيام بإدراك أسراره و إظهار أنواره . كما خاض الأدباء في بحر بلاغته وحلقوا في سماء فصاحته وبحثوا في فنون بيانه وضروب تبيانه وتنوع إعجازه وأبواب حقيقته ومجازه . ونتعرض في هذا المجمل لبعض الآيات القرآنية الحاثة على الأدب والأخلاق الداعمة لقواعد الاجتماع وسنن العمران .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۞ ﴾[2] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا . . . ﴾[3] .

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۞ ﴾[4] .

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۞ ﴾[5] .

﴿ . . . وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ ﴾[6] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ ﴾[7] .

﴿ . . . إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ ﴾[8] .

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا . . . ﴾[9] .

---

(1) سورة المائدة : آية 75 .
(2) سورة الإسراء : الآيتان 23 و 24 .
(3) سورة الحجرات : من الآية 12 .
(4) سورة فصلت : آية 34 .
(5) سورة الإسراء : آية 53 .
(6) سورة آل عمران : من الآية 134 .
(7) سورة الحجرات : آية 11 .
(8) سورة المائدة : من الآية 90 .
(9) سورة النور : الآيتان 30 و 31 .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ﴾[1].

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا * ﴾[2].

﴿ . . . وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ . . . ﴾[3].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * ﴾[4].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِ . . . ﴾[5].

﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * ﴾[6].

﴿ . . . وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * ﴾[7].

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ * ﴾[8].

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ * ﴾[9].

وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن تشير إلى وحدانية الله تعالىٰ استنتاجًا من وحدة خلقه . وقد بينت هذه الآيات حقائق كونية عامة لم تكن معروفة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الآيات نسجل ما يلي :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ * ﴾[10].

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ * ﴾[11].

﴿ . . . وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * ﴾[12].

---

(1) سورة النور : الآيتان 4 و 5 .
(2) سورة الإسراء : آية 32 .
(3) سورة البقرة : الآية من 177 .
(4) سورة البقرة : آية 278 .
(5) سورة البقرة : الآية من 282 .
(6) سورة الذاريات : آية 19 .
(7) سورة الحشر : الآية من 9 .
(8) سورة البقرة : آية 43 .
(9) سورة الانفطار : الآيتان 10 و 11 .
(10) سورة الأنبياء : الآية 30 .
(11) سورة الذاريات : الآيتان 46 و 47 .
(12) سورة يسٓ : من الآية 40 .

﴿ . . . يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ . . . ﴾[1] .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ . . . ﴾[2] .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ . . . ﴾[3] .

﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . . ﴾[4] .

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . . ﴾[5] .

وهذه الآيات تشير إلى وجود المخلوقات في الأرض والسماء .

وأما بالنسبة للأحياء والنباتات فقد وردت آيات كثيرة تبين حقائق علمية وتلفت نظرنا إلى عظمة الله تعالى عن طريق التفكير في تناسق وتكامل الطبيعة التي حولنا .

﴿ . . . وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * ﴾[6] .

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ * ﴾[7] .

﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * ﴾[8] .

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * ﴾[9] .

﴿ . . . يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ . . . ﴾[10] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا . . . ﴾[11] .

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ * ﴾[12] .

---

(1) سورة الزمر : من الآية 5 .

(2) سورة الشورى : من الآية 29 .

(3) سورة الإسراء : من الآية 44 .

(4) سورة مريم : من الآية 92 .

(5) سورة الإسراء : من الآية 55 .

(6) سورة الحج : من الآية 5 .

(7) سورة الحجر : آية 22 .

(8) سورة الذاريات : آية 49 .

(9) سورة الرعد : آية 4 .

(10) سورة النحل : آية 69 .

(11) سورة الحج : من الآية 5 .

(12) سورة الطارق : الأيات من 5 حتى 7 .

وقد ألفت كتب كثيرة تبين الحقائق العلمية التي أقرها القرآن قبل خمسة عشر قرنًا . و إن تطرّق القرآن لبحث المواضيع العلمية الدقيقة لأكبر دليل على أنه من عند الله تعالىٰ وقد وردت عدة قصص في القرآن تصور القدرة الإلهية ومسالك السنن الطبيعية وقوانين الحياة الاجتماعية . ومناهج النواميس العمرانية للعبرة والعظة والارشاد ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ . . . ﴾[1] .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[2] .

وتبين قصص القرآن أن الأديان السماوية متحدة في أسسها ومراميها . وأغراضها الدينية وأن الدين كله لله ومن عند الله من عهد آدم إلى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وترشدنا القصص القرآنية إلى أن وسائل الأنبياء في الدعوة إلى معرفة الله وطرق التقرب منه متشابهة ومتقاربة . كما أن ردود أقوام الأنبياء وآراءهم في الكفر والعصيان كانت متشابهة . وتبين هذه القصص نصرة الله لأنبيائه والمؤمنين به و إهلاكه مكذبيهم وفي ذلك تعزية للمصلين وتثبيت للداعين إلى الله تعالىٰ والمجاهدين في سبيله .

وفيما يلي نورد قصتين قرآنيتين مختلفتين ليتبين لنا الإعجاز القرآني بأوضح صوره .

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ[3] كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ[4] إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا[5] مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ[6] مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ[7] * فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ * أَنِ ٱغْدُواْ[8] عَلَىٰ حَرْثِكُمْ[9] إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ[10] * فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ[11] قَٰدِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ[12] * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ * قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ * عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ * كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ * ﴾[13] .

---

(1) سورة يوسف : آية 111 .
(2) سورة آل عمران : آية 137 .
(3) بلوناهم : فحصناهم واختبرناهم .
(4) أصحاب الجنة : أصحاب البستان .
(5) ليصرمنها : يقطعونها ويحصدونها .
(6) طائف من ربك : بعث الله على البستان ما جعله كله يابسًا لا ثمر فيه .
(7) كالصريم : كالمقطوعة .
(8) اغدوا : اذهبوا مبكرين في الغداة .
(9) حرثكم : بستانكم .
(10) صارمين : قاطعين للثمر .
11) حرد : منعٍ للفقراء .
(12) ضالون : تائهون عن الطريق .
(13) سورة القلم : الآيات من 17 حتى 33 .

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا * وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا * لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا * قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا[1] * وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا * مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا * ﴾[2] .

لقد كان العرب أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة وجاء القرآن يتحداهم فلم يحركوا ساكنًا ووقفوا مكتوفي الأيدي خاضعي الرؤوس أمام عظمته . وآثروا المقارعة بالسيف على المعارضة بالحروف لهذا الكتاب الذي هشم آلهتهم وقارع مذاهبهم وأبطل عقائدهم . وادعىٰ أن لا مجادل لجلاله ولا معارض لكماله فتبوأ عرش الإعجاز . ووقف المعاند أمام سلطانه وضيعًا . وخر عند التحدي صريعًا وقد كان معروفًا بالحجة البالغة موصوفًا بالقوة الدافعة ولكن أنّى للمخلوق أن يضارع خالقه وللعبد أن يباري سيده .

وقد شاءت الحكمة الإلهية والعناية الأزلية أن ينزل القرآن العظيم بمجمع الكمالات القدسية والآداب الإلهية . وأن يحرر بتعاليمه العقول . وينقذ بأوامره السامية النفوس . لقد أشرق نور القرآن على القلوب وتجلىٰ سلطانه على العقول فخرَّت سجدًا لجلاله وانطلقت بالشكر لله على إحسانه . يقف القرآن الكريم أمام الحكماء وأرباب الملل والماديين والدهريين فيدعوهم إلى البرهان والتدبر إلى الهدىٰ والتبصر .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ * ﴾[3] .

لقد استطاع القرآن الكريم إحداث انقلاب عظيم مفاجىء بأسرع وقت . وما أحدثه القرآن لن تستطيع الفلسفة على اختلاف ضروبها في أي عصر وبلد أن تنشىء تقدمًا وازدهارًا كالذي أحدثه القرآن . لقد تضمن القرآن من الحجج والبراهين على التوحيد وعلى الرجعة في اليوم الآخر . وأقام الأدلة على الدهريين والثنويين حتى قطع بحجاجه كل محتج

(1) ودًا وسواعًا ويغوث ونسرًا آلهة وأصنام عبدها قوم نوح .

(2) سورة نوح .

(3) سورة محمد : آية 24 .

وخصم بجدله كل خصم ألد . ولقد نبه القرآن إلى طرق الحجج العقلية . فقال تعالى :

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ . . . ﴾[1] .

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[2] .

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا[3] . . . ﴾[4] .

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[5] .

لقد رفع القرآن دولة العقل والعلم وخفض راية الجهل والجمود ، وجمع علومًا لا يحيط بها إنسان واحد . ويندهش لها ذوو القرائح والأفكار . فرحب بفلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو وبطليموس لأنها من ضحضاح بحره الذي لا يخاض غمره ولم تلق الفلسفة الاغريقية من القرآن ومتدبريه ما لقيته من الكنيسة الرومانية من الاضطهاد والمطاردة . عاشت الحكمة الإلٰهية الإغريقية تحت راية القرآن وترعرعت ونمت ورأت عزًا لم تره في مهدها ومنبتها لأن الحكمة من القرآن و إلى القرآن . رحب القرآن بفتوحات برونو وغاليلو العلمية واكتشافاتهم الفنية لأن ذلك يزيد الناس قوة ومتانة بكتاب الله ويسفر عن مخبئات كلام الله ويرشدهم إلى مبلغ الإعجاز في آيات الله . وهاهم فلاسفة الغرب[6] وحكماؤه أصبحوا يؤيدون تعاليم القرآن فحرموا الخمر والميسر وأباحوا الطلاق للضرورة واستحسنوا تعدد الزوجات لحل بعض المشاكل الناتجة عن الحروب[7] وسواها . وما كانت تعاليم القرآن لتنافي الآراء القويمة أو تعمىٰ حكمتها على العقول السليمة . ولم تكلف العقل الإيمان بما لا يعقل أو لا يستثمر في سعادة الدنيا والآخرة وصحة الجسم وطيب النفس وصلاح المجتمع الإنساني . وما كان الله ليلزم الناس بما لا طاقة لهم به ويفرض عليهم الإيمان بما لم يبين لهم حجته وبرهانه . فعقائد القرآن واضحة للعقول مقبولة في النفوس لا تثور من حولها الشكوك ولا تعتريها الأوهام والشبهات ومن عميت عليه فلا إكراه في الدين .

والقرآن هو الكتاب الصالح لجميع الأمم في سائر العصور .

وبعد أن تحدى القرآن العرب وغيرهم بالإتيان بمثله تحدىٰ اليهود والنصارىٰ .

وأما تحدي اليهود فكان بآية تمني الموت .

﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ

---

(1) سورة يس : من الآية 81 .

(2) سورة يس : آية 79 .

(3) تفسد الأرض والسماء عند تعدد الآلهة .

(4) سورة الأنبياء : من الآية 22 .

(5) سورة المؤمنون : آية 91 .

(6) مثل الكسيس كارليل في كتابه : الإنسان ذلك المجهول .

(7) عند وجود العقم عند الزوجة وسواها من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تفرض تعدد الزوجات .

ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّٰلِمِينَ * ﴾[1] .

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ * ﴾[2] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه** »[3] . و إن من تصفح كتب التاريخ واطلع على المكائد التي كادها اليهود لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ولأصحابه الكرام رضوان الله عليهم يدرك سر هذه المعجزة العظمىٰ والآية الكبرىٰ . لقد شنوا عليه الغارات المتتالية وعرضّوا أموالهم للتلف وأنفسهم للهلاك والجلاء ولم يتفوهوا بهذه الكلمة . ولو علموا أن ما عند محمد غير الحق لقالوها مل أشداقهم وعلى مسمع من العرب أجمع والمسلمين كافة . ولكان تأثيرها أشد من الجيوش الجرارة . ولما ثبت على الإسلام رجل ولا إمرأة ولا طفل .

وبهذا نعلم أن اليهود عرفوا محمدًا صلى الله عليه وسلم أكثر من معرفتهم بأنفسهم وعلموا أنه رسول الله حقًا وصدقًا ولكن حسدوا وغضبوا أن تخرج النبوة من ذرية إسحق إلى ذرية إسماعيل .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ . . . ﴾[4] .

ولما أسلم عبد الله بن سلام فقال : لقد عرفت محمدًا حين رأيته كما أعرف ابني . ولأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني لأني لا أدري ما صنع النساء . وأشهد أن محمدًا رسول الله حقًا من الله تعالى .

وأما لقاء النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم مع نصارىٰ نجران فقد تَمَّ في جو من التعقل والاتزان وانتهىٰ بعقد إتفاق بين المسلمين والمسيحيين . فقد كتب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى أُسقف نجران ما يلي :

باسم إله إبراهيم و إسحق ويعقوب من محمد النبيّ رسول الله إلى أسقف نجران . فإني أحمد إليكم إله إبراهيم واسحق ويعقوب . أما بعد ، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد . وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد . فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام .

فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل . وهو المشير على القوم في الملمات فقرأه شرحبيل وقال : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة . فما تؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل . ليس لي في النبوة رأى . ولو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأي .

وجاء وفد من نجران يستكشف أمر هذا النبيّ . فسمعوا منه وسُرّوا لتقارب ما يدعو إليه الدينان الإسلامي والمسيحي . وقالوا للرسول قد كنا مسلمين قبلك و إنا نبايعك على أمرك إن قلت إن المسيح هو ابن الله ، لأنه لا أب له . فقال لهم رسول الله : **هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم** . فغضبوا وقالوا إن كنت صادقًا فأرنا عبدًا لله يحيي الموتى

---

(1) سورة البقرة : الآيتان 94 و 95 .

(2) سورة البقرة : آية 96 .

(3) مات حالاً .

(4) سورة البقرة : من الآية 146 .

ويشفي الأكمة والأبرص . فسكت النبي صلى الله عليه وسلم . فنزل عليه الوحي ومعه التحدّي السافر وفيه الحقيقة والمنطق والبرهان .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * ﴾[1] .

ويتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الحسن والحسين وابنته فاطمة تمشي وراء ظهره ووراءهما علي بن أبي طالب لإمضاء التحدي و إتمام الملاعنة . ويتشاور وفد نجران فيقول أسقفهم وهو العاقب : قد علمتم أن محمدًا نبيّ وأنه مالاعن نبيٌّ قومًا قط فبقى كبيرهم ولا صغيرهم . وقال شرحبيل : صدقت لئن كان هذا الرجل نبيًا مرسلاً فلاعناه فلا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك . ويرفض وفد نجران التحدي ويتقدم شرحبيل إلى رسول الله ويقول : إني قد رأيت خيرًا من ملاعنتك . فقال : وما هو ؟ قال : نحكمك فينا وما حكمت فهو جائز .

ولو علم وفد نجران أنهم على حق لباهلوا النبيّ صلى الله عليه وسلم ولكنهم خافوا من تحدي وتهديد القرآن وهم يعلمون أنه الحق من ربهم . ولثقتهم بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم وعدله . لم يفاوضوه بل حكّموه في أموالهم وأنفسهم .

ويصرح أبو حارثة[2] وهو من أساقفة نجران لأخيه كرز فيقول : والله إنه للنبيّ الذي كنا ننتظره . فقال له كرز : وما يمنعك وأنت تعلم هذا ؟ فيجيب : ما صنع بنا هؤلاء القوم[3] شرفونا ومولونا وأخدمونا وقد أبوا إلا خلافه[4] ولو فعلت[5] نزعوا منا كل ما ترىٰ . ويلتحق كرز بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه وانضمامه إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

لقد حلل القرآن الأمراض الأخلاقية تحليلاً دقيقًا . وشرح عللها . وحذرنا منها وحضنا على الأخلاق الفاضلة بعامل الرغبة والرهبة فكانت الإجابة إليه أسرع والقرآن شفاء من الأمراض الروحية وشفاء من الأمراض النفسية والعصبية والأمراض السارية والحميات والصداع . وقراءته للتبرك تنفع كثيرًا وتذهب الهموم والخوف . وتنعش الآمال وتشجع على الصبر . ولا ينكر أحد القراءات الشافية التي تذهب الألم وتوقف تأثير لدغ العقرب والثعبان .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ . . . ﴾[6] .

﴿ . . . أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ * ﴾[7] .

---

(1) سورة آل عمران : الآيات من 59 وما بعدها حتى 64 .

(2) أبو حارثة بن علقمة من قبيلة بكر بن وائل .

(3) يقصد الروم .

(4) خلاف محمد صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه على حق .

(5) يقصد بكلمة « فعلت » أي دخلت في دين الإسلام وتركت التبعية للروم .

(6) سورة الإسراء : من الآية 82 .

(7) سورة الرعد : من الآية 28 .

وأما الخشية والهيبة التي تحل بسامعي تلاوة القرآن فحدث عنها ولا حرج .

يقول الأستاذ أمين الريحاني : طالما تغنَّيت بالقرآن « وأنا المسيحي » وجودْتُه قدر استطاعتي أثناء إقامتي في لندن ونيويورك فأدهشت جيراني « وهم جيراني » من غريب نغمات وجميل ايقاعات حارت فيها ألبابهم فكتابكم « القرآن الكريم » من هذا القبيل كتابي أيضًا . أجله إجلالاً وأرتله ترتيلاً وأُكْبِرُ من أنزله الله على لسانه « وهو محمد صلى الله عليه وسلم » فهذه خشية تلحق قلوب سامعيه وهيبة تعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفسيره .

وكما روي بأن نصرانيًا مرَّ بقارىء للقرآن فوقف يبكي فسئل عن سبب بكائه ، فقال له : الخشية التي حصلت لي من أثر هذا الكلام .

ولما قرأ جعفر الطيار ابن عم رسول الله بعضًا من آيات القرآن أمام النجاشي وأصحابه ما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر . و إن النجاشي أرسل سبعين عالمًا من علماء المسيحية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا فأنزل الله تعالى قوله :

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۞ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ ﴾[1] .

وروى أن العلامة علي القوشجي رحل من وراء النهر إلى الروم فجاءه حبر من أحبار اليهود لتحقيق الإسلام وناظره شهرًا وهم في جدل . وفي أحد الأيام جاء الحبر وقت الصبح وكان القوشجي مشتغلاً بتلاوة القرآن . وكان كريه الصوت في الغاية . فلما دخل الحبر وسمع القرآن ، أثرّ في قلبه تأثيرًا بليغًا . ولما أنهىٰ الشيخ قراءته قال له الحبر : إني أدخل في الإسلام . فسأله الشيخ عن السبب . فقال له : ما سمعت مدة عمري كريه صوت مثلك . فلما وصلت إلى الباب سمعت منك القرآن وقد حصل فيَّ تأثيره البليغ فعلمت أنه وحي من الله تعالى[2] .

ولا يزال الناس يستمعون لكتاب الله مؤمنهم وكافرهم بكل خشية و إنصات . وكثير من أهل الكتاب يستمع إلى الإذاعات التي تبث القرآن بكل رغبة واشتياق . و يستمعون إليه بكل لهفة وصدق . لقد جاء القرآن محررًا للعقل الإنساني من عقاله ومطلقًا إياه من قيوده . فخرجت الأمم من سجون الأوهام والعادات والتقاليد إلى نور العقل وساحته الحرة .

أعلن القرآن سلطان العقل وأهاب بالناس لتحطيم القواعد والأسس التي تقام عليها العقائد والأديان غير الصحيحة . ألاَ وهي التقليد الأعمىٰ و إهمال النظر الشخصي . و إغفال التفكير الحر . ومنابذة العلم والحقائق .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۞ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ

---

(1) سورة المائدة : الآيات من 83 إلى 85 .

(2) هذا الفصل مأخوذ من الرسالة الخالدة للعلامة أمين الله عيروض .

مُسَخَّرَاتُ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] .

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[2] .

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[3] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[4] .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[5] .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[6] .

والحجة تحتاج لبرهان ودليل عقلي وقد طالب القرآن معارضيه بالدليل والبرهان .

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ . . . ﴾[7] .

﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[8] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾[9] .

﴿ . . . أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[10] .

ولقد رفع القرآن من شأن العلم حتى جعله ميزة يرتفع بها الإنسان على غيره .

﴿ . . . هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[11]

---

(1) سورة النحل : الآيات من 10 حتى 12 .

(2) سورة الملك : الآيتان 10 و 11 .

(3) سورة الأنفال : الآية 22 .

(4) سورة البقرة : آية 170 :

(5) سورة الحج : آية 46 .

(6) سورة الروم : آية 20 .

(7) سورة المؤمنون : من الآية 117 .

(8) سورة القصص : آية 75 .

(9) سورة النساء : آية 174 .

(10) سورة النمل : من الآية 64 .

(11) سورة المجادلة : من الآية 11.

﴿ . . . يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ . . . ﴾[1] .

﴿ . . . إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ . . . ﴾[2] .

فمضمون القرآن والمنهج الذي يشجع عليه اتباعه في الحياة . ومنذ خمسة عشر قرنًا هو الإعجاز الذي لا يدانيه إعجاز .

جاء القرآن بخبر ما تضمنته الأديان السابقة وتحاشىٰ عما لم يعد صالحًا للتطور والحياة ، ولا منسجمًا مع روح الإسلام السمحة الرحيمة ، جاءت شريعة القرآن مؤسسة على التيسير والتسهيل والتدرج في التشريع فليس في أحكام القرآن شيء يصعب على الناس تنفيذه وتضيق به صدورهم ، أو يؤثر على أجسامهم فيؤذيها أو أموالهم فيتلفها . أو يشغلهم عن أعمالهم الدنيوية فيعطلها .

﴿ . . . يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ . . . ﴾[3] .

﴿ . . . مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4] .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ . . . ﴾[5] .

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا . . . ﴾[6] .

لقد امتازت أحكام القرآن العظيم على الكتب السالفة والقوانين الوضعية بأحكامها وحكمتها فمن ذلك القصاص وهو الجزاء العادل . فقد جُعل لصاحب الحق الصلاحية الكاملة بمطالبه أولي الأمر بتنفيذه . كما حضَّ على العفو والتسامح . وهذا الحكم الذي يتراوح بين القصاص والعفو هو غاية الحكمة ومنتهى المصلحة ، فيرتدع أصحاب النفوس الشريرة برادع القوة والسلطان . وتُطوق النفوس الخاطئة بمنة العفو والغفران ، وهو الطريق القويم والصراط المستقيم لدوام العدل واستتباب الأمن مع التراحم وفعل الخير . لا كما في الشريعة الموسوية حيث لا يوجد نص على العفو . ولا كما في الديانة العيسوية من العفو المطلق ولين الجانب . مما يدعو الإنسان الشرير ليسترسل في شروره وآثامه ويندفع كابح الشهوة وماسك زمامها إلى الطغيان .

« سمعتم أنه قيل العين بالعين والسن بالسن . أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشرير من لطمك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر . من أراد أن يحاكمك ليأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضًا . من سخرك أن تسير معه ميلاً واحدًا فسر ميلين . من سألك فأعطه ومن استقرضك فلا تعرض عنه »[7] .

(1) سورة المجادلة : من الآية 11 .
(2) سورة فاطر : من الآية 28 .
(3) سورة البقرة : من الآية 185 .
(4) سورة المائدة : من الآية 6 .
(5) سورة النساء : من الآية 28 .
(6) سورة البقرة : آية 287 .
(7) متّى فصل : 5 : 38 حتى 42 .

أما في القرآن العظيم :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾[1].

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا . . . ﴾[2].

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ . . . ﴾ .

وكان من حكمة القرآن العظيم وأسس تشريعه أن منع الغلو في الدين وأبطل تعذيب الجسد والنفس . وأباح الطيبات والزينة دون إسراف ولا كبرياء .

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[4].

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ . . . ﴾[5].

وفي القرآن تشريعات تتحدث عن الحرب والسلم . وهذا يكفل حرية الفكر والعبادة للمسلمين ، لأن المشركين أرادوا منعهم بالقوة من ممارسة عبادتهم واضطهدوهم ليعيدوهم في ملتهم .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا . . . ﴾[6].

﴿ . . . وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً . . . ﴾[7].

﴿ . . . وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ . . . ﴾[8].

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ . . . ﴾[9].

وفي القرآن أن آدم هو أبو البشر جميعًا لذلك فالناس إخوة متساوون في الحقوق والواجبات لا فضل لإنسان على آخر إلا بتقواه وما يقدمه لمجتمعه من الفائدة والنفع و إن جميع الرسل يعملون لغاية واحدة وهدف واحد .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ . . . ﴾[10].

---

(1) سورة النحل : آية 126 .

(2) سورة الشورىٰ : من الآية 40 .

(3) سورة البقرة : آية 194 .

(4) سورة الأعراف : آية 31 .

(5) سورة الأعراف : من الآية 32 .

(6) سورة البقرة : من الآية 109 .

(7) سورة النساء : من الآية 102 .

(8) سورة البقرة : من الآية 190 .

(9) سورة الأنفال : آية 61 .

(10) سورة الحجرات : آية 13 .

(11) سورة الشورىٰ : آية 13 .

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ . . . ﴾[11].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ * ﴾[1].

تحدث القرآن في مواضيع مختلفة . وبين كل ما يلزم الإنسان حتى لا يضل في اعتقاده وأرشده لكل ما ينفعه وحذره مما يضره ويؤذيه .

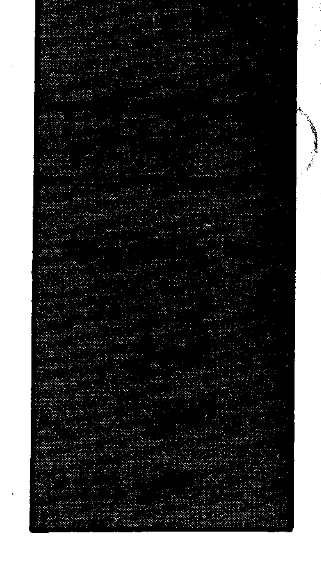
ونختم فصلنا هذا ببعض آيات القرآن العظيم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ * لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ * لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * ﴾[2].

---

(1) سورة المؤمنون : الآيتان 51 و 52 .

(2) سورة الحشر : من الآية 18 حتى آخر السورة .



أبناء الله وأحباؤه

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَـٰبِدِينَ ﴾[1].

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَـٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾[2].

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَـٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[3].

﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَـٰوَٰتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَـٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَـٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[4].

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ

---

(1) الزخرف: الآية 81.

(2) مريم: الآيتان 88 و89.

(3) الأنعام: الآيات من 100 حتى 103.

(4) سورة المؤمنون: الآيات من 84 حتى 92 .

ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ * ﴾[1] .

وهذه هي عقيدة المسلم واضحة صريحة .

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ * ﴾[2] .

أما في الأناجيل وبسبب الترجمات اليونانية فقد اختلط معنى الأب بمعنى الرب . إذ يشترك الأب والرب بالتربية والكفالة والرعاية والنصرة والحماية . وقد دُعيٰ المسيح في الأناجيل يا ربوّني أي يا معلم وترجمتها الأدق يا مُربّي . وقد سمى المسيح نفسه بابن الإنسان في أكثر من مئة موضع في الأناجيل لتؤكد على حقيقة المسيح التي يرفضها المسيحيون . وقد شرح المسيح الفرق بينه وبين الله حتى لا تختلط الأمور على الناس .

« لا تدعوا أحدًا أبا لكم في الأرض لأن لكم أبًا واحدًا هو الأب السماوي . ولا تدعوا أحدًا يسميكم مرشدًا لأن لكم مرشدًا واحدًا وهو المسيح »[3] .

ولو بدّلنا في هذه الجملة كلمة أب بكلمة رب لاستقام المعنىٰ . وانتهىٰ الإشكال .

« الحق أقول لكم : لا يستطيع الابن أن يصنع شيئًا من عنده . إلا إذا رأى الأب قد صنعه فما صنعه الأب يصنعه الابن على مثاله »[4] .

« لأن الأب يحب الابن ويطلعه على جميع ما يصنع . وسيطلعه على آيات أعظم فتعجبون »[5] .

« لا أستطيع أن أصنع شيئًا من عندي بل أحكم على ما أسمع . وحكمي عادل . لأني لا أتوخى مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني »[6] .

« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فما من أحد يعلمها . لا الملائكة في السماء . ولا الابن إلا الأب »[7] .

« فما نزلت من السماء لأتم مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني »[8] .

« فالأب هو الأصل والابن هو الفرع[9] .

الأب أقدم من الابن . وجميع الصور والتماثيل المسيحية تمثل الأب على هيئة رجل شيخ متقدم في السن أشيب الشعر طويل اللحية . أما الابن فإما أن يكون على هيئة طفل رضيع أو فتى في ريعان الشباب .

---

(1) سورة الأنبياء : الآيات من 21 حتى 29 .

(2) سورة الإخلاص .

(3) متّى فصل : 23 : 9 .

(4) يوحنا فصل : 5 : 19 .

(5) يوحنا فصل : 5 : 20 .

(6) يوحنا فصل : 5 : 30 .

(7) مرقس فصل : 13 : 32 .

(8) يوحنا فصل : 6 : 38 .

(9) هذا القانون عام ينطبق على كل الأشياء .

و إذا كان الأب والابن بنفس القدم فلماذا سُمي أحدهما أبًا والآخر ابنًا . كان يمكننا أن نسميهما الالهين الأخوين أو الالهين التوأمين بدلاً من الأب والابن .

ثم إن هناك مشيئتين . وقد تختلف مشيئة الأب عن مشيئة الابن فيرضخ الابن لمشيئة الأب . ثم إن وجود الابن جاء بعد الأب فمن أين جاء الابن ؟ من العدم أم أن الأب أوجده . إذا كان الأب قد أوجده فمعناها أن الأب خلقه . و إذاً فهو أحد المخلوقات . والخالق هو الرب والمخلوق هو العبد مهما كان عظيمًا ومهما كان حبيبًا .

ويعترف المسيح أن الله ربه و إلهه غير منكرٍ لذلك . فلماذا نُحمل النصوص أكثر مما تحتمل .

« اذهبي إلى الإخوة فقولي لهم إني صاعد إلى أبي وأبيكم و إلهي و إلهكم »[1] .

لم يجعل المسيح من نفسه إبنًا وحيدًا لله بل أشرك جميع المؤمنين في هذه البنوة المعنوية .

« أحسنوا وأقرضوا غير راجين شيئًا فيكون أجركم عظيمًا وتكونون أبناء العلي وهو يلطف على الكفار والاشرار . كونوا رحماء كما أن أباكم رحيم »[2] .

والمسيح في هذه الجملة يتوجه إلى المسيحيين آمرًا إياهم بالتعامل بدون ربًا ولكن من يسمع ومن يطيع فالحياة الاقتصادية المسيحية قائمة على الربا الفاحش .

والمسيح لا يعلم إلا ما علمه إياه الله سبحانه وتعالىٰ ولا يعمل إلا ما يرضى الله تعالىٰ .

« متى رفعتم ابن الإنسان عرفتم أني هو . و إني لا أعمل شيئًا من عندي بل أقول ما علمنيه الأب . إن الذي أرسلني هو معي . ولم يتركني وحدي لأني أعمل أبدًا ما يرضيه »[3] .

والمعاصرون للمسيح الذين اختلط بهم وأجرى العجائب أمامهم بل أولئك الذين شفاهم لا يرون في المسيح أكثر من نبيّ .

« فقال الفريسيون للأعمىٰ : وأنت ماذا تقول فيه وقد فتح عينيك . قال : إنه نبيّ »[4] .

« والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك »[5] .

« مجدتك في الأرض فأتممت العمل الذي وكلته إليَّ »[6] .

وبعد . لماذا يدّعي المسيحيون أن المسيح إله ، وابن إله .

1 ــ لأنه ولد بدون أب .

ونتساءل : هل ولد آدم من أب ، أو من أم ؟ الجواب معروف . آدم هو الإنسان الأول خلقه الله من طين ثم قال له كن فيكون . وكذلك حواء أليست أم البشر ؟ من هي أمها ؟ ومن هو أبوها ؟ إن الذي خلق آدم وحواء هو خالق المسيح

---

(1) يوحنا فصل : 20 : 17 .

(2) لوقا فصل : 6 : 35 .

(3) يوحنا فصل : 8 : 28 .

(4) يوحنا فصل : 9 :

(5) يوحنا فصل : 17 : 3 .

(6) يوحنا فصل : 17 : 4 .

وخالق البشر أجمعين .

2 ـ لأنه أحيا الميت .

لقد أحيا أنبياء الله كثيرًا من الموتىٰ ولم يقل عنهم أحد إنهم آلهة أو أبناء آلهة . وقد ذكرنا بعضًا من قصصهم في الفصول السابقة . وهنا نذكر قصة أخرىٰ .

« ثم مات اليشاع ودفنوه . وطرأ غزاة مؤاب عند دخول السنة . فبينما هم يقبرون رجلاً أبصروا الغزاة . فألقوا الرجل الميت في قبر اليشاع . فلما هبط الرجل ومسّ عظام اليشاع عاش وقام على قدميه »[1] .

فأيهما أعظم الذي يحي الأموات وهو حي ، أم من يحييهم وهو ميت ؟

3 ـ لأنه شفى المرضى .

وهل هذا جديد أم فريد من نوعه . لقد وجد دائمًا من يشفي الأمراض . فكان الاسنيون في زمن المسيح يدعون للمرضى بالشفاء فيشفون . وسنذكر هنا حادثة تعتبر معجزة أكبر من معجزات المسيح بإبراء المرضى .

« فأرسل الرب على الشعب حيات نارية فلدغت الشعب ومات قوم كثيرون من إسرائيل . فأقبل الشعب على موسى وقالوا لقد خطئنا إذ تكلمنا على الرب وعليك . فادع الرب أن يزيل عنا الحيات . فتضرع موسى لأجل الشعب . فقال الرب لموسى اصنع لك حية ـ من النحاس ـ وارفعها على سارية فكان أي إنسان لدغته حية ونظر إلى الحية النحاسية يحيا »[2] .

ثم إن شفاء إنسان أعظم أم إيقاف الشمس والقمر كما يزعم كتاب العهد القديم .

فقال يشوع على مشهد إسرائيل : يا شمس قفي على جبعون و يا قمر اثبت على وادي ايالون . فوقفت الشمس وثبت القمر . إلى أن انتقم الشعب من أعدائه وذلك مكتوب في سفر المتقيم . فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تمل للمغيب مدة يوم كامل »[3] .

فإذا كنا نؤمن بمعجزات المسيح لأننا قرأناها في الأناجيل فيلزمنا أن نؤمن بالمعجزات الأخرىٰ المثبتة في الكتاب . أو علينا أن نرفض جميع المعجزات لأننا لم نر أية واحدة منها . لذلك قلنا إن القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة . والمستمرة . لأنه ما زال بين أيدينا وهو يتحدانا بإعجازه . فهل من معارض أو مضارع . . ؟

أما حادثة شفاء نعمان السرياني من البرص فهي مشهورة ومذكورة في العهد القديم .

4 ـ لأنه صعد إلى السماء .

وهنا نذكر أخنوخ . فقد جاء بالعهدين القديم والجديد أنه لم يمت بل رُفع إلى السماء .

« وسلك أخنوع مع الله ولم يوجد (اختفىٰ) بعد لأن الله أخذه »[4] .

---

(1) سفر الملوك الرابع فصل : 13 : 20 .

(2) سفر العدد فصل : 20 : 9 .

(3) سفر يشوع فصل : 10 : 12 .

(4) سفر التكوين فصل : 5 : 24 .

« اخنوع أرضى الرب فنُقل . وسينادي الأجيال إلى التوبة »[1] .

« لم يخلق على الأرض مثل أخنوع الذي نقل عن الأرض »[2] .

« بالإيمان نقل أخنوع لئلا يرى الموت ولم يُوجد بعد لأن الله نقله . لأن من قَبْلِ نَقْلِهِ شُهِدَ له بأنه أرضى الله »[3] .

هل ذكر أحد من قبل أو قال إن اخنوع إلٰه أو ابن إلٰه .

ثم هناك ايليا الذي ذكرنا قصته وقد صعد إلى السماء بمركبة نارية . بعدكل العجائب والمعجزات التي أتمها بكل نجاح . فهل ذُكر أنه ابن الله أو أنه أكثر من بشر .

5 ـ ذُكر في الأناجيل أنه ابن الله .

ونتساءل هل المسيح هو ابن الله الوحيد أم أن الكتب المقدسة عند المسيحيين ذكرت أشخاصًا كثيرين بهذه الصفة . وهل فهم الناس من هذه التسميات أن أولئك المدعوين أبناء الله هم آلهة مثل الله . أم أنهم عباد مكرمون . مقربون إلى الله تعالىٰ . لا يختلفون عنا من الناحية البشرية . وهل دُعى الله أبًا للمسيح فقط أم أنه دعى أبًا لأشخاص كثيرين ؟ وهل أطلق لقب الأب على الله فقط أم أنه أطلق على غيره . إن لقب الابن أو الأب يرمز إلى المحبة والقرب ولا شيء آخر سواهما . إن الأول والآخر . والظاهر والباطن هو الله الأحد الفرد الصمد خالق كل شيء . لا إله إلا هو . له الأسماء الحسنى . لا شريك له ولا إله معه .

إن كان المسيح إلهًا أو ابن إله . فماذا خلق ؟

لقد ادَّعى اليهود أنهم أبناء الله . وجابهوا المسيح بهذا وثار بينهما جدل . وانتهى بأن نسب المسيح اليهود للشيطان . وهذا الانتساب معنوي . ولا يعني حقيقة . والجميع أبناء آدم .

« قالوا له : نحن لم نولد لزينة . ولا أب لنا إلا الله وحده . فقال لهم يسوع : لوكان الله أباكم لأحببتموني لأني من الله خرجت وأتيت . وما أتيت من نفسي بل هو الذي أرسلني . لماذا لا تفهمون أقوالي ؟ لأنكم لا تطيقون الاستماع إلى كلامي إنكم أولاد أبيكم إبليس . وأنتم تريدون إتمام شهوات أبيكم »[4] .

« إن الله أبو اليتامى وقاضي الأرامل في محل قدسه »[5] .

« يدعوني (داود) إنك أبي و إلهي وصخرة خلاصي . وأنا أجعله بكرًا عليًا فوق ملوك الأرض »[6] .

ويخاطب اللهُ داود مبشرًا إياه بسليمان الحكيم .

« فهوذا يولد لك ابن يكون رجل سلام . وأنا أريحه من جميع أعدائه من حوله . لأن اسمه سليمان . وامنح السلم

---

(1) سفريشوع بن سيراخ فصل : 44 : 16 .

(2) سفريشوع بن سيراخ فصل : 49 : 16 .

(3) عبرانيين، فصل: 11 :5.

(4) يوحنا 8 : 41 حتى 44 .

(5) مزمور : 67 : 6 .

(6) مزمور : 88 : 27 .

والدعة لإسرائيل في أيامه . فهو يبني بيتًا لاسمي[1] وهو يكون لي ابنًا وأنا أكون له أبًا . وأقر عرش ملكه على إسرائيل إلى الأبد »[2] .

« فإنك أنت أبونا . إن إبراهيم لم يعرفنا و إسرائيل لم يعلم بنا . أنت يا رب أبونا وفادينا منذ الدهر اسمك »[3] .

« والآن يا رب أنت أبونا . نحن الطين وأنت جابلنا ونحن جميعًا عمل يدك »[4] .

« أيها الرب الأب يا إله حياتي لا تتركني ومشورة شفتي »[5] .

« طوبى للساعين إلى السلام فإنهم أبناء الله يدعون »[6] .

« لأن جميعكم أبناء الله بإيمانكم بيسوع المسيح »[7] .

« النعمة لكم والسلام من الله أبينا »[8] .

« وبينما هو يكلم الجموع جاءت أمه و إخوته . فوقفوا في خارج الدار يريدون أن يكلموه فقال للذي أخبره بذلك : من هي أمي ومن هم إخوتي ؟ ثم أشار بيده إلى تلاميذه وقال : هؤلاء هم أمي و إخوتي . لأن من يعمل بمشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي »[9] .

كما وردت كلمة بنو الله في سفر التكوين لتدل على الصالحين .

« دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا أولئك هم الجبابرة »[10].

ووردت كلمة بنو الله في سفر أيوب لتدل على الملائكة .

« ثم اتفق يومًا أن دخل بنو الله ليمثلوا أمام الرب »[11].

ومن التمعن في هذه النصوص نتوصل إلى نتيجة أن كلمة أب أو ابن هي كلمة مجازية تدل على القرب والمحبة وتدل على الطاعة والاقتداء . ولم تخرج عن هذه المعاني أما الذين أرادوا أن يحملوا النصوص أكثر مما تحتمل لأغراض في نفوسهم أو لنقص في عقولهم فهذا شأنهم . وسيحاسبون على تضليلهم .

﴿ . . . وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[12].

---

(1) هذا البيت هو هيكل سليمان . بُني بعد الكعبة بألف سنة .

(2) سفر الاخبار الأل فصل : 22 : 9 .

(3) بنوءة أشعيا فصل : 63 : 16 .

(4) نبوءة أشعيا فصل : 64 : 8 .

(5) نبوءة سيراخ فصل : 23 : 4 .

(6) متَّى فصل : 5 : 7 .

(7) غلاطية فصل : 3 : 26 .

(8) افسس فصل : 1 : 2 .

(9) متَّى فصل : 12 : 46 .

(10) سفر التكوين فصل : 6 : 4 .

(11) سفر أيوب فصل : 2 : 1 .

(12) سورة الأنعام : من الآية 26 .

ونختم هذا الفصل بقولنا إن الادعاء لا يغير شيئًا من حقائق الأمور إن كان المسيحيون قد ادعوا بأن نبيهم ابن الله وأنهم بإيمانهم به قد أصبحوا أبناء الله . فإن اليهود أوصلوا نبيهم موسى إلى مرتبه الألوهية .

« فقال الرب لموسى انظر قد جعلتك إلهًا لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك »[1] .

ولم يكتفوا بذلك بل ادعوا لأنفسهم الألوهية .

« قد قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم »[2] .

ولا نلتفت إلى الادعاء المقرون بالغرور ونكتفي بتصريح المسيح بأن الله أعطاه وأكرمه جزاءً لما بَلَّغ من رسالة معترفًا بأنه لا يملك شيئًا إلا ما وهبه الله له .

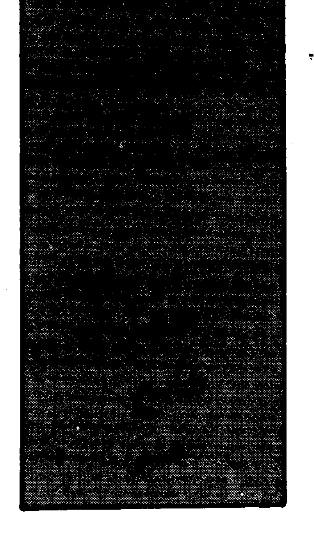
« الذين وهبتهم لي من بين العالم كانوا لك . فوهبتهم لي . وقد حفظوا كلامك وعرفوا الآن أن جميع ما وهبته لي هو منك . لأن الكلام الذي بلغتنيه بلغتهم إياه فقبلوه . وعرفوا حقًا أني من لدنك أتيت . وآمنوا بأنك أنت أرسلتني . فأنا أدعو لهم ولا أدعو للعالم بل لمن وهبتهم لي لأنهم لك وما هو لي فهو لك »[3] .

---

(1) سفر الخروج فصل : 7 : 1 .

(2) مزمور : 81 : 6 .

(3) يوحنا فصل : 17 : 6 .



الروح القدس

من هو الروح القدس ؟

هل كان الروح القدس معروفًا عند اليهود قبل المسيح ؟

والجواب هو نعم . لقد كان الروح القدس معروفًا عند اليهود . فهو رسول الوحي بين الله وأنبيائه. والمسيحيون الأولون كانوا يعرفون هذه الحقيقة . ولم يُؤله الروح القدس إلا في مجمع نيقيه وما بعده ، حيث فرضت العقيدة المسيحية الحالية بقوة الحراب الرومانية .

يقول داود في المزمور الخمسين :

اخلق في يا الله قلبًا طاهرًا وجدد في داخلي روحًا مستقيمًا

لا تطرحني من أمام وجهك ولا تنزع مني روحك القدوس

والروح القدس هو الملاك جبريل عليه السلام وهو من أعداء اليهود .

والمسيح يعرف العداوة بين اليهود والروح القدس لذلك قال لهم :

« وأما الكفر بالروح فلن يغفر . ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة »[1] .

ويصف أشعيا العدواة بين جبريل واليهود فيقول :

« لكنهم تمردوا عليه وحزنوا روحه القدوس فتحول لهم عدوًا وقاتلهم »[2] .

وجاء في أعمال الرسل : « يا غلاظ الرقاب ويا غلف القلوب والآذان ما زلتم تقاومون الروح القدس »[3] .

وعندما سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوحي أجابهم بأن جبريل هو الذي يأتي به . فقالوا له لا نؤمن بك لأن جبريل عدوٌ لنا .

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ مَن

---

(1) متّى فصل : 12 : 32 .

(2) نبوءة أشعيا فصل : 63 : 10 .

(3) أعمال الرسل : فصل : 7 : 51 .

كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] .

ويعترف المسيحيون الأولون أن الروح القدس هو الذي يبلغ الرسل بالوحي من ربهم .

« ربنا إنك صنعت السماء والأرض والبحر . وكل شيء فيها أنت قلت كما أوحى الروح القدس إلى أبينا داود عبدك »[2] .

« فامتلأوا جميعًا من الروح القدس وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم على ما منحهم الروح القدس أن ينطقوا »[3] .

والروح القدس عبد من عبيد الله وملك من ملائكته يأمره فيُطيع . ويتصرف به كما يشاء . ويهبه الله للمتقين .

« وكذلك يشهد الروح القدس الذي وهبه الله لمن يطيعه »[4] .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۞ ﴾[5] .

ونتساءل لماذا لم يُعبد الروح القدس مع الله تعالى ، إلا عندما ظهر المسيح .

قالت اليهود بوحدانية الله ولم يشركوا معه أحدًا ولم يقولوا إن الله هو الروح القدس بل فرقوا بينهما . والبعض اعتبروا الروح القدس عدوًا لهم .

والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يعرفون الروح القدس . ويحبونه ويقدسونه ولكنهم لا يعبدون إلا الله تعالىٰ . فالروح القدس من مخلوقات الله تعالىٰ . وقد ورد أن الروح القدس هو جبريل عليه السلام رئيس الملائكة .

والقرآن يوضح ويشرح معنى الروح القدس ويبين وظائفه ويسميه أحيانًا روح الله .

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى[6] فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ ﴾[7] .

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ ﴾[8] .

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۞ ﴾[9] .

---

(1) سورة البقرة : آية 97 .
(2) أعمال الرسل فصل : 4 : 24 .
(3) أعمال الرسل فصل : 2 : 4 .
(4) أعمال الرسل فصل : 5 : 32 .
(5) سورة القدر .
(6) جبريل نفخ في طين آدم كما نفخ الروح لكل مولود . والمسيح أيضًا من نفخة جبريل .
(7) سورة صۤ : الآيات 71 و 72 و 73 .
(8) سورة الأنبياء : أية 91 .
(9) سورة التحريم : آية 12 .

﴿ . . . وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[1] .

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ[3] ٱلْأَوَّلِينَ ۝ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[4] .

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾[5] .

وكما امتلأ تلاميذ المسيح من الروح القدس فإن المسلمين أيضًا تأيدوا به .

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[6] .

المسلمون يعترفون بقدسية المسيح وأمه ويحبونهما ويعترفون بالروح القدس ويحبونه ولكن لا يؤلهون أحدًا من دون الله ولا يسجدون لغيره وكما ورد في الإنجيل : « لله ربك تسجد و إياه وحده تعبد »[7] .

والأناجيل التي تسمي المسيح ابن الإنسان لا توصل الروح القدس إلى مرتبة الألوهية بل تجعل منه عبدًا مطيعًا لله . ورسولاً بين الله وعباده . وهو الذي يبشر مريم بمولودها ويبشر زكريا بيحيىٰ . والروح القدس ينفخ في مريم فتحمل بالمسيح . والروح القدس هو الذي نفخ في الطين فكان آدم .

« ولما كانت مريم مخطوبة ليوسف . وُجدت قبل أن يتساكنا حاملاً من الروح القدس »[8] .

« فإذا السماء قد انفتحت فرأى روح الله يهبط كأنه حمامه[9] وينزل عليه »[10].

« لن يشرب خمرًا ولا مسكرًا ويمتلىء من الروح القدس وهو في بطن أمه »[11].

---

(1) سورة البقرة : من الآية 87 .

(2) سورة النحل : آية 102 .

(3) زبر الأولين : كتب الأولين .

(4) سورة الشعراء : الآيات من 192 إلى 197 .

(5) سورة النبأ : الآيتان 37 و 38 .

(6) سورة المجادلة : آية 22 .

(7) متّى فصل : 4 : 1 .

(8) متّى فصل : 1 : 18 .

(9) روح الله : جبريل وهو متشكل مثل الحمامة أي بشكل مادي يُرى بالعين . أما الله فلم يره أحد .

(10) متّى فصل : 12 : 18 .

(11) لوقا فصل : 1 : 15 .

« إن الروح القدس يحل بك وقدرة العلي تظللك لذلك يكون المولود قدوسًا »[1] .

« وامتلأت اليصابات من الروح القدس »[2] .

« وامتلأ أبوه زكريا من الروح القدس »[3] .

« ورجع يسوع من الأردن وهو ممتلىء من الروح القدس »[4] .

وفي هذه النصوص نجد أن كثيرين امتلأوا من الروح القدس . فما معنى ذلك . هل حل الإلـه فيهم فأصبحوا آلـهة . إن الديانات السماويـة ترفض الحلول الذي ملخصه أن الرب الإله يحل في جسم بشري . وقد وجد أناس كثيرون ادعوا أن الله قد حل فيهم . وكلهم تقريبًا قتلوا أو ماتوا شرَّ ميتة حتى يستيقن الناس كذب ادعائهم . والحلول موجود في الديانات الهنديـة واليونانيـة . التي تعتقد بوجود أنصاف الآلهة أو الآلهة البشر .

وقد أبطل الصادق الأمين عبادة الأشخاص ومنع السجود لغير الله تعالىٰ . وقد بشر به القديس يوحنا فقال واصفًا لقاءه مع محمد صلى الله عليه وسلم .

« فخررت أمام قدميه لأسجد له فقال لي : انظر لا تفعل فإني نظيرك في الخدمة ونظير إخوتك الذين منهم شهادة يسوع . فاسجد لله فإن شهادة يسوع هي روح النبوة »[5] .

والإيمان بالروح القدس والملائكة هو أحد أركان الإيمان في الإسلام ولا يصح الإسلام بدونه .

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝ ﴾[6] .

ويأتي يحيىٰ ليبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم مبينًا أنه يعمد الناس بالروح القدس والنار .

« وأما الذي يأتي بعدي فهو أقوى مني و إني لست أهلاً لأن أحمل نعله[7] وهو يعمدكم بالروح القدس والنار »[8] .

ويأتي المسيح ليبشر أيضًا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويدعوه المؤيد بالروح القدس .

« ولكن المؤيد بالروح القدس سوف يرسله الأب باسمي فيعلمكم جميع الأشياء ويذكركم جميع ما قلته »[9] .

ويجعل المسيح الإيمان بمحمد أحد الصفات التي يتصف بها من يحب المسيح .

« إذا كنتم تحبوني حفظتم وصاياي . وأنا أسأل أبي فيهب لكم مؤيدًا آخر[10] يبقى معكم إلى الأبد وهو الذي يكشف

---

(1) لوقا فصل : 1 : 35 .

(2) لوقا فصل : 1 : 42 .

(3) لوقا فصل : 1 : 67 .

(4) لوقا فصل : 4 : 1 .

(5) رؤيا القديس يوحنا فصل : 19 : 10 .

(6) سورة البقرة : آية 285 .

(7) كان المسيح تلميذًا ليحيىٰ . وكان متقدمًا عليه لذلك فإن يجيء يقصد بكلامه هذا محمد صلى الله عليه وسلم .

(8) متَّى فصل : 3 : 11 .

(9) يوحنا فصل : 14 : 25 .

(10) مؤيدًا آخر تعني نبيًّا آخر .

الحقيقة عن الله « Who reveals the truth about God »[1] .

« ومتى جاء المؤيد الذي أرسله إليكم من لدن أبي . روح الحق المنبثق من الأب فهو يشهد لي »[2] .

غير أني أقول الحق من الخير لكم أن أمض فإن لم أمض لا يأتيكم المؤيد أما إذا مضيت فسأرسله لكم ، ومتى جاء أخزى العالم »[3] .

« أنبأتكم بهذا الأمر قبل حدوثه . حتى إذا حدث تؤمنون . لن اخاطبكم بعد ذلك لأن سيد[4] هذا العالم آتٍ »[5] .

لقد كان اليهود ينتظرون المسيح . ولما جاء لم يؤمنوا به . وكذلك فعل المسيحيون فقد كانوا ينتظرون محمدًا صلى الله عليه وسلم . ولما جاء أنكره بعضهم رغم تحقيقه لجميع الصفات التي تذكرها الأناجيل .

لا يزال اليهود حتى يومنا ينتظرون المسيح . وقد جاء المسيح ولكن الله أعمىٰ أبصارهم وأفئدتهم ، ولا يزال المسيحيون حتى يومنا ينتظرون المؤيد . وقد جاء محمد يقول أنا هو فلا تنتظروا أحدًا غيري . إن محمدًا صلى الله عليه وسلم شهد ببراءة العذراء . وأثبت جميع المعجزات التي قام بها المسيح وهو المؤيد بروح القدس ولولا محمد صلى الله عليه وسلم لكان المسيح في ضمائر الأوروبيين والمسيحيين من خرافات القرون الماضية . ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي بين حقيقة المسيح وأنه إنسان مبارك ومقدس ولكنه ليس بإله ولا نصف إله . وكذلك بين محمد صلى الله عليه وسلم حقيقة الروح القدس وأنه من مخلوقات الله تعالىٰ .

« لا يزال لدّي أشياء كثيرة أقولها لكم ولكنكم لا تطيقون الآن حملها . فمتى جاء روح الحق أرشدكم إلى الحق كله . لأنه لا يتكلم بشيء من عنده بل يتكلم بما يسمع وينبئكم بما يحدث »[6] ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم.

وقد أنبأ محمد صلى الله عليه وسلم المسيحيين بأشياء كثيرة لم يعرفوها ولم يطلعهم عليها المسيح . وأهم هذه الأشياء هو أن الله لم يخذل عبده ورسوله المسيح ويسلمه لأيدي المجرمين اليهود ليقتلوه أو يصلبوه .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ ﴾[8] .

---

(1) يوحنا فصل : 14 : 16 .
(2) يوحنا فصل : 15 : 16 .
(3) يوحنا فصل : 16 : 7 .
(4) سيد العالم وهو محمد .
(5) يوحنا فصل : 14 : 16 .
(6) يوحنا فصل : 16 : 12 .
(7) يوحنا فصل : 16 : 15 .
(8) سورة النساء : الآيات من 155 حتى 158 .

لقد صرح المسيح أنه لا يعمل بمشيئته ولكن يعمل بمشيئة الله . ولا يأتي بشيء من عنده بل يقول ما أرسله الله به وكذلك فإن الروح القدس والملائكة جميعًا لا يتصرفون إلا بأمر من الله تعالىٰ وهم يتجسدون على هيئة رجل ليبلغوا رسالة الله إلى البشر عن طريق الأنبياء . ذلك لأن البشر لا تطيق رؤيتهم وهم في الحال التي خلقهم الله عليها . وقد ورد معنا في فصل سابق الملائكة الثلاثة الذين تكلموا مع إبراهيم . وكانوا على هيئة ثلاثة رجال . ثم ذهب اثنان منهم إلى لوط . وبقي جبريل الأمين مع إبراهيم ثم ارتفع عنه .

أما أن يحل روح الرب في إنسان فهذا تعبير خاطيء والصحيح هو أن يحل روح الرب على إنسان والاختلاف اللفظي هو بين الحرفين (في وعلى) أما الاختلاف في المعنى فهو كبير جدًا . ولم يراع المترجمون الدقة في التعبير . لذلك وُجد الخطأ في التفسير .

أما الامتلاء بالروح القدس فهو حالة نفسية يشعر بها الإنسان المؤمن . وهي تعبر عن حقيقة محسوسة ولكن الامتلاء هنا معنوي وليس ماديا . ويشبه هذا قولنا إن قلب فلان مليء بالحقد أو الغيظ أو المحبة . و إن الأشخاص المحيطين بالحاقد أو المغتاظ يلاحظون حالته النفسية ويفهمون شعوره من تغير هيئته . وكذلك فإن الإنسان الممتلىء من الروح القدس هو شخصيًا يحس بذلك ويمكن أن يشعر بحالته الآخرون أيضًا . كما حصل لزكريا واليصابات وللمسيح بعد عودته من الأردن .

ووردت جملة الأب والابن والروح القدس في نهاية الأناجيل الأربعة لتعلن أن الله أرسل المسيح وكان الواسطة بينهما الروح القدس .

« إني أوليت كل سلطان في السماء والأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به وها أنذا معكم طول الأيام إلى انقضاء الدهر »[1] .

ولا يهمنا في هذا النص القول بأن المسيح أُعطى من الله تعالىٰ كل سلطان فهو بذاته لا يملك إلا ما أعطاه الله إياه . وفي هذا القول نهاية العبودية والخضوع لله . والمسيح بريء من أولئك الذين جعلوه إلهًا . ولكننا نتوقف قليلاً عند قول المسيح فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم . ونرىٰ هنا أن المسيح قد بدَّل أقواله فأولاً أمرهم بعدم دخول بلاد السامريين والوثنيين وقال لم أرسل إلا إلى خراف آل إسرائيل الضَّالة . وهنا إما أن نقول إن هذا القول مدسوس على المسيح لمناقضته القول الأول . و إما أن نعترف بنسخ الأحكام . وهنا فإن تغيير الأحكام مع تغير الأزمنة والأمكنة ضروري . وقد ورد أيضًا أن المسيح قال لتلاميذه :

« هل أعوزكم شيء حين أرسلتكم بلا مال ولا مزود ولا نعل . قالوا لا . فقال لهم : أما الآن فمن كان لديه مال فليأخذه ، ومن كان لديه مزود فليحمله ، ومن لم يكن لديه سيف فليبع رداءه ويشتريه »[2] .

ومن هذا النص نستدل بوضوح على أن النسخ وارد في كل الشرائع . وقد تنسخ شريعة كامل الشريعة التي قبلها .

---

(1) متّى فصل : 28 : 18 .
(2) لوقا فصل : 22 : 31 .

وأما المسيح فلم يأت لنسخ الشريعة اليهودية كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم . فقد صرح المسيح أنه آتٍ ليصحح وليس لينسخ [1] .

« ولا تظنوا أني جئت لأُبطل الشريعة والأنبياء . ما جئت لأُبطل بل لأكمل . الحق أقول لكم لن تزول ياء أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء [2] . أو تزول السماء والأرض ، فمن خالف وصية من أصغر تلك الوصايا وعلم الناس أن يفعلوا مثله [3] عد صغيرًا جدًا في ملكوت السموات . والذي يعمل بها ويعلمها فذاك يعد كبيرًا في ملكوت السموات » [4] .

فهذا كلام المسيح صريح بأن الشريعة لن تتغير حتى يتم كل شيء وأصلها حتى يأتي محمد [5] (الذي له كل شيء) ويقصد به محمد صلى الله عليه وسلم . ومن أراد الهدى فعليه أن يعرف أن المسيح جاء لتغيير بعض الأحكام ولم يأت لنسف شريعة موسى من الجذور كما فعل محمد إذ أن شريعته تنسخ جميع الشرائع السابقة ، إن ما طبقه وفعله المسيح من شريعة موسى ولم يأمر بتركه فهذا الأمر باق ولا سلطة لأحد بتغييره أو التلاعب فيه [6] . وما ابتعد عنه المسيح من المنهيات في شريعة موسى ولم يأمر تلاميذه بعمله فإن المسيحيين ملزمون بالابتعاد عن هذا الأمر ولا يحق لأحد من التلاميذ تحبيب هذا الأمر المنهي عنه في شريعة موسى والأمر بعمله [7] .

ونعود إلى موضوع الأب والابن والروح القدس فيقول صديقي إنهم واحد . ولكن هذا الواحد مؤلف من ثلاثة أقانيم . وكلمة أقنوم تعني حقيقة ، إذا فالأب والابن والروح القدس تمثل ثلاث حقائق متعلقة جميعها بالله الواحد . وضرب لي مثلاً فقال المسلمون يقولون : بسم الله الرحمن الرحيم . وهنا تجد أن افتتاح الآيات باسم ثلاثة أشخاص وهم : الله ـ الرحمن ـ الرحيم .

وردًا على هذا الكلام أجيب بما يلي :

1 ـ عندما نقول : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، فإننا في كلامنا نسمي الله بالرحمٰن الرحيم دلالة على غاية الرحمة ولا يوجد حرف عطف بين كل من أسماء الله الحسنى فلا نقول : بسم الله والرحمٰن والرحيم . فواو العطف تعني المغايرة وإذا أردنا أن نحذف واو العطف من الجملة المسيحية لصارت : باسم الأب الابن الروح القدس . وهنا نجمع بين المتناقضات والمتغيرات ، فالأب هو غير الابن ، والابن هو غير الروح القدس .

إن الله ربنا رب واحد ، فأحبب الله ربك بجميع قلبك ، وجميع نفسك ، وجميع ذهنك ، وجميع قدرتك » [8] .

---

(1) النسخ قد يعني التعديل أو الإلغاء .

(2) يتم كل شيء تعني يأتي محمد صلى الله عليه وسلم .

(3) بولس هو الذي خالف الوصايا وأمر الناس بمخالفتها .

(4) متَّى فصل : 5 : 17 .

(5) من التكوين فصل : 39 : 10 .

(6) مثل الختان .

(7) مثل أكل لحم الخنزير .

(8) مرقس فصل : 12 : 30 .

كل خطيئة وكفر يغفر للناس ، أما الكفر بالروح فلن يغفر . من قال كلمة على ابن الناس يغفر له ، وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة »[1] .

وأما الله فلم يره أحد[2] ، أما الابن فقد جاع وعطش[3] ، تعب ونام[4] ، قلقت نفسه[5] وحزنت ، سخر منه الناس[6] ، وضربوه بالقصبة على رأسه وبصقوا عليه[7] .

2 ـ وكلام المسيح واضح وجلي ولا يحتاج إلى تأويل فهو يقول : عمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس ، أي باسم الله الذي رُمز له بالأب ، ورسوله الحبيب المسيح ورُمز له بالابن ، وبالملاك جبريل الواسطة بين الله والمسيحُ والذي رُمز له بالروح القدس . ومعناها عمدوا باسم الله والمسيح وجبريل . حتى يعرف الناس الأسس التي يتعمدن بها ، والمنهج الذي عليهم اتباعه . وذلك لوجود أدعياء ودجالين يظهرون أمام الناس بمظهر الصلاح ويدّعون لأنفسهم الكرامات . ويجمعون وراءهم الأتباع والأموال .

3 ـ هل إله واحد ؟ أم ثلاثة ؟ أم واحد في ثلاثة ؟ أم ثلاثة في واحد ؟

ولحل هذا الإشكال الذي لم يفهمه كثير من الناس ، وضاعوا في متاهات التفسيرات الخاطئة والترجمات الركيكة ، نقول : إن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد . ولكن الإيمان في زمن المسيح لم يكن ليصبح إلا بالإيمان بثلاثة . وهؤلاء الثلاثة هم : الله . المسيح وجبريل .

وكذلك في الإسلام ، فإنه لا يصح الإيمان إلا بخمسة وهؤلاء الخمسة هم : الله ، ملائكته ، كتبه ، رسله ، واليوم الآخر .

و إذا نظرنا إلى الموضوع بعقل واسع ، ونفسية منفتحة ، لوجدنا أن الإيمان الإسلامي والإيمان المسيحي واحد .

أما أولئك الذين يصرّون على تأليه المسيح ، أو جعل الآلهة ثلاثة متساوين فهم الكافرون حقًا .

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[8] .

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[9] .

---

(1) متّى فصل : 12 : 32 .

(2) يوحنا فصل : 1 : 18 و 6 : 46 .

(3) متّى فصل : 4 : 2 . ويوحنا فصل : 19 : 28 .

(4) يوحنا فصل : 4 : 6 . و متّى فصل : 8 : 24 .

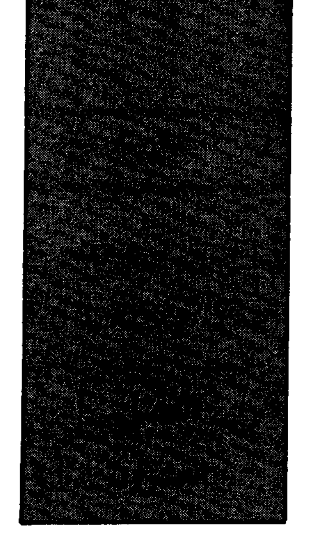
(5) يوحنا فصل : 12 : 27 .

(6) مرقس فصل : 15 : 19 و 20 .

(7) متّى فصل : 26 : 67 .

(8) سورة المائدة : الآية 17 .

(9) سورة المائدة : الآيتان 73 و 74 .



ملكوت السموات

منذ آدم والإنسانية تنتظر محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لينقذها من الظلم ، ويحررها من الجهل ، ويبين لها الطريق المستقيم الواضح . الطريق الصحيح لمعرفة الله تعالىٰ .

لقد وُجد قبل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنبياء كثيرون لا يحصرهم العد . نبهوا شعوبهم وأقوامهم ، وشرّعوا لهم . وبشروهم بمجيء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولكن معظم هذه البشارات طمست لأسباب كثيرة أهمها : الحسد . وبمراجعتنا لكتاب العهد القديم نجد كثيرًا من هذه البشارات الواضحة . تذكر نبوءة حبقوق فيما يلي :

« الله يأتي من الجنوب[1] . والقدوس من جبل فاران[2] . غطىٰ جلاله السموات وامتلأت الأرض من تسبيحه »[3] .

ويأتي يوحنا المعمدان ليقول :

« توبوا قد اقترب ملكوت السموات »[4] .

مبشرًا بمجيء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتأسيس الدولة التي تحكم بشريعة الله . ويبدأ المسيح دعوته إلى الله تعالىٰ مبشرًا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقول : « توبوا قد اقترب ملكوت السموات »[5] .

وكان الدعاء الرئيسي في صلاة المسيح :

« ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك . ليُعمل بمشيئتك »[6] .

وقد بين المسيح ملكوت السموات بالأمثلة التالية :

---

(1) جنوب فلسطين ـ الجزيرة العربية .

(2) فاران : مكة .

(3) نبوءة حبقوق فصل : 3 : 3 .

(4) متَّى فصل : 3 : 2 .

(5) متَّى فصل : 4 : 17 .

(6) متَّى فصل : 6 : 10 .

« مثل ملكوت السموات كمثل رجل[1] . زرع زرعًا طيبًا في حقله[2] . وبينما الناس نيام جاء عدوه[3] فزرع بين القمح زوانًا ومضىٰ . فلما نما البنت وأخرج سنبله[4] ظهر الزوان معه[5] . فجاء رب البيت عبيده وقالوا له سيدي : ألم تزرع زرعًا طيبًا في حقلك فمن أين جاء الزوان ؟ فقال لهم بعض الأعداء فعل ذلك . فقال له العبيد أتريد أن نذهب فنجمعه ، فقال : لا . مخافة أن تقلعوا القمح وأنتم تجمعون الزوان[6] فدعوهما ينبتان إلى يوم الحصاد[7] . حتى إذا أحصد الزرع أقول[8] للحصادين اجمعوا الزوان أولاً واربطوه حزمًا ليحرق . وأما القمح فاجمعوه وأتوا به إلى أهرائي »[9].

اسمعوا مثلاً آخر . غرس رب[10] بيت كرمًا فسيجه وحفر فيه معصرة . وبنى برجًا وأجره بعض الكرامين[11] ثم سافر . فلما حان وقت الثمر أرسل عبيده[12] . فضربوا أحدهم وقتلوا غيره ورجموا الآخر . فأرسل عبيدًا سواهم أكثر من الأولين عددًا . ففعلوا بهم الفعل نفسه فأرسل إليهم ابنه[13] آخر الأمر . وقال سيهابون ابني . فلما رأى الكرامون الابن قال بعضهم لبعض : هوذا الوارث هلم نقتله ونأخذ ميراثه . فأمسكوه وألقوه خارج الكرم[14] وقتلوه[15] فماذا يفعل رب الكريم بأولئك الكرامين عند عودته . قالوا له : يهلك هؤلاء الأشرار شر هلاك ، ويؤجر الكرم كرامين آخرين[16] يؤدون إليه الثمر في وقته .

قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رذله البناؤون[17] . هو الذي صار رأس الزاوية ذاك صنع ربنا . كان عجبًا لأبصارنا ، لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله[18] سينزع عنكم[19] ليسلم إلى أمه[20] تجعله يخرج ثمره »[21] .

---

(1) هذا الرجل هو المسيح نفسه .

(2) الزرع الطيب هو التعاليم المسيحية .

(3) عدو المسيح : هم الشيطان واليهود .

(4) انتشر الإيمان .

(5) التعاليم الشيطانية المضللة للناس .

(6) ترك المسيح الأمور كما هي حتى يأتي محمد فيبين الحقائق المتعلقة به . ولم يفصل الحب عن الزوان .

(7) يوم الحصاد : يوم مجيء محمد .

(8) أقول : تعني أن المسيح هو الزارع .

(9) متّى فصل : 13 : 24 .

(10) رب البيت هارون مؤسس الكنيس .

(11) الكرامين : الاحبار والفريسيين :

(12) العبيد هم الأنبياء .

(13) ابنه : يُقصد بها المسيح ابن هارون .

(14) رفضوا رسالة المسيح .

(15) حاولوا قتل المسيح ولم يفلحوا .

(16) الكرامين الآخرين : هم المسلمون .

(17) أمة العرب كانت فقيرة ومتفرقة لذلك لم يأبه بها أحد .

(18) ملكوت الله : الرسالات السماوية .

(19) بعد المسيح لا يأتي نبيٌّ من اليهود .

(20) الأمة الإسلامية .

(21) متّى فصل : 21 : 43 .

« وقال بماذا نشبه ملكوت الله . أو بأي مثل نمثله ؟ إنه مثل حبة من خردل . فهي حين تزرع في الأرض . أصغر[1] سائر الحبوب التي في الأرض . فإذا زرعت ارتفعت وصارت أكبر البقول كلها[2] . وأرسلت أغصانها الكبيرة حتى إن طير السماء تستطيع أن تستظل في ظلها »[3] .

﴿ . . . وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ[4] فَـَٔازَرَهُۥ[5] فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ[6] وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[7]

« وتراءىٰ لهم[8] مدة أربعين يومًا بعد آلامه . وكلمهم على ملكوت الله[9] . وبينما هو يأكل معهم أوصاهم ألاَّ يبرحوا أورشليم[10] بل عليهم أن ينتظروا ما وعد به الأب ، وما سمعتموه مني فإن يوحنا قد عمد في الماء ، وأما أنتم فتعُمَدون في الروح القدس[11] بعد أيام قليلة[12] »[13] .

ومن هذا النص الأخير نتأكد أن المسيح لم يعمد تلاميذه بغير الماء . ووعدهم بمن سيجيء ليعمدهم بالروح القدس . و إذا رجعنا إلى أقوال يوحنا المعمدان نجد أنه يتكلم عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما قال : وأنه لا يستحق أن يحل سير حذائه . تعظيمًا لقدر النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم .

وقد بشر كتاب الاسدوراس[14] بفتح القدس على أيدي المسلمين ووصف عمر بن الخطاب الذي حضر حفل افتتاح القدس كما يلي :

« أنا عذرا[15] شاهدت حشدًا هائلاً على جبل صهيون ، كان الجميع يغنون ويحمدون الله تعالىٰ ، وكان في وسط الحشد رجل طويل القامة[16] ، أطول من جميع الموجودين . وكان يضع تيجانًا وعمائم على رؤوس المحتشدين[17]. ولكنه كان

---

(1) كانت بداية الإسلام صغيرة .

(2) أعظم الأديان وأقواها .

(3) مرقس : فصل : 4 : 3 :

(4) شطأه : فراخه : أوراق النبات .

(5) تقوي النبات واستعان بأوراقه .

(6) الكفار هم أعداء الدين وحُساده .

(7) سورة الفتح : من الآية 29 .

(8) المسيح .

(9) يخبر المسيح تلاميذه عن ملكوت الله قبل صعوده .

(10) أوصىٰ تلاميذه بملازمة أورشليم وليس التفرق بين الأمم لدعوتهم إلى الدين الجديد .

(11) المسيح لم يعمد تلاميذه بالروح القدس ولا بالنار .

(12) يبشرهم باقتراب مجيء محمد .

(13) أعمال الرسل فصل : 1 : 3 ـ 4 ـ 5 .

(14) من أسفار الابوكريفا ـ أي التعاليم السرية .

(15) كاتب الاسدوراس . من الأنبياء .

(16) الرجل طويل القامة هو : عمر بن الخطاب .

(17) اشارة إلى سعة مملكة عمر بن الخطاب والفتوحات التي ستكون على يديه وكثرة الأمراء الخاضعين له .

أرفع الموجودين شأنًا . كنت منجذبًا ومأخوذًا بهذا المنظر ، وسألت الملاك الواقف بجانبي : من هؤلاء الناس يا سيدي ؟ قال هؤلاء هم الذين تخلصوا من العوائق البشرية . وارتدوا ثوب الخلود ، لأنهم برهنوا على صدق إيمانهم بربهم . والآن يأخذون العمائم وأغصان النخيل[1] كرمز و إشارة إلى انتصاراتهم وفتوحاتهم . عندئذ سألت الملاك : من هذا الشاب الذي يضع هذه العمائم على الرؤوس ، ويعطي أغصان النخيل ؟ أجاب الملاك : إنه ابن الله[2] »[3] .

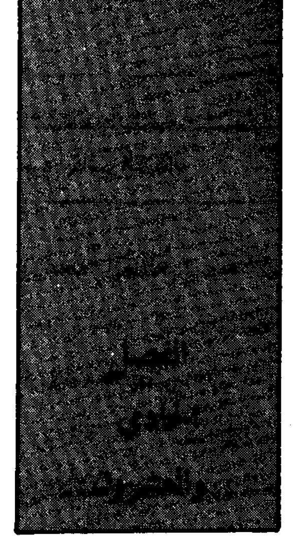
وكما وعد المسيح فإن ملكوت السموات قد أتى . فهنيئًا لمن انضم إلى هذا الملكوت وشارك فيه . وتعسًا لأولئك الذين أغمضوا عيونهم ، وصموا آذانهم ، ورفضوا كلمة الحق والإيمان . منساقين وراء شهواتهم ومكاسبهم المادية .

---

(1) العمائم والنخيل رمز للعرب . وكان الزيتون رمزًا للرومان .

(2) تعبير عن أنه قريب من الله . وأن الله يرعاه .

(3) الاسدوراس الثاني فصل : 2 : 42 حتى 47 .



المسيح يغالب الشيطان

ورجع يسوع وهو ممتلىء من الروح القدس . فاقتاده الروح في البرية أربعين يومًا . و إبليس يجرّبه . ولم يأكل شيئًا في تلك الأيام حتى انقضت . فأحس الجوع . فقال له إبليس : إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر يصر رغيفًا ؟ فأجابه يسوع : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .

فصعد به إبليس وعرض عليه جميع ممالك الأرض في لحظة من الزمن . ثم قال : أجعل لك هذا السلطان ومجد هذه الممالك ، لأنه سُلِّم إليَّ ، وأنا أجعله لمن أشاء فإن سجدت لي يعود إليك ذلك كله . فأجابه يسوع : مكتوب لله ربك تسجد و إياه وحده تعبد .

فمضى به إلى أورشليم وأقامه على شرفة الهيكل وقال له : إن كنت ابن الله فألق بنفسك من ههنا إلى الأسفل لأنه مكتوب : يوصي ملائكته بك ليحفظوك ، وهم يحملونك على أيديهم لئلا تصطدم رجلك بحجر . فأجابه يسوع : قد قيل لا تجربن الله ربك .

فلما أفرغ إبليس جميع ما عنده من تجربة انصرف إلى أن يحين الوقت »[1] .

ونتساءل هل الصوم عبادة أم رياضة روحية ؟

فإذا قلنا إنه رياضة روحية فمعنى ذلك أن غاية الرياضة هي التنمية الروحية . كما يفعل الرياضيون ينمون عضلاتهم بالتدريب ، كذلك فإن الروحانيين ينمون أرواحهم و يجلونها من الأكدار . وعليه فإن المسيح طلب الكمال والزيادة ، عن طريق الرياضة . وهذا يعني أنه ناقص وقابل للزيادة. والمعنى أنه ليس بإلـٰه ولا يستحق الألوهية لنقصه .

أما إذا كان الصوم من أجل العبادة فهذا يعني أن المسيح يعبد الله . أي أن المسيح عبد وليس بإلـٰه . فالعابد هو العبد والمعبود هو الرب جل جلاله . أما إذا قلنا إن المسيح كان يعبد نفسه فنكون قد دخلنا في النرجسية وعبادة الذات .

و إذا أصرّ شخص ما على أن المسيح هو الله . فنسأل : هل كان إبليس وهو المجرِّب يعرف من هو المُجرَّب . و إنه الله رب العالمين أم لا يعلم ؟ فإن كان إبليس يعرف هذا . فما معني هذه التجربة ؟

ومن المعروف أن هناك احتمالاً للنجاح واحتمالاً للفشل في كل تجربة . فهل كان هناك احتمال في فشل المسيح في هذه التجربة وهو الاقنوم الثاني من الإله الواحد ، أم لا ؟ ولنفرض أن المسيح فشل في تجربة إبليس . فما هي النتائج المترتبة

---

(1) لوقا فصل : 4 : 1 حتى 13 .

على هذا الفشل . ونتساءل لماذا رغب إبليس بتجربة المسيح . أليس لكي يضمه إلى مملكته ، ويجعله تابعًا له ، وبذلك يصبح المسيح أقنومًا ثانيًا للشيطان .

إن التجربة التي لا تحتمل النجاح أو الفشل ليست بتجربة . وتفقد معنى التجربة والاختبار وعندها يطلق عليها اسم آخر .

من المعروف علميًا أن الصائم لمدة أربعين يومًا لا يجوع ولا يرغب في الأكل . وكثير من الأشخاص صاموا لمدد طويلة وفي النهاية لم يعد لهم رغبة في الأكل والشرب . واستمروا في الصيام حتى الموت . لذلك فإن المشرفين على أمثال هؤلاء الصائمين يجبرون/ الصائمين على الأكل والعودة التدريجية إلى الحالة الطبيعية . فكيف يجوع المسيح ؟

والتحدي الأول بين المسيح و إبليس كان كما يلي :

إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر يصر رغيفًا ؟

فالشيطان يتحدى المسيح أن يكون ابنًا لله . و يطلب منه البرهان على ذلك .

ولو أن المسيح قبل التحدي وقال نعم أنا ابن الله وصيَّر الحجر خبزًا . فماذا كان سيترتب على هذه النتجية .

لماذا تهرب المسيح من إجابة إبليس إلى طلبه ؟

ونأتي كان رده ضعيفًا ؟ وغير واضح .

ولماذا إلى التحدي الثاني وفي هذا التحدي مغالطة كبيرة .

فالشيطان يدعى ملكية العالم . هل يصدقه المسيح في هذه الدعوى ؟ أم يرفضها ؟ ثم لماذا يطلب إبليس من المسيح أن يسجد له ؟

لو كان إبليس يعلم أنه يخاطب الله فهل يطلب منه مثل هذا الطلب ؟

لماذا تسمى الأناجيل إبليس بسيد العالم[1] ؟. ومن أعطاه هذه السيادة ؟ لا يملك الشيطان من هذا العالم إلا الكذب والخداع والتضليل . أما ما في هذا العالم فهو مخلوق للإنسان وهو يتصرف فيه كيف يشاء . فالإنسان هو سيد العالم . وسيد البشر[2] هو محمد عليه الصلاة والسلام . وفي طلب السجود ، هل يسخر إبليس من المسيح أم أن كاتب الانجيل يسخر من القراء ؟ وهل يجهل المسيح أن الشيطان كان كاذبًا ولا يملك شيئًا ؟ وأن المسيح لو أراد شيئًا لطلبه من الله تعالىٰ مالك الملك . وأجابه يسوع : مكتوب لله ربك تسجد و إياه وحده تعبد .

وهل تختلف عقيدة المسلمين بشيء عن هذا ؟ وهل يطلب المسلمون من المسيحيين غير تطبيق هذا النص الواضح الصريح . إن هذا القول هو حجر الأساس في العقيدة الإسلامية . ونتساءل إذا آمن المسيحي بالإسلام فهل هو حقًا سيغير دينه أم أنه سيصبح أكثر تمسكًا به . المسلم يؤمن بالمسيح ، بالروح القدس ، ولكنه بالشكل الصحيح المنطقي بلا مغالاة ولا انحراف . إن المسيحي الذي يرغب بتطبيق المثالية التي يراها و يلمحها في حياة المسيح يستطيع ذلك بالتعرف على الإسلام وتطبيق مبادئه .

---

(1) يوحنا فصل : 14 : 30 .

(2) رؤيا يوحنا فصل : 19 : 16 ، محمد ملك الملوك وسيد الأسياد .

وتستمر التجربة ويعود التحدي .

إن كنت ابن الله فألق بنفسك من هاهنا إلى الأسفل . لأنه مكتوب : يوصي ملائكته بك ليحفظوك . وهم يحملونك على أيديهم لئلا تصطدم رجلك بحجر .

وفي هذا القول فإن كاتب إنجيل لوقا يشكك في المسيح ويتهمه بالكذب . لأن صلب المسيح يتنافى مع كون الله حافظًا للمسيح . فالذي يحفظ رِجْلَ المسيح من حجر أولى به أن يحافظ على حياته من الموت ، وعلى كرامته من الإهانة والشتم . وهكذا نرى أن الأناجيل تشكك في شخصية المسيح وتبين أن الأوصاف المذكورة في العهد القديم لا تنطبق عليه .

وأخيرًا يتهرب المسيح من تنفيذ المطلوب وبيان الحجة والبرهان اللذين طلبهما إبليس منه بقوله : لا تجربن الله ربك .

ونتساءل هل كانت هذه للتجارب والامتحانات أمام الجمهور أم أنها جرت بين إبليس والمسيح لوحدهما . وسياق القصة يبين أن المسيح روى هذه الحكاية ليبين لهم أنه ليس ابن الله وأن المستحق للعبادة والسجود هو الله الواحد الأحد . وفي نفس الوقت فإن المسيح يذكر تلاميذه بالمزمور التسعين الذي يبشر بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويبين شيئًا عنه .

1 ـ عندما تهاجر في سبيل الله . تطلب السلامة[1] .

عندها تبقى في حماية الله القدير وتقول :

2 ـ إلهي ! أنت المدافع عني وأنا في ظل حمايتك ، توكلت عليك .

3 ـ وسيحفظك الله من الأخطار الخفية ومن الأمراض المميتة .

4 ـ يبسط الله جناح حمايته لك ويحفظك بعنايته ويؤيدك بالمؤمنين الذين يدافعون عنك[2] .

5 ـ لا تخش خطرًا في الليل ولا غدرًا مبيتًا في النهار[3] .

6 ـ لا تقربك الحمى[4] التي تستيقظ في الظلام .

7 ـ يتساقط الشجعان بجانبك ومن أمامك قتلى[5] في المعارك لكن أنت لا تصاب بالجراح والأذى .

8 ـ وسترى المنافقين ينالون ما يستحقون من عقوبة .

9 ـ لأنك اتخذت من الله ملجأ ومعتصمًا .

10 ـ لذلك لن يصيبك شر . ولن يحدث اضطراب جانب بيتك[6] .

11 ـ لأن الله يوصي ملائكته فيحفظونك أينما ذهبت .

12 ـ يحملونك بأيديهم حتى لا تصطدم رجلك بحجر .

---

(1) إشارة إلى هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة المنورة .

(2) دافع المسلمون عن محمد أما تلاميذ المسيح فتركوه وهربوا .

(3) حاول اليهود اغتيال محمد فنبهه جبريل لذلك .

(4) حمى يثرب مشهورة . زالت بدعاء النبي .

(5) في معركة أحد قتل كثير من المسلمين أما المسيح فلم يحارب أحدًا .

(6) اشارة لغزوة الخندق واعتصام النبيّ بالمدينة .

13 ـ تطأ الأسد[1] والأفعى . تدوس الشبل والتنين[2] .

14 ـ أنا الله سأنقذ من يحبني[3] وأحمى الذين يعرفون أني أنا الله .

15 ـ سأستجيب دعاءهم ، وسأكون معهم وقت الضيق ، سأنجيهم وأُعلي شأنهم .

16 ـ سأمنحهم الحياة الطويلة وأنقذهم .

وفي هذا المزمور نجد بعض صفات محمد ، فالله معه دائمًا يحميه وينجيه ، وينصره على أعدائه ، ويطيل عمره ، ويستجيب لدعائه .

وأخيرًا فماذا كانت نتيجة الامتحان . هل نجح المسيح في هذا الاختبار أم رسب ؟

لقد أعلن المسيح في هذه التجربة عبوديته المطلقة لله تعالىٰ وحده .

كما أعلن لوقا في كتابته هذه عن شكه في كون المسيح الذي يستخرج صفاته من كتاب العهد القديم والمزامير هو يسوع الذي يكتب عن حياته وصفاته المخالفة لما جاء في الكتب القديمة . وأهمها نصرة الله له .

وننهي هذا الفصل بصرخة يسوع الهائلة وهو يعلن عن نفسه أنه نبيٌّ ولا أكثر من ذلك .

« ودنا حينئذ بعض الفريسيين فقالوا له : اذهب من هنا فإن هيردوس يريد أن يقتلك[4] . فقال لهم : اذهبوا فقولوا لهذا الثعلب إني أطرد الشياطين وأجري الشفاء اليوم وغدًا . وفي اليوم الثالث يتم بي كل شيء . فَعَلّي أن أسير اليوم وغدًا واليوم الذي بعدهما .لأنه لا ينبغي لنبيٍّ[5] أن يهلك خارج أورشليم[6] ، أورشليم أورشليم . يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين »[7] .

(1 و 2) الأسد رمز الروم . والتنين رمز الفرس والصين . والحمار رمز اليهود . والجمل رمز العرب . والدب رمز الروس .

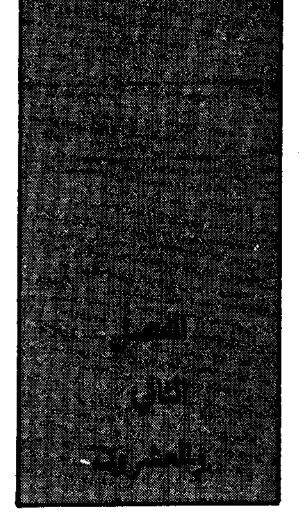
(2) لم ينقذ الله المسيح من الصلب فهل كان غير محب له ؟ ؟

(3) لم تذكر الأناجيل إلا أن هيرودس كان معجبًا بالمسيح ويود رؤيته

(4) المسيح يؤكد أنه نبيٌّ والمسيحيون يؤكدون أنه إله .

(5) هلك كثير من الأنبياء خارج أورشليم مثل يوحنا المعمدان .

(6) لوقا فصل : 13 : 31 .



كُتَّاب الأناجيل

اكتسبت الأناجيل صفة القداسة بنسبتها للمسيح عليه الصلاة والسلام . وحقًا فإن الأناجيل الأربعة والمعترف بها من قِبَل الكنيسة تحوي أقوالاً و إرشادات للمسيح عليه السلام كما تسرد بعضًا من معجزاته التي بهر بها الأنظار والعقول . ولكن ليس هذا كل ما في الأناجيل . علينا أن نعترف وبكل شجاعة أن كتاب الأناجيل بشر مثلنا ، وغير معصومين عن الخطإ . ونستطيع أن نلمح تغايرًا أو تعارضًا عندما نقرأ حادثة واحدة مدونة في إنجيلين كما يوجد أقوال وحوادث مدسوسة على المسيح . قد يكون السبب في وجود أمثال هذه الأقوال والحوادث هو عدم فهم الكاتب للحادثة أو القول . أو قد يكون القصد هو توجيه القاريء نحو فكرة معينة يريدها منه الكاتب .

وككل مسلم فإني لا أجرؤ على مناقشة أقوال المسيح ، إذ لا فرق عندي بين محمد والمسيح ، فكلاهما نبيٌّ مرسل ، وعظيم ملهم . ولكن الذي يمكن أن يبحث ويناقش هو ما كتبته الأناجيل . هل ما كتبته الأناجيل هو حقًّا كلام المسيح عليه السلام ؟ هل تُرجمت أقواله بأمانة ؟ أم أن المترجم كتب على هوى نفسه أو على قدر علمه ؟

إن مناقشة أقوال المسيح وانتقادها كفر صريح يقول به كل مسلم . ولكن مناقشة الأناجيل شيء آخر . وسيرى القارىء وجهة نظرنا في هذا الموضوع . وقد يوافقنا على ما نقول . إن قراءتنا المتكررة للأناجيل رَسَّخت فينا قناعة أن ما ورد في هذه الأناجيل له ظل من الحقيقة . وتأكد لدينا أن ترجمة الأناجيل من لغتها الأصلية إلى اللغة اليونانية ثم الترجمة من اليونانية إلى اللغات الأخرىٰ طمست كثيرًا من الحقائق ، وغيرت كثيرًا من الأسماء .

ويعتقد المسلمون أن الإنجيل الذي أُنزل على المسيح . والمسمىٰ بإنجيل المسيح مفقود ، وأن ما بأدينا هو فقط قصة حياة المسيح عليه السلام . إن الحروب والاضطهادات في القرون الثلاثة الأولىٰ بعد المسيح سببت فقدان وضياع الكثير من تاريخ المسيحية . الحقيقة و إن ما بأدينا اليوم هو فقط الأناجيل التي وافقت عليها الدولة الرومانية ، أي السلطة السياسية التي تدخلت في الأمور الدينية ، وثبتت وجهة نظر معينة . وقبلت ما يدعم حكمها ولا يهدم تراثها . و إن الشعوب العربية التي تقبلت المسيحية واعتنقتها رفضت هذه الوصاية السياسية على الدين . وقامت ثورات دينية في مصر وسوريا ضد تعاليم هذه الأناجيل . وسمّي الثائرون الدينيون بالأريسيين نسبة إلى آريوس الليبي الكاهن العربي المسيحي الذي رفض الوهية المسيح . واستمرت الخلافات حتى جاء اليوم الذي أشرقت فيه الأنوار القدسية من جبال فاران . وكان بعدها الطوفان العربي الإسلامي الذي أغرق الجهل والخرافة . وأوضح حقيقة المسيح ، رسول الله وكلمته التي ألقاها إلى السيدة مريم العذراء البتول الطاهرة المطهرة . مبرءًا إياها مما رماها به اليهود .

ويذكر الأب يوسف نعمان في كتابه بشرى الخلاص[1] تحت عنوان أهل الأناجيل ما يلي :
إن التدوين النهائي للمواد التي تناقلها الرسل مشافهة وبشروا الناس بها لم يتم إلا بين سنة 60 _ 75 ، فابتدأ بالتدوين مرقس وتبعه متّى ثم لوقا . أما يوحنا فكتب إنجيله نحو نهاية القرن الأول . أي أن الأناجيل كلها كتبت بعد انقراض الجيل الذي عاصر المسيح وشاهده .

وفيما يلي سنذكر شيئًا عن الأناجيل الأربعة وكتابها ثم نذكر إنجيل برنابا الذي لم تعترف به الكنيسة .

1 ـ إنجيل متّى :

يعتقد المسيحيون أن مؤلِّف إنجيل متّى هو أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر . أما نقاد الأناجيل فيقولون : إن كاتب هذا الإنجيل مجهول الاسم ، ودعي هذا الإنجيل باسم إنجيل متّى ، تمييزا له عن باقي الأناجيل ذلك أنه يذكر أن اسم الذي دعا المسيح إلى الوليمة يدعىٰ متّى العشار ، بينما إنجيلي لوقا ومرقس يذكران أن اسم الذي دعا المسيح إلى الوليمة هو لاوي ابن حلفي في إنجيل مرقس ، ولاوي فقط في إنجيل لوقا . ولم تذكر الأناجيل أن متّى هو لاوي .

وكان متّى قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب ، واسمهم في ذلك العهد عشارون . وكان متّى جابيًا في كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين .

وكانت الجباية مهنة زرية لأنها تحمل صاحبها على الظلم . ثم إنه من موظفيّ الدولة الرومانية المستعمرة . ولكن المسيح اختاره من التلاميذ . وبعد رفع المسيح جال متّى للتبشير في بلاد كثيرة . وقيل إنه مات سنة 70 ميلادية بالحبشة[2] على إثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملكها . وفي رواية أخرىٰ أنه طعن برمح في سنة 62 بالحبشة[3] بعد أن قضىٰ فيها نحو ثلاث وعشرين سنة داعيًا للمسيحية .

ومن المرجح أنه كتب إنجيله بالعبرية ، لأنه كتبه لليهود يبشرهم بالمسيحية . وليقرأه مؤمنوهم بها . لذلك قيل إنه كتبه بوجهة نظر يهودية . وأنه انفرد باستعمال اللسان العبري في تحرير العهد الجديد . مظهرًا المسيح بوصفه مسيا الموعود وملك شعب إسرائيل الحقيقي . ورتبه حسب الموضوعات وليس حسب الوقائع . فجميع أعمال المسيح وأقواله حسب مشابهاتها . فبدأ بالنظام الجديد كأنه تتميم للنظام القديم وليس ناسخًا له . وبذلك استحق إنجيله أن يوضع في صدر العهد الجديد ليكون حلقة الاتصال بين العهدين القديم والحديث . وبين الناموس والإنجيل[4] .

ويذكر المعلقون على الترجمة المسكونية على إنجيل متّى ما يلي :
يقدر غالبًا أن إنجيل متّى قد كتب بسوريا وربما بأنطاكية (مركز تبشير بولس) أو بفينيقيا . في هذه المناطق كان يعيش عدد كبير من اليهود . وقد يمكن أن نستشف معركة فكرية ضد اليهودية المعبدية الفريسية التي ظهرت في

---

(1) بشرىٰ الخلاص للأب يوسف نعمان من كهنة البطريركية اللاتينية الاوشليمية ـ الطبعة الثانية 1981 .

(2) إذا كان القديس متّى قد عاش عمره في الحبشة ومجاهل أفريقيا . فكيف وصل إنجيله إلينا؟

(3) كان ملك الحبشة يدين باليهودية . وكان اسم إمبراطور الحبشة (أسد يهوذا) لأن الأحباش يعتبرون ملوكهم من نسل سليمان ابن داود . وآخر امبراطور كان هيلاسيلاسي .

(4) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية تأليف دكتور عبد المنعم الحفني .

المجمع الكنسي اليهودي بجامينا . في نحو عام 80 ميلادية وفي ظل هذه الظروف يكثر عدد الكتاب الذين يؤرخون للإنجيل فيما بين عام 80 و 90 ميلادية . أو ربما قبل ذلك بقليل ولا يمكن الوصول إلى تعيين كامل في هذا الموضوع . ولما كان اسم المؤلِّف لإنجيل متَّى غير معروف بالتحديد ، فالأنسب الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة في إنجيل متَّى نفسه ومنه . إن الكاتب معروف بمهنته . و إنه متبحر في الكتب المقدسة والتراث اليهودي (وهذا ما لا ينطبق على عشار أميّ كمتَّى) . و إنه يعرف ويحترم رؤساء شعبه اليهود و إن أغلظ في خطابه لهم . كما أنه أستاذ في فن التدريس . وفي إفهام قول المسيح لمستمعيه . مع تأكيده الدائم على النتائج العملية لتعاليمه . و إنه يتفق جيدًا مع ملامح يهودي متأدب اعتنق المسيحية وهو معلم حاذق يخرج من كنزه قديمًا وجديدًا .

تلك صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطي في كفر ناحوم . الذي يطلق عليه مرقس ولوقا اسم لاوي والذي أصبح من التلاميذ الاثنىٰ عشر[1] .

أما الأب يوسف نعمات فيذكر أن اللغة التي كُتب بها إنجيل متَّى فهي اللغة الآرامية . وهي يومئذ لغة التخاطب لدى اليهود ، وهي اللغة التي تحدث بها يسوع مع الناس . ونقل المسيحيون الأولون إنجيل متَّى إلى اليونانية ثم فقد النصّ الآرامي وبقيت الترجمة اليونانية[2] .

ويذهب الكثيرون إلى أن مترجم[3] هذا الإنجيل مجهول اسمه ، وحاله من الصلاح ، وعلمه بالدين ، وباللغتين المترجم منها والمترجم إليها ، كل هذا أدي إلى زعزعة الثقة في هذا الإنجيل .

2 ـ إنجيل مرقس :

يذكر بولس في رسالته إلى أهل كولسي ، أن مرقس نسيب برنابا ، ويرجح مؤرخو المسيحية أن مرقس اتبع المسيح بواسطة بطرس لأنه يدعوه (ومرقس ابني)[4] .

ويرجح أن مرقس ولد في أورشليم لأن أمه سكنت هناك ، وكانت ذات مكانة بين المسيحيين الأوائل . ولما أُطلق بطرس من السجن ذهب إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس ولم يكن مرقس ، من الرسل الاثني عشر الذين تتلمذوا للمسيح واختصهم بالزلفىٰ إليه .

وقد لازم مرقس خاله برنابا وبولس في رحلتهما التبشيرية إلى أنطاكية . ثم تركهما بعد ذلك وعاد إلى أورشليم . وقال صاحب كتاب مروج الأخبار في تراجم الأبرار[5] .

كان مرقس ينكر ألوهية المسيح . ومن المحتمل أن مرقس لم تعجبه دعوة بولس بأن المسيح ابن الله . وقد كان مرقس تلميذًا لبطرس ومترجمًا له . ولم يقبل بطرس بألوهية المسيح ولمَّا التقىٰ مرقس ببرنابا وبولس ارتأى برنابا أن يأخذا معهما مرقس ولكن بولس كان لا يستحسن أخذ من فارقهما في بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل . فوقع بينهما

---

(1) مقارنة الأديان على ضوء المعارف الحديثة . موريس بوكاي .

(2) بشرىٰ الخلاص ـ الأب يوسف نعمان .

(3) لم يُحدد بعد هل أصل هذا الإنجيل مكتوب بالعبري أم أنه مكتوب بالآرامي .

(4) لم يكن مرقس ابنًا لبطرس ولكن المناداة بابني دليل على المحبة والتربية .

(5) النقل من كتاب الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية تأليف الدكتور عبد المنعم الحفني . وقاموس الكتاب المقدس .

مشاجرة حتى فارق بولس برنابا . ومن المظنون أنه ما كان من الممكن أن يختلف برنابا وبولس حول مرقس بسبب بسيط كهذا . والمرجح أن المشاجرة كانت لأسباب أقوى . وقد ذكر صاحب كتاب مروج الأخبار في تراجم الأبرار أن سبب المشاجرة هو نكران مرقس على بولس ادعاءه ألوهية المسيح .

وكان مرقس مع بطرس لما كتب رسالته الأولى . واتفق الآباء على أن مرقس هو مترجم بطرس . فربما كان يترجم له في بعض المواضيع . أو أنه كتب إنجيله تحت إرشاد الرسول بطرس كما يستدل من بعض الآيات .

وقيل إن مرقس لم يكتب إنجيله بالعبرية و إنما كتبه باليونانية واختلفوا في تحديد تاريخه ، فقيل إنه ربما كتب بين عامي 65 و 68 . وقالوا إن الجزء الأخير من إنجيل مرقس غير موجود في المخطوطة السينيائية ومخطوطة الفاتيكان ، وإنما أُلحق هذا الجزء من قبل بعض رجال الدين ليتوافق في سرد نهاية المسيح مع الأناجيل الثلاثة الأخرى .

ومن قراءة هذا الإنجيل وبمقارنته بالأناجيل الثلاثة الباقية يتبين لنا أن مرقس لم يكن معصومًا عن الخطأ والنسيان وأن إنجيله لم يُكتب بإلهام من المسيح ، لأن الغلط لا يصح أن يكون إلهاميًا . وذلك بسبب التضارب الموجود في مواضع كثيرة من الأناجيل الأربعة .

ويذكر القس جورج خوري[1] تحت عنوان المصدر الذي اشتقت منه مادة إنجيل مرقس . مؤكدًا أن مرقس لم يشاهد المسيح ولم يسمع أقواله و إنما تعرّف عليها من الذين سمعوا ورأوا ، ويذكر من بينهم الرسول بولس الذي لم يسمع ولم ير المسيح . ولم يتقبل التلمذة على أيّ من تلاميذ المسيح .

ومن المحقق أن مرقس انتهز الفرص الكثيرة التي أتيحت له ليتعرف على أقوال المسيح وأعماله من كثير من الذين سمعوا هذه الأقوال . وكانوا شهود عيان لهذه الأعمال إلى جانب بطرس ، وكذلك عرف الكثير منها عن طريق أفراد الكنيسة الأولى . وقريبه برنابا والرسول بولس والتلاميذ الذين ترددوا على منزل أمه مريم . ثم إن استخدام مرقس لكلمات لاتينية كثيرة في صورتها اليونانية يرجِّح الرأي القائل بأن البشارة كتبت في روما .

3 ـ إنجيل لوقا :

ولوقا هو تلميذ بولس وطبيبه الحبيب . ولنذكر هنا أن بولس كان مريضًا بالبرداء (الملاريا) ولم يستطع لوقا شفاءه[2] منها . وقد كتب لوقا بالإضافة إلى إنجيله سفر أعمال الرسل . ويعتبر لوقا مبشرًا بالمسيح حسبما يراه بولس لأن لوقا كان وثنيًا قبل التعرف على بولس ومنه استقى معلومات إنجيله . ويرى آخرون أن لوقا قد استمد معلوماته من إنجيلي متّى[3] ومرقس وبنى منهما قصة كما فعل الكثيرون الذين أخذوا بتأليف قصة . ومن قراءة إنجيل لوقا يتبين لنا أنه كان يونانيًا عالي الثقافة . ولا يعرف أحد أين عاش لوقا سني حياته الأخيرة ولا أين مات . وقيل إن لوقا كتب إنجيله سنة 65 ميلادية . ولكن هذا يتناقض مع القول بأنه أخذ الكثير من أخبار يسوع عن إنجيل مرقس[4] والذي كُتب بين سنتي 65 و 68 كما أسلفنا .

---

(1) راعي الكنيسة الإنجيلية بطرابلس ـ لبنان .

(2) لم يشف بولس من مرضه لا الدعاء ولا الطب .

(3) قاموس الكتاب المقدس .

(4) شرح وتعليق الأب يوسف قوشاقجي على إنجيل لوقا طبع 1966 .

4 ـ إنجيل يوحنا :

وهو الإنجيل الرابع وكتب سنة 100 ميلادية . وقام جدل كبير حول من هو كاتب هذا الإنجيل . وقيل إن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الشيخ وليس يوحنا الحواري تلميذ المسيح ، واستدلوا على ذلك من لغته اليونانية الرصينة والفلسفة اليونانية التي تشيع فيه . والتي تختلط فيها الرواقية والأفلوطينية بالهرمسية والغنوصية والمندائية . مما يرجح القول بأن هذا الإنجيل من تصنيف تلميذ من مدرسة الإسكندرية . وقالوا لا شك أنه مزور مستدلين على ذلك من العبارة التالية :

« وهذا التلميذ هو الذي يشهد بهذه الأمور ويدونها ونحن[1] نعلم أن شهادته صادقة »[2] .

حيث يتكلم كاتب الإنجيل (نحن) عن يوحنا بضمير الغائب . وإن مصادقة كلام كاتب الإنجيل على كلام التلميذ تلفت النظر .

ويرى بعض النقاد أن إنجيل يوحنا يمكن أن يكون توسيعًا لخلاصة كتبها القديس يوحنا بواسطة تلاميذ بولس .

وتذكر الترجمة المسكونية للكتاب المقدس[3] ما يلي :

أما الفصل 21 من إنجيل يوحنا فلا شك في إضافته لأنه يتحدث عن أمور حدثت قبل محاكمة المسيح . وكذلك فإن بعض الحواشي أدخلت في المتن . وأما فيما يختص بالمرأة الزانية فالكل يتفق على الاعتراف بأن هذا نص مجهول الأصل ، أُلحق فيما بعد . .

وأخيرًا نذكر أن إنجيل يوحنا هو الوحيد الذي بشَّر بالمؤيد والمعزى والفارقيط من بين الأناجيل الأربعة والتي يتمسك المسلمون بهذه البشارات مدعين أنها تخص نبيهم محمدًا صلى الله عليه وسلم . أما باقي الأناجيل فكانت تكني عن محمد والمؤمنين به بملكوت السموات .

وهو الإنجيل الذي لا يعترف به المسيحيون ؛ لأن إعترافهم به يعني دخولهم في دين الإسلام وذلك أن اسم محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ مذكور فيه صراحة أكثر من 25 ، مرة وهذا الإنجيل ينكر موت المسيح على الصليب ، ويدّعى أن الذي مات على الصليب هو يهوذا الواشي . وقد قرأت هذا الإنجيل عدة مرات فوجدت فيه تحفة أدبية وأخلاقية نادرة . وفيه ردود مفحمة . وإجابات سديدة ومقنعة لتساؤلات تاريخية وفلسفية لم أجدها في كتب أخرىٰ .

ويذكر سفر أعمال الرسل وهو من تأليف لوقا تلميذ بولس الحبيب أن برنابا هو الذي تشفع لبولس[4] حتى يُقبل في الشركة المسيحية ، وادعىٰ أيضًا[5] أن الروح القدس اختص برنابا وبولس للعمل بين الأمم . ويكذّب هذا الادعاء الخصومة الشديدة[6] التي وقعت بين بولس وبرنابا ثم اتهام بولس لبرنابا بالرياء[7] . وبذا يكون بولس قد عضّ اليد التي

---

(1) نحن تدل على الجماعة التي كتبت الإنجيل .

(2) إنجيل يوحنا الفصل : 21 : 24 .

(3) موريس بوكاي في كتابه المقارنة بين الأديان .

(4) أعمال الرسل الفصل : 9 : 27 .

(5) أعمال الرسل فصل : 13 : 3 .

(6) سبب الخصومة هو دعاء بولس أن المسيح ابن الله كما ورد ذلك في مقدمة إنجيل برنابا .

(7) رسالة بولس لأهل غلاطية .

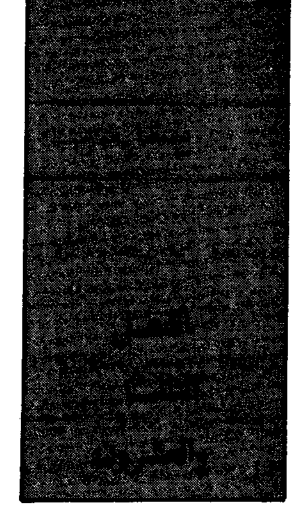
امتدت إليه وحقق المثل القائل : (اتق شرّ من أحسنت إليه) .

ويذكر التاريخ أن البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على الأريكة البابوية سنة 492[1] ميلادية أصدر أمرًا يعدد الكتب المنهي عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى إنجيل برنابا . فإنجيل برنابا حقيقة تاريخية وليس كتابًا منحولاً على المسيحيين . وصاحبه شخصية تاريخية مشهود لها بالصلاح . ولم يكن تأخر العثور على نسخة منه حتى فجر القرن الثامن عشر إلا بسبب هذا التحريم البابوي . وقد عثر على هذه النسخة كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا سنة 1709 . وانتقلت النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار إلى البلاط الملكي بفيينا سنة 1738 . ويذكر الدكتور خليل سعادة[2] مترجم إنجيل برنابا من الانكليزية إلى اللغة العربية أن الذي كشف النقاب عن النسخة الإيطالية لإنجيل برنابا هو الراهب اللاتيني فرامينو ، وأنه عثر على هذا الإنجيل في مكتبة البابا . ولم يكن هذا الإنجيل معروفًا عند العرب أو المسلمين قبل القيام بترجمته إلى العربية عام 1908 .

---

(1) حرّم الباباوات قراءة إنجيل برنابا قبل ظهور محمد بقرنين من الزمان . ولكن هذا التحريم لم يمنع من انتشار دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مشارق الأرض ومغاربها .

(2) مسيحي لبناني عاش في مصر وأسهم في حركتها الأدبية والصحفية .



المسيح يُعلّم الجموع

يعتبر القديس متّى أن أول خطب المسيح وتعاليمه هي عظة يسوع الكبرىٰ وفيها يقول :

« طوبي لفقراء النفوس[1] فإن لـهم ملكوت السموات طوبي للودعاء فإنهم يرثون الأرض . طوبي للمحزونين فإنهم يعزّون . طوبي للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشعبون . طوبي للساعين إلى السلام فإنهم ابناء الله يدعون . طوبي للمضطهدين على البر فإن لـهم ملكوت السموات . طوبي لكم إذا شتموكم واضطهدوكم وافتروا عليكم كل كذب من أجلي . اخرجوا وابتهجوا إن أجركم في السموات عظيم . هكذا اضطهدوا الأنبياء قبلكم »[2] .

إن من يقرأ هذه الكلمات يشعر بأن المستعمين إليها هم من الطبقات الدنيا من المجتمع . هم من الطبقات المسحوقة التي لا وزن لـها ولا قيمة . من الطبقات التي تحس أنها تعيش على هامش الحياة ، ومن أجل تأمين رفاهية الآخرين . أولئك هم تلاميذ المسيح . لقد كان المسيح مثلـهم فقيرًا بلا ثروة ، ولـه أمٌ عليه إعالتها . لم يترك لـه جده عمران شيئًا سوىٰ السمعة الطيبة ، والتراث الديني الذي عاشه في كنف النبي زكريا . كافل أمه المنذورة للـهيكل . لذلك لا عجب أن يعرف المسيح بيسوع النذري .

والمتفحص لمضمون الكلمات أعلاه يشعر بأن قائلـها يرغب في رفع المستوى الإنساني لـهؤلاء البؤساء . ويريد اشعارهم بأن لـهم قيمةً ووزنًا . وهو بتعاليمه هذه يحركهم إلى الأمام و إلى الأعلىٰ . لقد رفعت تعاليم المسيح الروح المعنوية للضعفاء . وهكذا عمل الأنبياء .

وجاءت أرملة فقيرة فألقت فلسين فدعا تلاميذه وقال لـهم . الحق أقول لكم إن هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا في الخزانة ، لأنهم كلـهم ألقوا من الفاضل عن حاجاتهم . وأما هي فإنها من حاجتها ألقت كل ما تملك ، كل رزقها »[3] .

وهكذا نجد التشجيع للإنسان عندما يقدم ما في قدرته ولو كان ضئيلاً أو تافهًا . و إشعاره بأنه قد قام بعمل يستحق عليه الثناء . وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

---

(1) المتواضعون الذين لا يريدون علوًا في الأرض .

(2) متّى فصل : 5 : 1 حتى 12 .

(3) مرقس فصل : 13 : 41 .

وكان المسيح يخالط جميع طبقات الشعب . ويشمل بعطفه وحبه الطبقات الفقيرة . ولا يتأفف من معاشرة الخاطئين حتى يردهم إلى الصراط المستقيم .

« ثم رأى وهو سائر لاوي بن حلفي جالسًا في بيت الجباية فقال له اتبعني فقام فتبعه . ثم جلس يسوع للطعام عنده . فجلس أيضًا معه ومع تلاميذه كثير من العشارين والخاطئين . وكان تلاميذ كثيرون يتبعونه . فلما رأى بعض الكتبة من الفريسيين أنه يؤاكل الخاطئين والعشارين . قالوا لتلاميذه : لماذا يؤاكل العشارين والخاطئين . فسمع يسوع كلامهم فقال لم : ليس الأصحاء بمحتاجين إلى طبيب بل المرضىٰ . ماجئت لأدعوا الأبرار بل الخاطئين »[1] .

وهنا نجد أن المسيح ابن الشعب الراغب في الإصلاح والتقدم . فرغم المعجزات الباهرة التي قام بها المسيح نراه متواضعًا عطوفًا على الفقراء والمساكين . يقترب من الخطاة والمذنبين لعلهم يتوبون ويعودون عن ذنوبهم وأخطائهم . ويتوجهون إلى الله تعالىٰ . وهنا نجد أيضًا أن نشر الدين لم يقتصر على الهيكل أو المجمع وإنما في بيوت الناس والأماكن العامة . لقد أعطى المسيح للفقراء والمساكين الذين لا يأبه بهم أحد وأعطى المرضىٰ الذين يتأذىٰ الناس من منظرهم قيمة . إنهم ليسوا أحجارًا صماء ، إنهم آدميون من لحم ودم ، وعقل وإحساس ، علينا أولا نستهين بهم أو نحقرهم . بينما نقدم احترامنا وإجلالنا للأقوياء والأغنياء الذين لا فضيلة عندهم إلا غناهم وثروتهم .

« كان رجل غني يلبس الأرجوان والخز . ويتنعم كل يوم أترف التنعم . وكان رجل مسكين اسمه عازر مطروحًا عند بابه قد تفشته القروح . وكان يشتهي أن يشبع من فتات مائدة الغني . وإن الكلاب نفسها كانت تأتيه فتلحس قروحه . ومات المسكين فحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم . ثم مات الغني ودفن . فرفع عينيه وهو في الجحيم يقاسي العذاب فرأى إبراهيم عن بعد وعازر في أحضانه . فنادىٰ . ارحمني يا أبتي إبراهيم ، وأرسل عازر ليبل طرف اصبعه في الماء ويبرد لساني فإني أعاني أشد العذاب في هذا السعير . فقال إبراهيم : يا بنيّ تذكر أنك نلت خيراتك في حياتك ونال عازر بلاياه . وأما اليوم فقد نال التعزية وأنت نلت العذاب . ومع هذا كله فقد أقيمت بيننا وبينكم هوة عميقة حتى إن الذين يريدون الاجتياز من هنا إليكم لا يستطيعون ، ولا الذين هناك يستطيعون الاجتياز إلينا . فقال : أسألك يا أبتي أن ترسله إلى بيت أبي لأن لي خمسة إخوة فلينذرهم مخافة أن يصيروا أيضًا إلى هذا الجحيم . فقال إبراهيم : عندهم موسىٰ والأنبياء . فليستمعوا إليهم . فقال لا يا أبتي إبراهيم ولكن إذا مضىٰ إليهم واحد من الأموات يتوبون . فقال له : إن لم يستمعوا إلى موسىٰ والأنبياء لا يقنعوا ولو قام واحد من الأموات »[2] .

وفي هذا النص نرىٰ بوضوح مكان كل إنسان في الآخرة . فإبراهيم وعازر والأنبياء والصالحون في الجنة حيث يتمتعون بالماء ويتعزون عن الأشياء التي حرموا منها في الدنيا . أما الغني المتكبر فهو في الجحيم يحتاج إلى قطرة ماء يبل بها شفتيه . وبين الطرفين هوة عميقة لا يمكن اجتيازها . وهذه الفقرة تخالف وتدحض دعوىٰ أن إبراهيم والأنبياء هم في الجحيم بسبب خطيئة آدم . وأن المسيح قد أنقذ هؤلاء من الجحيم بفدائه لهم على الصليب . ويستمر المسيح في رفع الروح المعنوية للبسطاء والودعاء الطيبين ويحط من قيمة الغنى والثروة بدون عمل صالح . ويعتبر المسيح أن المال إله آخر يعبد مع الله .

---

(1) مرقس الفصل : 2 : 13 .

(2) لوقا فصل : 16 : 19 حتى 3 .

« ما من أحد يستطيع أن يعمل لسيدين . لأنه إما أن يبغض أحدهما ويحب الآخر . وإما أن يلزم أحدهما ويزدري الآخر فأنتم لا تستطيعون أن تعملوا لله وللمال »[1] .

« وسأله أحد الوجهاء : أيها المعلم الصالح . ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية . فقال له يسوع : لم تدعوني صالحًا ؟ لا صالح إلا الله وحده . أنت تعرف الوصايا : لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد الزور ، أكرم أباك وأمك . قال وهذا حفظته كله منذ صباي . فلما سمع يسوع ذلك قال له : واحدة تعوزك . بع كل شيء تملكه وتصدق بثمنه على الفقراء . فيكون لك كنز في السموات . وتعال فاتبعني . فحزن عند سماعه ذلك لأنه كان غنيًا جدًا »[2] .

ولكي يرفع المسيح من مستوى الجماهير الشعبية حاول ربط هذه الجماهير وتشريفها بالذات العلية . لتستمر منها قوتها المعنوية والنفسية . ولترفع رأسها لتستطيع السير في طريق التحرر والاستقلال من ذل العبودية والاستعمار الروماني .

وقد دعىٰ المسيح هذه الجماهير بأحباء الله ، فترجمت هذه الكلمة إلى اللغة اليونانية بأبناء الله . لكثرة ادعاء اليهود أمام الوثنيين واليونانيين أنهم أبناء الله .

« قد قلت إنكم آلهة وبني العلي كلكم . إلا أنكم مثل البشر تموتون ، وكأحد الرؤساء تسقطون »[3] .

وإذا استبدلنا كل كلمة ابن الله في الأناجيل بكلمة حبيب الله فإن العلاقة بين الله والإنسان تصبح في صيغتها الصحيحة لأن الله ليس أبًا لأحد . ولا يوجد رابطة نسب بين الله والإنسان وإنما توجد رابطة الحب . وبقدر هذا الحب يكون القرب من الله تعالىٰ . والذي يطيع الله ويحبه أكثر يكون هو الحبيب الأقرب . وقد خلط المترجمون للأناجيل والعهد القديم بين كلمتي أب ورب . وهما يؤديان لفظين ومعنيين متقاربين جدًا حتى إن كتابتهما متشابهة .

« فليضيء نوركم هكذا للناس ليروا أعمالكم الصالحة فيمجدوا أباكم الذي في السموات »[4] .

فمن هو هذا « الأباكم » الذي في السموات ؟ هل هو زوج أمهاتكم أم أنه تعبير عن الله ربكم ؟ وهل يوجد للإنسان أبوان أم أب واحد ؟ إن التعبير الصحيح عن الله هو الرب وليس الأب . لأن الرب هو الذي يربي ، ويقال للأب رب ولكن لا يقال للرب أب ، فبينهما فرق كبير . وقد اصطلح الإنجيل على تسمية الله بالأب السماوي ، وعليه فإن الأب الجسدي هو الأب الأرضي وهو الأب الحقيقي . أما الله فهو أب اصطلاحي . لذلك علينا أن نستغني عن هذا الاصطلاح ونسمي الأشياء بمسمياتها . والمسيح نفسه ينفي دخول ملكوت السموات لمن يناديه يا رب يا رب . مبتعدًا بهذا عن الله وعن شريعة الله . مدعيًا بأنه عبد للمسيح وليس عبدًا لله . غير مفرق بين الخالق والمخلوق . فالله خالق والمسيح مخلوق .

« ليس من يقول لي : رب . رب . يدخل ملكوت السموات ، بل من يعمل بمشيئة أبي الذي في السموات ، فسوف يقول لي كثير من الناس في ذلك اليوم . ربنا ربنا . أما باسمك نطقنا بالنبوءات ؟ وباسمك طردنا الشياطين ؟

---

(1) متَّى فصل : 6 : 24 .

(2) لوقا فصل : 18 : 18 .

(3) مزمور 81 : 6 .

(4) متَّى فصل : 5 : 16 .

وباسمك اتينا بالمعجزات الكثيرة ؟ فأقول لهم علانية : ما عرفتكم قط . إليكم عني أيها الفاسقون »[1] .

إن أول من سمَّى المسيح ابن الله هو الشيطان . وهو يقصد بذلك إضلال الناس عن الحق . ولكن هل رضي المسيح عن هذه التسمية . أم رفضها ونفاها ؟

« وكانت الشياطين أيضًا تخرج من أناس كثيرين وهي تصيح . أنت ابن الله . فكان ينتهرها ولا يدعها تتكلم »[2] .

ولم تكن هذه التسمية غريبة أو مستهجنة عند جمهور المستمعين . فاليونانيون والوثنيون يعتقدون بوجود أولاد للآلهة . واليهود أنفسهم ادعوا بأنهم آلهة وأبناء آلهة . فلماذا انزعج المسيح من هذه التسمية ؟ ولماذا رفضها ؟ الجواب هو أن هذا الادعاء لا يعبر عن حقيقة . وخشي المسيح فتنة الناس فكان يعبر عن نفسه بإبن الإنسان[3] .

وعندما يقرر المسيح أنه ابن إنسان ويقرر الشيطان وغيره أنه ابن الله . فمن نصدق نحن ؟ هل الشيطان وغيره يعرفون المسيح أكثر مما يعرف نفسه ؟

وقد اصطلح الناس على تسمية الأشخاص المخلصين بأبناء الشعب . ورئيس الدولة المحبوب يُطلق عليه لقب ابن الشعب البار . فهل تعني هذه التسمية أن الشعب كله اشترك في إنجاب هذا الرئيس ؟

لقد كان المسيح إنسانًا يتأثر بالأشياء الخارجية عنه .

« وفي تلك الساعة اهتز المسيح طربًا بنفخة من الروح القدس فقال : أحمدك يا أبت . رب السموات والأرض »[4] .

والمسيح يعتبر نفسه عبدًا لله ويأتمر بأمره ولا يخرج عن طاعته .

« هذا أمر تلقيته من أبي »[5] .

« لا يستطيع الابن أن يصنع شيئًا من عنده »[6] .

« وأَولى الله سلطة القضاء ليسوع لأنه ابن إنسان »[7] .

وأما العفو والمغفرة فهما بيد الله سبحانه وتعالى ، ويعطيان لمن يطلبهما بالتوبة والندم وبالأخلاق الكريمة . والعفو والصفح عمن أساء إليه .

فإن تغفروا للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي . وإن لم تغفروا للناس لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم »[8] .

---

(1) متَّى فصل : 7 : 21 .

(2) لوقا فصل : 4 : 41 .

(3) وردت لفظة ابن الإنسان 110 مرات في الأناجيل الأربعة لتعبر عن المسيح وحقيقته .

(4) لوقا فصل : 10 : 21 .

(5) يوحنا فصل : 10 : 18 .

(6) يوحنا فصل : 5 : 19 .

(7) يوحنا فصل : 5 : 27 .

(8) متَّى فصل : 6 : 14 و 15 .

« و إذا قمتم إلى الصلاة وكان لكم شيء على أحد فاعفوه منه لكي يعفو عن زلاتكم أبوكم الذي في السموات »[1] .

فالمسيح يدعو الله أبانا كما هو أبوه . وبما أننا بشر والمسيح مثلنا بشر فالأبوة معنوية تدل على القرب والمحبة .

وقد بين القرآن مكانة المسيح السامية وحقيقته البشرية وحذرنا من التطرف والغلو .

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۞ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ ﴾[2] .

وقد حث المسيح تلاميذه وأتباعه على تعلم الشريعة للعمل بها والتقيد بمضمونها .

« وخطب يسوع في الجموع وتلاميذه فقال : إن الكتبة والفريسيين على كرسي موسىٰ جالسون . فافعلوا ما يقولون لكم واحفظوه . ولكن لا تفعلوا مثل أفعالهم لأنهم يقولون ولا يفعلون »[3] .

« طوبي لمن يسمع كلام الله ويحفظه »[4] .

كان المسيح يرغب بكون تلاميذه من الأبرار الأطهار . فأخذ يعلمهم تعاليم سامية . لا يتحملها إلا أولئك الذين جعلوا رضاء الله والفوز بالآخرة نصب أعينهم . وقذفوا بالدنيا وراء ظهورهم . أو جعلوها تحت أقدامهم .

« سمعتم أنه قيل لا تزن . أما أنا فأقول لكم : من نظر إلى امرأة فاشتهاها زنى بها في قلبه . فإذا دعتك عينك اليمنىٰ إلى الخطيئة فاقلعها وألقها عنك . فلأن تفقد عضوًا من أعضائك خير لك من أن يلقىٰ جسدك كله في جهنم . و إذا دعتك يدك اليمنىٰ إلى الخطيئة فاقطعها وألقها عنك فالأن تفقد عضوًا من أعضائك خير لك من أن يذهب جسدك كله إلى جهنم »[5] .

وهذه التوصية من المسيح يدعو فيها بصراحة إلى غض البصر وعدم النظر إلى النساء . وأيضًا هي وصية للنساء بعدم التعرّي أو التزين أو التغنج أمام الرجال حتى يبقىٰ المجتمع طاهرًا وسليمًا .

---

(1) مرقس فصل : 11 : 25 .
(2) سورة النساء : آيات من 171 إلى 175 .
(3) متّى فصل : 23 : 1 .
(4) لوقا فصل : 11 : 28 .
(5) متّى فصل : 5 : 27 .

« وقيل أيضًا من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق أما أنا فأقول لكم : من طلق امرأته إلا في حالة الفحشاء . عرّضها للزنى ومن تزوج مطلقة[1] زنى »[2] .

وهنا فإن المسيح لا يحرّم الطلاق ولكن يطلب من الأزواج والزوجات الصبر وعدم الطلاق بتسرع محذرًا من عواقب الطلاق حيث تتعرض المطلقة للزنى ؛ لأن الطلاق يعني تجربة زوجية فاشلة . ولا أحد يرغب في الدخول في شركة مع شخص فشل في تجربة سابقة . هذا بالإضافة إلى تشرد الأولاد (في حال وجودهم) . أما من تزوج من امرأة مطلقة بسبب الزنى فهو زانٍ مثلها ؛ لأنه قبلها وهو مطّلع على انحرافها . أما الإسلام فإنه أباح الطلاق عند استحالة الحياة الزوجية . ونصح الزوجين بالصبر والتريث من أجل الأولاد . ودعىٰ الطلاق أبغض الحلال عند الله . أما تعدد الزوجات فقد ورد معنا أن الأنبياء الصالحين تزوجو أكثر من امرأة واحدة . فهذا يعقوب جد المسيح تزوج من أربع نساء . وهذا داود تزوج عددًا كبيرًا من النساء ، وكذلك سليمان ، وكثير من الرجال الصالحين فعلوا هذا دون حرج. أما المسيح فلم يقل بتحريم الزوجات ، ويذكر التاريخ أن الامبراطور شارلمان كان متزوجًا من عدد من النساء ، وكذلك غيره من الأباطرة والملوك المسيحيين ، ولم يقتصر الأمر على هذا بل إن بعض البابوات[3] أباحوا لأنفسهم تعدد الزوجات .

ويستطرد المسيح مبشرًا بالحب والتسامح .

« أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشرير . من لطمك على خدك الأيمن فأعرض له الآخر . من أراد أن يحاكمك ليأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضًا . من سخرك أن تسير معه ميلاً واحدًا فسر معه ميلين . من سألك فأعطه ومن استقرضك فلا تعرض عنه . سمعتم أنه قيل أحبب قريبك وأبغض عدوك ، أما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم وادعوا لمضطهديكم »[2] .

ما أجمل هذه التعاليم . وما أصعب تطبيقها . إن نظرة شاملة على ما يفعله العالم الغربي المسيحي بالعالم الثالث الذي يقاسي الأمرين من ظلم العالم الغربي تبين أن المسيحيين هم أبعد الناس عن تعاليم المسيح . وإن زيارة قصيرة لبلاد الغرب تُري إلى أية هاوية وانحدار أخلاقي وصلوا إليه . إن المطبقين الوحيدين لتعاليم المسيح هم المسلمون . ومن أراد من المسيحيين أن يتبع تعاليم المسيح عليه أن يصبح مسلمًا فهذا هو الطريق الوحيد لتحقيق أمنياته بالطهارة والعفاف والقرب من الله .

كان المسيح يطبق شريعة موسىٰ ويطلب من الناس تطبيقها .

« وجاءه أبرص يتوسل إليه فجثا وقال : إن شئت فأنت قادر على أن تبرئني . فأشفق عليه يسوع . ومد يده فلمسه وقال له : قد شئت فابرأ . فزال عنه البرص لوقته وبرىء . فصرفه يسوع من ساعته بعدما أنذره بلهجة شديدة فقال له : إياك أن تخبر أحدًا بشيء ولكن اذهب إلى الكاهن فأره نفسك . ثم قرب عن شفائك ما أمر به موسىٰ شهادة

---

(1) المطلقة لعلة الزني . وليس لأسباب أخرىٰ .

(2) متّى فصل : 5 : 31 .

(3) متّى فصل : 5 : 38 .

لديهم »[1] .

ويستحق المسيح لقب المعلم الأكبر ، لأنه يوجه الجموع نحو الحقيقة بترك المظاهر الفارغة والرياء والكذب .

« إياكم أن تعملوا برّكم بمرأى من الناس لكي ينظروا إليكم »[2] .

« و إذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين يحبون الصلاة في المجامع وملتقىٰ الشوارع ليراهم الناس »[3] .

« و إذا صمتم فلا تعبسوا كالمرائين يكلحون وجوههم ليظهروا للناس أنهم صائمون »[4] .

« لا تكنزوا لأنفسكم كنوزًا في الأرض حيث يرعىٰ السوس والعث . وينقب اللصوص فيسرقون بل اكنزوا لأنفسكم كنوزًا في السماء . فحيث يكون كنزك يكون قلبك »[5] .

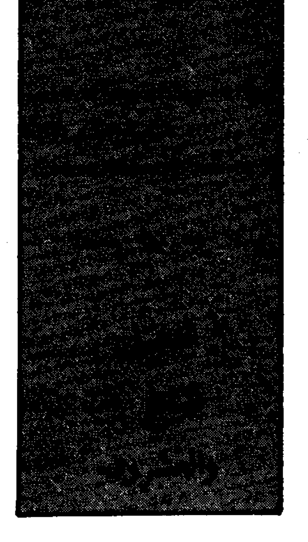
« لا تدينوا لئلا تدانوا . فكما تدينون تدانون ويكال لكم بما تكيلون . لماذا تنظر إلى القذى في عين أخيك ولا تأبه للجذع في عينك ؟ بل كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك فها هوذا الجذع في عينك . أيها المرائي ابدأ بإخراج الجذع من عينك حى تبصر فتخرج القذىٰ من عين أخيك »[6] .

« افعلوا للناس ما أردتم أن يفعله الناس لكم . هذه هي خلاصة الشريعة وكلام الأنبياء »[7] .

فمن فيض القلب ينطلق اللسان . الرجل الطيب من كنزه الطيب يخرج الطيب . والرجل الخبيث من كنزه الخبيث يخرج الخبيث »[8] .

---

(1) مرقس فصل : 1 : 40 .
(2) متَّى فصل : 6 : 1 .
(3) متَّى فصل : 6 : 5 .
(4) متَّى فصل : 6 : 16 .
(5) متَّى فصل : 6 : 19 .
(6) متَّى فصل : 7 : 1 وما بعدها .
(7) متَّى : فصل 7 :12.
(8) متَّى فصل : 12 : 35 .



المسيح يحاور الأحبار والفريسيين

لقد أعلن المسيح عن نفسه يهوديًا على شريعة موسىٰ والأنبياء فقال :

« لا تظنوا أني جئت لأبطل كلام الشريعة والأنبياء . ما جئت لأبطل بل لأكمل . الحق أقول لكم لن تزول باء أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء[1] . أو تزول السماء والأرض فمن خالف أصغر الوصايا وعلم الناس أن يفعلوا مثله عُدَّ صغيرًا جدًا في ملكوت السموات ، وأما الذي يعمل بها ويعلمها فذاك يعد كبيرًا في ملكوت السموات »[2] .

إن إعلان المسيح عن عزمه على إكمال الشريعة أثار الفريسيين والصدوقيين ، وحملهم على معارضته والوقوف في وجهه .

ودخل الهيكل وأخذ يعلم . فدنا إليه الأحبار وشيوخ الشعب وقالوا له : بأي سلطان تفعل هذا ؟ من أولاك هذا السلطان ؟ فأجابهم يسوع : وأنا أسألكم سؤالاً واحدًا إن أجبتموني عنه قلت لكم بأي سلطان أفعل هذا . من أين جاءت معمودية يوحنا أمن السماء أم من الناس ؟ فقالوا في أنفسهم : إن قلنا من السماء يقول لم تؤمنوا به . وإن قلنا من الناس نخاف الجمع لأنهم كلهم يعدّون يوحنا نبيًا . فقالوا ليسوع : لا ندري . فقال لهم : وأنا لا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا »[3] .

ولم يستطيعوا أن يوقفوه عن اتمام عمله . فقد كانوا يعرفونه تمام المعرفة . ولكن صعب عليهم أن يقوم وهو شاب لم يتجاوز الثلاثين إلا قليلاً بأعمال لم يشرفهم الله بالقيام بها . فحسدوه وحجدوه وحاربوه رغم علمهم به ومعرفتهم له . كما فعلوا مع سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رغم معرفتهم له كما يعرفون أبناءهم .

« أنتم تعرفونني وتعرفون من أنا[3] ، على أني ما جئت من نفسي ، بل هو حق ذاك الذي أرسلني ، أنتم لا تعرفونه[5] . واما أنا فأعرفه ، لأني من لدنه أتيت وهو الذي أرسلني »[6] .

---

(1) عند مجيء محمد يتم كل شيء وتزول الشريعة اليهودية لتحل محلها الشريعة الإسلامية .

(2) متّى فصل : 5 : 17 وما بعده .

(3) متّى فصل : 21 : 23 حتى 27 .

(4) المسيح يقرر أن الكتبة والفريسين يعرفونه تمامًا .

(5) لا يعرفون الله أي لا يؤمنون به و إنما هم منافقون .

(6) يوحنا فصل : 7 : 29 .

وكيف لا يعرفون المسيح وأمه مريم العذراء كانت منذورة للهيكل . والمسيح يعيش معهم فهو من أهالي القدس وليس من أهالي الناصرة كما ترجم كتاب الأناجيل يسوع النذري بيسوع الناصري .

أما مدينة الناصرة فلم يكن لها وجود أثناء ولادة المسيح . ولم يرد ذكرها في أي كتاب . والبرهان على أن المسيح من أهالي أورشليم ، وأن ذهابه للجليل لم يكن إلا بقصد التخفي من السلطات الغاشمة والتي كانت تسعى للقبض عليه ، هو قيامه بالمعجزات ، وتوصية المرضى المشفيين إخفاء أمره ، ثم هذه الحادثة .

ولما رجعوا إلى كفر ناحوم دنا جباة الدرهمين من بطرس وقالوا له : أما يؤدِّي معلمكم الدرهمين ؟ قال : بلى[1]. فلما وصل إلى البيت بادره بقوله : ما رأيك يا سمعان ، ممن يأخذ ملوك الأرض الخراج أو الجزية ؟ أمر أمن نبيهم أم من الغرباء ؟ فقال من الغرباء. فقال يسوع : إذًا فالبنون معفون . ولكن لا أريد أن نريبهم . فاذهب إلى البحر وألق الشص وأمسك أول سمكة تخرج ، وافتح فاها تجد إستارًا فخذه وأده لهم عني وعنك »[2] .

ونتساءل لماذا أُعفي المسيح من هذه الضريبة ؟ أليس لأنه ابن الهيكل ؟ ولماذا فضّل إعطاء الدرهمين على أن يظهر شخصه . . ؟ أليس لأنه كان مختفيًا بسبب ملاحقته بعد القبض على يوحنا المعمدان ؟

ويقع المسيح بين نارين : الفريسون والأحبار يريدون الإيقاع به والقبض عليه من جهة ، وتلاميذه الذين لا يفهمون عليه ولا يتجاوبون معه ولا يرتقون إلى مستواه الفكري والروحي من جهة أخرى[3] فهو يحارب في جبهتين : جبهة البناء الفكري والروحي . وجبهة الصمود أمام تحرك الفريسيين الموالين للحكومة الرافضين لكل تغيير يمس مراكزهم ومكتسباتهم .

وكان الهجوم الأول على المسيح هو الطعن في شخصه ، فما دام من أولاد هارون وليس من أولاد داود فلا يستحق أن يلقب بالمسيح . وعلى زعم اليهود فإنهم ينتظرون المسيح من نسل داود . واتفقوا على أن يطردوا من الهيكل كل من يقول عن يسوع إنه المسيح .

« لأن اليهود اتفقوا على أن يطردوا من المجمع من يعترف بأنه المسيح »[4] .

وتكلم يسوع وهو يعلم في الهيكل فقال : كيف يقول الكتبة إن المسيح هو ابن داود : وداود نفسه يقول بوحي من الروح : قال الرب لربي : اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك تحت قدميك . فداود نفسه يدعوه ربًا فكيف يكون ابنه ؟[5] .

واعترض الفريسيون عليه وعلى تلاميذه فقالوا له :

« إن تلاميذك يفعلون ما لا يحل في السبت . فقال لهم : أما قرأتم ما فعل داود حين جاع وأصحابه كيف دخل

---

(1) القول للمسيح وليس لبطرس .

(2) متَّى فصل : 17 : 24 حتى 27 .

(3) الأناجيل تجعل من التلاميذ بلهاء وتصفهم بالتخلف الفكري .

(4) يوحنا فصل : 9 : 22 .

(5) متَّى فصل : 22 : 41 . ومرقس فصل : 12 : 35 .

بيت الله[1] . وكيف أكلوا الخبز المقرب إلى الله . وأكله لا يحل له ولا لأصحابه بل للكهنة وحدهم »[2] .

وقال لهم موضحًا :

« إن السبت جعل للإنسان وما جعل الإنسان للسبت »[3] .

وفي كل مسألة نجد أن المسيح يرد عليهم بجواب مفحم فيخرسهم . ولكن أنّى لهؤلاء الضالين أن يتوقفوا عن غيهم . إنهم يراقبونه وتلاميذه . حتى رأوا شيئًا شنعوا به عليه .

« ودنا إلى يسوع بعض الفريسيين والكتبة من أورشليم فقالوا له : لم يخالف تلاميذك سنة الشيوخ فلا يغسلون أيديهم قبل الطعام[4] ؟ فأجابهم : لم تخالفون أنتم وصية الله من أجل سنتكم ؟ فقد قال الله أكرم أباك وأمك ومن لعن أباه أو أمه فليقتل قتلاً وأما أنتم فتقولون : من قال لأمه أو أبيه جعلت قربانًا كل شيء أبرك به فلن يلزمه أن يكرم أباه وأمه . ثم قال لهم : اسمعوا وافهموا ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هو الذي ينجس الإنسان »[5] .

وقد اعتمد المسيحيون على هذه الآية لتحليل أكل الخنزير . وكان هذا الاجتهاد من بولس . أما في عهد المسيح فلم يفكر أحد من المسيحيين بمخالفة الشريعة لذلك قال بطرس : « لا يا رب لم آكل قط نجسًا أو دنسًا »[6] .

وهذه الجملة تبين بشكل واضح أن المسيح وتلاميذه لم يحللوا أكل الخنزير وغيره من المحرمات ، وأما قول المسيح ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان فإنه لا يطهر المأكولات النجسة . ولكن هذا القول إرشاد لتطهير القلب والروح وتعليم لانتقاء الكلمات الحسنة كقوله تعالى : ﴿ **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾[7] .

وقال الفريسيون لتلاميذه متذمرين :

« لماذا تؤاكلون وتشاربون العشارين والخاطئين . فأجاب يسوع : ليس الأصحاء بمحتاجين إلى طبيب بل المرضى . ما جئت لأدعو الأبرار إلى التوبة بل الخاطئين . فقالوا له : إن تلاميذ يوحنا يكثرون من الصوم والصلاة[8] . ومثلهم تلاميذ الفريسيين . أما تلاميذك فيأكلون ويشربون »[9] .

ولم يسكت المسيح بل ندد بالفريسيين والكتبة والأحبار وكشف زورهم وتزييفهم .

« الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون . تغفلون ملكوت السموات في وجوه الناس . فلا أنتم تدخلون ولا الذين يريدون الدخول تدعونهم يدخلون . الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، تجوبون البحر والبر

---

(1) وردت هذه القصة في الفصل 21 من أخبار الملوك الأول ولا يوجد في القصة ذكر لبيت الله . وليس المقصود هنا بيت الله هيكل سليمان الذي بني بعد موت داود .

(2) متّى فصل : 12 : 2 حتى 4 .

(3) مرقس فصل : 2 : 28 .

(4) غسل اليدين قبل الطعام دليل على الرقي ولكن كتاب الأناجيل يطعنون بتلاميذ المسيح .

(5) متّى فصل : 15 : 1 حتى 10 .

(6) أعمال الرسل فصل : 10 : 15 .

(7) سورة البقرة : الآية 83 .

(8) الأناجيل تطعن بتلاميذ المسيح بطريق غير مباشر .

(9) لوقا فصل : 5 : 33 .

لتكسبوا دخيلاً واحدًا . فإذا هددتموه . جعلتموه يستحق جهنم ضعف ما أنتم تستحقون .

الويل لكم أيها القادة والعميان ، أيها الجهال العميان .

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون تؤدون عشر النعنع والشبت والكمون بعدما أهملتم ألزم ما في الشريعة . العدل ، الرحمة ، والوفاء .

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون . تطهرون ظاهر الكوب والصفحة . وباطنها ممتلىء نهبًا وطمعًا .

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون . أنتم أشبه بالقبور المكلسة يبدو ظاهرها جميلاً . وأما باطنها فممتلىء من عظام الموتى وكل نجاسة . وأنتم كذلك تبدون في ظاهركم للناس أبرارًا . وأما باطنكم فممتلىء رياءً وفسقًا .

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون . تبنون قبور الأنبياء وتزينون ضرائح الصديقين وتقولون لو عشنا زمن آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قتلة الأنبياء .

أيها الحيات أولاد الأفاعي أنى لكم أن تهربوا من عقاب جهنم »[1] .

الويل لكم أنتم أيضًا يا علماء الشريعة تحملون الناس أحمالاً باهظة وأنتم لا تمسون هذه الأحمال بأحد أصابعكم »[2] .

فلما خرج من هناك بلغ عليه الحقد من الكتبة والفريسيين مبلغًا شديدًا . فجعلوا يضطرونه إلى الكلام في أمور كثيرة . وينصبون له المكائد ليصطادوا من فمه كلمة »[3] .

وأقبل الفريسيون وأخذوا يجادلون طالبين آية من السماء ليجربوه . فتنهد من أعماق نفسه وقال : ما بال هذا الجيل يطلب آية . الحق أقول لكم لا يجعل لهذا الجيل آية . ثم تركهم وعاد إلى السفينة وعبر إلى الشاطىء المقابل »[4] .

ثم كلمه بعض الكتبة والفريسيين فقالوا : يا معلم نريد أن نرىٰ منك آية . فأجابهم : جيل فاسق فاسد يطلب آية . ولن يجعل له سوىٰ آية يونان »[5] .

وهذه الجملة الأخيرة تهديد رهيب و إنذار خطير ونبوءة تحققت . فالمسيح ينذر قومه بأنهم إن لم يؤمنوا به فإن آية صدقة وبرهان رسالته هو نبوءة يونان[6] .

« ونادى وقال بعد أربعين يومًا تنقلب نينوى »[7] .

وملخص القصة أن النبي يونان بن متى أنذر قومه إن لم يتوبوا فإن الله سيخرب عليهم بلدهم نينوىٰ . وهنا فإن المسيح ينذر قومه بإنذار يونان . ومن رحمة الله وشفقته فقد أعطى بني إسرائيل مهلة مقدارها أربعون سنة بدلاً من

---

(1) متّى الفصل : 23 .

(2) لوقا الفصل : 11 : 46 .

(3) لوقا فصل : 11 : 53 .

(4) مرقس فصل : 8 : 11 .

(5) متّى فصل : 12 : 38 .

(6) يونان : يونس صاحب الحوت .

(7) نبوءة يونان فصل : 3 : 4 .

أربعين يومًا . لكي يؤمنوا برسالة المسيح ويصدقوه ويتوبوا إلى الله تعالىٰ . ولكن بني إسرائيل استهانوا بهذا الإنذار ، واستمروا في ضلالهم وغيهم ، فأرسل الله إليهم بعد أربعين سنة من يخرب بلدتهم أورشليم ، ويسبي نساءهم وأولادهم ، ويبيعهم عبيدًا أرقاء . وكان ذلك في سنة 70 ميلادية على يد القائد الروماني نبطس .

لقد كان اليهود ينتظرون المسيح والنبيّ محمدًا عليهم صلاة الله وسلامه . ولكن اليهود رغم الدلائل والبينات جحدوهما وأنكروهما .

فقال بعض الجمع الذين سمعوا الكلام : هذا هو النبيّ[1] حقًا . وقال غيرهم : هذا هو المسيح . وقال آخرون : أمن الجليل يأتي المسيح ؟ ألم يقل الكتاب إن المسيح يأتي من نسل (داود من قرية بيت لحم) »[2] .

« ابحث تجد أنه لا يبعث من الجليل نبيّ »[3] .

ونتوقف هنا لنبين الحقائق التالية :

1 ـ انتظار اليهود للنبيّ وهو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا لم يظهر غيره بهذا الاسم .

2 ـ انتظار اليهود للمسيح . وقد أنكروه وقالوا : إنه من نسل داود الذي هو من بيت لحم (أي أن داود من بيت لحم وليس المسيح) ثم إن المسيح دحض مزاعم اليهود وبين لهم أنه من نسل هارون وليس من نسل داود .

3 ـ إن المسيح من أهالي أورشليم . وذهب إلى الجليل متخفيًا وهاربًا .

« ومضى بعد انقضاء يومين إلى الجليل . ويسوع نفسه شهد أن لا كرامة لنبي في وطنه . فلما وصل إلى الجليل رحب به الجليليون وكانوا قد شاهدوا جميع ما صنع في أورشليم مدة العيد لأنهم هم أيضًا ذهبوا إليها في العيد »[4] .

و إذا سألنا أنفسنا أين حاول اليهود إهانة وصلب المسيح أفي الجليل أم في أورشليم ؟ ومن النص نجد أن الكرامة كانت في الجليل ، والإهانة كانت في أورشليم القدس . ونستنتج أن بلد المسيح هي القدس والقرآن يؤيد هذا المعنىٰ . فالسيدة العذراء مريم والدة المسيح كانت منذورة للهيكل . عاشت عمرها كله فيه ومعها ابنها المسيح في كنف النبيّ زكريا الذي قتله اليهود أيضًا . وقد بين المسيح أن جيله يتحمل دماء الأنبياء لأنه موافق على قتلهم . والموافق والراضي عن قتل الأنبياء يتحمل وزرًا و إثمًا عظيمًا و إن لم تمتد يده فعليًا ليشارك في الجريمة .

« حتى يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء الذي سفك منذ إنشاء العالم . من دم هابيل إلى دم زكريا الذي قتل بين المذبح والهيكل »[5] .

لم تؤثر عظات المسيح في القلوب المتحجرة . ولم تلن الروح المادية الجشعة عند اليهود فما زالوا يمارسون نشاطهم التجاري في الهيكل فقد جعلوه سوقًا عامة . ويقرر المسيح إيقاف المشتطين عند حدودهم . ولو احتاج الأمر لاستخدام القوة .

---

(1) النبي هو محمد صلى الله عليه وسلم .

(2) يوحنا فصل : 7 : 40 .

(3) يوحنا فصل : 7 : 53 .

(4) يوحنا فصل : 4 : 45 .

(5) لوقا فصل : 11 : 50 .

ثم دخل الهيكل وأخذ يطرد الباعة ويقول لهم : مكتوب : سيكون بيتي بيت الصلاة . وأنتم جعلتموه مغارة لصوص . وأخذ يعلم كل يوم في الهيكل . وكان الأحبار والكتبة ورؤساء الشعب يبحثون كيف يهلكونه فلا يهتدون إلى ما يفعلون ، لأن الشعب أجمع كان مولعًا بالاستماع إليه »[1] .

واقترب فصح اليهود فصعد يسوع إلى أورشليم . فرأى في الهيكل باعة البقر والغنم والحمام والصيارفة جالسين إلى مناضدهم . فجدل سوطًا من حبال وطردهم جميعًا من الهيكل مع الغنم والبقر . ونثر دراهم الصيارفة وقلب مناضدهم . وقال لباعة الحمام : ارفعوا هذا من ههنا ولا تجعلوا من بيت أبي بيت تجارة »[2] .

« فأتي اليهود بحجارة ليرجموه فقال لهم يسوع : أريتكم عدة أعمال صالحة من لدن الأب فلأي عمل منها ترجموني . قال اليهود : لا نرجمك للعمل الصالح ولكن للكفر . لأنك ما أنت إلا إنسان فجعلت نفسك الله . فأجابهم يسوع : ألم يكتب في شريعتكم « قلت إنكم آلهة » فإذا كانت الشريعة تدعو من نزل عليهم وحي الله آلهة (ولا ينسخ الكتاب) فكيف تقولون للذي قدسه الأب وأرسله إلى العالم : أنت تكفر لأني قلت أنا ابن الله ؟ »[3] .

وفي هذا النص فإن المسيح يبين أن كلمة ابن الله أو الله التي تطلق على البشر ما هي إلا كلمة مجازية ولا تعني حقيقة ، وقد بين المسيح أن هذه الكلمة قد وردت في المزامير ، ولم يحتج عليها اليهود ، وفهموها بمعناها المجازي . فلماذا يضيقون على المسيح ويحاسبونه على أشياء وكلمات تعارفوا على معناها . واستعملوها وأطلقوها على غيره من الأنبياء[4] . وقد ورد في العهد القديم ما يلي :

« فقال الرب لموسىٰ انظر قد جعلتك إلهًا لفرعون . وهارون أخوك يكون نبيك »[5] .

و إذا أردنا أن نتقيد بحرفية النصوص ونفهمها كما هي مكتوبة فإننا نجد أن عدد الالهة والذي كان ثلاث آلهة : الأب ، الابن ، والروح القدس . قد أصبح عددًا لا متناهيًا . ونص الإنجيل يشرح بأن كل من نزل عليه وحي فهو إله . وعليه فكل الأنبياء أصبحوا آلهة مشاركين للإله الواحد ، وأول هؤلاء الآلهة النبيّ موسىٰ عليه السلام . وآخرهم تلاميذ المسيح الذين فاض عليهم الروح القدس .

ولكي نفهم معنىٰ الألوهية التي تطلق على البشر كما هو مفهوم بني إسرائيل لنقرأ المزمور 82 من كتاب العهد القديم GOOD NEWS BIBLE .

1 ـ يترأس الله الهيئة السماوية ـ ويعطي قراراته في مجلس الآلهة. فيقول :

2 ـ عليكم أن توقفوا الظلم ـ عليكم أن لا تتحيزوا للمنافقين.

3 ـ دافعوا عن حق المسكين واليتيم. اعطفوا على المحتاجين والذين هم بدون معين.

4 ـ انقذوهم من بطش الرجل الشرير.

---

(1) لوقا فصل : 19 : 45 .

(2) يوحنا فصل : 2 : 13 .

(3) يوحنا فصل : 10 : 31 حتى 36 .

(4) سليمان هو ابن الله كما ورد في العهد القديم .

(5) سفر الخروج الفصل : 7 : 1 .

5 ـ كم أنتم أغبياء وجهلة[1]. أنتم فاسدون حقًا. لقد اختفت العدالة من العالم.

6 ـ قلت إنكم آلهة. وأنكم أبناء العلي القدير.

7 ـ ولكنكم ستموتون كما يموت البشر. وستنتهي حياتكم كما تنتهي حياة أي أمير.

8 ـ يا إلٰهي تعال واحكم العالم ، فإنك مالك جميع الأمم.

إن هذا النص يشبه النصوص التي كتبها اليونانيون عن آلهتهم. فهناك إلٰه الحرب ، و إلٰه العواصف ، و إلٰه الحب ، و إلٰه الصيد . . . الخ . وهم يجتمعون ليقوم في وسطهم رب الأرباب زيوس فيوبخهم ويحاسبهم على أعمالهم الشريرة . وبدلاً من أن نترقى ونصعد إلىٰ الأعلىٰ نعود للهبوط في دركات الوثنية الأولى .

وقبل أن ننهي هذا الفصل نلفت النظر إلى كلمة مرت معنا في النص السابق ـ ولا ينسخ الكتاب ـ ومعناها : أنه لا يوجد تبديل في النصوص والأحكام التوراتية . وبالتالي وكما في الاصطلاح لا يوجد ناسخ ومنسوخ في التوراة والإنجيل . ولا نريد أن نطيل في الموضوع فنقول هل نسخ يوم الأحد يوم السبت أم لا ؟ وكيف حصل ذلك .

وقدّس المسيحيون في عهدهم الأول السبت لا الأحد . ولم يصبح الأحد يوم الرب قبل القرن الثاني[2] . وكانت عقوبة المتعدِّي على حرمة يوم السبت هي القتل .

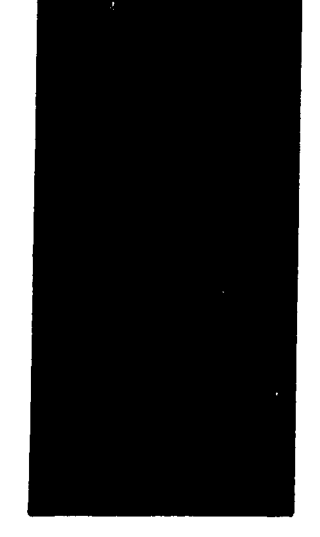
« فاحفظوا السبت فإنه مقدس عندكم . ومن خرقه يقتل قتلاً . وكل من يعمل فيه عملاً تقطع تلك النفس من شعبها »[3] .

---

(1) الأغبياء والجهلة يقصد بها الآلهة عند اليهود . ويقصد بهم الحكام ومن بيده الأمور .

(2) الروم لمؤلِّفه الدكتور أسد رستم ص 38 جـ 1 .

(3) سفر الخروج فصل : 31 : 14 .



المسيح يوجِّه التلاميذ

« كان المسيح يصلي . فلما فرغ قال له أحد تلاميذه : ربنا[1] عَلِّمنا أن نصلي . كما علم يوحنا تلاميذه . فقال لهم : إذا صليتم فقولوا أيها الأب[2] ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك ، ارزقنا كل يوم خبزنا كفافًا ، واغفر لنا خطايانا ؛ لأننا نغفر لمن أساء إلينا ، ولا تعرضنا للتجربة »[3] .

ونلاحظ أن هذه الصلاة خالية من ذكر الابن ومن ذكر الروح القدس . وهذا يعني أن الإنسان يجب أن يخلص في صلاته لله تعالى .

ولو فهم المسيحيون معنىٰ الكلمات التي يلفظونها في الصلاة لأسلموا جميعًا . لأن ملكوت الله الذي يطلبون مجيئه « ونلاحظ هنا أنهم يتوقعون حدثًا في المستقبل » هو كناية عن محمد صلى ـ الله عليه وسلم ـ وأصحابه .

وقد رفض المسيحيون الاعتراف بمجيء ملكوت السموات على يد محمد وهـم لا يزالون في انتظاره . وأراد المسيح أن يطهر قلوب تلاميذه ، ويهذب ألفاظهم ، ويرد على الفريسيين الذين اعترضوا على التلاميذ الذين لم يغسلوا أيديهم قبل الطعام .

« فقال لهم : اسمعوا وافهموا ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هو الذي ينجس الإنسان »[4] .

ولنلاحظ أن الأناجيل دائمًا تحاول أن تظهر التلاميذ بمظهر الغبي أو بطيء الفهم . فلماذا ؟

فقال له بطرس : فسر لنا المثل : فأجابه : وأنتم حتى الآن لا فهم لكم . ألا تدركون أن ما يدخل الفم ينزل الجوف ثم إلى يخرج إلى الخلاء . وأما الذي يخرج من الفم فإنه ينبعث من القلب . وهو الذي ينجس الإنسان فمن القلب تنبعث مقاصد السوء ، القتل ، والزنى ، والفحش ، وشهادة الزور ، والنميمة . تلك هي الأشياء التي تنجس الإنسان . أما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الإنسان »[5] .

---

(1) كلمة ربنا من وضع مؤلِّف الإنجيل لوقا أو من المترجم . وكان التلاميذ ينادون المسيح يا معلم .

(2) كلمة الأب هي تحريف لكلمة الرب .

(3) لوقا فصل : 11 : 1 .

(4) متَّى فصل : 15 : 11 ـ 12 .

(5) متَّى فصل : 15 : 15 حتى 20 .

هل يمكن أن نفهم من هذه الآية إباحة أكل لحم الخنزير ؟

والخنزير فإنه ذو ظفر مشقوق ولكنه لا يجتر فهو رجس لكم »[1] .

لقد أباح المسيحيون لأنفسهم أكل لحم الخنزير كما أباح رجال الدين لأنفسهم شرب الخمور . وهو محرّم عليهم .

« لا تشرب خمرًا ولا سكرًا أنت ولا بنوك عند دخولكم خباء المحضر لئلا تهلكوا »[2] .

ويستمر المسيح في نشر التعاليم الأخلاقية الجميلة التي تهذب النفس ، وترقي الروح ، وتشيع جو الألفة والمحبة والتضامن في المجتمع . ويكرس جهوده لتكوين نخبة منقاة لنشر الدين ويختارهم بنفسه . متوسمًا فيهم النجابة والذكاء[3] ، والصدق والأمانة . ويهيئهم لتحمل الصعاب التي يمكن أن تعترض الدعاة إلى الله تعالى .

« لم تختاروني أنتم بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتنطلقوا فتثمروا ويبقى ثمركم »[4] .

كان المسيح يمهد لطرد الرومان بسواعد هؤلاء الفتية الشباب المتحمسين . ولكن قبل أن نطرد المستعمرين من أرضنا علينا أن نطردهم من قلوبنا وأفكارنا . ولن يتحقق ذلك إلا بالعودة إلى الأصول المكونة لشخصيتنا ألا وهي الإيمان ، والثقة بالنفس ، والأمل بالمستقبل الذي نرسمه كما نريد ، ونسعى لتحقيقه بكل ما أوتينا من قوة . تلك ملخص تعاليم المسيح .

وكانت الخطوة الأولى هي الاستعداد لتقبل ملكوت السموات الذي حمل رايته محمد النبيُّ العربي . بدأ المسيح بزرع الأمل ، وأمر تلاميذه بالانتشار في اليهودية للتبشير بإقتراب يوم الخلاص من الاستعمار الروماني إلى الأبد ، وعودة الناس لتطبيق الشريعة التي ارتضاها الله للبشر .

وأية مدينة دخلتم وقبلوكم فكلوا مما يقرب إليكم . واشفوا المرضى وقولوا : قد اقترب منكم ملكوت الله . وأية مدينة دخلتم ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى ساحتها وقولوا : حتى الغبار العالق بأقدامنا من مدينتكم ننفضه لكم . ولكن اعلموا بأن ملكوت الله قد اقترب »[5] .

والمتمعن في هذا النص يدرك أن قول التلاميذ لمن يستقبلهم بالحسنى هو من قبيل البشرى . وأما قولهم لمن يسيء استقبالهم فهو من قبيل التهديد والوعيد .

وكان المسيح يشجع تلاميذه على القيام بمهام الدعوة دون خوف أو تردد ، وجهرًا دون كتمان ، مستعينين على ذلك بشفاء الأرض وصنع المعجزات . مبينًا لهم أنهم منارات ومشاعل هدى على درب الإيمان .

« لا يوقد سراج فيوضع تحت المكيال . ولكن على المنارة ليضيء لجميع الذين هم في البيت . فليضيء نوركم هكذا للناس ليروا أعمالكم الصالحة »[6] .

---

(1) سفر الأحبار فصل : 11 : 7 .

(2) سفر الأحبار فصل : 10 : 4 .

(3) تبين الأناجيل أن اختيار المسيح كان فاشلاً . وأن التلاميذ لم يكونوا بالمستوى المطلوب .

(4) يوحنا فصل : 15 : 16 .

(5) لوقا فصل : 10 : 8 .

(6) متّى فصل : 5 : 16 .

وينهى المسيح تلاميذه عن أخذ أجر ، أو قبول هدية لقاء شفاء الأمراض وهداية الناس . « أخذتم مجانًا . فمجانًا أعطوا »[1] .

ويقصر المسيح دعوته لإصلاح بني إسرائيل . محذرًا من دعوة غيرهم .

« لا تسلكو طريقًا إلى الوثنيين . ولا تدخلوا مدينة للسامريين . بل اذهبوا نحو الخراف الضالة من آل إسرائيل ، وأعلنوا في الطريق قد اقترب ملكوت السموات »[2] .

وكالعارف الخبير بخبايا نفوس بني إسرائيل يوجه المسيح تلاميذه قائلاً :

« ها أنذا أرسلكم كالخراف بين الذئاب ، فكونوا كالحيات حاذقين . وكالحمام وادعين احذروا الناس »[3] .

ويصور كُتّاب الأناجيل تلاميذ المسيح بغير صورتهم الحقيقية . فهم عبء ثقيل عليه لا يفهمونه إلا قليلاً . ولم يستطع أن يرتفع بهم إلى مستوى المسؤولية التي أرادها لهم . كانوا في أيام السلم والرخاء يمشون وراءه كالبلهاء ، يسمعون ولا يفهمون . ولما جد الجد ، وتأزمت الأمور ، وأمرهم بالتسلح استعدادًا للمعركة . خارت قواهم ، وفلّت عزيمتهم . وانطلق كل واحد منهم يبحث عن ملجإٍ يختبيء فيه . تاركًا حتى ما يستر عورته .

ولنقرأ كيف تحدثت الأناجيل عن الرسل المختارين ، وإيمانهم الضعيف ، وفهمهم السقيم .

« فأجاب بطرس : رب إن كنت إياه فمرني أن أذهب إليك على الماء . فقال له : تعال . فنزل بطرس من السفينة يمشي على الماء . آتيًا نحو يسوع . ولكنه خاف عندما رأى شدة الريح فأخذ يغرق . فصرخ رب نجني . فمد يسوع يده من ساعته وأمسكه وهو يقول : يا قليل الإيمان لماذا شككت »[4] .

« وعبر التلاميذ إلى الشاطيء المقابل ، وقد نسوا أن يتزودوا من الخبز فقال لهم يسوع : تبصروا واحذروا خمير الفريسيين والصدوقيين فقالوا في أنفسهم : ما تزودنا خبزًا . فشعر يسوع بأمرهم فقال لهم : يا قليلي الإيمان لماذا تقولون في أنفسكم ما تزودنا خبزا . ألم تفهموا حتى الآن . أما تذكرون الأرغفة الخمسة ، للخمسة آلاف . وكم قفة رفعتم . والأرغفة السبعة للأربعة آلاف . وكم سلة رفعتم[5] . كيف لا تدركون أني لم أعن الخبز بكلامي . فإياكم وخمير الفريسيين والصدوقيين ففهموا عندئذ أنه لم يقل لهم إن عليهم أن يحذروا خمير الخبز بل تعليم الفريسيين والصدوقيين »[6] .

وبدأ يسوع من ذلك اليوم يُظهر لتلاميذه أنه يجب عليه أن يذهب إلى أورشليم . ويلقى أشد الآلام من الشيوخ والأحبار والكتبة ، ويقتل ، ويقوم في اليوم الثالث . فانفرد به بطرس وجعل يعاتبه فيقول : حاش لك رب من هذا المصير . فالتفت وقال لبطرس : سر خلفي يا شيطان فأنت عقبة دوني ، لأن أفكارك ليست أفكار الله بل أفكار البشر »[7] .

---

(1) متّى فصل : 9 : 9 .

(2) متّى فصل : 10 : 5 .

(3) متّى فصل : 10 : 16 .

(4) متّى فصل : 14 : 28 .

(5) لا يوجد صلة بين تحذير المسيح ومعجزة تكثير الخبز .

(6) متّى فصل : 16 : 5 .

(7) متّى فصل : 16 : 21 .

ولنتمسك بحرفية هذا النص لنجد أن بطرس كان شيطانًا متنكرًا في هيئة إنسان .

ولكن هل إجابة المسيح متناسبة مع محبة بطرس و إشفاقه على سيده من المصير المشؤوم الذي يذكره لنفسه ؟ أم أن الكاتب يرمي إلى التنقيص من مكانة بطرس ؟ ويستخبر المسيح تلاميذه ليعرف مدى تقبل الناس دعوته وتفهمهم إياها .

« ثم ذهب يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس فسأل في الطريق تلاميذه : من أنا على حد قول الناس ؟ فأجابوه : يوحنا المعمدان ، وبعضهم يقول إيليا ، وآخرون أحد الأنبياء . فسألهم ومن أنا على حد قولكم أنتم ؟

فأجاب بطرس : أنت المسيح . فنهاهم أن يخبروا أحدًا بأمره »[1] .

وينسحب التلاميذ مبتعدين عن المسيح ، غير مقتنعين بأقواله وأفكاره[2] . راضين بحياتهم السابقة ، غير راغبين بالتغيير إلى الأحسن .

« فتولى عنه عندئذ كثير من تلاميذه ، وانقطعوا عن مصاحبته . فقال يسوع للإثني عشر : أفتريدون أنتم أن تذهبوا مثلهم ؟ فأجابه سمعان بطرس : رب إلى من نذهب وكلام الحياة الابدية عندك ؟ نحن آمنا بك وعرفنا أنك قدوس الله . فقال لهم يسوع : ألم اختركم أنتم الأثنىْ عشر ومع ذلك فواحد منكم شيطان »[3] .

و إذا كان المسيح يعرف أن أحد تلاميذه شيطان فلماذا اختاره بنفسه ؟

هل كان يهوذا الاسخريوطي إنسانًا أم شيطانًا ؟

لماذا لا نقول إن الشيطان تجسد وتأنس لكي يتجسس على المسيح ؟

و إذا انسقنا وراء هذه الأوهام والتخيلات فسينتج معنا أن هناك معركة دائرة بين الله والشيطان[4] . وحسب الظاهر وحسب ما كتبته الأناجيل فإن الشيطان استطاع الإيقاع بالإله ، وانتصر عليه . وسبب له الآلام والأحزان . وأخيرًا صلبه على عيون الأشهاد . وعندما يفسر الشراح والمفسرون بأن سيد هذا العالم هو الشيطان فإن كلامهم يكون صحيحًا حيث إن الإله مات ودفن . والشيطان الذي انتصر عليه جلس مكانه ليكون هو الإله والسيد الجديد .

وتجعل الأناجيل من المسيح مقررًا لقلة إيمان التلاميذ . ونتعجب كيف نطلب من الناس الإيمان بأفكار لم يؤمن بها أولئك الذين عاصروها وكانوا أنصارها ودعاتها .

« ولما أدركوا الجمع . دنا رجل فجثا وقال له : سيدي أشفق على ابني فإنه يصرع في الهلة . وهو على أسوإ حال . فكثيرًا ما يقع في النار وكثيرًا ما يقع في الماء . وقد جئت به إلى تلاميذك فلم يستطيعوا أن يشفوه .

فأجاب يسوع : أيها الجيل الكافر الفاسد . حتام أبقى معكم ؟ و إلام أحتملكمْ عليَّ به . وانتهره يسوع فخرج الشيطان من الصبي . فشفي من ساعته . فانفرد التلاميذ بيسوع وسألوه : لماذا لم نستطع نحن أن نطرده ؟ فقال لهم : لقلة إيمانكم . الحق أقول لكم ، لو كان لكم إيمان بمثقال حبة من خردل لقلتم لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ، ولما أعجزكم شيء »[5] .

---

(1) مرقس فصل : 8 : 27 .

(2) يورد الإنجيل كلامًا لا يقبله العقل والمنطق السليم .

(3) يوحنا فصل : 6 : 67 .

(4) في رأينا المعركة بين الإنسان والشيطان .

(5) متّى فصل : 17 : 14 .

وحتى الصلاة القصيرة فإن التلاميذ لا يصلونها ، لذلك تضعف مواهبهم الإيمانيـة ، ويعجزون عن شفاء الـمرضى ، وطرد الشيـاطين .

« وإذا صليتم فلا تطيلوا الكلام عبثًا مثل الوثـنيين ، يظنون أنهم إذا أكثروا الكلام يستجاب لهم ، ولا تتشبهوا بهم ، لأن أباكم يعلـم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه »[1] .

« ولـما دخل الدار خلا به تلاميذه وسألوه : لـماذا لـم نستطع أن نطرده[2] . فقال لهم : إن هذا الجنس لا يطرد إلا بالصلاة »[3] .

ويلاحظ القارىء ضعف ثقة كتاب الأناجيل بفطنة تلاميذ الـمسيح . فهم دائمًا في الصف الأخير ، ويوجد دائمًا من يسبقهم ويتفوق عليهم . لـماذا . . ؟

لقد تساءلنا عند قراءتنا لكتاب العهد القديم ، لـماذا كان اليهود يشوهون سمعة أنبيـائهم ؟ ولـماذا يلصقون بهم كل تهمة شنيعة ، وكل انحراف عن جادة الصواب والحق ؟

وهنا نتساءل ، ما القصد من تصوير تلاميذ الـمسيح بصورة غير ملائمة ؟

« وذلك أن أبناء هذه الدنيـا أكثر فطنة من أشباههم من أبناء النور »[4] .

« كان الـمسيح يعلـم تلاميذه فيقول لهم : إن ابن الإنسان سيسلـم إلى أيدي الناس فيقتلونه . وبعد قتله بثلاثة أيـام يقوم . فلـم يفهموا هذا الكلام ، وهابوا أن يسألوه »[5] .

« وفي غد أي بعد عيد التهيئة ، ذهب الأحبار والفريسيون معًا إلى بلاطس وقالوا له : سيدي تذكرنا أن ذاك الـمضلل قال إذ كان حيًا . سأقوم بعد ثلاثة أيـام . فمر أن يحفظ القبر إلى اليوم الثالث »[6] .

وإذا كان التلاميذ ضعيفي الفهم والإدراك عديمي الإيمان . فما هو فضلهم ، ومن أين أتت قدسيتهم ، وهم لا يملكون مثقال حبة خردل من الإيمان ؟

« وقال الرسل للرب : زدنا إيمانًا . فقال الرب : لو كان لكم إيمان بمثقال حبة من خردل ، وقلتم لهذه التوتة انقلعي فانغرسي في البحر لأطاعتكم »[7] .

وإجابة على تساؤلنا أعلاه نقول : إن وصف التلاميذ هكذا ، هو تمهيد لرئاسة بولس الـمطلقة ، كما سيتبين لنا ذلك في الفصول القادمة .

ولو اكتفت الأناجيل بتشويه صورة التلاميذ فقط لكان الأمر غير محتمل ، أما والأناجيل تطاولت لتشوه صورة

---

(1) متّى فصل : 6 : 7 .

(2) يقصدون شفاء الـمريض بطرد الشيطان الذي يصرعه .

(3) مرقس فصل : 9 : 28 .

(4) لوقا فصل : 16 : 8 .

(5) متّى فصل : 16 : 21 .

(6) متّى فصل : 27 : 62 .

(7) لوقا فصل : 17 : 5 .

المسيح فإن الأمر أصبح لا يطاق . فالمعروف أن الله يبعث الأنبياء والرسل لينقذوا الناس من الضلال ، ويرشدوهم إلى طريق التوبة . ولكن عندما نجعل من المسيح مضللاً يتكلم بالألغاز التي لا يفهمها حتى تلاميذه المقرَّبون منه والمرافقون له على الدوام ، وعندما يسأله التلاميذ لماذا تكلم الناس بالألغاز والأمثال ، فيجيب بكل فخر واعتزاز ، لكي لا يبصروا ولا يفهموا ولا يتوبوا ، فهل هذا عمل الأنبياء أم عمل الشياطين . ولماذا يسوح المسيح في البلاد ويقوم بالمعجزات والأعاجيب ؟ أليس لكي يتوب العباد ؟ ألم يقل لهم توبوا فقد اقترب ملكوت السموات ؟ هل كانت رسالة المسيح مقصورة على تلاميذه الإثنى عشر ؟ أم لجميع خراف بني إسرائيل الضالة ؟

« فلما اعتزل الجمع سأله أتباعه الاثنا عشر من مغزى الأمثال فقال لهم : أما أنتم فقد أنعم الله عليكم بسر ملكوت الله[1] . وأما أولئك فكل شيء يلقىٰ عليهم بالأمثال . لكي ينظروا نظرًا فلا يبصروا . ويسمعوا سمعًا فلا يفهموا ، لئلا يتوبوا فيغفر لهم . ثم قال لهم : أما تفهمون هذا المثل . فأنى لكم أن تفهموا سائر الأمثال »[2] .

« ولم يكلمهم إلا بضرب المثل . فإذا خلا بتلاميذه فسر لهم كل شيء »[3] .

« ولما رجع إلى الدار مبتعدًا عن الجمع سأله تلاميذه عن مغزى المثل فقال لهم : أهكذا أنتم أيضًا لا فهم لكم »[4] .

هل استطاع المسيح بتعاليمه السامية التي نشرها بين التلاميذ خلق الإنسان المثالي الذي لا يهتم سوىٰ بعيوب نفسه يشتغل بها عن عيوب الناس ، هل تطهرت قلوب هذه الفئة المختارة التي كرس لها المسيح كل وقته فأصبحت خاليةً من الحسد والغيرة ؟

« فدنت إليه أم ابني زبدي ومعها ابناها وسجدت له تسأل حاجة . فقال لها : ماذا تريدين ؟ قالت : هذان ابناي فمر أن يجلس أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك في ملكوتك . فأجاب يسوع : إنكما لا تدركان ما تسألان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سأشربها . قالا : نستطيع . فقال لهما : أجل سوف تشربان كأسي ، وأما الجلوس عن يميني وعن شمالي فليس لي أن أمنحه . وإنما هو للذين أعده لهم أبي .

وسمع العشرة ذلك الكلام فاغتاظوا من الأخوين . فدعاهم يسوع إليه وقال لهم : تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونها . وأن أكابرها يتسلطون عليها فلا يكن هذا فيكم . بل من أراد أن يكون كبيرًا فيكم فليكن لكم خادمًا . ومن أراد أن يكون الأول فيكم فليكن لكم عبدًا . هكذا ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم »[5] .

وعندما حوصر المسيح في جبل الزيتون نظر حواليه فلم يجد في تلاميذه سندًا يعتمد عليه ؛ لأن إيمانهم به ضعيف ، وتضحيتهم في سبيله تساوي الصفر . لقد أحبوا المسيح والتفوا حوله بسبب المعجزات التي قام بها . والتي كان الناس بسببها يكرمونهم لمرافقتهم له . أما الآن والأعداء يحاصرون المسيح ، فكل واحد منهم يسأل عن سلامة

---

(1) ما هو سر ملكوت الله ؟ وما هي فائدته ؟

(2) مرقس فصل : 4 : 10 .

(3) مرقس فصل : 4 : 34 .

(4) مرقس فصل : 7 : 18 .

(5) متّى فصل : 20 : 20 حتى 28 .

نفسه . كان حبهم وتضحيتهم في سبيل المسيح أمنيات وكلمات لا أكثر . لم يكن تلاميذ المسيح سوى خراف ضالة لا تعي ما يدور حولها ولا تعرف مستقبلها .

« قال يسوع : ستشكون فيَّ بأجمعكم هذه الليلة . فقد كتب سأضرب الراعي فتتبدد خراف القطيع ولكن بعد قيامتي أتقدمكم إلى الجليل[1] . فأجاب بطرس : إذا شكوا فيك بأجمعهم فأنا لا أشك فيك . فقال له يسوع : الحق أقول لك في هذه الليلة قبل صياح الديك تنكرني ثلاث مرات . فقال بطرس : لست بناكرك و إن قضى عليَّ بأن أموت معك . وهكذا قال التلاميذ كلهم »[2] .

لقد كان المسيح أعرف الناس بتلاميذه . وكان يعرف ضعف ارتباطهم بالتعاليم الجديدة[3] .

« ها هي ذي الساعة آتية . و إنها قد أتت تتفرقون فيها فيذهب كل واحد في سبيله »[4] .

---

(1) يذكر انجيل لوقا وأعمال الرسل أن المسيح قابل تلاميذه في أورشليم وأوصاهم أن لا يبرحوا المدينة بل ينتظروا ما وعد به الرب . لوقا فصل : 24 : 33 ، وأعمال الرسل : فصل : 1 : 4 .

(2) متّى فصل : 26 : 31 حتى 35 .

(3) الأناجيل هي التي تريد أن تبين أن ارتباط التلاميذ ضعيف ولكن الحقيقة لم تكن كذلك . ولم يتفرق التلاميذ بعد ذهاب المسيح بل أدّوا الرسالة ونشروا تعاليم الدين .

(4) يوحنا ، فصل : 16 : 32 .



تناقض وغموض

هل كان الـمسيح من مدينة الناصرة أم كان من مدينة القدس منذورًا للهيكل ؟

هل كان اسم الـمسيح ناصريًا أن نَذْريًا ؟

هل أرضعـت العذراء مريم ابنها الـمسيح ؟ أم أنها رجعت عذراء بعد الولادة ، وأن التي أرضعت الـمسيح هي امرأة أخرى ؟ هل كان اسمها مريم أيضًا ؟ من هم إخوة الـمسيح . . ؟ ومن هي أمهم ؟ أليست هي تلك التي أرضعت الـمسيح ؟ من هو زوج أم الـمسيح بالرضاعة ؟ هل هو يوسف النجار ؟ هل آمـن إخوة الـمسيح برسالته ؟ أم أنكروه كما أنكره الأخبار والفريسيون ؟ من هو يعقوب أخو الرب الذي تسلـم وترأس كنيسـة أورشليم[1] ؟ هل كان يعقوب أخو الرب من التلاميذ الاثني عشر ؟ كيف رضى التلاميذ بقيـادة يعقوب وهو ليس منهم ؟

« فقال له إخوته : امض من هـاهنا إلى اليهوديـة . حتى يرى تلاميذك أيضًا ما تعمل من الأعمال فلا أحد يعمل في الخفيـة إذا أراد أن يعرف . وما دمت تعمل هذه الأعمال فأظهر نفسك للعالـم . وكان إخوته أنفسهم لا يؤمنون به »[2] .

هل كان عمل الـمسيح في الخفاء أم أمام الناس والجموع الـمحتشدة ؟

« إيـاك أن تخبر أحدًا بشيء »[3] .

« ثم أوصى تلاميذه بألا يخبروا أحدًا أنه الـمسيح »[4] .

وكان يشفي الـمرضىٰ أيـام السبت في الـمجامع حيث اجتماع الناس مبشرًا[5] باقتراب ملكوت السموات وكما اتهم اليهود أنبيـاءهم بالقتل والزنى فإن كتاب الأناجيل جعلوا من الـمسيح كاذبًا .

« لا يستطيع العالـم أن يبغضكم ولكنه يبغضني ؛ لأنـي أشهد عليه بأن أعماله فاسدة . اصعدوا أنتم إلى العيد . فأنا لا أصعد إلى هذا العيد لأن وقتي لـم يحن بعد . قال لهم هذا ولبث في الجليل . ولـما صعد إخوته إلى العيد . صعد من

---

(1) أعمال الرسل فصل : 12 : 17 .

(2) يوحنا فصل : 7 : 3 .

(3) مرقس فصل : 1 : 44 .

(4) متّى فصل : 16 : 20 .

(5) متّى فصل : 4 : 23 ، وفصل 9 : 35 .

بعدهم خفية لا علانية »[1] .

ولا يقبل المسلمون هذا النص بهذه الصيغة . لأن فيه تشويهًا لسمعة النبي والذي يتصف بالصدق والصراحة . وإلا فكيف يبلّغ نبي رسالة ربه وهو يكذب على الناس ؟ وهل نقبل شهادة المسيح أم نرفضها ؟

« لو كنت أشهد لنفسي لما كانت شهادتي صحيحة »[2] .

« أجل إني أشهد لنفسي . ولكن شهادتي صحيحة »[3] .

وعندما يسأل اليهود المسيح عن حقيقة شخصه ليتخذوا منه موقفًا واضحًا فإن المسيح يتردد في الكشف عن شخصه ولا يعلن ذلك صراحة .

« فأحدق به اليهود وقالوا له : حتام تدخل الريبة في نفوسنا ؟ إن كنت أنت المسيح فقل لنا صراحة . فأجابهم يسوع : قلته لكم ولكنكم لا تؤمنون »[4] .

وحتى هنا فإن المسيح لم يقل بصراحة أنا هو المسيح بل قال قلته لكم .

« فسألهم ومن أنا على حد قولكم أنتم . فأجاب بطرس : أنت المسيح . . فنهاهم أن يخبروا أحدًا بأمره »[5] .

وعندما يقابل المسيح امرأة سامرية زانية لا يتردد في الكشف لها عن حقيقته . فلماذا يُظهر المسيح نفسه عندما لا يطلب منه أحد ذلك ويخفيها عندما يسأل عنه الناس ؟

« قالت له امرأة : إني أعلم أن ماشيًا ـ أي المسيح ـ آتٍ . متى أتى أنبأنا بكل شيء . فقال لها يسوع : أنا هو . أنا الذي يكلمك »[6] .

ويدعو المسيح الناس لاتباعه ، ويزيّن لهم هذا الطريق بأنه طريق سهل ومأمون ، وفيه الراحة والرخاء والسلام .

تعالوا إليَّ أيها المرهقون والمثقلون جميعًا فإني أريحكم . احملوا نيري وتتلمذوا لي أنا الوديع المتواضع القلب ، تجدوا الراحة في نفوسكم ، لأن نيري لطيف وحملي خفيف »[7] .

وتعرّف الأناجيل نير المسيح الخفيف واللطيف كما يلي :

« سيطر دونكم من المجامع بل تأتي ساعة يظن فيها من يقتلكم أنه يقرّب إلى الله قربانًا »[8] .

« وستسلمون عندئذ إلى العذاب وتقتلون ، وتبغضكم جميع الأمم من أجل اسمي »[9] .

---

(1) يوحنا فصل : 7 : 7 .
(2) يوحنا فصل : 5 : 32 .
(3) يوحنا فصل : 8 : 13 .
(4) يوحنا فصل : 10 : 24 .
(5) مرقس فصل : 8 : 30 .
(6) يوحنا فصل : 4 : 25 .
(7) متّى فصل : 11 : 28 .
(8) يوحنا فصل : 16 : 2 .
(9) متّى فصل : 24 : 9 .

« احذروا الناس فسيسلمونكم إلى المجالس ، ويجلدونكم في المجامع ، وتساقون إلى الحكام والملوك من أجلي »[1] .

« إن أبغضكم العالم فاعلموا أنه أبغضني قبل أن يبغضكم »[2] .

لقد أوصى المسيح ببر الوالدين وحض عليه ودعا إلى تآلف الأسرة وترابطها ولكن كتاب الأناجيل أوردوا في الأناجيل نصوصًا لا تناسب مقام المسيح وتتنافى مع جوهر رسالته .

« وقال له آخر من تلاميذه : سيدي ، أتأذن لي أن أمضي أولاً فأدفن آبي . فقال له يسوع : اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم »[3] .

فهل من البر بالوالدين ، أو من المروءة والشرف ، أن يترك الإنسان والده جثة هامدة قد فارقت الحياة ، ولا يقوم بدفنها ، بل يترك الأمر لغيره من الناس . ومهما كان الأب ومهما كانت أفعاله واخلاقه ، هل يجوز للابن أن يتخلى عن هذا الواجب المقدس . والذي لن يكلفه أكثر من بضع ساعات ، وتنتهي بعدها مراسم الدفن . هل كان المسيح يأمر تلاميذه بالتخلي عن مسؤولياتهم ؟ وككل الشرائع والاديان فإن الإسلام يضع بر الوالدين والإحسان إليهما الفرض الثاني بعد عبادة الله .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا . . . ﴾[4] .

ويذكر لنا التاريخ أن أويس القرني من أهالي اليمن أسلم في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورغب في زيارته والاستماع منه . ولكن ظروف أمه المريضة لم تسمح له بهذه الزيارة وتوفي النبي واويس مع أمه يقوم بخدمتها والاعتناء بها . وبعد وفاتها قَدِم إلى المدينة مع وفد اليمن فاستقبله عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب . وبشراه بالدرجة العالية التي نالها بسبب بره بوالدته . وطلبا منه أيضًا الدعاء حسب توصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

« وجاءت أمه و إخوته فوقفوا خارج الدار . وأرسلوا إليه من يدعوه . وكان قد تحلق حوله جمع كبير . فقالوا له : إن أمك و إخوتك وأخواتك في خارج الدار يطلبونك . فأجابهم : من هي أمي ومن هم إخوتي . ثم أجال طرفه في المتحلقين حوله وقال : هؤلاء هم أمي و إخوتي لأن من يعمل بمشيئة الله هو أخي وأختي وأمي »[3] .

فمن هؤلاء الإخوة والأخوات الذين أنكرهم المسيح ؟

لقد اختار مفسروا الأناجيل كيف يشرحون هذه الفقرة . فليس من الأخلاق أن يتنكر الإنسان لعائلته . ثم إن هؤلاء الملتفين حوله والذين قال هؤلاء هم أمي و إخوتي . ماذا فعلوا لأجله عندما حوصر في جبل الزيتون ؟

« ثم قال يسوع لتلاميذه : من أراد أن يتبعني فليزهد في نفسه ويحمل صليبه ويتبعني لأن الذي يريد أن يخلص

---

(1) متّى فصل : 10 : 17 .

(2) يوحنا فصل : 15 : 18، وانظر يوحنا فصل : 7 : 7 .

(3) متّى فصل : 8 : 22 .

(4) سورة الإسراء : من الآية 23 .

(5) مرقس فصل : 3 : 31 .

حياته يفقدها . وأما الذي يفقد حياته في سبيلي فإنه يجدها »[1] .

وفي اليوم الذي أخذ فيه يسوع المسيح لم يضح تلاميذه بشعرة واحدة من رؤوسهم . بل تركوه وحده .

« فيذهب كل واحد في سبيله وتتركوني وحدي »[2] .

ويهدد المسيح الذي ينكره لدى الناس .

« ومن أنكرني لدى الناس أنكره لدىٰ أبي الذي في السموات »[3] .

ولم ينكره سوىٰ رأس الكنيسة بطرس . أنكره ثلاث مرات . وكان قد عاهده قبل ذلك على الموت . هل هذه الحادثة صحيحة ؟ أم أنها طعن في صدق و إخلاص بطرس ؟ وتشير الأناجيل إلى محنة يقف فيها التلاميذ مع معلمهم . ولكن ما هي هذه المحنة ؟

« انتم ثبتم معي في محنتي . وأنا أوليكم الملكوت كما ولا نيه أبي . فتأكلون وتشربون على مائدتي في الملكوت . وتجلسون على العروش لتدنوا أسباط إسرائيل الاثنى عشر »[4] .

لم يتعرض المسيح إلا إلى محنة القبض عليه ـ كما تشير إلى ذلك الأناجيل ـ وفي هذه المحنة يقول المسيح .

« سأضرب الراعي فتتبدد الخراف »[5] .

وتذكر الأناجيل ، تخلي التلاميذ عن معلمهم وهربهم . ورغبتهم في تخليص حياتهم .

« وتبعه شاب ليس عليه غير إزار . فأمسكوه . فتخلىٰ عن الإزرار وهرب عريانًا »[6] .

ويتحدث المسيح عن الموت وعن الحياة الأبدية ، ولكنه هو نفسه يخشىٰ الموت ولا يستطيع أن يحمي نفسه منه .

« الحق أقول لكم : من يحفظ كلامي لا ير الموت أبدًا »[7] .

والمسيح ذاته رأى الموت وعاناه . وكذلك جميع تلاميذ المسيح ماتوا هم أيضًا .ويركع المسيح وهو يتصبب عرقًا مثل الدم ويقول :

« يا أبتاه إنك على كل شيء قدير فاصرف عني هذه الكأس »[8] .

ولكن هل استجاب الله لدعاء المسيح الحار ؟

« وصرخ أيضًا يسوع صرخة شديدة ولفظ الروح »[9] .

---

(1) متّى فصل : 16 : 24 .
(2) يوحنا فصل : 16 : 32 .
(3) متّى فصل : 10 : 33 .
(4) لوقا فصل : 22 : 24 .
(5) متّى فصل : 26 : 31 .
(6) مرقس فصل : 14 : 52 .
(7) يوحنا فصل : 8 : 51 .
(8) مرقس فصل : 14 : 36 .
(9) متّى فصل : 27 : 50 .

هل مات المسيح أم لا ؟

كيف يَعِدُ المسيح تلاميذه بعدم الموت . وها هو يموت أمامهم .

« أنا خبز الحياة . آباؤكم أكلوا المنَّ في البرية وماتوا . هوذا الخبز النازل من السماء ليأكل منه الإنسان فلا يموت »[1] .

« قال اليهود الآن أيقنا أن بك مسًا من الشيطان . مات إبراهيم ومات الأنبياء وأنت تقول من يحفظ كلامي لا يذق الموت أبدًا . أأنت أعظم من أبينا إبراهيم الذي مات ؟ وكذلك الأنبياء ماتوا فماذا تعد نفسك ؟ »[2] .

ويضيع قاريء الأناجيل في متاهات الموت والحياة . وكيف يحصل الإنسان على الحياة الأبدية فبعض الفقرات تجعل الحياة الأبدية لمن يأكل جسد المسيح ويشرب من دمه .

« من أكل جسدي وشرب دمي فله الحياة الأبدية »[3] .

وبعض الفقرات تجعل الحياة الأبدية للذين يعملون الصالحات ويحفظون وصايا موسىٰ .

« إذا أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا »[4] .

والمسيح لا يعتبر إبراهيم و إسحٰق ويعقوب من الأموات بل يعتبرهم من الأحياء .

« أفما قرأتم في كتاب موسىٰ عند ذكر العليقة كيف كلَّمهُ الله فقال : أنا إلٰه إبراهيم و إلٰه إسحق و إلٰه يعقوب . وما كان إلٰه أموات بل إلٰه أحياء فأنتم في ضلال كبير »[5] .

وطريق الحياة الأبدية الذي يرسمه المسيح هو الإيمان بإلٰه واحد هو الله ، وبرسول الله الذي هو المسيح عيسى بن مريم مع العمل الصالح كما هو مذكور في الوصايا .

« والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإلٰه ـ الحق وحدك ـ ويعرفوا الذي أرسلته يسوع المسيح »[6] .

لقد قرر المسيح بذاته وفي مناسبات كثيرة أنه ابن إنسان مرسل من الله تعالى لإنقاذ بني إسرائيل من خطاياهم ، وذلك بتوضيح الطريق المستقيم الذي يجب أن يسلكوه للوصول إلى معرفة الله تعالىٰ وكسب مرضاته . وبالتالي الحصول على الحياة الأبدية التي وعدها الله عباده المتقين .

والإلٰه الحق ، هو الله الذي يعبده المسلمون . وهو الذي لا يحتاج إلى ولد أو شريك ، وما عداه فهو من الآلهة الباطلة .

﴿ بَدِيعُ[7] السَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىۡءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ *

---

(1) يوحنا فصل : 6 : 48 .

(2) يوحنا فصل : 8 : 52 .

(3) يوحنا فصل : 6 : 54 .

(4) متّى فصل : 19 : 16 .

(5) مرقس فصل : 12 : 27 .

(6) يوحنا فصل : 16 : 3 .

(7) بديع : من أسماء الله الحسنىٰ .

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ * لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ * قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ بِحَفِيظٍ * ﴾[1].

وكلام الأناجيل إذا فسّر بشكله الصحيح تطابق مع الآيات التي ذكرناها . أما إذا فسّر بشكل خاطيء فإنه يوصل إلى الشرك بالله .

فبديع السموات والأرض . هو الذي ابتدع خلق السموات والأرض ، ولم يقلد أحدًا في ذلك ، أما الإنسان بشكل عام والمسيح بشكل خاص فهو مقلد وليس بمبتدع .

« لا يستطيع الابن أن يصنع شيئًا من عنده . إلا إذا رأى الأب قد صنعه . فما صنعه الأب يصنعه الابن على مثاله »[2]

وعندما يقول المسيح « من رآني رأى الذي أرسلني »[3] .

فهذا لا يعني أن صورة الله مطابقة لصورة المسيح ، ولكنها تعني أن الذي يراني بعين العقل والفكر رسولاً من الله حقًا . يدرك أن الذي أرسلني هو الله ، لأن الأعمال التي أقوم بها يعجز الإنسان عن عملها .

وتجعل الأناجيل من المسيح الديان الأكبر الذي يقاضي الناس على أعمالهم .

« لأن الأب لا يدين أحدًا بل جعل القضاء كله للابن »[4] .

ولكن هل هذا الكلام يتطابق مع الواقع ومع أقوال المسيح الأخرىٰ . . . ؟

فهذا الذي بيده القضاء قد حكم عليه اليهود بالصلب . هل كان المسيح حاكمًا أم محكومًا عليه ؟ هل كان قاضيًا أم مقضيًا عليه ؟

« وأوشك يسوع أن يصعد إلى أورشليم . فانفرد بالاثنى عشر وقال لهم في الطريق : إنَّا لصاعدون إلى أورشليم وسيسلم ابن الإنسان إلى الأحبار والكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه إلى الوثنيين ليسخروا منه ويجلدوه ويصلبوه »[5] .

هل كان هذا الحكم من مشيئة الأحبار والكتبة ؟ أم من مشيئة الله تعالىٰ ؟ أم من مشيئة المسيح ؟ لماذا كانت الأناجيل تشير إلى أن هذا الحكم هو بمشيئة الله تعالى . . ؟ .

ويعترف المسيح بعبوديته لله تعالى وأن العقاب والثواب بيد ، الله ولا يستطيع المسيح التصرف إلا بما يأمره الله تعالى به . وأن الله معه لأنه يعمل ما يُرضي الله . وتسأله أم ابني زبدي أن يجلس ابناها عن يمينه وشماله في ملكوته فيجيبها :

« وأما الجلوس عن يميني وعن شمالي فليس لي أن أمنحه و إنما هو للذين أعده لهم أبي »[6] .

(1) سورة الأنعام: الآية 101 .
(2) يوحنا فصل: 5: 19 .
(3) يوحنا فصل: 12: 45 .
(4) يوحنا فصل: 5: 22 .
(5) متّى فصل: 20: 17 .
(6) متّى فصل: 20: 23 .

« و إنـي لا أعمل شيئًا من عندي بل أقول ما علمنيه الأب . إن الذي أرسلني هو معي . لم يتركني وحدي . لأني أعمل أبدًا ما يرضيه »[1] .

ويطلب المسيح من الله أن يغفر لأولئك الذين قاموا بصلبه ولو كان القضاء بيد المسيح حقًا . لغفر لهم مباشرة دون طلب أو دعاء .

« يا أبت اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يفعلون »[2] .

ويتبرأ المسيح من الحكم على الناس ويجعل ذلك لله وحده . فهو الذي يكافيء وهو الذي يعاقب .

« ومن سمع أقوالي ولم يحفظها لا أحكم عليه . لأني ما جئت لأحكم على العالم بل لأخلص العالم . من اعرض عني ولم يقبل كلامي فله ما يحكم عليه . الكلام الذي قلته يحكم عليه في اليوم الآخر لأني لم اتكلم بشيء من عندي بل الأب الذي أرسلني أوصاني بما أقول وأتكلم . وأنا أعلم أن وصيته حياة أبدية فالكلام الذي أفوه به أقوله كما قاله لي الأب »[3] .

« ومن خدمني أكرمه أبي »[4] .

هل كان المسيح وابن خالته يوحنا المعمدان من رعايا هيرودس أم من رعايا بلاطس ؟ كان بيلاطس حاكم اليهودية وكان هيرودس حاكم الجليل .

تذكر الأناجيل أن اليصابات أم يوحنا المعمدان من أهالي بيت لحم . إذًا فهي من اليهودية . لماذ حكم هيرودس بالإعدام على يوحنا المعمدان وهو من رعايا بلاطس ؟ هل حقًا قُتل يوحنا المعمدان بأمر من هيرودس ؟

تذكر الأناجيل أن هيرودس كان حاميًا ومدافعًا عن يوحنا المعمدان . لإعجابه به . إذًا فلماذا يذكر يوحنا المعمدان هيرودس بالسوء ؟

« وكانت هيردويا ناقمة عليه تريد قتله فلا تستطيع . لأن هيرودس كان يهاب يوحنا لعلمه أنه بار قديس . وكان يحميه . فإذا استمع إليه حار فيه كثيرًا وراقة الإصغاء إليه »[5] .

ونتساءل ما هو موقف المسيح من هيرودس . وما هو موقف هيرودس من المسيح .

« ودنا حينئذ بعض الفريسيين فقالوا له : اذهب من هنا فإن هيرودس يريد أن يقتلك . فقال لهم : اذهبوا فقولوا لهذا الثعلب إني أطرد الشياطين وأجري الشفاء »[6] .

لقد كان هيرودس محبًا لرجال الاصلاح الديني في اليهودية والجليل ، متعاطفًا معهم ، محبًا لهم ، يتسقط أخبارهم ويتمنىٰ رؤيتهم ، لا يضمر لهم العداء والشر . و إن ما قاله الفريسيون للمسيح كان بقصد الايقاع بين المسيح الممثل للتعاليم الدينية وبين هيرودس الممثل للسلطة السياسية . وقد تورط المسيح فانساق وراء تقولات

---

(1) يوحنا فصل: 8: 28 .

(2) لوقا فصل: 23: 34 .

(3) يوحنا فصل: 12: 47 حتى 50 .

(4) يوحنا فصل: 12: 26 .

(5) مرقس فصل: 6: 19 .

(6) لوقا فصل: 13: 31 .

الفريسيين وأخذ بمهاجمة هيردوس . فقال عنه ثعلب ـ أي خبيث ماكر ـ وهذا القول يتناقض مع قول المسيح وحكمته عندما أرادوا الايقاع به .

« فقالوا له ما رأيك ؟ أيحل دفع الجزية إلى قيصر أم لا ؟ فقال لهم: أدوا لقيصر ما لقيصر ولله ما لله »[1] .

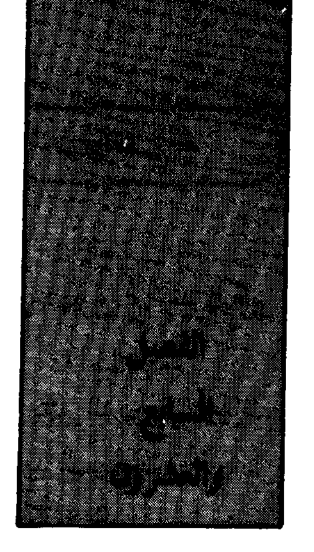
ويفرح هيردوس بلقاء المسيح . ولكن المسيح يخيب أمل هيردوس . فينقلب الإعجاب إلى ازدراء . ولكن ذلك لا يمنع هيردوس من تبرئة المسيح . فلم يحكم عليه بشيء .

فلما رأى هيردوس يسوع سر سرورًا عظيمًا ؛ لأنه كان يتمنىٰ من زمن بعيد أن يراه لما يسمع عنه . ويرجو أن يشهد آيه يأتي بها . فسأله مسائل كثيرة فلم يجبه عن شيء . فازدراه هيردوس وجنوده ورده[2] إلى بيلاطس » .

ويحق لنا أن نتساءل لماذا يرد هيرودس أحد رعاياه لبيلاطس ليحكم عليه ؟ أليس السبب هو أن المسيح من رعايا بيلاطس . وأن بيلاطس أرسل المسيح لهيرودس لكي يشاهد الرجل الذي قام بإحياء الميت وأتىٰ بالمعجزات والعجائب ؟

(1) متَّى فصل: 22: 18 .

(2) لوقا فصل: 23: 8 حتىٰ 12 .



نبوءات المسيح

يعرف صدق النبيّ من كذب غيره بصحة نبوءاته التي يتنبأ فيها عن مستقبل الأيام . وكلمة النبوة مشتقة من الإنباء بالغيب . وكانت نبوءة المسيح الأساسية هي التبشير بمجيء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبملكوت السموات الذي سيتحقق على أيدي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد صدق المسيح في جميع نبوءاته . ولكن الأناجيل تتحدث عن نبوءات تنسبها للمسيح . هذه النبوءات لم تتحقق مما يشكك قاريء الانجيل بصدق المسيح . و إذا علمنا أن الأناجيل كتبت بعد الجيل الذي عاصر المسيح بزمن بعيد فمن المفروض أن تتحقق نبوءات المسيح وتظهر للجمهور معلنة صدق المسيح . ولكن مع الأسف فإن كثيرًا من نبوءات المسيح لم تتحقق إلا بشكل عكسي .

لقد أغفل كتاب الأناجيل وشُراحه لفت نظر القاريء إلى أعظم النبوءات التي تحققت ، وأول تلك النبوءات تلك هي خراب أورشليم إن لم يؤمن اليهود بالمسيح . ويعودوا إلى الطريق المستقيم . وقد ذكرنا هذه النبوءة في فصل سابق .

« جيل فاسد فاسق يطلب آية ولن يجعل له سوى آية النبيّ يونان »[2] .

و يؤكد المسيح على إصرار اليهود وعنادهم وكفرهم ، وأن آية يونان ستحل بهم وستخرب بلدتهم .

« ولما اقترب فرأى المدينة بكى عليها وقال : ليتك عرفت أنت أيضًا في هذا اليوم طريق السلام ، ولكنه حجب عن عينيك فسوف يأتي زمن يلفك أعداؤك بالمتاريس ، ويحاصرونك ويضيقون عليك الخناق من كل جهة ، ويدمرونك وأبناءك الذين هم فيك . ولا يتركون حجرًا فيك على حجر ، لأنك لم تعرفي الزمن الذي كنت فيه مفتقدة »[3] .

لقد تنبأ المسيح بخراب أورشليم ، ونبوءته صحيحة ، ولكن لماذا يبكي على بلدة لن يرىٰ فيها إلا الجحود والنكران والإهانة والعذاب ؟ ثم إن بعض الفرق المسيحية بل أكثرها تعتبر المسيح إلهًا ، فكيف يبكي الإله ؟ لقد بكىٰ المسيح على مدينة القدس لأنه ولد فيها وعاش فيها صباه ، ويطلب المسيح من تلاميذه قصر دعوتهم على خراف

---

(1) متّى فصل : 12 : 40 .

(2) لوقا فصل : 29 : 41 .

آل إسرائيل الضالة ؛ محذرًا إياهم من دعوة الأجانب ؛ لأن في ذلك أعظم الضرر وأكبر الخطر .

« لا تعطوا الكلاب ما هو مقدس . ولا تلقوا لؤلؤكم إلى الخنازير ؛ لئلا تدوسه بأرجلها ، ثم ترتد إليكم فتمزقكم »[1] .

ولم يصغ التلاميذ لتحذيرات المسيح ، ولم يفهموا معنىٰ نبوءته و إرشاده . فقاموا بنشر الدين في أوساط اليونان والرومان . وبدلاً من أن يصبح الرومان مسيحيين أصبح المسيحيون رومانًا . لقد اضطهد المسيحيون الرومان إخوانهم المسيحيين من أصل يهودي وأجبروهم على التثليث . وتنبأ المسيح بظهور الأنبياء الكذبة الذين سيشوهون تعاليمه . فحذر منهم . وتنبأ بنزع ملكوت الله من أيدي اليهود ليتسلمه المسلمون .

« إياكم والأنبياء الكذابين . . يأتونكم في ثوب النعاج وهم في باطنهم ذئاب خاطفة . من ثمارهم تعرفونهم ايجنىٰ من الشوك عنب ؟ أو من العليق تين ؟ كذلك كل شجرة طيبة ، تثمر ثمارًا طيبة والشجرة الخبيثة تثمر ثمارًا خبيثة . فليس للشجرة الطيبة أن تثمر ثمارًا خبيثة ، ولا للشجرة الخبيثة أن تثمر ثمارًا طيبة . وكل شجرة لا تثمر ثمرًا طيبًا تقطع وتلقىٰ في النار فمن ثمارهم تعرفونهم »[2] .

« لذلك أقول لكم إن ملكوت الله سينزع عنكم ليسلم إلى أمه تجعله يخرج ثماره »[3] .

ويبشر المسيح بزوال سلطان الرومان ، وانتصار الأمة الإسلامية . محددًا ذلك بالحروب وقيام أمة على أمة . ومملكة على مملكة . وهو هنا يصف الصراع بين الفرس والروم واحتلال الفرس لبيت المقدس ، ثم يبدأ المخاض وتظهر أمة محمد إلى الوجود .

« فإذا سمعتم بالحروب وبما يشاع عن الحروب فلا تجزعوا فإنه لا بد من حدوث ذلك . ولكن ليست هي الآخرة . ستقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتحدث زلازل[4] هنا وهناك وتقع مجاعات وهذا بدء المخاض »[5] .

ويخبر المسيح تلاميذه بأن الأنبياء السابقين يخبرون عن الأنبياء اللاحقين مبشرين بهم .

« لو كنتم تصدقون موسىٰ لصدقتموني ؛ لأنه أخبر عني فيما كتب . و إذا كنتم لا تصدقون كتبه فكيف تصدقون كلامي »[6] .

ولكن الأناجيل لا تذكر ما كتب موسىٰ عن المسيح . . لماذا ؟

ذكر القرآن بشارة موسىٰ بالمسيح وبمحمد كما يلي :

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۞ ﴾[7] .

---

(1) متّى فصل : 7 : 6 .
(2) متّى فصل : 7 : 15 .
(3) متّى فصل : 21 : 43 .
(4) من نتائج ذلك الزلزال تصدع ايوان كسرىٰ وجفاف بحيرة ساوة .
(5) مرقس فصل : 13 : 7 .
(6) يوحنا فصل : 5 : 46 .
(7) سورة التين : من الآيات 1 إلى 3 .

فالتيـن والزيتون رمز لجبل الزيتون الذي حصلت فيه التجليات الإلٰهيـة للـمسيح عليه السلام ، وطور سينيـن هو جبل الطور في سيناء حيث حصلت التجليات الإلٰهيـة لـموسى عليه السلام .

وهذا البلد الأميـن يقصد بها مكة الـمكرمة التي نزل فيها الوحي على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلـم ـ وهذه الآيـة القرآنيـة هي تصحيح وتذكير بمضمون البشارة عن الـمسيح وعن محمد الواردة في سفر تثنيـة الاشتراع .

« أقبل الرب من سيـناء . وأشرق لهم من ساعير . وتجلىٰ من جبل فاران . وأتىٰ من ربىٰ القدس وعن يمينه قبس شريعة لهم »[1] .

وفاران كما ذكرنا سابقًا هي مكة موطن إسماعيل بن إبراهيم . ونلاحظ في بشارة موسىٰ كلـمة (قبس شريعة لهم) وهذه الكلـمة تعني نزول شريعة غير شريعة موسىٰ يتمسك بها القديسون الآتون مع محمد من جبال فاران .

هل كان اختيار الـمسيح للتلاميذ فاشلاً . . ؟

لقد خانه أحدهم وسلـمه بعد قبض الثـمن لأعدائه .

أما الباقون فهل كانوا على مستوىٰ اختيار الـمسيح لهم ؟

هل كان الـمسيح جاهلاً بمعدن الرجال ؟ أم أنه تقصّد اختيار الأسوأ ؟

هل كان تلاميذ الـمسيح حقًا كما وصفتهم الأناجيل ؟ أم أن كتاب الأناجيل اتهموا تلاميذ الـمسيح في إيمانهم وذكائهم ليفسحوا الـمجال أمام غيرهم ليتقدم عليهم ويقودهم ؟

« لـم تختاروني أنتم . بل أنا اخترتكم »[2] .

« ثم صعد الجبل ودعا الذيـن أرادهم فأقبلوا عليه . فأقام منهم اثنى عشر يصحبونه فيرسلهم مبشريـن ولهم سلطان يطردون به الشياطيـن »[3] .

« وتراأى أخيرًا للأحد عشر أنفسهـم وهم على الطعام فوبخهم بقلـه إيمـانهم ، وقساوة قلوبهم ، لأنهم لم يصدقوا الذيـن رأوه بعدما قام »[4] .

« وهذه الفقرة لا تكشف فقط ضعف إيمان التلاميذ الـمختاريـن ، بل تبيـن ثقة الـمسيحييـن الأوليـن بعضهم في بعض . و إذا كان الذيـن شاهدوا الـمسيح ، وتتلـمذوا على يديه بهذا الإيمان الضعيف ، فكيف سيكون إيمان الذيـن سيأتون بعدهم . . ؟ خاصة أولئك الذيـن جاؤا بعد جيل الـمسيح ليشاهدوا حصول عكس ما تنبأ به الـمسيح حسب ما أوردته الأناجيل .

اذهبوا في الأرض وأعلنوا البشارة إلى الخلق أجمعيـن . فمن آمن واعتمد يخلص ومن لـم يؤمن يقبض عليه »[5] .

---

(1) سفر تثنية الإشتراع: فصل 33 : 1.

(2) يوحنا، فصل 15 : 16.

(3) مرقس: فصل 3 : 13 ـ 14.

(4) مرقس: فصل 16 : 14.

(5) مرقس: فصل 16 : 15.

وعدا عن أن هذا النص يخالف ما جاء في إنجيل لوقا من طلب المسيح لتلاميذه أن يبقوا في المدينة المقدسة . ولا يبارحوها . حتى يتلقوا أوامر جديدة من الذي سيرسله المسيح لهم ؟

« وسأرسل إليكم ما وعد به أبي فامكثوا في المدينة إلى أن تنزل عليكم القوة من العلي »[1] .

فإن الجيل بعد المسيح رأى ما لاقاه المسيحيون من اضطهاد وعذاب ونفي وتشريد .

لقد وعد المسيح تلاميذه بالفرج القريب والخلاص السريع . ولكن هل تحقق هذا . . ؟

« ويبغضكم جميع الناس من أجل اسمي . والذي يثبت إلى النهاية فذاك الذي يخلص . و إذا طاردوكم في مدينة فاهربوا إلى غيرها . و إذا طاردوكم في هذه أيضًا فاهربوا إلى بلد آخر . الحق أقول لكم لن تنهوا التجوال في مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان . . »[2] .

لقد مضى على رفع المسيح إلى السماء عشرون قرنًا من الزمان ولم يأت المسيح كما وعد كتاب الأناجيل .

« ثم قال لهم : الحق أقول لكم في جملة الحضور هاهنا من لا يذوق الموت حتى يشاهدوا ملكوت الله آتيًا وله العزة »[3] .

ونتساءل هل كان المسيح يقصد بابن الإنسان محمدًا صلى الله عليه وسلم ؟ وهل كان يقصد بملكوت الله أمة محمد التي طبقت تعاليم السماء وحكمت بشريعة الله . . . ؟

« الحق الحق أقول لكم سترون السماء منفتحة وملائكة الله صاعدين نازلين فوق ابن الإنسان »[4] .

هل ذكرت الأناجيل أن أحدًا رأى السماء منفتحة ورأى ملائكة الله نازلة وصاعدة فوق ابن الإنسان أم أن المسيح يشير في هذه الآيات إلى الملائكة التي نزلت في معركة بدر لتحارب مع المسلمين ؟

ويعد المسيح المؤمنين به بالخيرات الدنيوية وبالحقول والبيوت ، ولكن هل تحققت هذه النبوءة ؟ وهل أصبح تلاميذ المسيح من الأثرياء المرفهين حقًا ؟ أم أن ذلك حصل لأصحاب محمد الذين ملكوا الدنيا وحكموا العالم بالعدل ؟

هل كان المسيح يتكلم عن تلاميذه الذين يصفهم بضعف الإيمان به أم كان يتكلم عن المسلمين الذين آمنوا به حق الإيمان ؟ وعرفوه على حقيقته ؟ لقد شرط المسيح الإيمان به والإيمان بالبشارة[6] .

فأخذ بطرس يقول له : قد تركنا كل شيء وتبعناك .

فقال يسوع : الحق أقول لكم ، ما من أحد ترك بيتًا أو إخوة أو أخوات ، أو أمًا أو أبًا أو بنين أو حقولاً من أجلي وأجل البشارة ، إلا نال في هذه الدنيا مئة ضعف من البيوت والإخوة والأخوات والأمهات والبنين والحقول مع

---

(1) لوقا فصل : 24 : 49 .

(2) متَّى فصل : 10 : 22 .

(3) مرقس فصل : 9 : 1 .

(4) يوحنا فصل : 1 : 51 .

(5) البشارة هي بمحمد وبملكوت السموات ـ ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد .

الاضطهادات . وأما في الآخرة فينال الحياة الأبدية . وكثير من الأولين يصيرون آخرين . والآخرون يصيرون أولين »[1] .

وهنا نتساءل ويشهد معنا التاريخ هل كان لكل واحد من الرسل مئات البيوت والحقول . أم عاشوا كما تذكر كتبهم شريدين طريدين ملاحقين من السلطات .

وتنبأ المسيح بقصر المدة التي سيمكثها مع تلاميذه وبين للجمع أن الظلام والتخبط سيعقب ذهابه . وبين لهم أنه ليس بباق معهم إلى الأبد كما صرحت بذلك الشريعة .

« فقال له الجمع علمتنا الشريعة أن المسيح يبقى للأبد فكيف تقول لا بد لابن الإنسان أن يُرفع ، فمن هو ابن الإنسان هذا ؟ قال لهم يسوع : النور باقٍ معكم وقتًا قليلاً فامشوا ما دام لكم نور مخافة أن يدرككم الظلام ؛ لأن الذي يمشي في الظلام لا يدري أين يتوجه »[3] .

ويهزأ المسيح من اليهود ويسخر منهم ، ولكن كتاب الأناجيل لا يفهمون هذا بل يحسبون أن المسيح يتنبأ عن نفسه .

« فتصدى له اليهود فقالوا : أيّة آية ترينا حتى تفعل هذا ؟ فأجابهم يسوع : انقضوا هذا الهيكل أقمه في ثلاثة أيام . قال له اليهود : بني هذا الهيكل في ست وأربعين سنة فكيف تقيمه في ثلاثة أيام ؟ ولكنه كان يعني هيكل جسده . فلما قام من بين الأموات تذكر تلاميذه أنه قال ذلك . فآمنوا بالكتاب والكلمة التي قالها يسوع »[4] .

وفي هذه الفقرة لا توجد أية نبوءة لأن المسيح لم يصلب أصلاً . فكيف يقوم بعد ثلاثة أيام . ولكن المسيح يستهزىء بأولئك الذين طلبوا منه آية . وكأنه حاوٍ أو مهرج يقدم الألعاب والتسليات لمن يطلبها . لقد قام المسيح بعدة معجزات أمام جمهور ولكن كان لآياته فائدة وهي إنقاذ حياة إنسان مريض ، أعمىٰ ، أبرص ، كسيح . . أما أولئك الذين يطلبون الفرجة للمتعة والتسلية وليس للإيمان فيجب أن يكون جوابهم استهزاءٌ بهم وليس تنفيذًا لطلبهم . لذلك سخر منهم المسيح وعاجزهم وطلب منهم طلبًا لا يستطيعون تنفيذه ألا وهو هدم الهيكل . ومن منهم يجرؤ على نقض حجرة من أحجار الهيكل . وفي أجابة المسيح هذه فطنة وذكاء و إعجاز .

وقد ورد أن ميحتالا ادعى النبوة فقدمه رئيس الشرطة إلى الخليفة ليحاكمه . فقال الخليفة للمحتال : هل لك دليل أو برهان على نبوتك ؟ فقال المحتال : نعم . دعني أقطع رأس رئيس الشرطة ثم أعيده إلى مكانه سالمًا . فلمس رئيس الشرطة على رأسه وقال للمحتال : أنا أول من آمن بك ، وطلب من الخليفة إعفاء المحتال من البرهان . وهنا ضحك الخليفة . وأمر المحتال بعدم العودة إلى ادعائه .

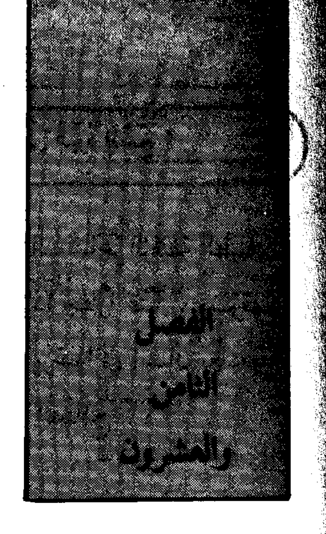
---

(1) مرقس فصل : 10 : 28 .

(2) يقصد بها الشريعة الشفوية وما يتناقله الناس من حكايات وقصص دينية .

(3) يوحنا فصل : 12 : 34 حتى 36 .

(4) يوحنا فصل : 2 : 18 .



لماذا رفض اليهود المسيح ؟

هل كان المسيح أول نبي يتآمر اليهود على قتله ؟

« الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون تبنون ، قبور الأنبياء ، وتزينون ضرائح القديسين ، وتقولون لو عشنا زمن آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قتلة الأنبياء . فجمموا أنتم مكيال آبائكم »[1] .

« أورشليم . . أورشليم . . يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين »[2] .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ * ﴾[3] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * ﴾[4] .

وفيما يلي سنورد بعض الأسباب التي أدت إلى أن ينكر اليهود المسيح عليه السلام ويتآمروا على قتله .

1 ـ كان المسيح فقيرًا يحب الفقراء والمساكين ويعتبرهم عائلته ، وكانت ملكية المسيح وثروته هي هذا الثوب البسيط الذي يرتديه والسروال الذي يلبسه لا غير .

كان المسيح متواضعًا لينًا يخدم أصحابه بدل أن يخدموه . يرشدهم إلى الحق برفق ، ويجعل من نفسه قدوة صالحة لهم . يستمع إلى الأرملة ويعطف على اليتيم ، ويشفى المرضىٰ والزّمنى . أحبه الشعب وأبغضه الكهنة والفريسيون . ابتعد عنه الاغنياء ، وتخوف منه الحكام .

لم يكن المسيح مديد القامة . مفتول العضل . ولم يكن صاحب سيف أو رمح . كان معتدل القامة رقيقًا وديعًا . ولم يكن جبارًا شقيًا . أخذ من الأغنياء الذين آمنوا به أموالهم وبرضى أنفسهم ، ووزعها على الفقراء

---

(1) متّى فصل : 23 : 29 .

(2) متّى فصل : 23 : 37 .

(3) سورة البقرة : الآية 87 .

(4) سورة آل عمران : الآية 21 .

والبائسين ، وأعان بها المحتاجين . كان إنسانًا بما تحويه هذه الكلمة من المعاني السامية ، والمشاعر الرقيقة الطيبة . وكان مرهف الحس لطيفًا ، كثير الصوم والصلاة والبكاء . كان اليهود ينتظرون ملكًا غنيًا ، ماردًا جبارًا عتيًا ، يسوقهم بالعصى . ويخضع لهم الأمم والشعوب ، ويوزع عليهم السلب والنهب ، ويقطعهم العالم . لم يرغبوا في إنسان يعلمهم الحب والإنسانية ، ويرشدهم الطريق إلى معرفة الله تعالى ، وكسب مرضاته بالعبادة والعمل الصالح .

كانوا يريدون جزارًا لا يعرف الرحمة ، ولا يحب الشفقة ، ولا يريد المساواة .

ومن الوهلة الأولى فإن المسيح لم يعجبهم فازدروه وتلاميذه بأعينهم . وأنفوا من مجالستهم والاختلاط بهم ، وقابلوهم بالاعتراض والانتقاد ، وأخذوا ينصبون لهم الشراك والحبائل ليوقعوهم ويحرجوهم .

2 ـ قام المسيح بالمعجزات الباهرة ، وأتى بالبينات الظاهرة ، فحسده رجال الدين ، وتحزبوا ضده صفًا واحدًا ، واتهموه بالسحر والشعوذة . وذكروا تحالفه مع رئيس الشياطين .

لقد كانت معجزات المسيح إحراجًا لرجال الشريعة ؛ لأنهم ما كانوا يستطيعون القيام بمثلها فأسقطت هيبتهم في نفوس العامة . وبينت حقيقتهم الزائفة ، وكشفت مظاهرهم الخادعة .

3 ـ نظم الدعوة إلى الله بشكل لم يسبق له مثيل . فقسّم تلاميذه كل اثنين مع بعضهما يدخلان القرى والمدن يبشران فيها . ويعرفان الناس بالمسيح ورسالته . وكان التلاميذ مسلحين بالقدرة التي أولاهم إياها المسيح . فشفوا الأمراض ، وطردوا الشياطين باسمه فذاع ذكره ، وتشوق الناس لمعرفته ، والتتلمذ على يديه . وسّن لتلاميذه منهاجًا صارمًا لا يحيدون عنه[1] . فأخذ الناس منهم فكرة حسنة عن المسيح . وحلّ تلاميذ المسيح محل الكهنة ورجال الشريعة التقليديين . وانصرف الناس عن الكهنة ليتعمدوا على أيدي تلاميذ المسيح النشطين . وتجدّد حقد وحسد الكهنة ليوحنا المعمدان المبشر بالتوبة الذي قُتل في ظروف غامضة . وانصبّ هذا الحقد الكامن على المسيح وتلاميذه ، وبدأت المؤامرات السرية للتخلص من هذا الخطر الداهم الجديد .

4 ـ وسمح رجال الهيكل للمسيح بالخطبة على منابرهم علّهم يوقعوه من كلامه ويقدموه للسلطة الحاكمة بتهمة التحريض أو إثارة الشغب ضد السلطة الرومانية . ولكن المسيح كان حكيمًا فأخذ يخطب بأسلوبه الجذاب ، وكلماته التي تنفذ إلى القلوب . ووجد الناس فيه روحًا جديدة ، وأملاً عظيمًا ، وتعليمًا قويمًا ، فتعلقت به القلوب والأرواح ، وانجذبوا إليه بكليتهم عقلاً ونفسًا وروحًا . كان كلام المسيح لا يشابهه كلام الخطباء والفصحاء إنه كلام النبوة الذي يدخل القلب فيحييه ، ويدخل الفكر فينميه ، ويدخل النفس فتتملىء بالإباء ، وتعشق المكرمات ، ويدخل الروح فتسبح في أعلى عليين .

كان كلام المسيح متدفقًا كالنبع الجاري ؛ حلوًا كالشهد الصافي . أما الأحبار والفريسيون فكان كلام المسيح ينزل عليهم كالصواعق المحرقة ، فيزداد سواد قلوبهم ، ويكبر حقدهم وحسدهم ، كان المسيح يعلم تعليمًا لم يعرفوه ولم يدرسوه . كان يقرأ عليهم الإنجيل الحقيقي الذي أنزله الله على قلبه . وكان يبشرهم بمحمد ـ صلى الله عليه

(1) متّى الفصل العاشر .

وسلم ـ نبي العدل والرحمة . ومن أقوال المسيح غير المذكورة في الأناجيل نقتطع ما يلي[1] :

عجبت من ثلاث أناس : طالب الدنيا والموت يطلبه ، وبأني القصور والقبر منزله ، ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه .

ابن آدم أنت عبد بطنك وشهوتك ، لا بالكثير تشبع ، ولا بالقليل تقنع ، تجمع مالك لمن لا يحمدك ، وتقدم على ربٍّ لا يعذرك .

5 ـ عندما رفض المسيح أن يكون ملكًا[2] شعر الفريسيون أن الاستعمار الروماني سوف يبقى ، وأن مصالحهم ستبقى مرتبطة بولائهم للرومان ، وأن المسيح ليس أكثر من نبيٍّ عادي لا يطمح إلى أكثر من أن يكون عظيم الأحبار وكبيرهم . وهو يدعو إلى الاستقامة والتقشف لذلك فإن مصلحتهم المادية أن لا ينجح المسيح في مسعاه وليقتل كما قتل من قبله أنبياء كثيرون .

لقد أعلن المسيح أنه ليس من نسل داود ، وكان اليهود يعتقدون أن المسيح لا بد أن يكون من نسل داود ، تجري في عروقه الدماء الملكية . والحقيقة أن اليهود كانوا ينتظرون محمدًا ليحررهم فجاءهم المسيح ليروضهم ، فلم يرضوا عنه وحاربوه .

6 ـ بشّر المسيح بنبيّ يأتي من الجنوب معلنًا بذلك انتقال النبوة من فرع إسحٰق إلى فرع إسماعيل . ومن يوجد في جنوب فلسطين غير العرب ؟ لذلك فإن اليهود حزنوا لهذه البشارة ؛ لأنهم لا يرغبون بالمشي في ركاب غيرهم ولو كانوا أبناء عمهم . ونقموا على المسيح الذي جاء يعلنها لهم صريحة ؛ لذلك تآمروا عليه ليخنقوا صوت هذه البشارة ؛ التي تعلن إفلاسهم و إقصاءهم عن القيادة الروحية للعالم .

وفيما يلي نذكر بشارتين بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وردتا على لسان المسيح . هاتان البشارتان غير موجودتين في الأناجيل المعترف بها . ولنذكر بهذه المناسبة أن هناك ما يقارب الخمسين إنجيلاً وكتابًا دينيًا ممنوعًا عند المسيحيين ، وقد جمعها فابري سيوس وطبعها في ثلاثة مجلدات .

من خطاب الله لسيدنا عيسىٰ عليه السلام قوله :

« إني مثبت هذا الأمر على يد عبدي محمد ، وأختم به الأنبياء والرسل . مولده بمكة ، ومهاجره بطيبة ، وملكه بالشام . ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق . ولا يزر بالفحش ولا قول الخنا ، اسدده لكل أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم . واجعل التقوىٰ ضميره ، والحكم مقوله ، والوفاء طبيعته ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والإسلام ملته . اسمه أحمد أهدي به بعد الضلال ،ة وأعلّم به بعد الجهالة ، واغني به بعد العاله . وأرفع به بعد الصنعة . واهدى به وافتح به آذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا . وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر إخلاصًا لاسمي ، وتصديقًا لما جاءت به الرسل . ألهمهم التسبيح والتقديس والتهليل في مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومنقلبهم ومثواهم . يصلّون لي قيامًا وقعودًا وركعًا وسجودًا . ويقاتلون في سبيلي صفوفًا وزحوفًا . قربانهم

---

(1) منقول من كتاب البداية والنهاية لابن كثير .

(2) إنجيل يوحنا فصل : 6 : 14 و 15 .

دماؤهم ، وأناجيليهم في صدورهم . رهبان بالليل ، ليوث في النهار . ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم .

ونورد فيما يلي محاورة بين المسيح وأحد الكهنة وفيها يذكر المسيح محمدًا وصفاته .

فخرج من المدينة كل أحد ، الصغير والكبير ليروا يسوع . حتى أصبحت المدينة خالية . فانذهل يسوع المسيح لما رأى الجمّ الغفير الذي غطى الأرض بالقوم وقال لتلاميذه : لعله الشيطان أحدث فتنة في اليهودية لينزع الله من الشيطان السيطرة التي له على الخطاة .

ولما قال هذا اقترب الجمهور فلما عرفوه أخذوا يصرخون : مرحبًا بك يا إلهنا . وأخذوا يسجدون له كما يسجدون لله . فتنفس يسوع الصعداء وقال :

« انصرفوا عني أيها المجانين لأني أخشى أن تفتح الأرض فاها وتبتلعني وإياكم لكلامكم الممقوت .

لذلك ارتاع الشعب وطفقوا يبكون . حينئذ رفع يسوع يده إيماء للصمت وقال :

« إنكم ضللتم ضلالاً عظيمًا أيها الإسرائيليون ، لأنكم دعوتموني إلهًا وأنا إنسان . وإني أخشى لهذا أن ينزل الله بالمدينة المقدسة وباءً شديدًا مسلمًا إياها لاستعباد الغرباء . لعُن الشيطان الذي أغراكم بهذا ألف لعنة » .

ولما قال يسوع هذا صفع وجهه بكلتا كفيه . فحدث على أثر ذلك نحيب شديد حتى إن أحدًا لم يسمع ما قاله المسيح . فرفع من ثم يده مرة أخرى إيماء للصمت . ولما هدأ نحيب القوم تكلم مرة أخرى فقال :

« أشهد أمام السماء ، وأشهد كل شيء على الأرض . أني بريء من كل ما قد قلتم . لأني إنسان مولود من امرأة فانية بشرية عرضة لحكم الله . مكابدٌ شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر ، كسائر البشر . لذلك متى جاء الله ليدين كان كلامي كحسام يخترق كل من يؤمن بأني أعظم من إنسان » .

واقترب يسوع من الكاهن باحترام ولكن هذا كان يريد السجود ليسوع فصرخ يسوع : حذار ما أنت فاعل يا كاهن الله الحي . لا تخطيء إلى الله .

أجاب الكاهن : إن اليهودية اضطربت لآياتك وتعليمك حتى يجاهرون بأنك أنت الله . فاضطررت بسبب الشعب أن آتيك إلى هنا . فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التي ثارت بسببك ، لأن فريقًا يقول : إنك الله ، وآخر يقول : إنك ابن الله ، ويقول فريق إنك نبي .

فأجاب يسوع : وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لم تخمد الفتنة ، هل جننت أنت أيضًا ؟ هل أمست النبوات وشريعة الله نسيًا منسيًا ؟ أيتها اليهودية الشقية التي ضللها الشيطان !

ثم ارتقى يسوع أحد الحجارة وقال بصوت عالٍ : ليصعد الكاهن إلى محل مرتفع حتى يتمكن من تحقيق كلامي . .

فقال له يسوع بصوت يتمكن كل واحد من سماعه :

قد كتب في عهد الله الحي وميثاقه أن ليس لإلهنا بداية ولا يكون له نهاية .

أجاب الكاهن : لقد كتب هكذا هناك .

فقال يسوع : إنه كتب هناك : إن إلهنا قد برأ كل شيء بكلمته فقط[1] .

---

(1) المزمور : 32 : 6 .

فأجاب الكاهن إنه كذلك .

فقال يسوع : إنه مكتوب هناك : إن الله لا يُرى وأنه محجوب عن عقل الإنسان ، لأنه غيرمتجسد ، وغير مركب ، وغير متغير .

فقال الكاهن : إنه لكذلك حقًا .

فقال يسوع : إنه مكتوب هناك : كيف أن سماء السموات لا تسعه لإن إلٰهنا غير محدود .

فقال الكاهن : هكذا قال النبي سليمان يا يسوع .

قال يسوع : إنه مكتوب هناك أن ليس لله حاجة لأنه لا يأكل ولا ينام ولا يعتريه نقص .

فقال الكاهن : إنه لكذلك .

قال يسوع : إنه مكتوب هناك : إن إلٰهنا في كل مكان . وأنه لا إلٰه سواه الذي يضرب ويفعل كل ما يريد .

قال الكاهن : هكذا كتب .

حينئذ رفع يسوع يديه وقال : أيها الرب إلٰهنا : هذا هو إيماني آتي به إلى دينونتك ، شاهدًا على كل من يؤمن بخلاف ذلك . ثم التفت إلى الشعب وقال :

توبوا لأنكم تعرفون خطأكم من كل ما قال الكاهن أنه مكتوب في سفر موسىٰ . عهد الله إلى الأبد فإني بشر منظور ، وكتلة من طين تمشي على الأرض ، وفانٍ كسائر البشر . و إنه كان لي بداية ، وسيكون لي نهاية . و إني لا أقتدر أن أبتدع خلق ذبابه .

ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عالٍ :

قف يا يسوع لأنه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكينًا لأمتنا .

أجاب يسوع : أنا يسوع ابن مريم من نسل إبراهيم ، بشر مائت وأخاف الله ، وأطلب أن لا يعطىٰ الإكرام والمجد إلا لله .

أجاب الكاهن : إنه مكتوب في كتاب موسى أن إلٰهنا سيرسل لنا مسيًا . الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله ، وسيأتي للعالم برحمة الله . لذلك أرجو أن تقول لنا الحق هل أنت مسيا الله الذي ننتظره .

أجاب يسوع : حقًا إن الله وعد هكذا ولكني لست هو ؛ لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي .

أجاب الكاهن : اننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس الله . لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها و إسرائيل . أن تفيدنا حبًا في الله بأية كيفية سيأتي مسيا ؟

أجاب يسوع : لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرته إني لست مسيا الذي تنتظره كل قبائل الأرض ، كما وعد الله أبانا إبراهيم ، قائلاً : بنسلك أبارك كل قبائل الأرض ، ولكن عندما يأخذني الله من هذا العالم فإن الشيطان سيثير مرة أخرىٰ هذه الفتنة الملعونة ، بأن يحمل عادم التقوىٰ على الاعتقاد بأني الله وابن الله . فيتنجس بذلك كلامي وتعاليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنًا . حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله . الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام ، وينزع من الشيطان سلطته على البشر ، وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به . وسيكون من يؤمن بكلامه مباركًا . ومع أني لست مستحقًا لأن

أحل سير حذائه فقد نلت نعمة ورحمة من الله لآراه[1] .

فقال حينئذ الكاهن . ماذا يسمى مسيا وما هي العلامة التي تعلن مجيئه .

أجاب يسوع : إن اسم مسيا عجيب ، لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي قال الله : اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم . وجما غفيرًا من الخلائق التي أهبها لك . حتى إن من يباركك يكون مباركًا ، ومن يلعنك يكون ملعونًا . ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص ، وتكون كلمتك صادقة . حتى إن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن أبدًا . إن اسمه المبارك محمد .

حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا الله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعًا لخلاص العالم .

7 ـ ندد المسيح بالفريسين والصدوقين وهاجمهم هجومًا مريرًا . مما أثارهم وأفزعهم وزعزع ثقة الناس بهم فانفضوا من حولهم ، والتفوا حوله وحول تلاميذه . وقد ذكرنا قسمًا من أقوال المسيح غير المذكورة في الأناجيل المتعارف عليها ، ونزيد هنا أيضًا لمن أراد المزيد . قال عيسى بن مريم : يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤوسكم والآخرة تحت أقدامكم . قولكم شفاء وعملكم داء . مثلكم مثل شجرة الدلفى تعجب من رآها ، وتقتل من أكلها .

وقال أيضًا : شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بعلمه .

واتهم المسيح بأن العلماء ورجال الشريعة يحملون الناس أثقالاً باهظة من الواجبات والتكاليف وهم أنفسهم لا يحركونها حتى باصبعهم ، فهم يقولون ما لا يفعلون ، ويأمرون الناس بالتقوى ولا يتقون . ويأمرونهم بالصدقة ولا يصدقون وبالصيام ولا يصومون إلا رياء وتفاخرًا . وجاء المسيح ليخدم تلاميذه ويسبقهم إلى كل مكرمة وفضل ، ويفعل الخير قبل أن يقوله وبذلك كسب ثقة الناس ومحبتهم . وما يقابلها من كراهية رجال الدين وحقدهم عليه .

8 ـ دعا المسيح الأغنياء لتفريق أموالهم على الفقراء والمحتاجين ، وطلب من رجال الدين أن يكونوا قدوة لغيرهم فيرجعوا الأموال التي استلبوها من الفقراء لتعود لأصحابها . وما أصعب تفريق المال بعد جمعه ! ثم إن المسيح ألغى الذبائح والكفارات والتقدمات مما حرم رجال الهيكل من رزقهم ، ولم يتقيد بأن يكون تلاميذه من اللاويين فألغى بهذه العملية طبقة الأحبار التقليديين ، ومكّن لكل إنسان صالح أن يكون رجل دين . بعد أن كان هذا موقوفًا على اللاويين فقط ، واعُتبر هذا العمل خرقًا فاضحًا للتقاليد اليهودية فثارت ثائرة رجال الدين ضده ، خاصة وأنهم وقفوا عاجزين أمام أعمال تلاميذه العجائبية الخارقة ، ومشاريعه الإصلاحية الخيرة .

9 ـ خاف الفريسون والأحبار على امتيازاتهم وصلاحياتهم التي خولها لهم الاستعمار الروماني ، فقد خلق الاستعمار طبقة دينية منافقه ترعى مصالحه وتثبت حكمه . لذلك كان رجال الدين صنائع الاستعمار أحرص من الرومان على مصالح الاستعمار . وكانوا أول من طالب برأس المسيح حماية لأسيادهم الذين لم يكونوا قد شعروا بعد بخطر المسيح وتلاميذه .

10 ـ من المعروف أن نسخ التوراة كانت غير منتشرة بين أيدي الناس ، وإنما كانت نسختها محفوظة في

---

(1) في الفصل 17 من إنجيل متّى . عبر الإنجيل عن محمد بإيليا . وإيليا هو الأسم الرمزي لمحمد .

الـهيكل . أما الكتبة والفريسيون فكانوا يعلـمون النـاس حسب التوجيهات التي يتلقونها من الكهنة ، وكانت هذه التعاليـم تختلف حسب الظروف . فكانت الأحكام القاسيـة تطبق على الفقراء ، والأحكام الخفيفة تطبق على الوجهاء والحكام وأصحاب النفوذ . وقد كشف الـمسيح هذه الـمتنـاقضات لـمعرفته الأصول الصحيحة للشريعة ، وذكر أن رجال الديـن أعفوا النـاس من بر الوالديـن بالتبرع بما يبرون به آباءهـم للـهيكل . وقد جاءه أحد الأشخاص لكي يقسم لـه ما ورثه . فأبىٰ الـمسيح وقال لـه : من أقامني قسامًا لكم ؟ وهذه الحادثة تشيـر إلى تلاعب رجال الديـن بنسب قسمة الـميـراث .

لقد خاف الكهنة من أن يفضح الـمسيح تلاعبهـم بنصوص الكتاب الـمقدس ، واللعب بها على هواهـم ، لذلك أرادوا بل سعوا للتخلص منه .

11 ـ أعلن الـمسيح موقف الأحبار والكتبة السلبي من يوحنـا الـمعمدان ، وعدم اتباعهـم لـه ، وهو من الأنبيـاء . ووضع عليهـم وحمَّلهـم وزر دماء جميع الأنبيـاء الذيـن قتلـهـم بنو إسرائيل . وكشف أيضًا تآمرهـم على قتلـه .

وقد شن الأحبار والفريسيون هجومهـم الأخيـر على الـمسيح ، وحشدوا لـه ما يستطيعون حشده من الأسئلة والاستفسارات والإحراجات علـهـم يوقعوه في شيء يؤخذ عليه ولكن هذا الـهجوم الحاشد باء بالفشل والخذلان ، وارتد الأحبار والفريسيون على اعقابهـم خاسئيـن لـم يـنـالوا مآربهـم ، ولم يتحقق شيء من أمنيـاتهـم ، عندها أصدروا لائحة من الاتهامات تديـن الـمسيح وتتهمه أمام الجماهيـر لتشوه سمعته أمامهـم وتنفرهـم منه . ومحور اتهام اليهود للـمسيح كان القصد منه البرهان على أنه ليس الـمسيح الـمنتظر . وهذه الاتهامات هي :

1 ـ خرق يوم السبت الـمقدس بشفاء الـمرضى فيه . وقد رد الـمسيح على هذا الاتهام وأفهـم اليهود أن السبت للإنسان وليس الإنسان للسبت .

2 ـ اتهـموه بأنه ادعىٰ إمكانة إقامـة الـهيكل خلال ثلاثة أيـام بعد هدمه . وقد ذكر الـمسيح هذا القول على سبيل السخريـة والاستهزاء من اليهود .

3 ـ اتهـموه بإبطال الكفارات والذبائح .

4 ـ أشاعوا أمام السلطة بأنه يطالب بأن يكون ملكًا وسموه ملك اليهود .

5 ـ أذاعوا أنه ادعى بأنه ابن الله .

6 ـ اتهـموه بالسحر وأنه رئيس الشيـاطيـن .

7 ـ اشاعوا أنه صديق العشاريـن والخاطئيـن وأنه يـأكل ويشرب معهـم .

8 ـ أعلن أنه ليس من أولاد داود .

9 ـ أبعد الأغنيـاء عن ملكوت السموات وقال إنهـم لن يدخلوه .

10 ـ صرح بأن النبوة ستنتقل من أولاد إسحٰق إلى أولاد إسماعيل .

11 ـ لـم يقاوم الاستعمار الروماني وقال أدوا ما لقيصر لقيصـر ، وما لله لله .

12 ـ جعل من تلامـيذه الفقراء قضاة ليديـنوا أسباط إسرائيل الاثني عشر .

13 ـ خلق طبقة جديدة من رجال الدين من غير اللاويين .

14 ـ دعا الناس للفقر وترك أموالهم للفقراء .

لقد حكم اليهود على المسيح بالموت قبل القبض عليه وقبل محاكمته كما فعل آباؤهم بالأنبياء والقديسين من قبل ، وباتوا ينتظرون الفرصة لينفذوا حكمهم الجائر .



توصيات المسيح أثناء العشاء الأخير

يعتبر العشاء الأخير أو العشاء الرباني من الأحداث الهامة في حياة المسيح ، وهو معروف في التقاليد الإسلامية والمسيحية على السواء . ويكتسب هذا الحدث أهميته في التقاليد الإسلامية ، باعتباره من المعجزات الباهرة التي قام بها المسيح والتي لا تذكرها التقاليد المسيحية ، أما أهميته في التقاليد المسيحية فهو بسبب التعاليم والوصايا الأخيرة التي أوصىٰ بها المسيح تلاميذه قبل أن يفارقهم . و إن دمج هذين التقليدين في قصة واحدة يرمز إلى أن الدين الإسلامي . يكمل الدين المسيحي . فكما قال المسيح : ما جئت لأنقض ، بل لاتمم ، فإن الإسلام : يقول ما جئت لأنقض بل لأصحح وأُكمل وأُبيّن .

تحكي التقاليد الإسلامية أن هذا العشاء كان مقصورًا على تلاميذ المسيح الاثنى عشر ، وهم حوارى المسيح المخلصون . كانوا يرافقون المسيح في حله وترحاله ، يتلقون منه ، ويقتدون به . تركوا أعمالهم وأشغالهم ، وتفرغوا للدعوة ، متخلين عن أموالهم وممتلكاتهم ، سالكين طريق الزهد والتقشف . وأحب هؤلاء التلاميذ مشاركة الناس تمتعهم بأكل حمل عيد الفصح ، ولكنهم فقراء . فكيف العمل ؟ ولم يجدوا بداً من الاستعانة بالمسيح وهو صاحب المعجزات والكرامات .

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ۝ ﴾[1] .

ويطلب المسيح من تلاميذه أن يغسلوا وجوههم وأيديهم ، ويمسحوا على رؤوسهم وأقدامهم استعدادًا للصلاة والدعاء ، معلمًا إياهم الطهارة والوضوء . ويقوم بنفسه ويصب الماء لهم معلمًا إياهم التواضع ، ولكن بطرس أدبًا مع المسيح رسول الله يرفض أن يصب المسيح الماء على قدميه فيقول له :

« لا تغسل قدميَّ بل يديَّ ورأسي »[2] .

ويتوجه المسيح إلى تلاميذه ليقول لهم :

« إن ملوك الأمم يسودونها وأصحاب السلطة فيها يريدون أن يدعوا محسنين . أما أنتم فليس الأمر فيكم كذلك

---

(1) سورة المائدة : الآيتان 112 و 113 .

(2) يوحنا فصل : 13 : 10 .

بل ليكن الأكبر فيكم كالأصغر والمترئس كالخادم »[1] .

وبعد الانتهاء من الوضوء وتطهير تلاميذ المسيح ، يرفع المسيح يديه إلى السماء داعيًا الله ومن ورائه تلاميذه قائلاً :

﴿ . . . ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[2].

ويستجيب الله الدعاء وتحدث المعجزة . ولكن الله يشترط على الحواريين شرطًا قاسيًا . وهو إشارة لما سيحدث ليهوذا الاسخريوطي .

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

وتضطرب نفس يسوع عند هذا الكلام فيقول موضحًا :

« الحق الحق أقول لكم إن واحدًا منكم سيسلمني »[4] .

« ولكن الويل لذلك الإنسان الذي يسلم ابن الإنسان ، فلو لم يولد ذلك الإنسان لكان خيرًا له »[5] .

« وبينما هم يأكلون أخذ خبزًا وباركه وكسره وناولهم وقال خذوا هذا هو جسدي »[6] .

ويطلب المسيح من تلاميذه أكل الخبز مبينًا لهم أن جسده مكوَّن من عناصر أرضية ، وأن الخبز الذي يأكله هو نفس الخبز الذي يأكلونه فهو بشر مثلهم . وقد فعل المسيح هذا حتى لا يعتبره التلاميذ أكثر من إنسان .

« ثم أخذ كأسًا وشكر وقال خذوا هذا واقتسموه بينكم »[7] .

ويشرب التلاميذ من الكأس فيسأله أحدهم : هل هذا الشراب من عصير الكرمة الذي حرمته علينا ؟[8]

فيقول المسيح : « لا أشرب من عصير الكرمة »[9] .

ويبين المسيح بأن الخمر محرم عليه كحرمة شرب الدم عند بني إسرائيل[10].

وكما أخذ الله العهد على بني إسرائيل بقوله :

---

(1) لوقا فصل : 22 : 25 و 26 .
(2) سورة المائدة : من الآية 114 .
(3) سورة المائدة : الآية 115 .
(4) يوحنا فصل : 13 : 21 .
(5) مرقس فصل : 14 : 21 .
(6) مرقس فصل : 14 : 22 .
(7) لوقا فصل : 22 : 18 .
(8) لوقا فصل : 21 : 34 .
(9) لوقا فصل : 22 : 19 .
(10) أعمال الرسل فصل : 15 : 20 . والأحبار فصل : 17 : 14 .

« والآن ان امتثلتم أوامراي ، وحفظتم عهدي ، فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب ، لأن جميع الأرض لي »[1] .

ويوضح القرآن الكريم هذا العهد على بني إسرائيل والذي دُعي فيما بعد بالعهد القديم كما يلي :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2] .

وفي حفلة العشاء الرباني يجدد المسيح العهد على تلاميذه طالبًا منهم الإيمان برسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذاكرًا لهم اسمه الصريح ، مبينًا أنه النبي الذي ذكره موسى[3] .

« أظهرت اسمك[4] للناس »[5] .

« أظهرت لهم اسمك وسأظهره لهم »[6] .

ويستبدل مترجموا الإنجيل اسم محمد الذي أظهره المسيح صراحة بالمؤيد والمخلص والمعزِّي . ونستخلص صفات محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الأناجيل من النصوص التالية :

« و إذا كنتم تحبوني حفظتم وصاياي . وأنا أسأل أبي فيهب لكم مؤيدًا[7] آخر . يبقى معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يتلقاه لأنه لا يراه ولا يعرفه . أما أنتم فتعرفونه لأنه يقيم معكم وهو فيكم »[8] .

« إذا أحبني أحد حفظ كلامي فأحبه أبي ، ونجيء إليه فنجعل لنا عنده مقامًا . ومن لا يحبني لا يحفظ كلامي . ليس كلامي من عندي بل من عند الذي أرسلني . قلت لكم هذا الكلام وأنا مقيم معكم ، ولكن المؤيد روح القدس يرسله الأب باسمي(*) فيعلمكم جميع الأشياء ، ويذكركم جميع الأشياء ، ويذكركم جميع ما قلته لكم . أنبأتكم بهذا الأمر قبل حدوثه حتى إذا حدث تؤمنون . لن أخاطبكم بعد ذل ؛ لأن سيد هذا العالم[9] آت »[10].

« ومتى جاء المؤيد الذي أرسله إليكم من لدن أبي . روح الحق المنبثق من الأب فهو يشهد لي . وأنتم أيضًا

---

(1) سفر الخروج فصل : 19 : 5 .

(2) سورة المائدة : الآية 12 .

(3) سفر تثنية الاشتراع فصل : 18 : 18 .

(4) أظهر المسيح اسم محمد وبشر بأحمد . ولا يمكن رد الضمير على الله ، لأن اسم الله معروف . وتسمية الله بالأب خطأ . لأنه لم يلد ولم يولد .

(5) يوحنا فصل : 17 : 6 .

(6) يوحنا فصل : 17 : 26 .

(7) مؤيدًا آخر تعني نبيًا آخر . ويقصد به محمد صلى الله عليه وسلم .

(8) يوحنا فصل : 14 : 15 .

(9) سيد العالم في زمن المسيح هو المسيح ذاته وسيد العالم الآتي هو محمد .

(10) يوحنا فصل : 14 : من 23 حتى 30 .

(11) اسم المسيح هو عيسى بن مريم والمسيحيون يسمونه يسوع .

ستشهدون لأنكم معي منذ بدء أمري »[1] .

« لم أنبئكم منذ البداية لأني كنت معكم . أما الآن فإني ذاهب إلى الذي أرسلني . أنبأتكم بهذا فملأ الحزن قلوبكم غير أني أقول لكم الحق من الخير لكم أن أمضى فإن لم أمضِ لا يأتكم المؤيد ، أما إذا مضيت فأرسله لكم . ومتى جاء أخزى العالم على الخطيئة والبر والحكم .

أما على الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي .

وأما على البر فلأني ذاهب إلى الأب فلن تروني .

وأما على الحكم فلأن سيد هذا العالم قد حكم عليه .

« لا يزال لديَّ أشياء أقولها لكم . ولكنكم لا تطيقون الآن حملها . فمتى جاء روح الحق أرشدكم إلى الحق كله . لأنه لا يتكلم بشيء من عنده بل يتكلم بما يسمع ، وينبئكم بما يحدث ، سيمجدني لأنه يأخذ مما لي ما يطلعكم عليه »[2] .

ويقول مفسروا الأناجيل : إن المقصود بالمؤيد هو روح القدس جبريل عليه السلام ، أما المسلمون فيرفضون هذا التفسير ، ويقولون إن المقصود بالمؤيد هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأسباب التالية :

1 ـ إن كلمة بيروكلاتيوس الموجودة في النص اليوناني والتي تنتهي بحرف السين دلالة على أنها اسم لشخص تعني كلمة أحمد . وقد ادعىٰ بعض الأشخاص أنهم المقصودون بهذه التسمية . منهم : منتس .

2 ـ إن كلمة روح الحق وروح الله وروح القدس المذكورة في النصوص السابقة تعني النبيَّ الصادق وهي مقابل كلمة روح الضلال التي تعني النبيّ الكاذب . وقد أورد القديس يوحنا هذين المعنيين في رسالته الأولىٰ .

« أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح . هل هي من الله ؟ لأن الأنبياء الكذبة كثيرون وقد خرجوا إلى العالم . وبهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف بأن يسوع المسيح كان من الجنس البشري فهو من الله . وكل روح يجحد أن المسيح كان من الجنس البشري فليس من الله »[3] .

« أما نحن فتبعيتنا لله . وكل من يعرف الله يستمع لنا . وأما أولئك الذين تبعيتهم لغير الله فلا يستمعون إلينا وبذلك نفرّق بين روح الحق وروح الضلال »[4] .

3 ـ انتظار أهل الكتاب ـ اليهود والنصارىٰ ـ خروج نبي في زمن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أقرَّ بذلك كثيرون منهم : هرقل ـ النجاشي ـ المقوقس ـ الجارود بن العلاء ـ(أسقف نجران) ، مما يدل على أن هذه الفقرات تتكلم عن نبيٍّ يأتي بعد المسيح .

4 ـ فيهب لكم مؤيدًا آخر تعني فيهب لكم نبيًا آخر . ولا يمكن أن نفسر هذه الجملة فيهب لكم روحًا قدسًا آخر . « لأن الروح القدس ـ جبريل ـ الأقنوم الثالث » .

---

(1) يوحنا فصل : 15 : 26 .

(2) يوحنا فصل : 16 : من 5 حتى 14 .

(3) رسالة يوحنا الأولىٰ فصل : 4 : 1 حتى 3 .

(4) رسالة يوحنا الأولىٰ فصل : 4 : 6 .

لا يوجد له آخر مشابه له . أما الأنبياء فعديدون . و إن بقاء القرآن الكريم محفوظًا من العبث والتحريف هو بمثابة بقاء النبيِّ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أمته إلى الأبد .

5 ـ إن نزول الروح القدس في اليوم الخمسين كان قريب العهد من صعود المسيح ، ولم يكن التلاميذ قد نسوا شيئًا مما قاله لهم المسيح ، لذلك لم يذكّرهم الروح القدس بشيء أما محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد وضح في القرآن الكريم أشياءً كثيرة قد نسيها المسيحيون .

6 ـ كان الروح القدس موجودًا أثناء حياة المسيح ، أما محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن مجيئه كان معلقًا بذهاب المسيح « فإن لم أمض لا يأتيكم المؤيد » .

7 ـ يقول المسيح أنبأتكم بهذا الأمر قبل حدوثه حتى إذا حدث تؤمنون . فبماذا يؤمن التلاميذ ؟ أليس بمحمد صلى الله عليه وسلم . كان التلاميذ في حياة المسيح مؤمنين به ، ومؤمنين بالروح القدس . لذلك لم يطلب منهم المسيح الإيمان بشيء هم مؤمنون به . بل طلب منهم الإيمان بمحمد ومتابعته ونصرته عند مجيئه . وقد فعل بعضهم ذلك وهم نصارى الشام ومصر[1] .

8 ـ وقول المسيح يرسله الأب باسمي . تنطبق على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه بيّن أن اسم المسيح هو عيسى بن مريم . وهو خلاف ما يدعيه النصارىٰ بأنه يسوع ابن يوسف النجار .

9 ـ وقوله يعلمكم جميع الأشياء تعني الأحكام الشرعية الصحيحة ، ويفصل في الخلافات القائمة بين اليهود والنصارى وبين فرق النصارى . ويردّ جميع الأشياء إلى أصلها . وهذا ما قام به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فشريعته هي خلاصة الشرائع السماوية السابقة .

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ . . . ﴾[2] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم . . . ﴾[3] .

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۞ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ ﴾[4] .

10 ـ وقوله قد يشهد لي ، تعني أنه يشهد برسالة المسيح ، وبعدم صلبه وبطهارة أمه . أما الروح القدس فلم يظهر سوى للتلاميذ وهم بغير حاجة إذ أنهم يشهدون معه لأنهم مطلعون على حقيقة المسيح منذ البداية . أما

---

(1) وهم الأريسيون والألبانيون .

(2) سورة الشورىٰ : من الآية 13 .

(3) سورة النساء : من الآية 47 .

(4) سورة المائدة : من الآيات 14 إلى 16 .

محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أدى شهادته في المسيح وهي مدونة في القرآن الكريم[1] .

11 ـ لم يوبخ الروح القدس ـ جبريل ـ أحدًا من التلاميذ أو يخزيهم ولم يوبّخ غيرهم من العالم على الخطيئة والبر والحكم ، أما محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد وبخ النصارى .

1 ـ عدم إيمان المسيحيين بالمسيح كنبي و إنما اعتبروه إلـهًا على عادة اليونان .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ[2] إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ[3] وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ[4] ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ ﴾[5] .

وقد اعتبر القديس يوحنا أن الخطيئة هي مخالفة الشريعة .

« كل من يعمل الخطيئة يخالف الشريعة . والخطيئة إنما هي مخالفة الشريعة »[6] .

والمسيحيون لم يؤمنوا بالمسيح كما ذكر هو بنفسه[7] ، ولم يطبقوا الشريعة ، بل ألغوها واعتبروا إلغاءها دليل الإيمان الصحيح بالمسيح[8] . واعتبروا مطبقها مرتدًا إلى اليهودية .

2 ـ وأما البر وهو العمل الصالح الذي وبخهم وأخزاهم عليه محمد صلى الله عليه وسلم فهو الرهبانية . التي انحرفت عن الأهداف التي أنشئت من أجلها .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ۞ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ۞ ﴾[9] .

3 ـ وأما الحكم فهو حكم المسيحيين على المسيح بالصلب ، و إن كان الله قد أنجى المسيح من هذا المصير المخزي ، ولكن المسيحيين يصرون على أن المسيح قد صلب فداءً للخطيئة الأصلية ، و إذا لم يتم

---

(1) انظر سورتي مريم وآل عمران وغيرهما من السور كالمائدة.

(2) يوحنا فصل : 20 : 18 .

(3) متّى فصل : 4 : 10 ، ومرقس فصل : 12 : 30 .

(4) لوقا فصل : 5 : 27 .

(5) سورة المائدة : من الآيات 72 حتى 75 .

(6) رسالة يوحنا فصل : 3 : 4 .

(7) يوحنا : 16 : 9 .

(8) رسالة بولس إلى أهل غلاطية فصل : 3 : 24 و 25 .

(9) سورة الحديد : الآيتان 26 و 27 .

الصلب فلا مصالحه مع الله ، لذلك يرفض المسيحيون فكرة صلب يهوذا الاسخريوطي بدل المسيح . وقد اعتبر المسيح نفسه سيد هذا العالم . فقال وأما على الحكم فلأن سيد هذا العالم قد حكم عليه . ولكن المسيحيين يعتبرون أن الشيطان هو سيد هذا العالم . وهنا يحتار المرء عندما يتساءل .

من هو سيد العالم ؟

من هو الذي حكم عليه ؟

فإذا قلنا إن الشيطان هو سيد هذا العالم ، فإن الذي حُكِمَ عليه هو المسيح[1] .

و إذا قلنا إن الشيطان هو الذي حكم عليه ، فلنا أن نتساءل من الذي حكم على الشيطان ؟

وما هو الحكم الذي تلقاه الشيطان ؟ ومن الذي نفذ الحكم عليه ؟

ولنستعرض أقوال المسيح والمناسبات التي ذكر فيها كلمة سيد هذا العالم ؟

« الآن نفسي قلقة . فماذا أقول ؟ »[2] .

واليوم ينبذ سيِّد هذا العالم.

قال المسيح هذه الكلمات لِيُفْهِمَ الجماهير أنه ذاهب من هذا العالم . وكلمة النبذ تعني الابتعاد والتخلي عنه . فهل كان المسيح يعني أن الناس سينبذون الشيطان أم سينبذونه ؟

وقد أشار المسيح إلى ابتعاده هو بقوله : « لا بد لابن الإنسان أن يُرفع »[4] .

« لن أخاطبكم بعد ذلك لأن سيد هذا العالم آتٍ »[5] .

وهنا فإن المسيح يقصد بسيد العالم المؤيد الآخر الذي سيرسله . أي محمد صلى الله عليه وسلم ، محمد سيد الكونين والثقلين ، خير الفريقين من عرب ومن عجم .

وقد أطلق القرآن على يحيىٰ (يوحنا المعمدان)/ لقب سيد ، وأطلق لقب كلمة الله على المسيح .

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * ﴾[6] .

12 ـ ويشرح المسيح لتلاميذه أنه لم يقل لهم كل شيء ، بل إن هناك أشياء كثيرة سيأتي محمد صلى الله عليه وسلم ليبينها لهم . وأعطى دلالة قوية على أن محمدًا لا يقول بشيء من رأيه ، بل يقول ما يسمع من الوحي . فأقوال محمد ليست اجتهادًا شخصيًا بل وحيًا إلٰهيًّا .

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

---

(1) متّى فصل : 27 : 35 .

(2) يوحنا فصل : 12 : 27 .

(3) يوحنا فصل : 12 : 31 .

(4) يوحنا فصل : 12 : 34 .

(5) يوحنا فصل : 14 : 30 .

(6) سورة آل عمران : الآية 39 .

وَأَطِيعُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ * ﴾[1] .

والقرآن الكريم وهو آخر الكتب السماوية ، يبين وجه الصواب في الخلافات التي كانت سببًا في تعدد الفرق المسيحية واليهودية .

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * ﴾[2] .

لقد ندد المسيح بالأحبار والفريسيين ، وانتقد تصرفاتهم ، ولكنه لم يتطرق إلى تاريخ بني إسرائيل ، ولم يكشف مخازيهم التي ارتكبوها عبر العصور والأيام . ذلك لأن تعرّض المسيح أو تلاميذ المسيح للتراث اليهودي سيعرضهم لهجوم العامة بالإضافة إلى ما يكيده لهم الأحبار ورجال الحكم . وهذا ما لا يستطيعون تحمله . أما محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كشف القناع ، وأظهر حقيقة النفسية اليهودية الشريرة المتعالية . وسرد القرآن الكريم مخازي اليهودية إبتداء بما فعله بنو إسرائيل بأخيهم يوسف ، ومرورًا بتآمرهم على المسيح ومحاولتهم صلبه . وانتهاء بمحاولتهم اغتيال النبيَّ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد لا يعرف كثير من المسلمين أن امرأة يهودية دست السم في طعام قدمته هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان هذا السم سريع المفعول[3] . ولكن الله نجىٰ رسوله حتىٰ أكمل رسالته وأتمها .

وفي ليلة العشاء الرباني بين المسيح أن التلاميذ سيشكون في شخصه .

« فقال يسوع ستشكون فيَّ بأجمعكم هذه الليلة »[4] .

وأوضح لهم أنهم لن يتعرفوا على شخصه في البداية . ولكنه طمأنهم « سمعتم قولي : أنا ذاهب وسأرجع إليكم فلا تضطرب قلوبكم ولا تفزع »[5] .

إن حزن التلاميذ سيتبدل بالفرح بعد معرفتهم أن الذي صلب هو غير المسيح .

« بعد قليل لا ترونني ثم بعد قليل ترونني . الحق الحق أقول لكم : ستبكون وأما العالم فيفرح ، ستحزنون ولكن حزنكم سيتبدل فرحًا »[6] .

لقد كان التلاميذ يغطون في نوم عميق ساعة أخذ اليهود يهوذا الاسخريوطي ، وعندما استيقظوا على الجلبة والضوضاء . أسلم كلٌ منهم ساقيه للريح ولم يتوقف ليتبين حقيقة الأمر . ولما لم يجدوا المسيح ، وسمعوا بأن اليهود قد قبضوا عليه حزنوا كثيرًا وشكوا في الأمر ؛ لأن المسيح أنبأهم بأنهم سوف يرونه . ولكن كيف ؟ لقد وعدهم الالتقاء في الجليل[7] .

---

(7) سورة الزخرف : الآيات 63 و 64 و 65 .

(1) سورة النحل : الآية 64 .

(2) من أثر ذلك السم مات أحد الصحابة فور تناوله لقمة واحدة من هذا الطعام .

(3) متّى فصل : 26 : 31 .

(4) يوحنا فصل : 14 : 27 و 28 .

(5) يوحنا فصل : 16 : 19 و 20 .

(6) مرقس فصل : 14 : 28 ـ 29 .

وفي ليلة العشاء الرباني يتكلم المسيح عن الواحد . ويقصد به الجزء الذي لا ينقسم فالله والمؤمنون والمسيح يشكلون وحدة مترابطة برباط الحب المقدس .

« فليكونوا بأجمعهم واحدًا . وكما أنت فيَّ أيها الأب وأنا فيك وكذلك فليكونوا فينا واحدًا ليؤمن العالم بأنك أنت الذي أرسلتني »[1] .

ويشرح المسيح أن هذه الوحدة هي البرهان المادي المحسوس على أن المسيح هو رسول الله .

« ليكونوا واحدًا كما نحن واحد أنا فيهم وأنت فيَّ . لتكون وحدتهم كاملة . ويعرف العالم أنك أنت الذي أرسلتني وأني أحببتهم كما أحببتني »[2] .

وأما رباط هذه الوحدة وموثقها فهو المحبة والدليل عليها هو حفظ الوصايا .

« إليكم وصية جديدة . فليحب بعضكم بعضًا . وليكن حب بعضكم لبعض كما أنا أحببتكم . ويعرف الناس جميعًا أنكم تلاميذي . إذا أحب بعضكم بعضًا »[3] .

« من تلقىٰ وصاياي وحفظها أحبني ومن أحبني أحبه أبي »[4] .

« إذا حفظتم وصاياي تستقرون في محبتي كما حفظت وصايا أبي واستقرت في محبته »[5] .

ويشبه المسيح نفسه بالكرمة ، ويشبه التلاميذ بالاغصان معلنًا أن الغصن الذي يقطع من الكرمة فإنه يموت ويطرح في النار فيشتعل . وحتى يثبت الغصن ويبقىٰ أخضر طريا على التلميذ أن يحفظ الوصايا ولا يخالفها ، وأهم هذه الوصايا بعد الإيمان بالله الواحد هو الإيمان بالمؤيد الذي سيشهد[6] للمسيح » .

« أنا الكرمة الحق ، وأبي هو الكرام ، كل غصن مني لا يثمر يقطعه »[7] .

« وكما أن الغصن لا يثمر إلا إذا استقر في الكرمة ، فكذلك أنتم إذا لم تستقروا فيَّ لا تثمرون . أنا الكرمة وأنتم الأغصان ، فمن استقر واستقررت فيه فذاك الذي يثمر ثمرًا كثيرًا ، لأنكم إذا انفصلتم عني لا تستطيعون أن تعملوا شيئًا »[8] .

وفي مقابل الوحدة التي تجمع بين الله والمؤمنين ، فإن هناك وحدة تجمع بين الكفار والشياطين . وكما دعى المسيح الله أبًا للمؤمنين ، فإنه يدعو الشيطان أبًا للمارقين عن الدين .

« فقال لهم يسوع : لو كنتم أبناء إبراهيم لعملتم أعمال إبراهيم . ولكنكم تريدون قتلي . أنا الذي قال لكم الحق الذي سمعه من الله ، وهذا لم يفعله إبراهيم . أنتم تعملون أعمال أبيكم قالوا : نحن لم نولد لزنية ولا أب لنا

---

(1) يوحنا فصل : 17 : 21 .

(2) يوحنا فصل : 17 : 23 .

(3) يوحنا فصل : 13 : 34 .

(4) يوحنا فصل : 20 : 21 .

(5) يوحنا فصل : 15 : 10 .

(6) يوحنا فصل : 15 : 26 .

(7) يوحنا فصل : 15 : 1 .

(8) يوحنا فصل : 15 : 5 .

إلا الله حده . فقال لهم يسوع : لو كان الله أباكم لأحببتموني ، لأني من الله خرجت وأتيت . وما أتيت من نفسي بل هو الذي أرسلني . لماذا لا تفهمون أقوالي ؟ لأنكم لا تريدون سماع كلامي ؛ إنكم أولاد أبيكم إبليس . وأنتم تريدون إتمام شهوة أبيكم . كان عند البدء مهلكًا للناس . لم يثبت على الحق فإذا نطق بالكذب نضح بما فيه لأنه كذاب وأبو الكذب »[1] .

وكما أن هناك تداخلاً واستقرارًا بين المسيح وتلاميذه ، كذلك الأمر فإن هناك تداخلاً واستقرارًا بين الشيطان وأتباعه .

« فدخل الشيطان في يهوذا الذي يلقب بالاسخريوطي . وهو من جماعة الاثنى عشر . فمضى وفاوض الأحبار »[2] .

« ثم غمس لقمة ورفعها وناول يهوذا بن سمعان الاسخريوطي ، فدخل الشيطان فيه بعد اللقمة »[3] .

ومن هذه النصوص وما قبلها نلمح الحلول بشكل واضح . فالله يحل في المسيح وقد ذكرنا في فصل سابق أن الأديان السماوية ترفض فكرة الحلول ، وذلك لإيمانها بالبعث يوم الحساب والدينوية . وعندما تحل روحٌ ما في جسد فهل يحاسب صاحب الجسد على ما تأمره الروح الحال به ؟ إن موضوع الحلول ينفي حرية الإنسان في اختيار الطريق الذي يريد أن يسلكه . وقصص الأناجيل تبين أن الشياطين التي كانت تسكن أجساد الممسوسين كانت تتصرف خلاف إرادة الإنسان . وعندما يشفي المسيح إنسانًا ويطرد منه الشيطان ، أو جحفل الشياطين كما مرَّ معنا ، عندها فإن سلوك الإنسان المشفي يتغير ويعود الإنسان إلى حالته الطبيعية وتصرفاته المعقولة .

وكان الفريسيون يتهمون المسيح بأنه من عملاء الشيطان .

« وسمع الفريسيون كلامهم فقالوا : إنما هذا يطرد الشياطين ببعل زبول سيد الشياطين ، فعلم يسوع أفكارهم فقال لهم : كل مملكة تنقسم تخرب ، وكل مدينة أو بيت ينقسم لا يثبت ، فإن كان الشيطان يطرد الشيطان فقد انقسم فكيف نثبته مملكته . و إن كنت ببعل زبول أطرد الشياطين فبمن يطرده أبناؤكم ؟ »[4] .

ويبين المسيح أنه رسول الله وأنه يقول ما يأمره به الله .

« ليس كلامي من عندي بل من عند الذي أرسلني »[5] .

لقد كان إيمان التلاميذ راسخًا بأن المسيح رسول من الله تعالى . ويشهد المسيح على إيمان تلاميذه .

« وآمنوا بأنك أنت ترسلني »[6] .

---

(1) يوحنا فصل : 8 : 40 وما بعدها .

2 ـ لوقا فصل : 22 : 3 .

(3) يوحنا فصل : 13 : 26 .

(4) متَّى فصل : 12 : 24 حتى 27 .

(5) يوحنا فصل : 14 : 24 .

(6) يوحنا فصل : 17 : 8 .

ويرفض الإسلام مبدأ الحلول أو الاتحاد . ويعبر عن الرابطة بين الله والمؤمنين بصيغة نفهم منها تبعية المؤمنين لله وليس تساويهم .

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۞ ﴾[1] .

وفي مقابل حزب الله فإن هناك حزب الشيطان وهم الكاذبون الحالفون على الكذب .

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۞ ﴾[2] .

إن دخول تعابير الفلسفة اليونانية في صياغة الأناجيل بعد ترجمتها للّغة اليونانية التي كانت سائدة في عصر المسيح وما بعده أدت إلى تغيير جذري في المباديء التي نادى بها المسيح . و إن المساعي التي قام بها كتاب الأناجيل لرفع المسيح إلى مستوىٰ الألوهية لينافس آلهة اليونان هي السبب في اضطراب عقيدة التوحيد المسيحية ودخولها في متاهات وتعقيدات لم يتمكن رجال الدين المسيحي من حلها حتى اليوم . بل أدت إلى مزيد من الانقسامات ، ومزيد من الفرق المتنازعة والمتخاصمة بل والمضطهدة لبعضها البعض ، وليس أدل على ذلك من تغلغل الثقافة اليونانية وسيطرتها على الأفكار والنفوس في عهد المسيح من نجاح الشاعر فرجيل[3] بعد كتابته الانيادة . والتي تعتبر تتمة للإلياذة التي كتبها الشاعر اليوناني هوميروس قبله بعشرة قرون .

فالإله في الفلسفة اليونانية هو أبو البشر وأبو الآلهة أيضًا . وحتى يؤمن اليونانيون والرومان بالمسيح أدخل كتاب الأناجيل فكرة حلول جسد المسيح . في أجساد المؤمنين به ليتأله كل مؤمن بالمسيح وبهذه الفكرة البعيدة عن روح المسيحية كسب دعاة المسيحية أنصارًا عديدين . وكان هذا الكسب الكمي على حساب نفور اليهود من هذه التعاليم الجديدة البعيدة عن الروح اليهودية بل والمعاكسة لها تمامًا . ونتج عن ذلك صراع عنيف بين اليهود المتنصرين واليونان المتنصرين ، وانتهت الجولة بانتصار الحزب اليوناني ، و إقصاء الحزب اليهودي المتنصر بعيدًا عن مراكز الحكم والتأثير الفكري . وانزوت هذه الفرقة منكمشة على نفسها حتى جاءها الفرج والتحقت بملكوت السموات الذي بشر به المسيح .

ونختم هذا الفصل بالكلام عن الوحدة بين الذكر والانثىٰ بسبب الزواج . لمناسبة موضوع الاتحاد بين الله والمسيح والمؤمنين .

« أما قرأتم أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكرًا وأنثى ، وقال لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم إمرأته فيصير الاثنان جسدًا واحدًا ـ فلا يكونان اثنين بل جسدًا واحدًا . لا يفرقن الإنسان ما جمعه الله »[4] .

---

(1) سورة المائدة : الآيتان 55 و 56 .

(2) سورة المجادلة : الآية 19 .

(3) يعتبر فرجيل شاعر الرومان الأول .

(4) متّى فصل : 19 : 5 .

وفي هذا النص نتعرض لموضوع الزواج والطلاق ونبحث في موضوع الجسد الواحد هل حقًا يصبح الزوجان جسدًا واحدًا ؟

وفي النسخة الإنكليزية : (يصبح الزوجان واحدًا) . وهذا التعبير مقبول أكثر من القول : (يصبح الزوجان جسدًا واحدًا) . لمنافاه التعبير الأخير الحقيقة والمنطق .

وطلبُ المسيح من تلاميذه عدم السماح بالتفريق من الزوجين بدعوى أن الله جمعهما . معاكس لما جاء في كتاب العهد القديم إذ يذكر كتاب العهد القديم أن الله فرّق بين آدم وحواء بعد أن كانا جسدًا واحدًا فأصبحا جسدين . ويقصد الله من هذا العمل هو ايجاد عون يساعد آدم . والمنطق يفرض أن يترك الإنسان زوجته إذا لم تكن له عونًا على مصاعب الحياة ويبحث عن غيرها تحقق المقصود والغاية التي من أجلها خلق الله حواء كما يذكر كتاب العهد القديم .

« وأما آدم فلم يوجد عون بإزائه فأوقع الرب الإله سباتًا على آدم فنام فإستل أحد أضلاعه وسد مكانها بلحم . وبنىٰ الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة فأتى بها آدم »[1] .

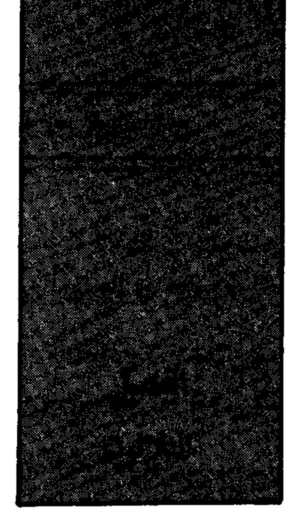
وما أجمل القرآن عندما يتكلم عن هذا الموضوع فيجعل الرباط بين الزوجين المودة والرحمة واطمئنان النفس .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] .

---

(1) سفر تكوين فصل : 2 : 20 و 21 و 22 .

(2) سورة الروم : الآية 21 .



عقيدة العذراء وسر القربان المقدس

ما هي خطيئة آدم الأصلية ؟

هل تاب منها فعفا الله عنه ؟ أم أن الله لا زال غاضبًا عليه ؟

هل يتحمل أولاد آدم وزر خطيئة أبيهم آدم ؟

أيهما أعظم قتل قابيل أخاه هابيل أم معصية آدم ؟

« فقال قابيل للرب ذنبي أعظم من أن يغفر »[1] .

وهنا يتحدث قابيل عن الذنب وعن المغفرة دليلاً على أن آدم علم أولاده أن لكل ذنب مغفرة . وأن التوبة تمحو الذنوب . هل يتحمل أولاد قابيل وزر جريرة أبيهم ؟

« وبارك الله نوحًا وأولاده »[2] .

هل المباركة دليل الرضىٰ والمحبة ؟ أو دليل السخط والغضب ؟

وجاء الأنبياء والمرسلون ليبينوا أن هناك حياةً بعد الموت . وأن هناك حسابًا لكل إنسان على أعماله السابقة . والتي سيجازىٰ عليها إن خيرًا فخير و إن شرًا فشر .

« والمولودون من المضجع الأثيم يشهدون بفاحشة والديهم عند استنطاقهم . أما الصدّيق فإنه و إن تعجله الموت يستقر في الراحة »[3] .

« كذا قال الخطاة في الجحيم لأن رجاء المنافق كغبار تذهب به الريح ، وكزبد رقيق تطارده الزوبعة ، وكدخان تبدده الريح ، وكذلك ضيف نزل يومًا ثم ارتحل . أما الصديقون فسيحيون إلى الأبد ، وعند الرب ثوابهم ، ولهم عناية من لدن العلي »[4] .

ونقتبس بعض الأفكار المذكورة في الرؤيا الثالثة من كتاب الاسدوراس الثاني ، الفصل السابع ، لنعرف ما

---

(1) سفر التكوين فصل : 4 : 13 .

(2) سفر التكوين فصل : 9 : 1 .

(3) سفر الحكمة فصل : 4 : 7 .

(4) سفر الحكمة فصل : 5 : 14 .

(5) الأسدوراس : جزء من الأبوكريفا الملحقة بالعهد القديم.

يحل بروح الإنسان بعد مغادرتها جسده بعد الموت حسب اعتقاد معاصري المسيح .

« عندئذ قلت[1] هل تشرح لي يا سيدي ما سيحدث لأرواحنا بعد الموت ؟ هل ستبقىٰ أرواحنا في هدوء وراحة حتى يأتي يوم القيامة ونُخلق مرة ثانية ؟ أم أن هناك عذابًا ينتظرنا فور موتنا ؟

أجاب[2] : سأوضح لك ولكن لا تدخل نفسك ضمن أولئك الذين سيذوقون العذاب بسبب قلة إيمانهم . لأن لك أعمالاً صالحة مدخرة عند الله تعالىٰ .

وجوابًا على سؤالك أقول : عندما يقرر الله أن أجل الإنسان قد حان ، فإن المنية لا تخطئه ، وحينذاك فإن الروح تفارق الجسد لتعود إلى بارئها مطيعة لأمر الله تعالىٰ .

ولنتكلم أولاً عن أولئك الذين يئسوا من رحمة الله تعالىٰ وكرهوا عباده الصالحين . إن أرواحهم لا تعرف الراحة والاستقرار في مكان معيَّن ، بل هي ضالة مشردة معذبة حائرة مكروبة وحزينة . لا تهتدي سواء السبيل ، ولا تعرف الصراط المستقيم.سُدّت في وجه أصحابها أبواب التوبة بعد الموت، فلايستطيعونها ولا يفيدهم الندم،وهم يرون ما ادّخر الله من الثواب لعباده الصالحين أصحاب اليقين ، المحافظين على أحكام الشريعة .كما يرون ما أُعِدَّ لهم من عذاب الخزي يوم القيامة ، وهم متأكدون أن هذا اليوم قريب ، وأن العذاب أليم . وعندما يمثلون أمام الله تعالىٰ فإنهم يشعرون بالخزى والعار ، ويخجلون من آثامهم وذنوبهم التي اقترفوها في الحياة الدنيا ، والآن هم أمام الدّيان ليحكم عليهم بالعدل ، ويجازيهم أسوءَ الذي كانوا يعملون .

أما أرواح عباد الله الصالحين ، فإنها تغادر أجسادهم الفانية إلى حضرة الله تعالىٰ ، وقد زال عنهم التعب والنصب اللذين لاقوهما في الحياة الدنيا . لقد ناضلوا بشدة إغواءات الشيطان وانتصروا على دوافع الشر الكامنة في النفس الإنسانية وتشردها وخوفها من العذاب الذي ينتظرها . وتجتمع أرواح المؤمنين مع بعضها تحف بهم الملائكة من كل جانب وهم مسرورون بخلاصهم من هذا العالم المليء بالفساد والشر . لقد تحرروا من هذا العالم الضيق المليء بالمشاكل ، وانطلقوا في عالم رحب فسيح ينتظرون ما أعد الله لهم من جزيل الثواب ، وكثير العطايا ، ويطفح النور من وجوههم ، فيتألقون كالشمس وتكتمل فرحتهم عندما يلاقون وجه ربهم فيشعرون بالسعادة اللانهائية . إنهم ينالون جزاء أعمالهم الصالحة ، وتقواهم الصادقة ، وعبادتهم المستمرة .

بعدها سألت : هل يستطيع عباد الله الصالحون الشفاعة لآبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو أصدقائهم ؟

أجاب : إن الأحكام التي تصدر عن الله يوم القيامة هي واضحة صريحة ونهائية . ولا تنفع المجرمين هناك شفاعة الشافعين . وسيلاقي الإنسان هناك جزاء أعماله فيعاقب مستحق العقوبة ومرتكب الذنوب والآثام غير المرتجي عفو الله ، ويثاب المؤمن التائب المستغفر حسب أعماله الصالحة التي قدمها في الحياة الدنيا .

أجبت : ولكن الله قَبِلَ شفاعة أنبيائه في أقوامهم في الحياة الدنيا ، ورد عن مسيئهم العذاب بدعاء أنبيائهم

---

(1) القائل هو عزرا أو العزير ويدعى أيضًا شالثيل .

(2) المجيب هو أحد الملائكة .

وصالحيهم . فلماذا لا يكون مثل هذا في اليوم الآخر ؟

قال الملاك : إن الأحكام في الحياة الدنيا ليست نهائية . والحكم النهائي هو في اليوم الآخر ، وأن الله يذيق بعض الناس من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون عن ذنوبهم ويتوبون . ويقبل الله شفاعة الأنبياء لإعطاء المسيئين فرصة علهم يتوبون إلى رشدهم ، ويسلكون الطريق المستقيم بعد رؤيتهم ما حل بغيرهم جزاء إساءتهم . وفي الآخرة حيث تكتمل نفس المؤمن يتلاشىٰ الفساد ، وتنتهي الخيانة ، وتختفي الأنانية وحب الذات ، ولا يقدر أحد إلحاق الأذىٰ بمن قبلهم الله ورضى عنهم ، ولا أحد يشفع بأولئك الذين غضب الله عليهم وأدانهم .

وحدثتني نفسي : ألم يكن من الأفضل لو أن آدم لم يخلق أبدًا ؟ أو لو أن آدم خلق وهو غير قادر على ارتكاب الأثم واقتراف المعصية ؟

ما الخير في حياة مليئة بالمآسي تعقبها حياة أخرىٰ فيها العقوبة ؟

آه يا آدم لست وحدك الذي أخطأ فطُرِدَ من الجنة ، بل نحن أيضًا أبناؤك بنو إسرائيل أُجلينا عن ديارنا بسبب معصيتنا وآثامنا .

ما فائدة تمني حياة الخلد في الآخرة لشعب غضب الله عليه ؟ لقد ابتعدنا عن أحكام الله ونبذنا شرعه بعيدًا عنا ؟

ما قيمة الجنة ونعيمها وما نفع لذيذ ثمارها لقوم لن يدخلوها ؟

وأخيرًا ، هل خطر ببال مرتكبي الإثم ما سيحل بهم في اليوم الآخر من العذاب والألم ؟

واستطرد الملاك قائلاً : إن الغاية من وجود آدم وأحفاده على الأرض حيث الشقاء والألم ، حيث التعب والمرض ، هي اختبارهم و إظهار معدنهم وتنمية نوازع الخير أو الشر في النفس الإنسانية . فالذي يُهزمُ أمام مغريات الحياة ، وتغلب عليه صفات الشر ، فإنه يستحق العقوبة . أما الذين ينتصرون على الشر ، وتغلب عليهم صفة الخير ، فأولئك يستحقون المكافأة .

لذلك نرىٰ أن موسى قد حث قومه على اختيار الخير والصلاح طريقًا في الحياة ، ولكنهم لم يصدقوه ، ولم يصدقوا الأنبياء الذين جاءوا من بعده ، وتمردوا على شريعة الله ، لذلك فإنهم لا يستحقون أن يحزن عليهم أحد حين يدمّرون أو يضطهدون . و إن العذاب في اليوم الأخير ، يوم القيامة ينتظرهم إذا لم يعودوا إلى طريق الإيمان .

قلت : حقًا إن الله كريم يمهل عباده المخطئين ، ويصبر عليهم علّهم يتوبوا ويرجعوا إلى جادة الإيمان ، وهو رحيم إذ يشمل برعايته حتى الأطفال الذين لم يولدوا بعد ، ويهيىء لهم غذاءهم من أثداء أمهاتهم . وهو عطوف يشفق على أولئك الذين عصوه ثم تابوا ورجعوا إذ يمحو لهم ذنوبهم ويتجاوز عن سيئاتهم ، ويقبلهم ما داموا مقبلين عليه »[1] .

وفي هذا النص وفي النصوص التي وردت قبله في بداية هذا الفصل ، نلحظ أن لا مكان ولا موجب لفداء المسيح ، فالإنسان هو سيد مصيره . وعمله هو الذي يحكم عليه . هل حكم اليهود على المسيح بالصلب ؟ أم أنه هو

(1) كتاب الاسدرواس الثاني الفصل السابع .

الذي حكم على نفسه ؟

« لأني أبذل نفسي لأرتجعها . ما من أحد ينتزعها مني ولكني أبذلها برضاي . فلي القدرة على بذلها ولي القدرة على ارتجاعها . هذا أمر تلقيته من أبي »[1] .

وما هي مسؤولية الأحبار والفريسيين ؟

« فعقد الأحبار والفريسيون مجلساً وقالوا : ماذا نعمل ؟ وهذا الرجل يأتي آيات كثيرة فإذا تركناه وشأنه آمن به جميع الناس . فيأتي الرومان فيدمرون حرمنا وأمتنا . فقال أحدهم قيافا . وكان عامئذ عظيم الأحبار : أنتم لا تدركون ولا تفطنون أن موت رجل واحد فدىٰ الشعب خير لكم من أن تبيد الأمة بأسرها . ولم يقل هذا الكلام من عنده[2] بل قاله لأنه عظيم الأحبار عامئذ . فأنبأ أن يسوع سوف يموت فدى الأمة . وليس فدىٰ الأمة حسب . بل يموت ليجمع شمل أبناء الله . فعزموا على قتله فصار يسوع لا يظهر بين اليهود . فاعتزل في الناحية المتاخمة للبرية في مدينة تدعىٰ أفرام . فأقام فيها مع تلاميذه »[3] .

ونتساءل هل كان الأحبار والفريسيون الراغبون في إزاحة المسيح من طريقهم من الأبرار الأطهار الذين ينفذون مشيئة الله ، ويعملون على تخليص بني البشر من الخطيئة الأصلية التي وقع فيها آدم ابن الله (كما ذكر لوقا) أم كانوا من الأشرار الحاسدين المتألمين من التفاف الناس حول المسيح وانفضاضهم من حولهم ؟ وهل يستحقون الثناء والتكريم والحياة الأبدية ؟ أم يستحقون الاحتقار والازدراء والعذاب الأبدي ؟ وعندما يذبح إنسان ما أضحية ويوزعها مجانًا على الفقراء والمحتاجين والمعوزين هل يقوم بعمل نبيل أم يقوم بعمل شرير ؟ إن الذين أرادوا صلب المسيح قدموا أكبر خدمة للإنسانية إذا حققوا المصالحة بين الله والبشر ؛ لذلك فإن هؤلاء الوسطاء يستحقون أجزل العطايا وأعظم الثواب لأن البشرية محتاجة لهذه المصالحة أكثر من احتياج الفقراء والمساكين للأضحية . أمن أجل ثمرة أكلها آدم يقدم الله على التضحية بوحيده ؟ ! ومن أجل تخليص من ؟ تخليص أولئك الذين قاموا بذبح هذا الولد ! .

« وكان الأحبار والفريسيون قد أمّروا أمرهم قالوا : على كل من يعلم أين هو أن يخبر عنه ليأخذوه »[4] .

لم يأت المسيح ليرفع عن الناس خطيئة غير موجودة ولا علاقة لهم بها بل جاء ليثبت خطيئة .

« لو لم آت وأكلمهم لما كتبت عليهم خطيئة . ولكن لاعذر لهم اليوم من خطيئتهم »[5] .

وفي ليلة العشاء الرباني كان يهوذا الاسخريوطي موجودًا ، وأكل من جسد المسيح وشرب من دمه ، فهل أصبح طاهرًا نقيًا ؟ أم بقي شيطانًا نجسًا ؟ هل غفرت خطاياه وآثامه أم أنه مبشرٌ بالعذاب الأبدي جزاء خيانته ؟

هل غيّر أكل الخبز وشرب الخمر من يد المسيح شيئًا من نفسية وعقلية يهوذا ؟ هل ارتدع عن أعماله وآثامه الشريرة ؟

---

(1) إنجيل يوحنا فصل : 10 : 17 .

(2) يعتقد اليهود بأن عظيم الأحبار ملهم من الله تعالىٰ .

(3) إنجيل يوحنا فصل : 11 : من 47 حتى 54 .

(4) إنجيل يوحنا فصل : 11 : 57 .

(5) إنجيل يوحنا فصل : 15 : 22 .

كيف ينال الإنسان المغفرة ؟

أبالتوبة الصادقة ، والندم والعمل الصالح والتكفير عن الذنوب ؟

أم بالاعتقاد أن المسيح افتدانا وحمل خطايانا وآثامنا فلا حاجة لنا بالمغفرة ؟

أم أننا ننال المغفرة بأكل الخبز وشرب الخمر ؟

وهل حقًا يحل جسد المسيح في أجساد المسيحيين ، وتسرىٰ في عروقهم دماؤه ، ويصبحون أنصاف آلهة تمشي على الأرض بمجرد أكل قطعة خبز وشرب كوب خمر ؟

والمسيحيون السود ألا يأكلون جسد المسيح ، ويشربون دمه ، فلماذا يحتقرهم المسيحيون البيض ، ويمنعونهم من دخول كنائسهم ومدارسهم ومطاعمهم ؟ ! أين التساوي في المسيح ؟ أما آن للسود والملونين أن يعلموا أن لا مكان لهم في الهيئة الاجتماعية المسيحية إلا بوصفهم من الخدم والعبيد ؟ ! وأن مكانهم الطبيعي إن أرادوا العزة والكرامة هو عودتهم إلى دينهم الأصلي دين الإسلام الحنيف ، الذي يفتح لهم ذراعيه ، ويضمهم إليه كما تفعل الأم بأولادها الغائبين عنها ؟

هل تحسنت أخلاق أولئك الذين تناولوا القربان المقدس ، فطهرت نفوسهم ، فقدموا الخير للعالم ؟ أم أنهم حملوا المدفع والرشاش ، وجابوا العالم يستعمرونه ، ويسرقونه ، وينشرون فيه الجهل والتخلف ، ويزرعون فيه الفساد ، والانحطاط العلمي والأخلاقي ويعلِّمونه الفوضىٰ والخيانة ؟ وماذا تفعل إرساليات التبشير غير إفساد الضمائر وتجنيد العملاء والجواسيس ؟ هل حقًا تمت المصالحة بين الله والبشر على حساب ابنه الوحيد ؟ ما هي نتائجها وثمارها ؟ كم من مجزرة ارتكبت باسم المسيح ؟ وكم من إبادة لشعوب وقبائل جاءت تحت اسم المسيح ؟ ويكفي أن نذكر أن أربعا وأربعين مليونًا من الهنود الحمر قد أبيدوا على أيدي المسيحيين في أمريكا ، ونهبت أراضيهم وأملاكهم وذهبهم . وأن خمسًا وعشرين مليونًا من الأفريقيين السود سرقوا ليباعوا عبيدًا للمسيحيين في أمريكا ، ليس لهم أي شيء من حقوق الإنسان ، لا بل لم يعاملوا معاملة الكلاب والخيول والقطط التي كان يقتنيها الأمريكان ، ونال الحيوان حماية ودلالاً ، ووجدت جمعيات تدافع عن الحيوان باسم جمعيات الرفق بالحيوان وهذا ما لم ينله الهندي الأحمر صاحب البلاد ، أو الزنجي الأسود المخطوف من بلاده إلى بلاد المسيحيين ، والتي تدعو نفسها بلاد الحرية .

أما البلاد التي استعمرتها أوروبا ، ونهبت خيراتها وثرواتها ، وامتصَّت جهود وعرق سكانها ، فهو معروف ومسوَّدة به صفحات كثيرة من التاريخ .

وحرب الأفيون التي كانت تستهدف إبادة شعب الصين بشكل بطيء بواسطة السموم الفتاكة . ألم يقم بهذا العمل اللاإنساني شعب مسيحي عريق ، هو الشعب الانكليزي الذي كان يترفه على حساب آلام وفقر الشعوب وعلى حساب صحتهم وأرواحهم ؟ أليس هذا بسبب أنهم ضمنوا النجاة والفوز بالحياة الأبدية بسبب تضحية المسيح من أجلهم وفدائه لهم ؟ فلا ذنب يقع عليهم ولا إثم . ويكفي أن يؤمنوا بالمسيح ، ويتعمدوا بأسمه ، ويأكلوا من جسد المسيح ، ويشربوا من دمه ، ثم يأتوا إلى القسيس فيعترفوا له بأخطائهم وآثامهم ، ويدفعوا إليه شيئًا من المال مقابل تسليمه لهم صكًا بالغفران ، وبعدها يموتون بسلام آمنين ، وقد ضمنوا

الدنيا سلبًا ونهبًا وعدوانًا على الشعوب ، وضمنوا الآخرة بفداء المسيح وشفاعته .

هل جاء المسيح لإحياء الضمائر وإيقاظها أو لإماتتها و إلغاءها ؟

إن كان اليهود قد حاولوا قتل جسد المسيح ، فإن المسيحيين قتلوا تعاليم المسيح عليه السلام ، وشوهوها حسب أهوائهم ورغباتهم ومصالحهم . حتى أصبحت تعاليمًا نظرية مستحيلة التطبيق . فأيهما أعظم جريمة قاتل الجسد أم قاتل الفكر والتعاليم ؟

ويتخيل الكاتب الروسي دستوفسكي في إحدى رواياته بأن المسيح قد عاد إلى الأرض في طوفة عابرة ، ونزل بأشبيلية في إبان سطوة التفتيش فوعظ الناس ، وصنع المعجزات ، وأقبل عليه الضعاف والمرضىٰ والمحزونون يلثمون قدميه ويسألونه العون والرحمة .

و إنه ليمضي بين الشعب يضفي عليهم حبه وحنانه ، ويبسطون له شكاياتهم ومخاوفهم ، إذ برئيس ديوان التفتيش ـ المفتش الأعظم ـ يعبر المكان ، ويتأمل المسيح والشعب من حوله ، ثم يشير إلى الحراس ويأمرهم أن يعتقلوا المسيح ويودعوه حجرة السجناء في انتظار التحقيق .

ويأتي المساء فيذهب المفتش الأعظم إلى الحجرة ويقول للرسول الكريم : إني أعرفك ولا أجهلك لذلك حبستك . لماذا جئت إلى هنا ؟ لماذا تعوقنا وتلقي العثرات والعقبات في سبيلنا ؟

ثم يقول له فيما يقول : إنك كلفت الناس ما ليس لهم به طاقة ، كلفتهم حرية الضمير ، كلفتهم مؤونة التمييز ، كلفتهم أن يعرفوا الخير والشر لأنفسهم ، أمرتهم أن يميزوا بين الحقيقة والخرافة ، كلفتهم أوعر المسالك فلم يطيقوا ما كلفتهم ، وشقيت مساعيهم بما طلبت منهم . والآن قد عرفنا نحن داءهم وأعفيناهم من ذلك التكليف ، وأعدناهم إلى الشعائر والتكاليف والشرائع . وتعود أنت الآن إلينا لتأخذ علينا سبيلنا ، وتحدثهم من جديد بحديث الاختيار وحرية الضمير .

ليس أثقل على الإنسان من حمل الحرية . وليس أسعد منه حين يخف عنه حملها . وينقاد طائعًا لمن يسلبه الحرية ويوهمه في الوقت نفسه أنه قد أطلقها له . وفوّض إليه الأمر في اعتقاده وعمله . فلماذا تسوم الإنسان من جديد أن يفتح عينيه ، وأن يتطلع إلى المعرفة ، وأن يختار لنفسه ما يشاء وهو لا يعلم ما يشاء .

لقد منحتنا السلطان قديمًا ، وليس لك أن تسترده ، وليس في عزمنا أن نتنازل عنه ، فدع هذا الإنسان لنا . وارجع من حيث أتيت ، و إلا أسلمناك لهذا الإنسان غدًا وسلطناه عليك . وحاسبناك بآياتك ، وأخذناك بمعجاتك . ولسوف ترىٰ غدًا أن هذا الشعب الذي لثم قدميك مقبلاً علينا مبتهلاً لنا أن نخلصه منك . وأن ندينك كما ندين الضحايا من المعذبين والمحرَّقين .

لقد صُلب يهوذا الاسخريوطي بدلاً من المسيح . ووقع الخائن في الحفرة التي حفرها للمسيح .

« كرىٰ بئرًا وحفرها . فسقط في الهوة التي صنع ، وارتد ضرره على رأسه وعلىٰ هامته هبط جوره »[1] .

وهكذا فإن التقاليد الإسلامية تجعل من هذا الآثم الشرير كفارة للبار ابن البارة . المسيح عيسى ابن مريم . ولينطبق عليه المثل :

---

(1) المزمور : 7 : 15 ـ 16 .

« المنافق فداء عن الصديق . والغادر عن المستقيمين »[1] .

وما كان الله ليأخذ البريء بذنب المجرم . وليس للابن أن يحمل ذنب أبيه . ولا للأب أن يحمل ذنب ابنه . فكل إنسان مسؤول عن نفسه . فإذا أخطأ آدم فهو يتحمل ذنبه وليس على أولاده ذنب أو إثم .

« النفس التي تخطيء هي تموت . الابن لا يحمل إثم الأب ، والأب لا يحمل إثم الابن . بر البار عليه يعود . ونفاق المنافق عليه يعود . والمنافق إذا تاب عن جميع خطاياه التي صنعها وحفظ جميع رسومي ، وأجرىٰ الحكم والعدل فإنه يحيا حياة ولا يموت . جميع معاصيه التي صنعها لا تذكر له . وببره الذي صنعه يحيا »[2] .

فلماذا يضحي الله بالمسيح على الصليب ولفداء من ؟

أيضحي الله بابنه الوحيد من أجل أبناء قتلة الأنبياء الذين اتبعوا سنة آبائهم ، وزادوا عليهم طغيانًا وكفرًا ؟

فأنتم تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قتلة الأنبياء فجمّموا أنتم مكيال آبائكم »[3] .

ولماذا جاء الأنبياء السابقون ؟ هل كانوا يدجلون على الناس ويكذبون عليهم بوعدهم بالحياة الأبدية في الآخرة ؟ إذا كان الجحيم هو نهاية الإنسان فما هو الفرق بين الإنسان الصالح والإنسان الطالح ؟ تقول نصوص الانجيل إن المسيح أخبر بأن الملائكة حملت عازر المسكين إلى حضن إبراهيم . فأين كان إبراهيم وعازر قبل الفداء ؟ هل كانا في الجنة أم في النار ؟ و إذا كان إبراهيم وعازر في النار فكيف يطلب منهما الغني الماء ليبرد لسانه ؟ وأشار المسيح إلى قيامة الأموات وحياة إبراهيم و إسحٰق ويعقوب دلالة على حياة جميع الصالحين .

« وأمّا أن الأموات يقومون فقد أشار موسى نفسه إلى ذلك في الكلام على العليقة . إذ دعا الرب إلٰه إبراهيم و إلٰه إسحٰق و إلٰه يعقوب فما كان إلٰه أموات بل إلٰه أحياء »[4] .

وليس أدلّ على أن الفوز بالجنة تابع للأهلية الشخصية من قول المسيح :

« إن أبناء هذه الدنيا يتزوجون ويُزوَّجون أما الذين وجدوا أهلاً للفوز في الآخرة والقيامة من بين الأموات فلا الرجال منهم يتزوجون ، ولا النساء يزوجن ولا بعد ذلك يموتون لأنهم أمثال الملائكة . وهم أبناء الله لكونهم أبناء القيامة »[5] .

ولم يكتف الذين شوهوا صورة المسيح وسمعته بأكل جسده وشرب دمه ثم صلبه ، بل أيضًا جعلوه ملعونًا .

« فالذي افتدانا من لعنة الناموس هو المسيح الذي صار لعنة لأجلنا حسب ما كتب : ملعون كل من علق على خشبة »[6] .

---

(1) سفر الأمثال فصل : 21 : 18 .

(2) نبوءة حزقيال فصل : 18 : 20 .

(3) انجيل متّى فصل : 23 : 32 .

(4) انجيل لوقا فصل : 20 : 37 .

(5) انجيل لوقا فصل : 20 : 35 .

(6) رسالة إلى أهل غلاطية وصل 3 : 13 .

ونسأل : هل كان تلاميذ المسيح فرحين مغتبطين بفداء المسيح لهم وتضحيته بنفسه من أجلهم ؟ أم كانوا حزانىٰ متألمين ؟ ومسيحيو اليوم يعتقدون بسر الفداء ، فلو أنهم كانوا على زمن المسيح فهل كانوا يشاركون اليهود في صلب المسيح أم لا ؟ وهل يفضل المسيحي أن تبقىٰ عليه لعنة الناموس ولا يتعرض للمسيح أحد ؟ أم يفضل عليها فداء المسيح له علىٰ خشبة الصليب بعد إهانته كما سيمر معنا ؟

سيكون جزاء من حط من قدر المسيح وألبسه ثوب المهانة وهو مسرور قول المسيح :

« فسوف يقول لي كثير من الناس في ذلك اليوم . ربنا ربنا أما باسمك نطقنا بالنبوءات ، وباسمك طردنا الشياطين ، وباسمك أتينا بالمعجزات الكثيرة ؟ فأقول لهم علانية : ما عرفتكم قط ، إليكم عني أيها الفاسقون »[1] .

بالتأكيد إن جميع مسيحيي العالم يباركون عملية صلب المسيح لخلاص نفوسهم ونجاتها . كما كان أهل مصر يباركون الفتاة التي يلقونها في نهر النيل عن طيب خاطر حتى يفيض عليهم النهر ويغمرهم ببركاته . وننقل ما كتبه ابن كثير في كتاب : « البداية والنهاية » تحت عنوان قصة نيل مصر :

لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص ـ حين دخل شهر بؤنة ـ فقالوا أيها الأمير : لنيلنا هذا سنَّة لا يجري إلا بها . قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت اثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها الحلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم القيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون في الإسلام . إن الإسلام يهدم ما قبله . قال : فأقاموا ثلاثة أشهر : بؤنة ، وأبيب ، ومسرىٰ ، والنيل لا يجري إلا قليلاً ، حتى هموا بالجلاء ، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بذلك . فكتب إليه عمر : إنك أصبت بالذي فعلت ، و إني قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي فألقها في النيل . فلما قدم كتاب عمر ، أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد : فإن كنت إنما تجري من قبلك ومن أمرك لا تجر فلا حاجة لنا فيك ، و إن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار ، وهو الذي يجريك ، فنسأل الله تعالى أن يجريك قال فألقىٰ البطاقة في النيل . فأصبحوا يوم السبت وقد أجرىٰ الله النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة . وقطع الله تلك العادة السيئة عن أهل مصر حتى اليوم .

لقد عرف اليهود أن هناك حياة أبدية ينالها الأشخاص المتمسكون بالشريعة والمتلتزمون لحدودها .

وقد خاطب أحد الأَشخاص المتقين لله الحافظين لشرعه الملك انطيوكس عندما هدده بالموت إذا لم يأكل لحم الخزير :

« إنك أيها الفاجر تسلبنا الحياة الدنيا ، ولكن ملك العالمين إذا متنا في سبيل شريعته فسيقيمنا الحياة أبدية »[2] .

---

(1) انجيل متَّى فصل : 7 : 22 .
(2) سفر المكابين الثاني : 7 :9.

أما والدة هذا الشخص المقتول مع إخوته الستة من أجل العقيدة فقد قالت لأولادها :

« إن خالق العالم الذي جبل تكوين الإنسان ، وأبدع لكل شيء تكوينه ، سيعيد إليكم برحمته الروح والحياة ؛ لأنكم الآن تبذلون أنفسكم في سبيل شريعته »[1] .

كانت قصة فداء المسيح للبشرية جوابًا لسؤال مهم جدًا ألا وهو : ما هي إنجازات المسيح ؟ ما الذي حققه المسيح ؟

لقد حقق المسيح الكثير ، ولكن هذا الكثير لم يكن ليُرضي اليهود الذين كانوا يطلبون مسيحًا ملكًا يحررهم من الرومان ويستعبد لهم الشعوب المجاورة . إن عظمة إنجازات المسيح تظهر في الأحداث التي كانت بعد وفاته ، ورفعه فقد تبنت أعظم امبرطورية معتقدات المسيح ، وحاولت تطبيق تعاليمه ، ولا نبحث هنا في الاعترافات التي صحَّحها آريوس الليبي . ولكن نبين أن الاشعاع الفكري والروح الذي جاء به المسيح أحدث ثورة عالمية أهلت العالم لاستقبال تعاليم الإسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا ما جاء المسيح من أجله ، فقد افتتح رسالته السماوية بقولة توبوا فقد اقترب ملكوت السموات .

جاء الإسلام ليقول : ليس على الإنسان خطيئة أصلية ، وإن ذنب آدم لا يتحمله سواه . وذكر القرآن الكريم أن الإنسان مكرم ومعظم لإنسانيته وعقله ، ومفضل على كثير من المخلوقات .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2] .

والإنسان سيد مصيره ، فإما أن يعزز هذه الكرامة بتقواه وأعماله الصالحة ، وإما أن يهين نفسه وينحدر بها بسلوكه الشائن وأعماله الشريرة .

---

(1) سفر المكابيين الثاني 7 : 23.

(2) الإسراء: الآية 70.



يهوذا الاسخريوطي على الصليب

وقرب عيد الفطير الذي يقال له الفصح . وكان الأحبار والكتبة يبحثون كيف يهلكون يسوع ؛ لأنهم كانوا يخافون الشعب . فدخل الشيطان في يهوذا الذي يلقب بالاسخريوطي وهو من جماعة الاثنى عشر . فمضى وفاوض الأحبار وقادةُ الحرس في الطريقه التي بها يسلمه إليهم ، ففرحوا واتفقوا أن يعطوه شيئًا من الفضَّة . فرضي وأخذ يترصد فرصة ليسلمه إليهم بمعزل عن الجمع[1] .

« ثم خرج ـ المسيح ـ فذهب كعادته إلى جبل الزيتون يتبعه تلاميذه . ولما وصل إلى ذلك المكان قال لهم : صلوا لئلا تقعوا في التجربة . ثم ابتعد عنهم رمية حجر . وجثا يصلي فيقول : يا أبت إن شئت فاصرف عني هذه الكأس ولكن مشيئتك لا مشيئتي . وتراءى له ملاك من السماء يشدد عزيمته . وأخذه الجهد فأمعن في الصلاة . وعاد عرقه كقطرات دم تتساقط على الأرض ، ثم قام عن الصلاة فرجع إلى تلاميذه فوجدهم نيامًا من الحزن فقال لهم : ما بالكم نائمين ؟ قوموا فصلوا لئلا تقعوا في التجربة »[2] .

في تلك الليلة لم يكن المسيح يدعو لنفسه بل يدعو لتلاميذه حتى يحفظهم الله فلا يُقبض عليهم ؛ ذلك لأنهم آمنوا بأن المسيح رسول الله ، وأن الله ربهم ومالكهم قد وهبهم للمسيح عبده ورسوله . « الذين وهبتهم لي من بين العالم ، كانوا لك فوهبتهم لي ، وقد حفظوا كلامك وعرفوا الآن أن جميع ما وهبته لي هو منك ، لأن الكلام الذي بلغتنيه بلغتهم إياه فقبلوه وعرفوا حقًا أني من لدنك أتيت ، وآمنوا بأنك أنت أرسلتني ، فأنا أدعو لهم ولا أدعو للعالم[3] ، بل لمن وهبتهم لي لأنهم لك ، وما هو لي فهو لك »[4] .

« حفظت باسمك الذين وهبتهم لي . إذ كنت معهم رعيتهم فلم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك »[4] .

وهذه النصوص تتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم . إذ يقول المسيح مخاطبًا الله تعالى : ﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ**

(1) لوقا فصل : 22 : 1 .

(2) لوقا فصل : 22 : 39 .

(3) المسيح لا يهتم بغير تلاميذه . فهو لا يدعو لغيرهم .

(4) يوحنا فصل : 17 : 12 .

شَيْءٍ شَهِيدٌ * ﴾[1] .

ويستمر المسيح في دعائه وتوسلاته متشفعًا في تلاميذه ، شاهدًا على نفسه بأنه رسول الله « بلغتهم كلامك فأبغضهم العالم . لا أسألك أن تخرجهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير ، وكما أرسلتني إلى العالم فكذلك إلى العالم أرسلهم ؛ ليؤمن العالم بأنك أنت الذي أرسلتني ، ويعرف العالم أنك أنت الذي أرسلتني ، وأني أحببتهم كما أحببتني »[2] .

وبكل أدب وخضوع يرجو المسيح من الله أن يجمع شمله بتلاميذه في الآخرة لكي يعرفوا محبة الله له .

« يا أبت : إن الذين وهبتهم لي هم الذين أريد أن يكونوا معي حيث أكون ، فيعاينوا ما أوليتني من المجد . لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم »[3] .

ما كان ليخفىٰ على المسيح ما يدبر اليهود ضده . وكان يقلِّب الأمور ويفكر بمخرج ينجّيه وتلاميذه من محاصرة الاحبار والفريسيين التي بدأت تأخذ شكلاً عمليًا وذلك بعد أن فشلت جهودهم الدعائية لإبعاد الناس عن تعاليم المسيح .

وناقش المسيح احتمال مجابهة القوة بالقوة ، فأمر تلاميذه قائلاً : « من لم يكن لديه سيف فليبع رداءه ويشتريه »[4] .

وجاء التلاميذ بسيفين وقالوا للمسيح : « ربنا ها هنا سيفان »[5] .

ولو أن التلاميذ استطاعوا تحصيل اثني عشر سيفًا بعددهم فلربما فكّر المسيح بإشعال شرارة الثورة على الاستعمار الروماني بواسطتهم ، ويتبعهم بعد ذلك الآلاف المؤلفة التي شاهدت معجزات المسيح[6] ، والتي كانت تتوق للتحرر من الرومان .

والتجأ المسيح لله يطلب منه العون والمساعدة ، فقد سدت في وجهه الطرق ، ولم يبق أمامه إلا طلب المعونة الإلهية . وقال لتلاميذه بعد أن علم بغياب يهوذا : « اقعدوا هنا ريثما أصلي ، ثم مضى ببطرس ويعقوب ويوحنا ، وجعل يستشعر رهبة وكآبة ، فقال لهم : نفسي حزينة حتى الموت امكثوا هنا واسهروا . ثم ابتعد قليلاً ووقع إلى الأرض يصلي لتبتعد عنه الساعة إن كان يستطاع »[7] .

ويمضي يهوذا الخائن إلى رئيس الأحبار ليجلب العصابة التي ستقبض على المسيح بينما تلاميذ المسيح ، يغطون في نوم عميق وكأنهم لا يدرون ما يجري حولهم . ويأتي المسيح ليوقظهم ولكنهم يتكلمون معه وهم نائمون « لأن النعاس أثقل أعينهم ولم يدروا بماذا يجيبونه »[8] .

---

(1) سورة المائدة : آية 117 .
(2) يوحنا فصل : 17 : 14 ، 15 ، 18 ، 21 ، 23 .
(3) يوحنا : فصل : 17 : 24 .
(4) لوقا فصل : 22 : 37 .
(5) لوقا فصل : 22 : 38 .
(6) متّى فصل : 14 : 21 .
(7) مرقس فصل : 14 : 33 : 34 : 35 .
(8) مرقس فصل : 14 : 40 .

ويبقىٰ المسيح وحده في الميدان وقد تألبت عليه قوىٰ الشر والعدوان . وبينما هو يصلي يأتي الفرج الإلٰهي ويُؤمر المسيح بالانسحاب من هذا المكان . فيعود مرة ثالثة إلى تلاميذه ليقول لهم : « قضى الأمر ، أتت الساعة ، إن ابن الإنسان (لن)[1] يسلم إلى أيدي الخاطئين ، قوموا ننطلق قد اقترب الذي يسلمني »[2] .

ولكن التلاميذ لم يردوا عليه ، فقال لهم وهو يغادر المكان لوحده : « ناموا الآن واستريحوا »[3] .

وكان لهذه الكلمة مفعول السحر في نفوس التلاميذ ، فغطّوا في نوم عميق .

« فجاء يهوذا بالسرية والحرس الذين بعثهم الاحبار والفريسيون حتى بلغ ذلك المكان ، وكانوا يحملون المصابيح والمشاعل والسلاح »[4] .

ودخل يهوذا الغرفة التي نام فيها باقي التلاميذ وأخذ يبحث عن المسيح . وبعد أن أيقظ التلاميذ سألهم أين معلمكم ؟ فأجاب التلاميذ وهم يحسبون أنهم يخاطبون المسيح الذي تكرر ايقاظه لهم تلك الليلة : يا سيد أنت معلمنا أنسيتنا الآن ؟ فقال مبتسمًا هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفوا يهوذا الاسخريوطي ؟ ودخل الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا الذي بدا شبيهًا بيسوع من كل وجه ، عندها ذعر التلاميذ كلهم وهربوا ، حتى إن أحدهم تخلى عن ازاره وهرب عريانًا .

وانطلق المسيح عليه السلام مستترًا بالظلام حيث توجد أمّه ليأخذها معه . ورغم الظلام الحالك ، ووعورة الطريق ، فإن رجل المسيح لم تصطدم بحجر ؛ لأن الله أوصىٰ ملائكته بحفظ المسيح .

« يوصي ملائكته فيحملونك على أيديهم لئلا تصطدم رجلك بحجر »[5] .

وأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ساخرين منه لأنه أنكر أنه المسيح . فقال الجنود مستهزئين : يا سيدي لا تخف لأننا قد أتينا لنجعلك ملكًا على إسرائيل . إنما أوثقناك لأننا نعلم أنك ترفض المملكة . وأخذ يهوذا يتكلم بكلمات جنون كثيرة حتى إن الجميع ضحكوا كثيرًا معتقدين أنه يسوع ويتظاهر بالجنون خوفًا من الموت .

وفي الصباح التأم المجلس الكبير للكتبة وشيوخ الشعب ، وأمر رئيس الكهنة أن يؤتىٰ بيهوذا وهو يحسبه المسيح موثقًا أمامه ، وسأله عن تلاميذه وعن تعليمه ، فلم يجب يهوذا بشيء في الموضوع كأنه جن . حينئذ استحلفه رئيس الكهنة بإله إسرائيل الحي أن يقول الحق .

أجاب يهوذا : لقد قلت لكم إني يهوذا الاسخريوطي الذي وعد أن يسلم إلى أيديكم يسوع الندري ، أما أنتم فلا أدري بأية حيلة جننتم لأنكم تريدون بكل وسيلة أن أكون أنا يسوع .

أجاب رئيس الكهنة : أيها الضال المضل لقد ضلّلت كل إسرائيل بتعليمك وآياتك الكاذبة من الجليل حتى أورشليم ، أفيخيل لك الآن أن تنجو من العقاب الذي تستحقه ، والذي أنت أهل له بالتظاهر بالجنون ؟ لعمر الله إنك لا تنجو منه . وبعد أن قال هذا ، أمر خدمه أن يوسعوه لكمًا ورفسًا لكي يعود عقله إلى رأسه . لقد أصابه من الاستهزاء على

---

(1) وجهة النظر الإسلامية وسياق الموضوع يستدعي وجود هذه الكلمة التي أضافها المؤلف .

(2) مرقس فصل : 14 : 42 .

(3) مرقس فصل : 14 : 41 .

(4) يوحنا فصل : 18 : 1 .

(5) متّى فصل : 4 : 6 .

يد رئيس خدم رئيس الكهنة ما يفوق التصديق ، وألبسوه ثياب مشعوذ وأوسعوه ضربًا بأيديهم وأرجلهم .

« وكان الأحبار والمجلس كافة يطلبون شهادة زور على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا مع أنه مثل بين أيديهم من شهود الزور عدد كبير . ثم قام شاهدان فقالا : هذا الرجل قال : إني لقادر على نقض هيكل الله وبنائه في ثلاثة أيام . فقام عظيم الأحبار وقال له أما تجيب بشيء؟ ما هذا الذي يشهد به عليك هذان فظل (يهوذا ـ الذي حسبوه) يسوع صامتًا . فقال عظيم الأحبار : أستحلفك بالله الحي لتقولن لنا أأنت المسيح ابن الله ؟ فأجاب يهوذا : أنت قلت »[1] .

أي أن هذا كلامك وليس كلامي . وأنا لم أقل هذا . أمَّا المسيح الذي تبحث عنه فهو حر وطليق ويجّيش ضدكم جنود الأرض والسماء ، ولهذا فأنا أقول لكم : « سترون بعد اليوم ابن الإنسان جالسًا على يمين القدرة ، وآتيًا على غمام السماء ، فشق عظيم الاحبار ثيابه وقال : لقد كفر . فأية حاجة بنا إلى الشهود وقد سمعتم كفره ، فما قولكم . فأجابوه : يستوجب الموت . فبصقوا في وجهه ولطموه ، ومنهم من لكمه ، وقالوا : يا أيها المسيح ، تنبأ لنا من ضربك »[2] .

ثم قادوه بعد ذلك موثقًا إلى الوالي الذي كان يحب يسوع سرًا . ولما كان يظن أن يهوذا هو يسوع أدخله غرفته وكلمه سائلاً إياه لأي سبب قد سلمه رؤساء الكهنة والشعب إلى يديه .

أجاب يهوذا : لو قلت لك الحق لما صدقتني ، لأنك قد تكون مخدوعًا ، كما خدع الكهنة والفريسيون : أجاب الوالي ـ ظانًا أنه أراد أن يتكلم عن الشريعة ـ : ألا تعلم أني لست يهوديًا ، ولكن الكهنة وشيوخ الشعب قد أسلموك ليدي ، فقل الحق لكي أفعل ما هو عدل ؛ لأن لي سلطانًا أن أطلقك أو أن آمر بقتلك .

أجاب يهوذا : صدقني يا سيد ، إنك إذا أمرت بقتلي ترتكب ظلمًا كبيرًا ؛ لأنك تقتل بريئًا ؛ لأني أنا يهوذا الاسخريوطي لا يسوع الساحر الذي حولني بسحره كما ترىٰ .

فلما سمع الوالي ذلك تعجب كثيرًا حتى إنه أراد أن يطلق سراحه . لذلك خرج الوالي مبتسمًا وقال من جهة واحدة على الأقل لا يستحق هذا الانسان الموت بل الشفقة . ثم قال الوالي : إن هذا الإنسان يقول إنه ليس يسوع بل يهوذا الذي قاد الجنود ليأخذوا يسوع . وبينما هو جالس للقضاء أرسلت إليه أمرأته تقول : « لا تتدخل في قضية هذا البار ؛ لأني تألمت في الحلم أشد الألم من أجله »[3] .

وأخذ الأحبار والفريسيون يتهمونه فقالوا : « تبين لنا أن هذا الرجل يفتن أمتنا ، ويحظر عليها أداء الجزية لقيصر ، ويزعم أنه المسيح الملك ، فسأله بيلاطس أأنت ملك اليهود ؟ فأجابه : قلت أنت »[4] : « أي ليس هذا قولي بل قولك) .

فسأله بيلاطس بماذا تجيب على اتهامات الأحبار ؟ أما تجيب بشيء ؟ انظر كثرة التهم التي تلقىٰ عليك؟

---

(1) متّى فصل : 26 : 59 .

(2) متّى فصل : 26 : 65 .

(3) متّى فصل : 27 : 19 .

(4) لوقا فصل : 23 : 1 .

ولكن يهوذا الذي حسبوه يسوع لم يجب بشيء حتى تعجّب بيلاطس »[1] .

و ينفرد إنجيل لوقا بالقول بأن بيلاطس بعث المقبوض عليه إلى هيرودس ، وهو يومئذ نازل في أورشليم .

فلما رأى هيرودس يسوع سر سرورًا عظيمًا ؛ لأنه كان يتمنى من زمن أن يراه لما يسمع عنه ، ويرجو أن يشهد آية يأتي بها . فسأله مسأل كثيرة فلم يجبه عن شيء . فقام الأحبار والكتبة يتهمونه مشددين عليه . فازدراه هيرودس وجنوده ، وسخر منه فألبسه ثوبًا براقًا ورده إلى بيلاطس . وتصافى هيرودس وبيلاطس يومئذ وكانا قبلاً متعاديين »[2] .

ويظهر من هذا النص وكأن بيلاطس وهيرودس تصالحا من أجل إهلاك المسيح ، ولكن الواقع كان عكس ذلك . فبعض الروايات تقول : إن بيلاطس آمن بالمسيح كما أن زوجته كانت مؤمنة .

وأما هيرودس فسر لرؤية يهوذا وهو يحسبه المسيح . ولو كان المسيح هو المقبوض عليه لسر أيضًا لاجتماعه بالحكام ؛ كي يعرض عليهم مبادئه ونظرياته الاصلاحية . والمسيح رجل شجاع وخطيب مفوه ، صاحب حجة وبرهان وله مقدرة الاقناع . كان يقف بين الجماهير فيثيرهم ويلهبهم ويؤثر في قلوبهم وعقولهم . وهو هنا واقف بين حكام معجبين به ، فهل يوجد أجمل من هذه الفرصة لاجتذاب الحكام لصفه والعمل على دعمه ، خاصة وأنه لا يطمع في إزاحتهم والجلوس مكانهم ، وقد رفض ذلك[3] . لقد أوضح المسيح أن هدفه هو إعادة بني إسرائيل إلى حظيرة الدين . وحتى يقتنع بيلاطس أو هيرودس بالمسيح فليس من الضروري أن يقوم بالمعجزات بل على الأقل ليتكلم بشيء من كلامه الجميل المقنع أو يتحدث عن مبادئه العظيمة السامية . أما صمته وعدم كلامه وعدم دفاعه عن نفسه ، فهذا يبين حال إنسان مذهول مضطرب التفكير . بينما نصوص الأناجيل تبين أن المسيح كان يعد نفسه لهذه اللحظة ، ويعرف أنها آتية لا ريب فيها ، وهذا يعني استعداده النفسي والفكري لمواجهتها . وهذا ما لا نلمسه في الإجابات التي قدمها . وإذا عُدنا إلى قصة يوحنا المعمدان نجد أن الأناجيل ، أنه ابن زكريا الكاهن من فرقة أبيا في القدس . فلماذا يحكم عليه هيرودس إذا كان تابعًا لبيلاطس ؟ « ثم دعا بيلاطس الأحبار ورؤساء الشعب وقال لهم : أحضرتم لدي هذا الرجل على أنه يفتن الشعب ، وقد فحصت الأمر بمحضر منكم فلم يثبت لدي أن هذا الرجل اقترف شيئًا مما تتهمونه به ، ولا هيرودس ثبت لديه مثل ذلك ؛ لأنه رده إلينا فهو إذًا لم يقترف ما يستوجب الموت فسأطلقه بعدما أجلده »[4] .

« فصاحوا بأجمعهم اقتل هذا وأَطلق لنا برأبا »[5] .

فخاطبهم بيلاطس ثانية لرغبته في إطلاق يسوع . فصاحوا اصلبه . . اصلبه « فقال لهم ثالثة : أية جريمة اقترف هذا الرجل ؟ لم أجد عليه ما يستوجب به الموت فسأطلقه بعدما أجلده »[6] .

فأجابه اليهود : إن لنا شريعة وهذه الشريعة تقضي عليه بالموت . لزعمه أنه ابن الله . فلما سمع بيلاطس هذا

---

(1) مرقس فصل : 15 : 4 و 5 .

(2) لوقا فصل : 23 : 8 .

(3) يوحنا فصل : 6 : 15 .

(4) لوقا فصل : 23 : 13 .

(5) لوقا فصل : 23 : 18 .

(6) لوقا فصل : 23 : 20 .

الكلام اشتد خوفه فدخل دار الحكومة وقال : لمن ظنه.يسوع : من أين أنت ؟ فلم يجبه بشيء . فقال بيلاطس : ألا تكلمني؟ أفلا تعلم أن لي سلطانًا على أن أخلي سبيلك وسلطانًا على أن أصلبك ؟ فأجابه : لو لم تعط السلطان من علٍ لما كان لك عليَّ سلطان فالذي أسلمني إليك اقترف خطيئة أكبر من خطيئتك . فحاول بيلاطس عندئذ أن يخلي سبيله ولكن اليهود صاحوا : إن أخليت سبيله فلست من أصدقاء قيصر ؛ لأن من يدعي الملك يعد خارجًا على قيصر »[1] .

فلما رأىٰ بيلاطس أنه لم يستفد شيئًا ؛ بل تفاقم الاضطراب ، أخذ ماءً وغسل يديه بمرأى من الجمع وقال : أنا بريء من هذا الدم ، أنتم وشأنكم فيه ، فأجاب الشعب بأجمعه دمه علينا وعلى أولادنا »[2] .

ورغم اعتقادنا الجازم واليقيني بأن المصلوب كان شخصًا آخر غير المسيح ، فإن هذه الحقيقة وهذا الاعتقاد لا يبرآن اليهود ولا أولادهم ولا أحفادهم من دم المسيح ، سوى أولئك الذين آمنوا منهم بالمسيح ؛ لأن اليهودي غير المؤمن بالمسيح يعتبره دجالاً وساحرًا ويستحق القتل . أما إذا كان يعتبره إنسانًا مصلحًا ونبيًا رسولاً ، فعليه أن يؤمن بالمسيح ويصبح مسيحيًا . فكل يهودي وحتى يوم القيامة يقع عليه دم المسيح ؛ لأنه راضٍ عن فِعلة أجداده التي دبروها لخنق صوت الحق . لقد خيب الله رجاء اليهود ، فكان المصلوب غير المسيح ، وأنقذ الله رسوله المسيح عيسى بن مريم من كيد اليهود الغادرين .

وفي عام 1819 نشأت فكرة حل اليهود من ذنب التدبير لصلب المسيح . تلك الفكرة التي نفذتها البابوية عام 1965 . أي بعد مئة وستة وأربعين عامًا .

فقد ذكر ليفي بارسونز في تقرير له عن الإرسالية التبشيرية في فلسطين قوله : إن جمهور المسيحيين يجب أن يدعو لليهود دعوة صالحة ، وأن يغفروا لهم صلب المسيح . كما كان المسيح نفسه قد غفر لهم ذلك . إن عيون اليهود تشخص إلى القدس فهم يعتقدون أن المسيح سيظهر فيها .

وهنا فإن اليهود يتحدثون صراحة بأنهم ينتظرون مجيء المسيح وليس عودته كما يظن المسيحيون ، فاليهود لا يعترفون بالمسيح الذي ظهر قبل عشرين قرنًا . ويرفضون بشدة أن يكون ذلك هو المسيح المنتظر . ورغم ذلك فقد جاء في الوثيقة التي أقرها المجمع المسكوني الثاني عام 1962 ما يلي :

1 ـ إن الكنيسة لا تستطيع أن تنسىٰ أن الله لما أصبح أخًا للبشر اختار أن يكون يهوديًا ، وبتعبير آخر ، إن مخلص العالم عاش ومات على أنه شخص من الشعب الذي أنعم الله عليه فاختاره واعتنىٰ به . ولا يسع الكنيسة أيضًا أن تنسىٰ أن مريم أم يسوع كانت من بيت داود وأن الرسل والحواريين ـ تلاميذ المسيح ـ كانوا من نسل إبراهيم . وأن هؤلاء جميعًا قد قضوا أيام طفولتهم بين أبناء إسرائيل .

2 ـ ومع أن السكان القدماء في مدينة القدس كانوا كلهم من اليهود الذين آمنوا بيسوع مسيحًا مهديًا ، فإن القسم الأكبر من الشعب المختار لم يؤمن بيسوع مسيحًا . ولقد استنتج أهل العصور الماضية من ذلك ما يلي :

بما أن اليهود بمجموعهم لم يؤمنوا بيسوع مسيحًا فإن جميع بني إسرائيل أخذوا بهذه الجريرة ، فالمجمع المسكوني يعلن خلافًا لذلك أنه من الخطأ أن يستنتج الإنسان من الكتاب المقدس هذه النتيجة . . .

---

(1) يوحنا فصل 19 : من 7 حتى 13 .

(2) متّى فصل : 27 : 24 .

3 ـ فاتهام الشعب اليهودي بجملته إذًا من عاش منه في الماضي ، ومن يعيش اليوم هو اتهام باطل . إنه انسياق في الضلال وارتكاب للظلم . أما فيما يتعلق بالذين أرادوا قتل المسيح ، فإنهم زمرة قليلة العدد من اليهود وروماني واحد ، وحفنة من الجنود السوريين التابعين للكتيبة العاشرة التي كانت مرابطة في فلسطين . وقد قال المسيح عنهم كلهم ـ كما قال رسله من بعده ـ : اغفر لهم يا أبت ؛ فإنهم لا يدرون ما يفعلون . . إنتهت الوثيقة .

و إذا فتشنا ضمير كل يهودي في العالم وجد منذ عهد المسيح حتى الآن وسألناه : هل كان اليهود محقين في محاولة صلب المسيح أم مبطلين ؟ فإننا نجد أمامنا جوابًا واحدًا سيقوله جميع اليهود : إن الذين صلبوا المسيح كانوا على حق ، ولو أنني قلت : أعتقد أنهم كانوا على باطل ، لألزمني ذلك أن أؤمن بالمسيح ، ولأن ذلك يعني أنه على حق ولا يستحق الصلب ، وهذا ما لم ولن أقوله أو أفعله .

ونسأل جميع مسيحيّي العالم هذه الأسئلة الثلاثة والتي يعرفون إجابتها جيدًا . ولكن لماذا لا يحولون موقفهم من اليهود بعد إجابتهم على هذه الأسئلة . ولماذا لا يوقفون دعمهم لإسرائيل بعد معرفتهم ما يفكر فيه اليهود تجاه مسيحهم ؟

1 ـ هل يعتقد اليهود بأن المسيح إله أو ابن إله ؟

2 ـ هل يعتقد اليهود أن المسيح رسول الله تعالىٰ ولد بطريقة معجزة ؟

3 ـ هل يعتقد اليهود أن المسيح كان رجلاً صادقًا ، صالحًا ومصلحًا ؟

أما ذكر الكتيبة السورية فمن الواضح أن مؤلف هذه الوثيقة يريد أن يلقي باللوم على السوريين ، بل يريد أن يؤلب العالم المسيحي على السوريين تمهيدًا للعدوان الذي ستشنه إسرائيل على البلاد العربية عام 1967 . مشيرًا بإصبع الاتهام إلى السوريين قائلاً : إذا كنتم تريدون معرفة من صلب المسيح فهاهم أمامكم ، إنهم السوريون ، ونحن لا نريد أن نرد على أمثال هذا الاتهام إلا بالإشارة إلى أن الروماني الواحد المتهم قد غسل يديه وأعلن براءته من دم المسيح . أما السوريون فقد كانوا أسرع الناس استجابة لدعوة المسيح ، وكانت أنطاكية ودمشق من أوليات مدن العالم التي آمنت بالمسيح ، واحتضنت رسالته ورسله . والحقائق التاريخية تشهد على زور مؤلفي هذه الوثيقة ، وتحيزهم مع إسرائيل ضد العرب . فإقحام الكتيبة السورية في موضوع صلب المسيح غير مذكور في أي من الأناجيل الأربعة . ولكن لهذه الوثيقة مدلولها الدعائي ورائحة الصّهيونية تفوح منها .

« وقال بيلاطس لليهود : ها هوذا ملككم . فصاحوا : اقتله . . اقتله . . اصلبه . فقال بيلاطس : أأصلب ملككم ؟ فأجاب الأحبار : لا ملك علينا إلا قيصر . فأسلمه إليهم ليصلب »[1] .

فساق جنود الحاكم ـ يهوذا ـ وهم يحسبون أنه المسيح ـ إلى دار الولاية . وألبوا عليه السرية كلها فجردوه من ثيابه ـ ليجلدوه على عادتهم ـ وألبسوه رداء قرمزيًا استهزاءً به ، والرداء القرمزي لباس الملوك المتوجين . وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وجعلوا في يمينه قصبة . ثم جثوا أمامه وسخروا منه فقالوا : السلام عليك يا ملك اليهود . وأخذوا القصبة يضربونه بها على رأسه ، وهم يبصقون عليه . وبعدما سخروا منه نزعوا عنه الرداء . وألبسوه ثيابه وساقوه ليصلب »[2] .

---

(1) يوحنا فصل : 19 : 15 .

(2) متّى فصل : 27 : 27 .

وحاشا لله أن يُسلم رسوله المسيح بن مريم لهؤلاء الاوباش يفعلون به على هواهم من الإهانات والتَّحقير ، والله سميع الدعاء . وقد ورد في الأناجيل أن المؤمن مجاب الدعوة . حتى إذا قال للجبل انتقل من مكانك فإنه ينتقل ، فكيف بالمسيح وهو يدعو الله أن ينجيه ويبعد عنه تلك الكأس ؟ وكيف يثق تلاميذ المسيح بكلامه وهو يقول لهم : « أسألوا ما تشاؤون تحصلون عليه »[1] ثم لا يستجيب الله دعاءه ؟ وهل كان اليشاع أكرم عند الله من المسيح ؟

وصعد اليشاع من هناك إلى بيت ايل ، فبينما هو صاعد في الطريق إذ بصبيان صغار خارجين من المدينة فهزأوا منه وقالوا له : اصعد يا أجلح! اصعد يا أجلح . فالتفت وراءه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب . فخرجت دبتان من الغاب ، وافترست منهم إثنين واربعين صبيًا »[2].

فكلمة استهزاء خرجت من افواه صبيان قالوها لنبيّ سببت موتهم . أما اضطهاد المسيح وتعذيبه فهذه بدون حساب ، واليهود مسامحون بها ، ويقف الله متفرجًا وكأن شيئًا لا يعنيه !

إن هذه الفقرة بحد ذاتها برهان على أن يهوذا هو المصلوب وليس المسيح .

« وبينما هم خارجون من المدينة صادفوا رجلاً قيرينيًا اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه . ولما وصلوا إلى المكان المعروف بالجلجثة ، أي المكان الذي يقال له الجمجمة ، ناولوه خمرًا جعلوا فيها مرارة ليشربها ، فذاقها وأبىٰ أن يشربها ، فصلبوه ثم اقترعوا على ثيابه ، واقتسموها ، ولبثوا هناك يحرسونه . ووضع فوق رأسه علة الحكم عليه كتب فيها : هذا يسوع ملك اليهود ، ويهزون رؤوسهم ويقولون : يا أيها الذي ينقض الهيكل ويبنيه في ثلاثة أيام إن كنت ابن الله فخلص نفسك وانزل عن الصليب . وكان الأحبار يسخرون مثلهم فيقولون مع الكتبة والشيوخ : خلّص غيره ولا يقدر أن يخلّص نفسه . هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب لنؤمن به . اتكّل على الله فلينقذه الآن إن كان راضيًا عنه . فقد قال : أنا ابن الله . وكان اللصان المصلوبان معه هما أيضًا يعيرانه مثل ذلك »[3] .

ويقف المسلمون معارضين لهذه النتيجة المحزنة التي وصل إليها المسيح حسب قول الأناجيل ، ويصّرون على أن الذي رفع على الصليب هو شخص آخر غير المسيح . ويبين القرآن الكريم حقيقة الموقف كما يلي :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ۞ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۞ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۞ ﴾[4] .

ونستنتج من الآيات القرآنية أن الله جعل كرامة المسيح في إنقاذه من المصير الذي كان ينتظره على أيدي اليهود . وذلك بإلقاء الشبه على غيره . وعلى الأرجح فإن المصلوب هو يهوذا الاسخريوطي كما جاء في إنجيل برنابا . وهو غير المسيح

---

(1) يوحنا فصل : 15 : 7 .

(2) سفر الملوك الرابع فصل : 3 : 23 .

(3) متّى فصل : 27 : من 32 حتى 44 .

(4) سورة النساء الآيات 155 وما بعدها .

يقينًا . كما يبين القرآن الكريم أن جميع أهل الكتاب كانوا مؤمنين بالمسيح قبل موته . وكانوا ينتظرونه ويعدّون أنفسهم لاستقباله ، فلما جاءهم استقبلوه أقبح استقبال ، وتآمروا على حياته . ففر منهم إلى دمشق حيث توفاه الله ورفعه إليه . وإن الكتب التي تتحدث عن عودة المسيح تذكر أنه سينزل في مدينة دمشق . وما ذلك إلا لأنه رفع منها .

وينفرد لوقا بذكر دعوة المسيح لمغفرة خطايا قومه وذلك بعد محاولتهم صلبه .

« فقال يسوع : يا أبت اغفر لهم لأنهم لا يدركون ما يفعلون »[1] .

فإذا كان القضاء بيد المسيح وهو الذي سيجازي الناس على أعمالهم . فلماذا يتوجه إلى الله ليطلب منه أن يغفر أعظم جريمة جرت في التاريخ ألا وهي قتل بريء يريد إصلاح قومه ؟ « لأن الأب لا يدين أحدًا بل جعل القضاء كله للابن »[2] .

سوف يأتي ابن الانسان في مجد أبيه مع ملائكته فيجازي كل امرىء على قدر أعماله »[3] .

فإذا كان طالب العفو والمغفرة للمجرمين هو الذي بيده القضاء فما معنىً يوم الدنيونة فالكل سيربحون الحياة الأبدية . وإذا كان صالب المسيح ناجيًا مغفورًا له ذنبه ، فمن الذي سيدان ؟ وهل ينجو القتلة والسفلة ويدخل النار ويذوق الجحيم ذلك الفتى المذكور في قصة عازر الفقير ؟ أم ذلك الذي يقول لأخيه يا جاهل ؟ « ومن قال له يا جاهل استوجب نار جهنم »(4) .

وجرّد الجنود يهوذا الاسخريوطي من كامل ثيابه ، وتركوه عريانًا كما ولدته أمه زيادة في إهانته وتحقيره . وهناك من يذكر أنهم فعلوا به أكثر من ذلك .

ولما صلبه الجنود أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام ، لكل جندي نصيب . وأخذوا القميص أيضًا ، وكان غير مخيط منسوجًا كله من أعلاه إلى أسفله . فقال بعضهم لبعض لا ينبغي أن نشقه بل نقترع عليه فنرى لمن يكون فتمت الآية : « اقتسموا ثيابي وعلى قميصي اقترعوا »[5] .

« وانتشر ظلام على الأرض كلها منذ الساعة السادسة (الثانية عشرة ظهرًا حسب التوقيت في يومنا هذا) إلى التاسعة (الثالثة ظهرًا) وصرخ (يهوذا الذي حسبوه المسيح) نحو الساعة التاسعة صرخة شديدة وقال : إيلي ايلي لما شبقتاني . أي إلهي إلهي لماذا خذلتني .

فلما سمع بعض الحاضرين هناك قالوا : إنه يدعو إيليا ، فأسرع واحد منهم إلى اسفنجة فبللها بالخل وجعلها على طرف قصبة وقربها إليه ليشرب ، فقال له الآخرون : دعنا ننظر هل يأتي إيليا فيخلصه ، وصرخ أيضًا صرخة شديدة وأسلم الروح . وإذا ستار الهيكل قد انشق شطرين من الأعلى إلى الأسفل ، وزلزلت الأرض وتصدعت الصخور ، وتفتحت القبور . فقام كثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته . ودخلوا المدينة المقدسة وتراءوا لأناس

---

(1) لوقا فصل : 23 : 34 .
(2) يوحنا فصل : 5 : 22 .
(3) متّى فصل : 16 : 27 .
(4) متّى فصل : 5 : 22 .
(5) يوحنا فصل : 19 : 23 .

كثيرين . وأما قائد المئة ، والرجال الذين كانوا يحرسونه ، فإنهم لما رأوا الزلزال وما حدث خافوا خوفًا شديدًا . وقالوا كان هذا ابن الله حقًا . وكان هناك كثير من النساء ينظرن عن بعد ، وهن اللواتي تبعن يسوع من الجليل ليخدمنه ، فيهن مريم المجدلية ، ومريم ام يعقوب ويوسف ، وأم ابني زبدي »(1) .

ونترجم المزمور الثاني والعشرين كما ورد في كتاب GOOD NEWS BIBLE لنفهم معنى العبارتين اللتين وردتا في هذا النص وهما :

اقتسموا ثيابي وعلى قميصي اقترعوا
و إلٰهي إلٰهي لماذا تركتني

وقائل هاتين العبارتين هو نبي الله داود أعظم أنبياء بني إسرائيل بعد موسىٰ .

« إن أبانا داود قبض ودفن وقبره لا يزال اليوم بيننا على أنه كان نبيًا »(2) .

وقد قام بنو إسرائيل بتشويه سمعة هذا النبي الكريم ، وسمعة أولاده من بعده ، فوصموهم بأبشع الصفات وأقبحها . وارتكب هو وأولاده من الجرائم والمخازي (على زعم التوراة) ما تقشعرّ منه الأبدان لذلك فإن داود لعن بني إسرائيل ، وتبرأ منهم ، ووصفهم بالمنافقين كما مرّ معنا في نشيد مكة ـ الفصل الرابع .

كان داود نبيًا عظيمًا قلما تجود الأيام بمثله ، كان داود محاربًا شجاعًا . فاق جميع الفرسان بأسًا وشجاعة . كان ملكًا حكيمًا وحّد عشائر إسرائيل تحت سلطته ، وحكمهم بالعدل والإحسان . وكان مخترعًا وصانعًا ماهرًا ، فهو أول من اخترع الدروع المصنوعة من الزرد ، كان يصنعها بيديه . وفوق كل ذلك كان شاعرًا مرهف الحس ألّف المزامير ، وهي أناشيد دينية ذات إيقاع موسيقي عذب وجذاب . وكان صوته جميلاً مطربًا . أناشيده تسحر الألباب ، وتبعث في النفس الأحاسيس الإنسانية النبيلة . وترشد إلى تقوىٰ الله وحمده وتسبيحه . لقد كان داود صانع أمجاد إسرائيل وفخرها على مدىٰ العصور والأيام . وكان جزاؤه من قومه الجحود والنكران ، والصاق أبشع التهم به وبعائلته ، وفي آخر أيامه شق ابنه أبو شالوم عصا الطاعة عليه ، وقاد الجيوش يريد أن يكون ملكًا مكان أبيه . وينسب اليهود المنافقون سبب هذا العصيان المسلح إلى أمنون الابن الاكبر لداود الذي اعتدىٰ على عفاف أخته تامار . وهي في الوقت ذات الأخت الشقيقة لأبي شالوم . فقام أبو شالوم بقتل أخيه أمنون انتقامًا لشرف أخته تامار . ثم لما شاخ داود تمرد عليه طالبًا الملك لنفسه . ونحن نبريء عائلة النبي داود من التهم الكاذبة التي رماهم بها اليهود . والتحق بعض رجال داوّد بابنه أبي شالوم يؤيدونه في ثورته ضد أبيه . ويصعد داود عقبة الزيتون باكيًا ورأسه مغطى وهو حافي القدمين . وجميع الشعب الذين معه كل واحدٍ منهم قد غطى رأسه وصعدوا وهم يبكون .

وفي ظل هذه الاحداث يقول داود في مزموره الشجي :

إلٰهي . . إلٰهي . . لماذا تركتني

أطلق بإلحاح ولجاجة صرخاتي البائسة مستعجلاً إنقاذي فلا تتأخر عني

---

(1) متّى فصل : 27 : الآيات من 45 حتى 56 .

(2) أعمال الرسل فصل : 2 : 29 .

يا رب ناديتك في النهار فلم تستجب لي ، وناديتك في الليل فلم يهدأ روعي ، ويسكن خاطري
أنت الملك القدوس الذي أثنى عليه بنو إسرائيل
بك آمن آباؤنا وتوكلوا عليك فأنقذتهم
ونادوك فأنجيتهم من الأخطار ، وآمنوا بك فلم تخيب رجاءهم
اللهم لا تحقّر شأني وتجعل قيمتي كقيمة دودة يزدريها الناس
اللهم لا تجعلني سخرية لأولئك الذين يهزؤون برؤوسهم ويقولون بألسنتهم : لقد فوضت أمرك لله فلماذا لم ينجيك ؟
و إذا كان الله راضيًا عليك . فلماذا لم ينقذك ؟
إلٰهي أنت الذي أخرجتني من بطن أمي ، وحفظتني وأنا طفل صغير ، لقد كان اتكالي عليك منذ مولدي ، وكنت دائمًا إلٰهي المتصرف في قدري .
لا تبتعد عني يا رب فإن الأخطار محدقة بي ، ولا منقذ لي منها سواك
أحاط بي الأعداء من كل جانب كأنهم ثيران باشان المتوحشة .
زأروا على كليوث كاسرة تريد تمزيقي .
لقد أضمحلت قوتي وضاعت كما يضيع الماء المسكوب على الأرض .
وتفككت عظامي ، وتخلخلت مفاصلي وذاب قلبي كما يذوب الشمع
لقد جفّت حنجرتي ولصق لساني بسقف حلقي فلا تتركني أموت معفرًا بالتراب . إن عصبة من الأشرار تلتف حولي ، كمجموعة من الكلاب تحيط بي . لقد مزقوا يديَّ ورجليَّ . وبانت جميع عظامي . وأعدائي ينظرون إليَّ ويتفرّسون بي يقترعون على ثيابي ويقتسمونها بينهم .
يا إلٰهي لا تكن بعيدًا عني . احضر سريعًا لتخليصي .
أنقذني من السيف . احفظ حياتي من هذه الكلاب .
نجني من هذه السباع فأنا لا أملك منقذاً من هذه الثيران المتوحشة إلا أنت وينقذ الله عبده داود . وتنتهي الفتنة ويعود الأمن والسلام فيردد قائلاً : سأخبر قومي بما صنعته لأجلي ، وسأمدحك وأثني عليك في مجامعهم . سبحوا الله يا عباد الله . مجدوه يا أبناء يعقوب . اعبدوه يا شعب إسرائيل إن الله لا ينسىٰ المساكين . ولا يتجاهل ما يعانون . ولا يشيح بوجهه عنهم . إنه يستجيب لدعائهم ولا يخيب رجاءهم .
سأسبحك في المجامع الممتلئة لأجل ما صنعت لي . وأمام عبادك سأقدم نذوري التي وعدت بها . وسيأكل منها الفقراء قدر ما يريدون .
ويستشف النبي داود الغيب ليرى قديسيّ الله وهم يحيطون بمدينة القدس محاصرين لها .
فيقول : أما أولئك القادمون[1] وهم يسبحون الله فعسىٰ أن ينجحوا دائمًا و إلى الأبد ، وعندها فإن جميع الأمم

---

(1) القادمون هم أمة محمد الذين بشّر بهم أنبياء بني إسرائيل .

ستذكر الله ، وسيتحولون إلى عبادته في جميع أطراف الأرض ، جميع القبائل والشعوب .

وستُحكم الأمم وفق شريعة الله . فهو الملك .

وسيسجد له الرجال العظماء الخالدون مع الرجال العاديين الذين يموتون فيطويهم النسيان ، وستنتقل كلمة الله عبر الأجيال مدىٰ الدهور .

أما أولئك الذين لم يولدوا بعد فسيخبرون بأن الله أنقذ أتباعه المؤمنين به .

وفي هذا المزمور نجد أن الله قد سارع لنجدة عبده داود ولم يتركه فريسة للأعداء ، ولو كان المسيح قائل هذا الكلام فمن المفروض أن يسارع الله لنجدته كما فعل مع داود ، وكما توقع الحاضرون أثناء عملية الصلب . فقال أحدهم : دعونا ننتظر هل يأتي إيليا فينزله .

إن عقيدة ظهور المخلص وهو هنا إيليا لها جذور تاريخية عميقة . وكلما ادلهمت الخطوب ، وفُقد العدل ، تطلّع الناس إلى من ينقذهم . أما هم فلم يحاولوا عمل شيء لرفع الظلم وكشف الهم والغم عن أنفسهم . وهذا هو الاستسلام الخاطيء للقدر ويحاسب الانسان عليه . ويلقىٰ الانسان المستسلم لظالميه الذل والهوان في الدنيا والعقاب في الآخرة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا * ﴾ [1] .

والإسلام يطلب من معتنقيه أن يصنعوا قدرهم ويسيروه الوجهة التي يريدونها . ويرفض أن يتركوا أنفسهم كريشة في مهب الريح يتحكم الآخرون في مصيرهم . ويفرضون عليهم آراءهم وأي تصرفات أخرىٰ يأباها الإسلام ولا يرضىٰ عنها .

لقد حسب المسيحيون أن يوحنا المعمدان هو إيليا ولكنهم لم يؤمنوا به وتركوه يستشهد لوحده في ساحة المعركة دون أن ينجدوه . بل باركوا مصيره وهم يتفرجون عليه . فإذا كان يوحنا المعمدان هو إيليا المنتظر فماذا فعل ؟ وما هي الإنجازات التي حققها ؟ إذا لم يتحرك كل إنسان لتخليص نفسه فلن يأتي الآخرون لإنقاذه . إن مصير الإنسان في يده وليس في يد غيره .

وقد جاء المسيح عيسى بن مريم لإنقاذ اليهود وتبشيرهم بمجيء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فماذا كانت النتيجة ؟ لقد رفضه الإسرائيليون وتآمروا على قتله شر قتله . وأكثر من ذلك شوهوا تعاليمه وحرفوا رسالته .

هل ينتظر المسلمون اليوم من يأتي لإنقاذهم وانتشالهم من الهوة الواقعين فيها ؟ لماذا لا يتحركون لإنقاذ أنفسهم ؟ لقد خط الأنبياء والمرسلون طريق الجهاد . وهو طريق النجاة . فهل يحتاج المسلمون اليوم إلى من يدلهم على هذا الطريق ويتقدمهم فيه ؟ إذًا . فلينتظروا الساعة بفتنة وهم منتظرون . وقد بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وضع الأمة الإسلامية وصورها أبلغ تصوير حين قال : « **يوشك أن تداعي عليكم الأمم كما تداعىٰ الأكلة إلى قصعتها . قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا ، بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ويصيبكم الوهن . قالوا :**

---

(1) سورة النساء : الآية 97 .

ما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت .

ونتساءل : هل كانت مؤامرات اليهود ودسائسهم وغدرهم أقوىٰ من المسيح ؟ والجوب هو لا . ولكن المتآمرين كانوا أقوىٰ من الشعب الخانع الراضي بالذل والمهانة ، والمتفرج على الأحداث وكأن الأمر لا يعنيه .

ويختلف كتاب الأناجيل في الأقوال التي تلفظ بها المصلوب ، والأقوال التي قالها قائد المئة الذي أشرف على عملية الصلب وقام بتنفيذها .

متّى : إيلي . . إيلي . . لم شبقتاني .

لوقا : يا أبتا في يديك أجعل روحي .

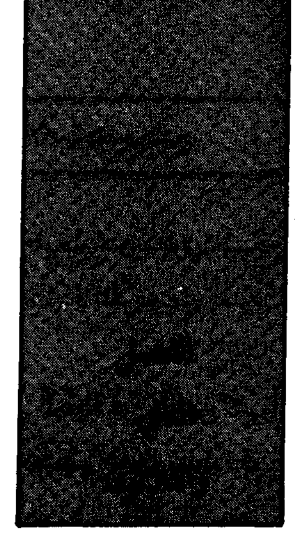
يوحنا : أنا عطشان . وعندما ذاق الخل قال تَمَّ كل شيء .

متّى : قال قائد المئة والذين معه : كان هذا ابن الله حقًا .

لوقا : مجّد قائد المئة الله وقال : حقًا هذا الرجل كان بارًا .

يوحنا : ولما وصلوا إليه رأوه قد مات فطعنه أحد الجنود بحربة في جنبه فخرج على إثرها دم وماء .

وهذه الأقوال تنفي ألوهية المسيح . ولنذكر أن قائد المئة الذي قال . كان هذا ابن الله حقًا . هو إنسان وثني يعتقد بتعدد الآلهة وبتناسلها .



الأحداث الأخيرة ومصير المسيح

« طوبى لمن يراعي المسكين . ينقذه الرب يوم السوء . الرب يحفظه ويحييه ويسعده في الأرض ولا يسلمه إلى نفوس أعدائه »[1] .

كانت هذه هي نهاية المسيح . لقد أنقذه الله وحفظه من أعدائه .

أما كاتب إنجيل متَّى فيخترع أحداثًا وهمية ليدلل على غضب الله وانتقامه من أعداء المسيح . ولكن تحليل هذه الأحداث يبين زيفها وبطلانها خاصة إذا قارناها مع ما فعله الله بأهالي سدوم وعمورة بعد أن أنقذ نبيه لوطا من بينهم .

« وصرخ أيضًا يسوع صرخة شديدة ولفظ الروح . وإذا ستار الهيكل قد انشق شطرين من الأعلى إلى الأسفل »[2] .

ها قد تحرك الله بعد سماعه صرخه ابنه ، إنه يريد الانتقام من بني إسرائيل . فيشق لهم ستار الهيكل شطرين من أعلى إلى أسفل ، فهل هناك أعظم من هذا الانتقام . . ؟ لقد شُقّ ستار الهيكل . أما يكفيكم يا بني إسرائيل برهانًا على كرامة المسيح عند ربه أنه شق لكم ستار الهيكل ؟ لا تظنوا أن الله قاسي القلب ، متحجر العواطف ، يقف عاجزًا مكتوف اليدين وهو ينظر إبنه الوحيد يساق إلى المذبح ولا يعمل من أجله شيئًا . ابنه يستغيث به ويناديه . سيريكم الله قوته فانظروا « وزلزلت الأرض وتصدعت الصخور . وتفتحت القبور فقام كثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته فدخلوا المدينة المقدسة وتراءوا لأناس كثيرين »[3] .

وفي هذا المقطع يمكننا أن نتذكر إلٰه الحرب اليوناني آرس Ares عندما علم بمقتل ابنه عسقلاف Ascalaphus ونهض من مكانه غاضبًا وضرب على فخذيه وقال : لا بل سأذهب الآن إلى السفن لأثأر لولدي . ولو ضُربت بصواعق زفس القاصفة . ثم طلب إلى الهول والرعدة إسراج جياده وأعطى أسلحته اللامعة . وكاد غضب رفس ينزل بالأرباب لولا أثينا التي نهضت من مجلسها وأمسكت بآرس ، ثم أخذت الخوذة عن رأسه ، والترس عن كتفيه ، والرمح من يده ، وبعد أن أجلسته على كرسيه قالت له : ماذا أنت فاعل أيها المجنون ؟ هل تريد أن تجلب غضب زفس علينا جميعًا . فاطرح

---

(1) المزمور : 40 : 2 و 3 .

(2) متَّى فصل : 27 : 51 .

(3) متَّى فصل : 27 : 51 ، 52 ، 53 .

ويبقى المسيح في ربوة دمشق مدة لا نستطيع تحديدها لعدم ورود خبر صحيح في هذا الموضوع ويستوفي المسيح عمره ويأتيه أجله ككل إنسان فيتوفاه الله ويرفعه إلى أعلى عليين حيث عباد الله الصالحون والملائكة المقرّبون . بعد أن يَعِدُه بإنتصار المؤمنين به ولا بعد حين .

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ ﴾[1] .

وتسكت الأناجيل ولا يتحدث القرآن عن مصير السيدة مريم بعد رفع المسيح . والأرجح أنها توفيت بعده بمدة قصيرة وفي غوطة دمشق ، ولا يعرف أحد لها قبرًا أو تاريخًا صحيحًا ، ولكن يوجد لها عدد من المزارات قرب مدينة دمشق وحيث توجد قرية تدعي « عدرا » نسبة إلى العذراء . ويعتقد بعض المسلمين بأن المسيح سيعود في آخر الزمان ويبدأ دعوته من دمشق وما ذلك إلا لأنه رفع من دمشق .

ونرجع إلى الفصل الأخير في كل من الأناجيل الأربعة والتي تتحدث عن قيامة المسيح حيث نجد تناقضات عديدة لا تخفىٰ على القاريء اللبيب ، وما عليه إلا أن يعيد قراءتها حتى يكتشف ذلك بنفسه .

فأخذ يوسف الجسد ولفه في كفن نظيف ، ووضعه في قبر له جديد كان قد حفره في الصخر . ثم دحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر ومضىٰ .

« وفي غد أي بعد التهيئة ذهب الأحبار والفريسيون معًا إلى بيلاطس وقالوا له : سيدي تذكرنا أن ذاك المضلل قال إذ كان حيًا . سأقوم بعد ثلاثة أيام . فمر أن يحفظ القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه فيسرقوه ويقولوا للشعب قام من بين الأموات . فيكون التضليل الآخر شرًا من الأول . فقال لهم بيلاطس : دونكم بعض الحرس فاذهبوا واحتاطوا كما ترون . فذهبوا واحتاطوا على القبر . فختموا الحجر وأقاموا عليه حرسًا . ولما إنقضى السبت وبزغ فجر الأحد جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرىٰ تتفقدان القبر فإذا زلزال شديد قد حدث . ذلك بأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء إلى الحجر ودحرجه وقعد عليه . وكان منظره كالبرق ، وثوبه أبيض كالثلج . فلما رآه الحرس ارتعدوا خوفًا منه وصاروا كالأموات . فقال الملاك للمرأتين . لا تخافا انتما . فأنا أعلم إنكما تطلبان يسوع المصلوب . إنه ليس ههنا فقد قام من بين الأموات كما أنبأ . تعاليا فانظرا الموضع الذي كان فيه مضجعًا . وأسرعا في الذهاب إلى تلاميذه وقولا لهم . إنه قام من بين الأموات . وها هوذا يتقدمكم إلى الجليل . فترونه هناك . هذا ما قلته لكما . فتركتا القبر مسرعتين وهما في خوف شديد وفرح عظيم . وبادرتا إلى التلاميذ تحملان البشرىٰ . وإذا يسوع قد جاء للقائهما فقال لهما : السلام عليكما . فتقدمتا والتزمتا قدميه ساجدتين له فقال لهما يسوع : لا تخافا . اذهبا فقولا لإخوتي يمضوا إلى الجليل فهناك يرونني »[1] .

« وجئن عند فجر الأحد إلى القبر . وهن يحملن الطيب الذي أعددنه . فوجدن الحجر قد دحرج عن القبر فدخلن

---

(1) سورة آل عمران : الآيات 55 و 56 و 57 و 58 .

(1) متّى فصل : 27 و 28 .

فلم يجدن جسد يسوع وبينما هن في حيرة إذ تراءى لهن رجلان عليهما ثياب براقة.فاستولىعليهن الخوف ، ونكسن وجوههن نحو الأرض . فقالا لهن : لماذا تبحثن عن الحي بين الأموات . إنه ليس ههنا بل قام . اذكرن ما أنبأكن . إذكان في الجليل فقال : يجب على ابن الإنسان أن يسلم إلى أيدي الخاطئين ويصلب ثم يقوم في اليوم الثالث . فذكرن كلامه ورجعن من القبر فأخبرن الأحد عشر والآخرين جميعًا بهذه الأحداث كلها . وهن مريم المجدلية وحنة ومريم أم يعقوب . كذلك سائر النسوة اللواتي صحبنهن أخبرن الرسل بذلك فبدا لهم هذا الكلام ضربًا من الهذيان ولم يصدقوهن . غير أن بطرس قام فأسرع إلى القبر فلم يجد عند انحنائه غير اللفائف فانصرف متعجبًا مما حدث »[1] .

« ولما انقضى السبت اشترت مريم المجدلية ، ومريم ، أم يعقوب ، وسالومة ، طيبًا ليأتين فيطيبنه ، وفي غداة يوم الأحد جئن إلى القبر وقد طلعت الشمس ، وكن يقلن بعضهن لبعض:من تراه يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ فنظرن فرأين أن الحجر قد دحرج ، وكان كبيرًا جدًا ، فدخلن القبر ، فأبصرن شابًا جالسًا عن اليمين وعليه حلة بيضاء فإرتعبن . فقال لهن : لا ترتعبن أنتن تطلبن يسوع الناصري الذي صلب . إنه قام وليس هنا . وهذا هو المكان الذي وضع فيه . فاذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس . إنه يتقدمكم إلى الجليل فترونه هناك كما أنبأكم . فخرجن من القبر هاربات . لما أخذهن من الرعدة والدهش . ولم يخبرن أحدًا بشيء لأنهن كن خائفات »[2] .

« ويوم الأحد بكرت مريم المجدلية إلى القبر والظلام لم يزل مخيمًا . فرأت الحجر قد أزيل عن القبر . فحثت السير إلى سمعان بطرس والتلميذ الآخر الذي أحبه يسوع . وقالت لهما أخذوا الرب من القبر ولا نعلم أين وضعوه . فخرج بطرس والتلميذ إلى القبر يسرعان السير معًا ولكن التلميذ الآخر سبق بطرس فوصل قبله إلى القبر . فانحنى ولم يدخل . فأبصر الاكفان على الأرض وكان سمعان بطرس يقتفي أثره فوصل بعده . فدخل القبر فأبصر الأكفان على الأرض والمنديل على رأسه ملفوفًا في مكان على حدة لا ملقى مع الأكفان . ودخل التلميذ الآخر . وقد وصل قبله إلى القبر فرأى وآمن . لأنهما لم يكونا قد فهما بعد الآية التي تقول : إنه يجب أن يقوم من بين الأموات . ثم رجع التلميذان إلى حيث يقيمان . أما مريم فكانت قائمة على القبر تبكي . فانحنت نحو القبر وهي تبكي فرأت ملاكين جالسين حيث كان جثمان يسوع ، أحدهما عند الرأس ، والآخر عند الرجلين . فقالا لها : ما يبكيك أيتها المرأة . فأجابتهما : أخذوا ربي ولا أدري أين وضعوه . قالت هذا ثم التفتت وراءها فرأت يسوع واقفًا ، ولم تعلم أنه هو نفسه ، فقال لها يسوع : ما يبكيك أيتها المرأة ؟ وعمن تبحثين ؟ فظنت أنه البستاني فقالت له : سيدي إذا كنت أنت قد أخذته فقل لي أين وضعته لآخذه . فقال لها يسوع : مريم . فعرفته وقالت له بالعبرية : ربوني . أي – يا معلم – فقال لها يسوع : لا تمسكيني إني لم أصعد بعد إلى أبي بل اذهبي إلى الإخوة فقولي لهم إني صاعد إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم . فرجعت مريم المجدلية وبشرت التلاميذ بأنها رأت الرب وأنه قال لها ذاك الكلام »[3] .

أما ما حصل فعلاً فإن بعض التلاميذ سرقوا جثة المصلوب شبيه المسيح يهوذا الاسخريوطي ، وادعوا بأنه قام من بين الأموات .

---

(1) لوقا فصل : 24 .

(2) مرقس فصل : 16 .

(3) يوحنا فصل : 20 .

غيظك من أجل ابنك جانبًا فقد صرع من الرجال من هم أشد منه قوة وأكثر بأسًا[1] .

لقد رضخ آرس إله الحرب اليوناني لمشيئة الأرباب فلم يستطع القيام بأي عمل ثأرًا لولده ، أما الله فقد انتقم لوحيده بإخراج أجساد القديسين من قبورهم ، وسمح لهم بالتجول في المدينة المقدسة !

ولكن كاتب الانجيل لم يذكر لنا هل ترك القديسون أكفانهم وأغطية رؤوسهم عندما خرجوا من قبورهم وكانوا عارين من الملابس . أم أنهم تلحفوا هذه الأكفان وستروا بها عوراتهم ؟ ! ونسى الكاتب أيضًا أن يذكر هل عادت أجساد القديسين إلى قبورها بعد جولتها في شوارع المدينة المقدسة ؟ ! أم أنها ذهبت إلى مكان آخر ؟ ! هل عاد كل قديس إلى بيته ليعيش مع الناس كما يعيش الأحياء ؟

أما يهوذا الاسخريوطي فقد اختفىٰ من ساحة الوجود عقب القبض مباشرة على من دعوه المسيح وهذا ما يعزز قولنا بأن يهوذا الاسخريوطي هو الذي صُلِبَ بدل المسيح عليه السلام .

ويتكلم إنجيل متّى عن مصير يهوذا . أما الأناجيل الثلاثة الباقية فتغفل ذكره نهائيًا . لأن كُتابها لا يعلمون شيئًا عن حقيقة مصيره . أما كتاب أعمال الرسل فيذكر نهاية ليهوذا مخالفة لما كتبه متّى . « فلما رأى يهوذا الذي أسلمه أن قد حكم عليه ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى الأحبار والشيوخ وقال : قد خطئت إذ أسلمت دمًا طاهرًا . فقالوا له مالنا ولهذا الأمر ؟ أنت وشأنك فيه . فألقى الفضة في الهيكل وانصرف . ثم ذهب فخنق نفسه . فالتقط الاحبار الفضة وقالوا لا يحل لنا أن نضعها في الخزانة لأنها ثمن دم . فتشاوروا واشتروا بها حقل الخزّاف مقبرة للغرباء . ولهذا يقال لذلك الحقل إلى اليوم حقل الدم »[2] .

إذًا فيهوذا قد انتحر أسفًا وندمًا . والمشترون لحقل الدم هم الأحبار . أما بطرس فيذكر في كتاب أعمال الرسل أن المشتري للحقل هو يهوذا الاسخريوطي ، وأنه لم ينتحر بل وقع على رأسه جزاء فعلته ووشايته .

« أيها الإخوة كان لا بد أن تتم الآية التي قالها الروح القدس من قبل بلسان داوود على يهوذا الذي جعل نفسه دليلاً للذين قبضوا على يسوع ، فقد كان واحدًا منا وله حظ معنا في هذه الخدمة . ثم تملك حقلاً بثمن الجريمة فوقع على رأسه منكسًا وانشق من وسطه واندلقت أمعاؤه كلها . وعرف ذلك سكان أورشليم جميعًا حتى دعى الحقل في لغتهم حقل دمخ أي حقل الدم »[3] .

وإذا عرفنا أن مناسبة هذا الكلام هي اختيار واحد بدلاً من يهوذا الاسخريوطي ليبقى عدد الرسل اثني عشر ، وإذا تمعّنا في الجملة – حتى دعى الحقل في لغتهم دمخ – تبين أن القائل لهذا الكلام ليس الرسول بطرس . لأن القائل يتكلم لغة غير لغة أهل المدينة المقدسة وأن المستمعين لا يمتون إلى هذه المدينة بصلة ولا يعرفون لغتها . وإذا علمنا أن كتاب أعمال الرسل يبين أن بطرس قال هذا الكلام في العلّية[4] الموجودة في أورشليم تبين لنا التناقض في هذه الأقوال . وقد يتساءل البعض كيف يمكن أن يلقىٰ شبه المسيح على يهوذا ؟ وكيف التبس الأمر على كثير من الناس ؟ فنقول إن المسيح رافق اثنين

---

(1) الالياذة لهوميروس ترجمة عنبرة سلام الخالدي .

(2) متّى فصل : 26 : 3 حتى 8 .

(3) أعمال الرسل فصل : 1 : من 16 حتى 20 .

(4) العلّية التي كان يجتمع فيها تلاميذ المسيح : أعمال الرسل فصل : 1 : 3 .

من تلاميذه مسافة عشرة كيلومترات ، أي لمدة تزيد عن الساعتين ، وهو يحادثهم فلم يعرفوه ، وعللوا ذلك بأن أعينهم حجبت عن معرفته ، ونفس الكلام نقوله عن يهوذا إذ حجبت أعين القوم عن معرفته واشتبهت بأنه المسيح .

« واتفق أن اثنين ـ من التلاميذ ـ كانا ذاهبين في ذلك اليوم إلى قرية يقال لها عماوس على مسافة ستين غلوة من أورشليم . وكانا يتحدثان بهذه الأمور كلها . وإنهما ليتحادثان ويتجادلان إذ يسوع نفسه قد دنا منهما وأخذ يسير معهما على أن أعينهما حجبت عن معرفته فقال لهما : ما هذا الحديث الذي تخوضان فيه وأنتما سائران ؟ فوقفا مكتئبين ، وأجابه أحدهما واسمه كلاوبا : أأنت وحدك تقيم في أورشليم ولا تعلم ما حدث فيها هذه الأيام فقال لهما : ماذا ؟ قالا له : ما حدث ليسوع الناصري (النذري) وكان نبيًا مقتدرًا على القول والعمل عند الله والشعب كله ، كيف أسلمه الأحبار وأولياء أمرنا ليحكم عليه بالموت وكيف صلبوه . وهو الذي كنا نرجو أن يعتق إسرائيل ، ومع ذلك كله ، فهذا هو اليوم الثالث لتلك الاحداث التي وقعت . غير أن نسوة منا قد حيرننا ، فإنهن بكّرن إلى القبر فلم يجدن جسده ، فرجعن وقلن إنهن أبصرن ملائكة تراءوا لهن . وقالوا إنه حيّ . فذهب بعض أصحابنا إلى القبر فوجدوا الحال على ما قالت النسوة . ولكنهم لم يروه . فقال لهما يا قليلي الإدارك وبطيئ القلب عن الإيمان بكل ما نطق به الأنبياء أما كان يجب على المسيح أن يعاني هذه الآلام فيدخل في مجده ؟ ثم أخذ يفسر لهما ما يعنيه مما ورد في جميع الكتب من موسى إلى سائر الأنبياء ، ولما اقتربوا من القرية التي يقصدان إليها أظهر لهما أنه ماض إلى مكان بعيد ، فتمسكابه وقالا : امكث معنا فقد حان المساء ومال النهار . فدخل يمكث معهما . ولما جلس معهما أخذ خبزًا وبارك ثم كسر وناولهما فانفتحت أعينهما وعرفاه فتوارى عنهما . فقال أحدهما للآخر . أما كان قلبنا متقدًا في صدورنا حين حدّثنا في الطريق وفسّر لنا الكتب ؟ ثم قاما من ساعتهما ورجعا إلى أورشليم . فوجدا الأحد عشر وأصحابهم مجتمعين . وكانوا يقولون : قام الرب حقًا وتراءى لسمعانٍ فرويا لهما ما حدث في الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز »[1] .

وإذا دلت هذه القصة على شيء فهي تدل على رحيل المسيح إلى مكان بعيد كما ذكر التلميذان .

ففي غمرة هذه الأحداث والناس في حيرة من أمرهم لا يصدقون بأن الله قد تخلى عن المسيح ، وهو الذي قام بالمعجزات العظيمة ، ولكنهم لا يستطيعون تكذيب أعينهم ، فهاهو المصلوب شبيه المسيح أمامهم ، والحراس من حوله يمنعون الناس من الاقتراب منه . ولا بد أن هناك تدبيرات أمنية مشددة خوفًا من هياج الجماهير المتعلقة بالمسيح . وفي هذه الأثناء كان المسيح منطلقًا إلى الجليل حيث بقي هناك ثلاثة أيام اجتمع خلالها مع جميع تلاميذه الذي لحقوا به . وأعطاهم تعليماته الأخيرة ، ثم ودعهم مغادرًا إياهم إلى ربوة دمشق ومعه أمه وعدد من تلاميذه المخلصين . ﴿ **وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** ﴾[2] .

ويمكث المسيح في ربوة دمشق بعيدًا عن سطوة اليهود وهو يرعى والدته مريم العذراء في مكان بعيد عن أنظار اليهود الذين ما زالوا يبحثون عن أمه ليرجموها بتهمة الزنى بعد أن ظنوا أنهم قد قضوا عليه . ويهرب تلاميذه إلى كل جهة حتى لا يهلكوهم .

---

(1) لوقا صل : 24 : من 13 حتى 35 .

(2) سورة المؤمنون : الآية 50 .

« فاجتمع الحرس والشيوخ ، وبعدما تشاوروا رشوا الجنود بمال كثير وقالوا لهم : أشيعوا أن تلاميذه جاءوا ليلاً فسرقوه ونحن نيام . و إذا بلغ الخبر الحاكم تولينا إرضاءه ، ودفع الأذىٰ عنكم . فأخذوا المال وأنفذوا ما لقنوهم . فانتشرت هذه الرواية بين اليهود إلى اليوم »[1] .

و بملاحظة الجملة الأخيرة فانتشرت هذه الرواية بين اليهود إلى اليوم فإننا نستنتج أن كلمة اليوم تعني يوم كتابة إنجيل متَّى وهذا يعني وجود فارق زمني كبير من وقت هذه الحادثة إلى وقت كتابة الإنجيل .

وبعد ، فإن هذا الرسول الكريم والنبيّ العظيم ذهب كما جاء ، ولم يفلح في تليين قلوب بني إسرائيل المتحجرة . رغم ما قام به من معجزات يحتار العقل في تعليلها . رحل المسيح من هذه الدنيا غير آسف على شيء ، فقد بلغ الرسالة ، وأدىٰ الأمانة . ولا ينقص أجره و إن لم يهتد به إلا قلة قليلة ، قوية في إيمانها متمسكة بتعاليم نبيها ، مترابطة فيما بينها . ولكن كتاب الأناجيل الذين لم يعرفوا هؤلاء التلاميذ قد وصفُوهم كما يلي :

« فلما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم ارتابوا »[2] .

« وتراأى آخيرًا للأحد عشر أنفسهم وهم على الطعام فوبخهم على قلة إيمانهم وقساوة قلوبهم »[3] .

لم يعرف التلميذان معلمهما على طريق عماوس فقال لهما : « يا قليلي الإدراك وبطيىء القلب عن الإيمان بكل ما نطق به الأنبياء »[4] .

وهذا توما أحد الاثنى عشر يخبره التلاميذ بقيامة المسيح فلا يصدقهم ولا يثق بكلامهم .

« فقال له التلاميذ : لقد رأينا الرب . فأجابهم : إذا لم أبصر أثر المسمارين في يديه ، وأضع إصبعي في مكان المسمارين ، ويدي في جنبه لا أومن »[5] .

فإذا كان تلميذ المسيح لا يصدق رفاقه في شيء أجمعوا عليه ورأوه بأعينهم ، فكيف سيصدق الناس هؤلاء التلاميذ في الأمور الغيبية وهي الحساب ثم الجزاء فإما ثواب و إما عقاب .

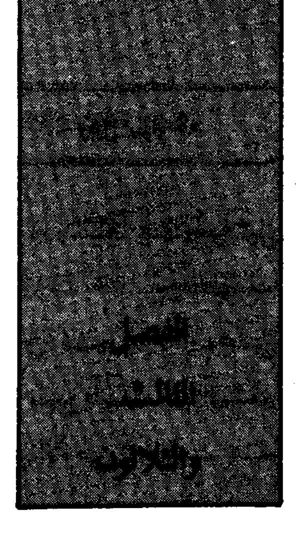
بزغ نجم المسيح وسط جو مظلم من التشاؤم واليأس ، فأنار الطريق أمام اليائسين ، وشجع المقهورين ، وأعاد الثقة بالنفس والدين ، وبشر بالخلاص من السلطة الرومانية ، والعودة إلى الدين ، وباقتراب الوعد الذي وعده الله لعبده إبراهيم قائلاً : بنسلك أبارك أمم الأرض .

وانطلق تلاميذ المسيح يبشرون بالتجديد ، وفيهم حماس منقطع النظير ، ذلك أنهم رأوا بأعينهم نجاة المسيح ، ووقوع الواشي يهوذا في الفخ الذي نصبه . وأن الله مع المحسنين ، لا يتخلى عنهم وقت الضيق . وقام الآلاف معهم يشهدون بمعجزات المسيح ، واتسع نطاق الدعوة إلى خارج فلسطين حيث الجاليات اليهودية المنتشرة . ولغياب النبي الكريم والموجه الحكيم تشعبت الآراء ، وكثرت الفتاوي ، وأخذ كل واحد يضع الحلول التي يراها مناسبة لنشر الدعوة ،

---

(1) متَّى فصل : 28 : 12 .
(2) متَّى فصل : 28 : 17 .
(3) مرقس فصل : 16 : 9 .
(4) لوقا فصل : 24 : 25 .
(5) يوحنا فصل : 20 : 25 .

واندس أناس كثيرون بين الدعاة ، وكثرت الخلافات والمشاحنات ، وظهرت الانقسامات ، وكتبت أناجيل مختلفة ومتنوعة كل منها يحكي قصة المسيح بشكل مغاير ومخالف للأناجيل الأخرىٰ . وادّعى كثيرون بأنهم تلاميذ المسيح ، وأنهم يحملون الدين الصحيح ، وأن غيرهم كاذبون مندسون لمآرب في نفوسهم . وضاعت الحقيقة وسط هذا الزحام من الأفكار المتناقضة ، والشخصيات المتنوعة والتي أخذت تنسب لنفسها صفات وألقاب وقدرات ما أنزل الله بها من سلطان ، يخدعون بها الجماهير الساذجة المتعطشة لمعرفة الحقائق الروحية السامية .



وكيل أسرار الله

في هذا الفصل والفصول القادمة سنستعرض حياة وتعاليم وأهداف القديس بولس والذي دعا نفسه رسول السيد المسيح إلى الأمم .

وأول ذكر له كان موقفه من قتل اسطفانس أول شهداء المسيحية .

« أما الشهود فخلعوا ثيابهم على قدمي فتى يقال له شاول »[1] .

« وكان شاول موافقًا على قتل اسطفانس »[2] .

« أما شاول فكان يعيث في الكنيسة فسادًا ، ويذهب من بيت إلى بيت ، فيخرج الرجال والنساء ويلقيهم في السجن »[3] .

« أما شاول فما كان ينفث صدره غير تهديد وتقتيل لتلاميذ الرب . فقصد إلى عظيم الأحبار والتمس منه رسائل إلى مجامع دمشق حتى إذا وجد أناسًا على هذه الملة رجالاً أو نساءً ساقهم موثقين إلى أورشليم . وإنه لسائر وقد اقترب من دمشق إذا نور من السماء قد سطع حوله فسقط على الأرض .

وسمع هاتفًا يقول له . شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيدي ؟ قال : أنا يسوع الذي أنت تضطهده . فقم وادخل المدينة . فيقال لك ما يجب أن تفعل . أما رفقاؤه فوقفوا حائرين (يسمعون الصوت ولا يرون أحدًا) . فنهض شاول عن الأرض وهو لا يبصر شيئًا . مع أن عينيه كانتا مفتوحتين . فاقتادوه من يده ودخلوا به دمشق . فلبث ثلاثة أيام مكفوف البصر لا يأكل ولا يشرب »[4] .

هذه هي بداية بولس كما يذكرها كاتب أعمال الرسل . ويكرر كاتب أعمال الرسل بداية بولس مرتين أخريين على لسان بولس وبشكل مغاير لما رواه في المرة الأولى التي ذكرناها أعلاه .

اتهم أهل أورشليم بولس بتدنيس الحرم الشريف فأخذ يخطب بينهم بالعبرية قال :

« أيها الأخوة ، أيها الآباء ، اسمعوا ما أقول الآن في الدفاع عن نفسي . فلما سمعوه يخاطبهم بالعبرية أخلدوا إلى

---

(1) أعمال الرسل: فصل 7: 9.

(2) أعمال الرسل: فصل 8: 1.

(3) أعمال الرسل: فصل 8: 3.

(4) أعمال الرسل: فصل 9.

السكينة . فقال : أنا رجل يهودي ولدت في طرطوس من قيليقية . على أني نشأت في هذه المدينة وتلقيت عند جملائيل تربية صالحة موافقة كل الموافقة لشريعة الآباء ، وكنت حفيظًا على العمل لله . شأنكم جميعًا في زمننا هذا . واضطهدت ذلك المذهب حتى الموت . فاعتقلت الرجال والنساء وألقيتهم في السجون ، وبذلك يشهد لي عظيم الأحبار ومجلس الشيوخ أجمع . ثم أخذت منهم رسائل إلى الإخوة في دمشق فسرت إليها لأعتقل من كان فيها منهم فأسوقه إلى أورشليم فيلقىٰ جزاءه . و إني لسائر وقد اقتربت من دمشق إذ نور قد سطع حولي عند الظهر فسقطت على الأرض . وسمعت هاتفًا يقول لي : شاول . . شاول . . لماذا تضطهدني ؟ فقلت : من أنت يا سيدي ؟ قال : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده . (وكان رفاقي يرون النور ولا يسمعون صوت من يخاطبني) . فقلت : سيدي ماذا أعمل ؟ قال لي الرب : هلم فاذهب إلى دمشق تخبر فيها بما قضى عليك بأن تعمل . على أني عدت لا أبصر لشدة ذلك النور الباهر . فاقتادني رفاقي حتى وصلت إلى دمشق »[1] .

ويتكرر هذا المقطع على لسان بولس مرة ثالثة عندما يمثل أمام الملك أغريبا .

« فقال أغريبا لبولس . يؤذن لك أن تدافع عن نفسك . فأشار بولس بيده وشرع في دفاعه فقال : أراني سعيدًا[2] أيها الملك أغريبا ؛ لأني سأدافع اليوم عن نفسي في حضرتك . وأرد على كل ما يتهمني به اليهود . خصوصًا أنك تعرف حق المعرفة ما لليهود من سنن ومجادلات . فأسألك أن تصغي إليَّ بسعة صدرك . يعلم اليهود جميعًا ما كانت عليه سيرتي منذ حداثتي وكيف عشت بين أمتي في أورشليم منذ نشأتي فهم يعرفونني من عهد بعيد . ولو شاؤوا لشهدوا أني اتبعت أكثر مذاهب ديانتنا تشدُّدًا فعشت فريسيًا . وأنا اليوم أحاكم من أجل أني أرجو ما وعد الله به آباءنا . وما زال أسباطنا الاثنا عشر يرجون تحقيقه[3] . فيواظبون على عبادة الله ليل نهار . فبهذا الرجاء أيها الملك يتهمني اليهود . فلما لا تصدقون أن الله يقيم الأموات[4] . علمًا بأني كنت أرى أنه يجب أن أقاوم اسم يسوع الناصري مقاومة شديدة . وهذا ما فعلت في أورشليم . إذ تلقيت التفويض من الأحبار . فألقيت بيدي في السجون عددًا من القديسين كبيرًا . وكنت موافقًا على قتلهم حين قتلوا . ولطالما عذبتهم في كل مجمع لأحملهم على الكفر . وبلغ مني السخط كل مبلغ حتى أخذت أطاردهم في المدن الغريبة . فمضيت على هـذه الحال إلى دمشق ولي التفويض والترخيص من الأحبار . فرأيت أيها الملك على الطريق عند الظهر نورًا من السماء يفوق الشمس بإشعاعه وقد سطع حولي وحول رفقائي . فسقطنا معًا على الأرض . وسمعت هاتفًا يقول لي بالعبرية : شاول . . شاول . . . لماذا تضطهدني ؟ ليصعب عليك أن ترفس المهاز ، فقلت : من أنت سيدي ؟ قال : أنا يسوع الذي أنت تضطهده . فانهض وقم على قدميك لأني ظهرت لك لأجعل منك خادمًا وشاهدًا لهذه الرؤية التي رأيتني فيها ولغيرها من الرؤىٰ التي سأظهر فيها لك . سأنقذك من الشعب ومن الوثنيين الذين أرسلك إليهم . لتفتح عيونهم ليرجعوا من الظلام إلى النور ومن سلطان الشيطان إلى الله . وينالوا بإيمانهم بي غفران الخطايا . ونصيبهم من الميراث في عداد القديسين . ومن ذاك الحين لم أعص الرؤيا السماوية أيها الملك أغريبا . بل بشرت أهل

---

(1) أعمال الرسل فصل : 22 .

(2) لنقارن بين موقف بولس السعيد بمقابلة الحكام ليدعوهم إلى دينه مع موقف المسيح الذي ظنوه مجنونًا .

(3) الوعد هو الحياة في الآخرة ويقصد بها دخول الجنة وهذه الفقرة تنقض فكرة فداء المسيح .

(4) كان الصدوقيون لا يعتقدون بالقيامة . وكان هيردوس وأولاده وحاشيته من الصدوقيين .

دمشق أولاً ثم أهل أورشليم[1] . وبلاد اليهودية كلها . ثم الوثنيين فدعوتهم إلى التوبة والرجوع إلى الله . وأن يقوموا بأعمال حقيقة التوبة . فلذلك قبض على اليهود في الهيكل وحاولوا قتلي . ولكني ما زلت إلى اليوم بعون الله أؤدي شهادتي إلى الصغار والكبار ، ولا أقول إلا ما قال بوقوعه موسىٰ والأنبياء من أن المسيح سيتألم . وأنه أول من يقوم من بين الأموات ويبشر الشعب والوثنيين بالنور »[2] .

لم نذكر في هذا الكتاب كامل النصوص الثلاثة التي تشرح بداية إيمان بولس والذي كان اسمه شاول . أما لماذا غيَّر شاول اسمه إلى بولس فلا يوجد عندنا تبرير لذلك سوىٰ أنه أراد الانسلاخ من اليهودية ، حتى الاسم فقد رفضه وتسمىٰ باسم يوناني ، وليتقرب من اليونانيين والرومان ، وكما يفعل الجواسيس والمستشرقون الذين يجوبون العالم الإسلامي فإنهم أول ما يصنعون يبدلون أسماءهم إلى أسماء عربية وبذلك يكسبون ثقة أهل المنطقة الساذجين .

وقاريء النصوص الثلاثة يتحير . هل سمع رفاق بولس الصوت أم رأوا النور أم لم يسمعوا شيئًا ولم يروا شيئًا ؟

« أما الرجال المسافرون معه فوقفوا مبهوتين يسمعون الصوت ولا يرون أحدًا فنهض شاول ولم يكن يبصر شيئًا »[3] .

« وكان رفقائي يرون النور ولا يسمعون صوت من يخاطبني . على أني عدت لا أبصر شيئًا لشدة ذلك النور الباهر »[4] .

« فسقطنا معًا على الأرض »[5] .

أين هؤلاء الرجال الذين كانوا مع بولس . هل أصبحوا هم أيضًا عميانًا من شدة النور الباهر »[6]

هل الذي ظهر لبولس شيطان أم ملاك ؟ أم أنه وهم وتخيل ؟ أم أنه الكذب والاختلاق .

« ولا غرو فإن الشيطان نفسه يغير هيئته إلى هيئة ملاك نور »[7] .

ويذكر بولس عند وقوفه أمام الأحبار بأنه معروف لدى رئيس الأحبار ومجلس الشيوخ ، وأنه يعرفهم أيضًا .

وبذلك يشهد لي عظيم الأحبار ومجلس الشيوخ أجمع »[8] .

وعندما أمر رئيس الأحبار حنانيا بضرب بولس . قال له بولس : « ضربك الله أيها الحائط المكلس[9] أتجلس لحاكمتي بسنة الشريعة وتأمر بضربي فتخالف الشريعة ؟ ! فقال الحضور : أتشتم عظيم أحبار الله ؟ ! فقال بولس : لم أدر أيها الإخوة أنه عظيم الأحبار »[10].

كيف لم يعرف رئيس الأحبار حنانيا رسوله بولس الذي أرسله إلى دمشق ليقبض على المسيحيين هناك ؟ ! ثم كيف

---

(1) لم يبشر بولس في أورشليم بل كان تبشيره للوثنيين فقط .
(2) أعمال الرسل فصل : 26 .
(3) أعمال الرسل فصل : 9 : 8 .
(4) أعمال الرسل فصل : 22 : 9 .
(5) أعمال الرسل فصل : 26 : 14 .
(6) الرسالة الثانية لكورنتس فصل : 11 : 14 .
(7) أعمال الرسل فصل : 22 : 5 .
(8) الحائط المكلس تعني القبر المليء بالجيف .
(9) أعمال الرسل فصل : 23 : 3 .

لم يعرف بولس مرسله إلى دمشق ؟ ! فقد مر معنا أن بولس كان قد طلب من رئيس الأحبار كتابًا إلى المجامع في دمشق . فبدل أن يتعرف كل منهما على صاحبه وشريكه في اضطهاد المسيحيين أنكر كل منهما صاحبه . دلالة على أن النص من أساسه مختلق للتناقض الواضح فيه .

ثم لنلاحظ أن الصوت قال لبولس في النصيين الأولين : « فاذهب إلى دمشق تخبر فيها بما قضى عليك بأن تعمل »[1] .

أما النص الثالث . فنجد شرحًا وبإسهاب مطول المهام العظيمة والجسيمة التي ألقيت على عاتق بولس ، وفي هذا النص يصبح بولس خادمًا وشاهدًا لمن تراأى له . فالمسيح بعد رفعه إلى السماء لم يظهر لأحد من تلاميذه الإثني عشر أو الاثنين والسبعين . ولكن بولس يجزم بأن المسيح ظهر له وترجاه أن لا يعود إلى اضطهاده بل إن المسيح قد صمم على معاقبة بولس والانتقام منه بجعله مسيحيًا وحاملاً لرسالة المسيح .

« وسأريه ما يجب عليه أن يتحمل من الألم في سبيل اسمي »[2] .

لقد أراد بولس من هذه الرواية رفع وصاية الرسل الاثني عشر عليه . مبينًا أنه تلميذ مباشر للمسيح بعد رفعه . وأن المسيح يحضر إليه كل مدة ليوجهه حسب الإرادة الإلهية . فليس لأحد أن يوجه أو ينتقد أو يترأس على القديس بولس .

لقد كان اختيار المسيح للاثني عشر رسولاً عبثًا وتضييع وقت فلم يفلح منهم أحد . وهذا المسيح يختار أشد معارضيه وألأمهم ليجعله وعاءً له ويسلمه قيادة الجماعة المسيحية وتوجيهها .

إن النصوص المذكورة أعلاه فيما يتعلق بخطب بولس أمام الشيوخ وأمام أغريبا إنما هي مقارنة خفية بين موقف المسيح أمام رئيس الأحبار وأمام بيلاطس . وموقف بولس أمام رئيس الأحبار والملك أغريبا . إن الشجاعة والبلاغة ورباطة الجأش وقوة الحجج التي قدمها بولس في هذه المواقف تدعوا القاريء للإعجاب به حتى إن الملك أغريبا قال له : « زد قليلاً من الجهد تجعل مني مسيحيًا »[3] .

أما فسطس فقد أعجب بجرأة بولس وعلمه الغزير فصاح بأعلى صوته : « جننت يا بولس إن تبحرك في العلم أفقدك العقل »[4] .

أما رد بولس على رئيس الأحبار فإنه يجعل منه قاضيًا بدلاً من كونه متهمًا : « أتجلس لمحاكمتي بسنة الشريعة وتأمر بضربي فتخالف الشرية »[5] .

وبمقارنة موقف بولس مع موقف المسيح نجد أن بولس قد سبق المؤلف المسرحي الألماني بريخت الذي يقدم تمثيلياته ليبين التصرف الخطأ والتصرف الصحيح من خلال مرور أبطال المسرحية بنفس الظروف ولكن التصرف متعاكس في كل مرة . فهذا بولس تعرَّض لنفس مواقف المسيح . ولكن لسعة اطلاعه وقوة حجته واستنارة فكره استطاع أن ينقذ نفسه من

---

(1) أعمال الرسل فصل : 22 : 11 .
(2) أعمال الرسل فصل : 9 : 17 .
(3) أعمال الرسل فصل : 26 : 28 .
(4) أعمال الرسل فصل : 26 : 24 .
(5) أعمال الرسل فصل : 23 : 3 .

الموت . بينما المسيح استسلم كما يستسلم الخروف لسكين الجزار . لقد كان موقف المسيح ضعيفًا مهلهلاً جدًا حتى إن الحكام المتعاطفين معه والمشتاقين لرؤيته احتقروه . وإذا عرفنا أن الذي رسم الصورتين ، صورة المسيح وصورة بولس . هو شخص واحد أو جماعة ذات رأي واحد . لم يأخذنا العجب إذا عرفنا أن هناك من يريد محو شخصية المسيح واستبدالها بشخصية بولس . إن مرقس ولوقا كاتبي الإنجيلين وأعمال الرسل هما من تلاميذ بولس ومرافقيه بلا خلاف[1] . أما متّى ويوحنا فهناك غموض كبير في شخصيتهما .

إن دراسة الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل على أساس أن غاية هذه الكتب مع رسائل بولس هي التصغير من شأن المسيح وتعظيم بولس ستقودنا إلى نتائج هامة .

وبدلاً من أن يذهب بولس إلى القدس ليتتلمذ على أيدي الرسل ويتعلم منهم مباديء الدين الجديد . ذهب إلى بلاد العرب .

« ولكن الله في مجده اختارني قبل أن أولد . ودعاني لخدمته . وعندما أعلن لي ابنه لأبشر به بين الأمم فإني لم أتلق التعاليم من إنسان ، ولم أذهب لكي أتتلمذ على يد الرسل في أورشليم . بل انطلقت إلى بلاد العرب ثم عدت إلى دمشق »[2] .

ونتساءل لماذا ذهب بولس إلى بلاد العرب ؟ والجواب واضح لمن درس نفسية وأخلاقية بولس من خلال رسائله التي تحكي قصة حياته ، وتبين اتجاهاته الفكرية البعيدة عن الروح اليهودية الحقيقية ، وادعاءاته الباطلة والتي تجعل منه قديسًا وأعلى من جميع رسل المسيح .

لقد ذهب بولس إلى بلاد العرب . ليعلن نفسه نبيًا ، فقد عرف من دراسته لكتاب العهد القديم باستعلان النور من فاران بلاد إسماعيل بن إبراهيم . وعلم من التلاميذ الذين كان يضطهدهم أن المسيح كان يبشر بنبيٍّ يأتي من بعده وموطن هذا النبي هو بلاد العرب . إن طموحات بولس لا تقف في وجهها الحدود أو السدود . إنه يحلم ويخطط ويعمل . ولذلك فبدلاً من أن يذهب إلى دمشق انطلق أولاً إلى بلاد العرب لتحقيق حلمه العظيم .

وفي بلاد العرب لقي بولس الهزء والسخرية بسبب ادعاءاته الزائفة ثم طرد وأهين بعد كشف حقيقة أغراضه فعاد مقهورًا مجلّلا بالعار . وقرر تشويه سمعة العرب ووصمهم بأبناء الأمة ، وأشاع أنهم محرومون من إرث أبيهم إبراهيم فلاحظ لهم بالنبوة أو السمو الروحي ، متجاهلاً أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . ومنع بولس تلاميذه من تبشير العرب حتى لا ينالوا منهم ما نالوا منه .

« فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان أحدهما من الأمة (إسماعيل) والآخر من الحرة (إسحٰق) غير أن الذي من الأمة ولد بقوة الجسد أما الذي ولد من الحرة فبقوة الموعد . وذلك إنما هو رمز لأن هاتين هما الوصيتان : إحداهما من طور سيناء تلد للعبودية فهي هاجر ، فإن سيناء هو جبل في ديار العرب . ويناسب أورشليم الحالية . لأن هذه حاصلة في العبودية مع بنيها . أما أورشليم العليا فهي حرة وهي أمنا »[3] .

---

(1) كولسي الفصل : 4 : 10 و 14 .
(2) غلاطية فصل : 1 : 15 .
(3) غلاطية فصل : 4 : 22 .

ويستمر بولس في الغض من شأن العرب متجاهلاً أن هاجر كانت من بنات الملوك في مصر . ولكنه الحقد الأعمى الذي ملأ صدره على العرب الذين طردوه من ديارهم شر طردة فيقول :

« فنحن أيها الإخوة أبناء الموعد مثل إسحٰق غير أنه كما كان حينئذ المولود بحسب الجسد (إسماعيل) يضطهد المولود بحسب الروح (إسحٰق) فكذلك الآن »[1] .

وكلمة فكذلك الآن تدل على أن العرب استهزأوا ببولس . لذلك استبعد أن يقوم نبيّ من بلاد العرب ، أو أنه أراد أن يطمس على بشارة المسيح ويرسخ في أذهان الناس ما يعاكسها .

« ولكن ماذا يقول الكتاب : اطرد الأمة وابنها فإن ابن الأمة لا يرث مع ابن الحرة . إذًا أيها الإخوة لسنا بني الأمة بل بني الحرة . وهذه الحرة التي حررنا بها المسيح »[2] .

درس بولس الديانة اليهودية على يد جملائيل ليكون أحد رجال الدين وكان متفوقًا ومتحمسًا ويعمل ضد أتباع المسيح .

فإنكم قد سمعتم بسيرتي في ملة اليهود كيف كنت أضطهد دون رحمة كنيسة الله وأدمرها ، وأزيد إقبالاً في ملة اليهود على كثيرين من أترابي في أمتي بكوني أفوقهم غيرة على سنن آبائي »[3] .

ولكن أتباع المسيح كانوا أكثر منه حماسًا . ووجد بولس بعين العقل أن المستقبل لهذه الفرقة الدينية ، ولكن هل يرضىٰ وهو المتفوق في العلم أن يكون تلميذًا لصياد أمي ؟ لقد صعب عليه الأمر وهو يبحث لنفسه عن موطيء قدم في تزاحم الناس وتدافعهم . كيف يصل إلى الجاه والسلطان ؟ كيف يصل إلى كرسي الزعامة ؟ ما هو أقرب الطرق وأيسر السبل ؟

لقد ذهب إلى بلاد العرب علّه يخضعهم بسلطان العقل والعلم الذي اكتسبه ، فهم على كل حال أهون من اليهود الذين لا يؤمنون إلا بآية أو برهان حيّ ومعجزة خارقة تثبت نبوة المدّعي . وهم لا بد أهون من اليونانيين أصحاب الفلسفات المتنوعة وأهل المنطق والحساب . غير أنه صدم بأمرين اثنين . فالعرب أولاً فقراء ويعيشون عيشة خشنة ، والقديس بولس لا يريد أن يعيش مثل هذه المعيشة المتقشفة حيث لا مال ولا ماء ولا منظر حسن . وثانيًا : لم يلق القبول بل اعتبر دائمًا شخصًا أجنبيًا ذا أفكار وتطلعات بعيدة عن أماني العرب وأحلامهم. فهم لا يحبون المناقشات والجدل بل يحبون الصراحة والبساطة والصدق مبتعدين عن كل تعقيد وغموض .

وبعد ثلاث سنوات من إيمان بولس بالمسيح . وبتواضع شديد يقبل أن يذهب إلى أورشليم وهناك يجتمع مع بطرس ليس اجتماع التلميذ بالمعلم ولا اجتماع المرؤوس بالرئيس بل زيارة الند للند أو الصديق للصديق وكأن بينهما معرفة قديمة .

« ثم إني بعد ثلاث سنين انطلقت إلى أورشليم لأزور بطرس . فأقمت عنده خمسة عشر يومًا ، ولم أر غيره من الرسل سوى يعقوب أخي الرب »[4] . وينطلق بولس ليعلن نفسه رسولاً إلى الأمم ، ناسبًا لنفسه أعلى الرتب ،

---

(1) غلاطية فصل : 4 : 28 .

(2) غلاطية فصل : 4 : 31 .

(3) غلاطية فصل : 1 : 13 .

(4) غلاطية فصل : 1 : 18 و 19 .

وأكمل الصفات .

« من بولس الذي هو رسول لا من قِبَلِ الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الأب الذي أقامه من بين الأموات »[1] .

« وأعلمكم أيها الإخوة أن الإنجيل الذي أبشر به على يديَّ ليس بحسب الإنسان لأني لم أتسلمه أو أتعلمه من إنسان بل بوحي يسوع المسيح »[2] .

ويختم المسيح رسالته بترائيه لبولس : « وآخر الكل تراءى لي أنا أيضًا كأنه للسقط »[3] .

والسقط هو الجنين الذي يولد ولم يتم بعد شهره السابع . وهذا يعني أن المسيح تراءى لبولس وهو لم يتم بعد نموه الإيماني . ويدعي بولس أن الله قد اختاره للرسالة قبل مولده .

« كما اختارنا فيه من قِبَلِ انشاء العالم لنكون قديسين وبغير عيب أمامه بالمحبة »[4] .

ويجعل بولس من نفسه أمينًا على أسرار الله . « فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء أسرار الله »[5] .

فما هي هذه الأسرار التي اطّلع عليها بولس . وأطلع عليها تلاميذه والمؤمنون به .

« وها إني اكشف لكم سرًا . إنا سنقوم كلنا ولكن لا نتغير كلنا »[6] .

ومعنىٰ هذا السر هو أن جميع الناس سيقومون من قبورهم ليحاسبوا يوم القيامة على أعمالهم السابقة . أما أتباع بولس فإنهم سيتغيرون إلى نوع غير قابل للفساد والموت مرة أخرى . ومن الأسرار الأخرىٰ التي أطلع عليها بولس تلاميذه نذكر :

« إني بوحي أُعلمت السر كما كتبت قبلاً بالإيجاز . فتستطيعون إذا قرأتم أن تفهموا خبرتي في سر المسيح الذي لم يعلم عند بني البشر في أجيال أخرىٰ كما أُعْلِنَ الآن بالروح لرسله القديسين وأنبيائه . وهو أن الأمم أصبحوا أهل الميراث . وأعضاء في جماعة الرب وشركاء في الموعد كأبناء إبراهيم ببشارة المسيح »[7] .

« لقد أقامني الله خادمًا للكنيسة وأوكل إليَّ مهمة إعلان رسالته . هذه الرسالة هي السر المكتوم عن الأجيال الإنسانية السابقة . ولكن الله يعلنها اليوم للمؤمنين . وقد قضت مشيئة الله إعلان هذا السر للمؤمنين وهو أن المسيح يعيش فينا . وهذا يعني أننا سوف نشارك المسيح مجده »[8] .

ويشتط الخيال ببولس فيتصور أن يوم القيامة سيحدث أثناء حياته ، وأن المسيح سيقبلُ من السماء ومعه أولئك

---

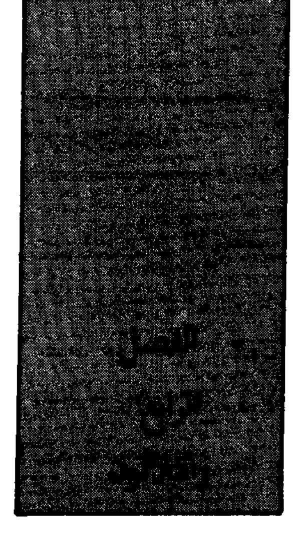
(1) غلاطية فصل : 1 : 1 .
(2) غلاطية فصل : 1 : 11 .
(3) غلاطية فصل : 1 : 11 .
(4) أفسس فصل : 1 : 4 .
(5) كورنتس فصل : 4 : 1 .
(6) كورنتس فصل : 15 : 51 .
(7) افسس فصل : 3 : 2 . لا يعتبر ما قاله بولس هنا سرًا فالمسيح هدد اليهود بنزع الرسالة السماوية منهم السماوية .
(8) كولسي فصل : 1 : 25 .

الذين ماتوا وهم مؤمنون به . ويتقدم بولس ومعه جماعة الأحياء المؤمنون به ليطيروا في الجو ويلاقوا المسيح وجماعته . ثم نحن الأحياء الباقين نختطف معهم في السحب لنلاقي المسيح في الجو وهكذا نكون مع الرب دائمًا »[1] .

ولم تقف ادعاءات بولس عند هذا الحد . ونترك الحديث عن هذه الادعاءات للفصول القادمة .

---

(1) اتسالونيكي فصل : 4 : 16 .



مكانة بولس بين الرسل

لقد صور بولس نفسه في رسائله كقديس مطلع على أسرار الله ومؤتمن عليها . وأنه لا يبشر إلا بما يمليه عليه المسيح بالذات . أما باقي الرسل فإن بولس صورهم بشكل لا يتفق مع حقيقتهم محاولاً الغض من شأنهم .

« فلما رأوا بطرس و يوحنا تعجبوا وقد عهدوهـما أميين لا علم عندهما »[1] .

وكذلك فإن باقي تلاميذ المسيح ثقلاء الظل سمجون ولهم مطالب كثيرة .

« مع كوننا نقدر أن نثقل عليكم كرسل المسيح لكنا كنا ذوي رفق فيما بينكم مثل مرضع تحتضن بنيها »[2] .

و ينحرف بطرس عن الطريق المستقيم فيقوم بولس فيصحح له المسيرة و يرشده إلى طريق الصواب و يلومه أمام التلاميذ وكأنه رئيس له . وبطرس متأدب لا يجرؤ على الرد أمام بولس .

« فلما قدم كيفا (وهو رئيس الرسل بطرس) إلى انطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملومًا ؛ لأنه قبل قدوم قوم من عند يعقوب كان بطرس يأكل مع الأمم ، فلما قدموا تنحى واعتزل مخافة من أهل الختان . وتظاهر معه باقي اليهود حتى برنابا أيضًا انجذب إلى تظاهرهم . فلما رأيت أنهم لا يسيرون سيرًا مستقيمًا إلى حق الإنجيل قلت لكيفا (بطرس) أمام الجميع : إن كنت أنت مع كونك يهوديًا قد عشت عيش الأمم لا كاليهود فلم تلزم الأمم أن يسلكوا مسلك اليهود ؟ »[3] .

و يقوم بولس بتعديل الواجبات المطلوبة من اليونانيين الذين يدخلون الدين المسيحي عن طريقه . ولكن كاتب أعمال الرسل يجعل هذا التعديل صادرًا عن بطرس و يعقوب إذعانًا لرأي بولس ورضوخًا لقوة حجته .

« فقام بعض الذين كانوا على مذهب الفريسيين ثم آمنوا فقالوا : يجب أن يختن الوثنيون و يلزموا الحفاظ على شريعة موسىٰ .

فاجتمع الرسل والشيوخ لينظروا هذه المسألة : فقام بطرس بعد جدال طويل وقال لهم : أيها الإخوة ، تعلمون أن الله اختارني من بينكم منذ الأيام الأول ليسمع الوثنيون من فمي كلام البشارة و يؤمنوا . والله العليم بما في القلوب قد أيدهم بشهادة من عنده فوهب لهم الروح القدس كما وهبه لنا . ولم يفرق بيننا وبينهم في شيء فقد طهّر قلوبهم بالإيمان فلماذا

(1) أعمال الرسل فصل : 4 : 13 .

(2) تسالو نيكي فصل : 2 : 7 .

(3) غلاطية فصل : 2 : 11 .

تجربون الله الآن . بأن تجعلوا على أعناق التلاميذ نيرًا لم يستطع آباؤنا ولا استطعنا نحن حمله . على أننا نؤمن أنا نخلص بنعمة الرب يسوع كما يخلص هؤلاء أيضًا فسكت الجماعة كلهم وأخذوا يستمعون إلى برنابا وبولس وهما يرويان ما آتي به الله على أيديهما من الآيات والأعاجيب بين الوثنيين . فقام يعقوب أخو الرب فقال : لذلك أرىٰ ألا يفرط على الذين يهتدون إلى الله من الوثنيين بل يدعوا إلى أن يجتنبوا رجس ذبح الاصنام والزنىٰ والميتة والدم فإن لموسىٰ منذ القدم دعاة في كل مدينة يقرأونه كل سبت في المجامع »[1] .

بتحليل هذا النص يمكننا أن نستنتج ما يلي :

1 ـ إن المترئس للجماعة المسيحية في أورشليم وصاحب القرار هو يعقوب أخو الرب والذي لم يرد اسمه بين تلاميذ المسيح الاثنى عشر . والذي ورد بحق إخوة المسيح . « وكان إخوته أنفسهم لا يؤمنون به »[2] .

و إن الطعن بيعقوب هو توضيح بأنه ليس بأفضل من بولس . فيعقوب أخو الرب لم يؤمن إلا بعد رفع المسيح وبولس آمن في نفس الفترة . ولكن الفرق بين يعقوب وبولس هو أن يعقوب رأى المسيح وعاشر ولم يؤمن به . أما بولس فلم يشاهد المسيح عيانًا و إنما آمن بمجرد أن تراءى له .

2 ـ يدعي بطرس بأن الله اختاره ليسمع الوثنيون البشارة منه . وبولس في رسائله ينفي هذا الادعاء ويؤكد أنه هو المختار لبشارة الوثنيين .

« إني قد أؤتمنت علىٰ انجيل الغلف كما أؤتمن بطرس على الختان »[3] .

ولنذكر هنا بأن أحدًا من التلاميذ الأحد عشر الباقين لم ينطلق لتبشير الغلف . بل كانت أعمالهم محصورة بين المختونين .

3 ـ أوصىٰ المسيح تلاميذه بالتمسك بشريعة موسىٰ . ما عدا بعض الأمور التي خففها عليهم وأمرهم أن يفعلوا حسب ما يقول الفريسيون ، وكما جاء في كتاب موسىٰ ولكن حذر المسيحيين من أن يفعلوا مثل أفعال الفريسيين .

ويصرح بطرس بأن شريعة موسىٰ نير لا يطاق حمله . ويطلب رفعه عن أعناق التلاميذ . ولكن الصحيح هو أن المسيح صحح المسيرة الإيمانية وحذف تراكمات التقاليد التي كبلت الفكر اليهودي وخفف من أحكام التوراة ولكنه لم يُلغها . بل ثبّت الصالح منها .

﴿ . . . وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ . . . ﴾[4] .

وهنا فإن بولس يمهد لإلغاء الشريعة محتجًا بتذمر بطرس .

أما يعقوب وهو رئيس الجماعة فيقرر ما يلي :

يمتنع المؤمنون الجدد من الوثنيين عن أكل ذبائح الأصنام ، الزنىٰ ، وأكل الدم والميتة . ويترك موضوع تعلم الشريعة الموسوية متعلقًا بالمجامع اليهودية المنتشرة في كل المدن . ولكنه لا يلغي شيئًا من الشريعة ولا يعفي منها المؤمنين

---

(1) أعمال الرسل فصل : 5 .

(2) يوحنا فصل : 7 : 6 .

(3) غلاطية فصل : 2 : 7 .

(4) سورة آل عمران : الآية 50 .

الجدد . بل يشدد مبدئيًا على الأمور الأربعة التي ذكرناها ، ولكن بولس يلغي بعد مدة هذه الأمور الأربعة بسبب انتشارها في المجتمع اليوناني والروماني .

« إن دعاكم أحد من الكفرة وأحببتم أن تنطلقوا معه إلى بيته فكلوا من كل ما يقدم لكم من الطعام غير باحثين عن شيء من أجل الضمير »[1] .

ويحارب بولس الزنا ويندد به في كثير من رسائله ، ولكنه في نفس الوقت يهيء أسبابه . فهو يطالب بامرأة تجول معه بين المدن والقرىٰ . ويحتج بأن بطرس قد فعل ذلك قبله .

« أما لنا سلطان أن نجول بامرأة وأخت كسائر الرسل و إخوة الرب وكيفا . أم أنا وبرنابا لا سلطان لنا أن نفعل هذا »[2] .

وما هي نتيجة هذا التجوال مع الفتيات باسم الدعوة لدين المسيح ؟ لقد انحرفت الفتيات ووقعن في الزنا مع الدعاة .

« فإن بعضًا منهن قد انحرفن إلى اتّباع الشيطان »[3] .

ونتساءل لماذا لم يستشهد بولس بأن بعض الفتيات تبعن المسيح وخدمنه أثناء تجواله ؟ والحقيقة أن المسيح لم يصاحب الفتيات في أسفاره لأن ذلك يعد طعنًا في رسالته ومجال اتهام لشخصه الكريم . لقد لفّق كتاب الأناجيل بعض الأحداث ليجعلوا تشابهًا في العادات بين المجتمع اليهودي المحافظ المتزمت وبين المجتمع اليوناني المتحلل .

4 ـ يستشهد بطرس بأن الله وهب الروح القدس للمؤمنين من الوثنيين قبل ختانهم أو تطبيقهم للشريعة ، وهذا يعني إلغاء الشريعة . وكأن هدف الشريعة هو الحصول على الروح القدس ، ونبين هنا أن هدف الشريعة هو تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع ، وتوحيده وصبغه بسلوك مشترك معين يقرب الإنسان من الله و يوجه معاملة الفرد مع المجتمع . إن الشريعة تحمي حياة وأموال المجتمع وتحفظ مصالحه ، وهي توحد نظرة الناس للأشياء لتقيمها بشكل جماعي ، فالمستحسن والمستحب يكون كذلك عند الجميع ، والقبيح والسيء يكون كذلك بنظر الجميع .

كانت هناك الشريعة اليهودية التي يتقيد بها المتدينون من الإسرائيليين ، وكان بجانبها القوانين الرومانية التي تسعىٰ لفرضها على المحاكم والمجتمع اليهودي . وكان اليهودي في أغلب الأحيان يطبق القانون الذي يعجبه و يوافق مصلحته و يحقق الربح الأكبر . فيحتج به على خصمه . ولذلك اتسعت الخصومات ، وتبلبلت الأفكار ، وجاء المسيح ليثبت الناموس الموسوي وليحافظ على التراث الفكري اليهودي مع بعض التعديلات ليصبح مقبولاً ومعقولاً . ليعمل به الناس وليتوحدوا في قانون واحد وهو الناموس الذي جاء به موسىٰ ، ولكن بولس قام يحرض الناس على اتباع القوانين الرومانية ، و يروج لها ، ويدعي في المحافل والمجتمعات بأنه روماني وهكذا أصبح عند الناس ثلاثة قوانين :

1 ـ قانون موسىٰ مع التراكمات المعقولة وغير المعقولة .

---

(1) 1 كورنتس فصل : 10 : 27 .

(2) 1 كورنتس فصل : 9 : 5 .

(3) تيموتاوس فصل : 5 : 15 .

2 ـ قانون المسيح والذي هو تعديل لقانون موسىٰ بما يلائم الأوضاع الجديدة .

3 ـ قانون الدولة الرومانية .

وبهذا ازدادت فرقة الناس وزاد خلافهم مع بعضهم .

وينسف بولس قوانين الشريعة ويحرر أتباعه من الناموس الموسوي مستعيضًا عن أعمال الشريعة التي طالب المسيح تلاميذه بالتقيد بها بالإيمان القلبي . ومضمون هذا الإيمان هو أن يؤمن المسيحي بأن المسيح ضحىٰ بنفسه لأجل مغفرة خطايا البشر . إن هذا الإيمان يخلص الإنسان من الدينونة أما الشريعة فلا حاجة لها فقد أصبحت قديمة ويجب رميها بعيدًا والتخلص منها .

أما الآن فقد أعلن الله رضاه عن الناس الذين لم يتبعوا الناموس[1] (الأمم الوثنية) وقد بشّر بهذا الناموس والأنبياء[2] الجميع (اليهود وغيرهم) قد خطئوا ويحتاجون لمغفرة الله . فإن المسيح وبدون مقابل جعلهم أبرارًا بفدائه[3] لهم[4] .

« فأين المفاخرة . إنها قد ألغيت وبأي ناموس أبناموس الأعمال ؟ لا بل ناموس الإيمان لأنا نحسب أن الإنسان يصبح بارًا بالإيمان بدون أعمال الناموس »[5] .

« لأن الناموس ينزل غضب الله ، وعندما لا يكون هناك ناموس فلا يكون هناك معصية »[6] .

وعليه فإن عدم وجود شريعة إلٰهية أفضل من وجود شريعة إلٰهية .

« ومع ذلك لعلمنا بأن الإنسان لا يصبح بارًا عند تطبيق الشريعة و إنما بالإيمان بيسوع المسيح نحن أيضًا آمنا بيسوع المسيح لكي نصبح أبرارًا بالمسيح لا بتطبيق أحكام الشريعة الموسوية إذ لا يصبح أحد بارًا بأعمال الناموس إن[7] كان من غير المختونين » .

وهذه الفقرة مخالفة ومعاكسه لما كتبه القديس يعقوب أخو الرب في رسالته : « ترون إذن أن الإنسان يصبح بارًا بأعماله وليس بالإيمان وحده »[8] .

ويرى بولس ويعلم ذلك لأتباعه أن الإيمان بيسوع المسيح يخولهم عمل ما يشاؤون فلا ذنب ولا خطيئة بعد هذا الإيمان .

« يقول ولا أذكر خطاياهم وآثامهم من بعد فحيث تكون مغفرة الخطايا فلا تقدمه بعدُ عن الخطيئة »[9] .

---

(1) يقصد بكلمة الناموس الشرائع والقانين الإلٰهية اليهودية .

(2) روميه فصل : 3 : 21 .

(3) هذا النص يعني أن الله لم يرض عن البشر حتى قتلوا ابنه .

(4) رومية فصل : 3 : 23 .

(5) رومة فصل : 3 : 27 .

(6) رومية فصل : 4 : 15 .

(7) غلاطية فصل : 4 : 16 .

(8) رسالة القديس يعقوب فصل : 2 : 24 .

(9) عبرانيين فصل : 10 : 17 .

وهذا القول معاكس ومخالف لما يقوله المسيح . وذلك أن كل إنسان سيحاسب على أخطائه وعلى كلماته . « أقول لكم كل كلمة باطلة يقولها الناس يحاسبون عليها يوم الدين . لأنك تُزكىٰ بكلامك وبكلامك يحكم عليك »[1] .

5 ـ ويتبين لنا أيضًا بأن الجماعة المسيحية في العهود الأولىٰ كانت تعتبر نفسها جزءًا من اليهود وأن مكان تعلم وممارسةالدين المسيحي كان في المجامع اليهودية .

لقد كان المسيح متواضعًا يعلم الناس التواضع : « فقولوا نحن عبيد ضعفاء وما فعلنا إلا ما كان يجب أن نفعل »[2] .

« لأن ابن الإنسان لم يأت ليُخْدم بل لِيَخْدم ويغذي بنفسه جماعة كثيرة »[3] .

أما بولس فيضع نفسه على القمة ويباري الرسل الحقيقين أصحاب الحق ليتفوق عليهم ويمحو ، ذكرهم وتعاليمهم .

« ولكني أحسب أني لم أنقص شيئًا عن أكابر الرسل »[4] .

ويطلب بولس من أتباعه الاختصام لديه وليس أمام المحاكم أو غيرها ليفصل بينهم بنفسه .

« أما تعلمون أن القديسين سيدينون العالم . أما تعلمون أنّا سندين الملائكة »[5] .

ولم لا يدين بولس العالم والملائكة فهو يظن نفسه في روح الله . « واظن أني أنا أيضًا في روح الله »[6] .

ولماذا الظن بل إن هناك تأكيدًا فقد اقترن بولس بالرب فأصبحا روحًا واحدة .

« وأما الذي يقترن بالرب فيكون معه روحًا واحدًا »[7] .

وبولس يُصلب مع المسيح الذي أحبه وبذل نفسه من أجل بولس . وكأن المسيح أحب بولس لاضطهاده التلاميذ .

صُلبت مع المسيح وأنا حيَّ . بل إنما المسيح حيٌّ فيَّ . ومالي من الحياة في الجسد . أنا حيٌّ به في الإيمان بابن الله الذي أحبني وبذل نفسه لأجلي . لا أرفض نعمة الله لأنه إن كان البر بالناموس فالمسيح إذًا قد مات باطلاً »[8] .

ويفتخر بولس بنسبه اليهودي مدعيًا أن بني إسرائيل قد حازوا كل مكرمة ومجد . وأنهم لم يتركوا شيئًا لغيرهم . ويتمنى لو أنه كان هو المصلوب ليفدى شعب إسرائيل بدل المسيح حبًا و إعجابًا بالشعب اليهودي .

« ولقد وددت لو أكون أنا نفسي مبسلاً عن المسيح من أجل إخوتي وذوي قرابتي بحسب الجسد الذين هم

---

(1) متّى فصل : 12 : 36 .
(2) لوقا فصل : 17 : 10 .
(3) مرقس فصل : 10 : 45 .
(4) 2 كورنتس فصل : 11 : 5 .
(5) 1 كورنتس فصل : 5 : 2 و 3 .
(6) كورنتس فصل : 7 : 40 .
(7) 1 كورنتس فصل : 6 : 17 .
(8) غلاطية فصل : 2 : 19 .

إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ورؤساء الآباء ومنهم المسيح الذي هو على كل شيء إله مبارك مدى الدهور ـ آمين »[1] .

ويمكننا أن نفسر سبب إيمان بولس بالمسيح كما يلي :

كان بولس من أكبر مضطهدي تلاميذ المسيح يلاحقهم من مكان إلى آخر ، ويعذبهم ويهلكهم دون شفقة أو رحمة . وقد عاقبه الله تعالىٰ بأن سلط عليه حشرة صغيرة وهي البعوضة التي تسبب الملاريا فكانت تنتابه الحمىٰ ثم تأتيه البرديه ويتصبب جسمه بالعرق البارد . وكثيرًا ما كان يهذي تحت تأثير الحمىٰ .

وكان بولس يسمع بأن معجزات المسيح كلها شفاء المرضىٰ الذين استعصت أمراضهم على أمهر الأطباء ، وقد شفى المجانين والغرباء وحتى الذين لم يشكروه وخالفوا أوامره . فلماذا لا يلتجىء بولس إلى المسيح لكي ينال على يديه الشفاء .

واخترع بولس قصة تراءي المسيح له في طريق دمشق لكي يكسب ثقة التلاميذ لعلهم يشفقون عليه فيشفىٰ من مرضه . ولكن التلاميذ عاملوه بكل ريبة وحذر ، ولم يقبلوه بينهم بل اعتبروه دائمًا جاسوسًا وعميلاً لأعدائهم الذين يبحثون عن هلاكهم .

ويكيد بولس للمسيحيين ويعمل على تشويه رسالتهم لأنهم لم يقبلوه في جماعتهم . ويقلب الحقائق ويفلسف الأشياء كما يحلو له . معتمدًا على الكذب والدجل .

« فمن جهة هذا أفتخر أما من جهة نفسي فلا أفتخر إلا بآلام الأمراض التي تعتريني . فإني لو أردت الافتخار لم أكن جاهلاً لأني أقول الحق لكني أكف عن الافتخار لئلا يَظُنّ بي أحد فوق ما يراني عليه . أو يسمعه عني ولئلا استكبر لسمو الايحاءات . أعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني . ولهذا سألت الرب ثلاث مرات أن تفارقني فقال ألا تكفيك نعمتي لأن القوة تكمل في الوهن فبكل سرور أفتخر بأمراضي وضعفي لتستقر فيَّ قوة المسيح »[2] .

وهذا اعتراف صريح من بولس بأن الله لم يستجب لدعائه بل رزقه شيطانًا يرافقه أينما حلّ وارتحل ليلطمه ويؤدبه جزاء اعتدائه على المسيحيين المؤمنين برسالة المسيح .

ويستغلّ بولس مرضه ليبرهن به على أنه من خدام المسيح . ويطلب من تلاميذه عدم إرهاقه بالأسئلة أو إزعاجه بتأخير طلباته والتلكؤ في تنفيذ أوامره .

لا تدعوا أحدًا يزعجني بعد الآن فإني أحمل في جسدي الأمراض التي تدل على أني خادم المسيح »[3] .

« لقد سار تلاميذ المسيح على درب معلمهم وقاموا بالأعاجيب ، وشفوا المرضى ، وهذا بطرس يعيد طابثيا إلى الحياة فلماذا لم يشف بولس عند التقائهما ؟ أم أن الحقيقة هي أن بولس وبطرس لم يعرفا بعضهما ولم يلتقيا أبدًا .

ويطلب بولس من الأتباع والتلاميذ طاعته وخدمته والاقتداء به على اعتبار أنه من القديسين . « كتبت لأطّلع على

(1) 2 كورنتس فصل : 12 : 5 حتى 9 .

(2) غلاطية فصل : 6 : 17 .

(3) رومية فصل : 9 : 3 .

تزكيتكم . هل أنتم مطيعون لي في كل شيء »[1] .

« لأن الله ليس بظالم فينسىٰ أعمالكم والمحبة التي أبديتموها لأجل اسمه ، في كونكم قد خدمتم ولا تزالون تخدمون القديسين »[2] .

« اقتدوا بي أيها الإخوة وتبصروا في الذين يسلكون على المثال الذي لكم فينا . فإنه ليس على هذا المثال يسلك كثيرون ممن قلت لكم مرارًا ، وأقول الآن باكيًا : إنهم ينكرون أن المسيح قد مات على الصليب ، وعاقبتهم الهلاك ، و إلههم البطن ، ومجدهم في خزيهم وهمهم في الأرضيات . أما نحن فسيرتنا في السموات التي منها ننتظر الرب يسوع المسيح »[3] .

ونتساءل أين تلاميذ المسيح الاثنا عشر ؟ هل تبخروا أمام بولس ؟ وأين عملهم ؟ وأين رسائلهم ؟ وأين هدايتهم للناس وأين أقوالهم وآراؤهم ؟ فالعهد الجديد لا يحوي سوى أعمال ورسائل بولس . هل فشل المسيح في اختيار تلاميذه بحيث إن أعمال بولس غطّت على أعمالهم ؟ وكيف نقتنع أن عدو المسيحيين اللدود ومضطهدهم يفوق تلاميذ المسيح و ينتصر عليهم ؟ بل يصبح مرشدًا لهم وأستاذًا عليهم ، فهو يدلهم على الطريق الصحيح ويقول : « اقتدوا بي كما أقتدى أنا بالمسيح »[4] .

هل عرف بولس المسيح ؟ هل رآه ؟ هل سمع من أحدٍ سيرة حياة المسيح ؟ هل حفظ أقواله وأعماله ؟ أم ادَّعى بأن الله قد اختاره قبل مولده ؟ و إذًا فلماذا لم يختره المسيح وهما متعاصران وعاشا في مدينة واحدة فترة من الزمن ؟ وما لزوم التلاميذ وما فائدة تعب المسيح معهم ؟ أغنىٰ بولس عن الجميع .

إن رسائل بولس تدل بشكل قاطع على أن بولس قد أتى بجميع معلوماته عن المسيح عن طريق التصور والخيال . فهو لم يصاحبه ، ولم يرافقه ، ولم يسمع منه أو يسمع عنه ، ولم يختلط بتلاميذه ، ولم يتلق عنهم أية معلومات . إذًا فمن أين جاء بولس بمعلوماته عن المسيح وعن أفكار المسيح وعن تعاليم المسيح ليبثها إلى الأمم ؟ يصرح بولس بأن ذلك تَمَّ عن طريق التراءى . فكيف يمكننا أن نصدق هذا الادعاء ؟ وما هو البرهان عليه ؟ وجميع التعاليم التي تعلمها بولس مناقضة تمامًا لتعاليم المسيح ومنحرفة عنها بشكل واضح . ومع الأسف الشديد ، فإن المسيحيين تركوا تعاليم المسيح إلى تعاليم بولس . لماذا ؟ لأنها وافقت أهواءهم ، واقتربت من معتقداتهم وديانتهم السابقة .

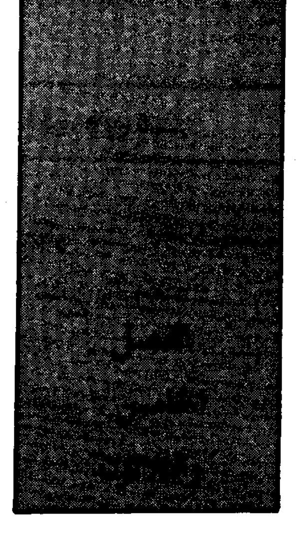
---

(1) 2 كورنتس فصل : 3 : 9 .

(2) عبرانيين فصل : 6 : 10 .

(3) فيلبي فصل : 3 : 17 .

(4) 1 كورنتس فصل : 11 : 1 .



بولس يرسم الخطوط الأولىٰ للتبشير

لا يعتبر بولس المبشر المسيحي الأول فقط بل يعتبر واضع أسس التبشير المسيحي العالمي . ولا يزال المبشرون في أيامنا هذه يستقون خططهم وترتيباتهم من معلمهم الأول بولس . فهو بحق مؤسس علم التبشير ، وقد نجح في هذا المضمار أيما نجاح .

ويبين بولس في رسائله أن خطته في اجتذاب الناس للتأثير فيهم هي إرضاؤهم بتملقهم ومدحهم الكاذب حتى يرضي غرورهم . وينصح التلاميذ بأن يضبطوا أعصابهم ، ويسايروا الذين يدعونهم حتى يصلوا إلى مآربهم . وعنده أن الغاية تبرر الواسطة . فما هي غاية بولس يا ترى ؟

هل كان يسعى لهدم الدين الجديد من الداخل بتحريض من اليهود والأحبار الذين غاظهم انتشار الدين الجديد ؟ هل كان يعمل لحساب الدولة الرومانية التي كانت تسعى لإضعاف اليهود بتشجيعهم على ترك الشريعة الموسوية ، ليسهل عليها حكمهم ؟ هل كان بولس يسعى لجمع المال ؟

ولنستمع لبولس وهو يوجه تلاميذه :

« كونوا بلا معثرة لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله . كما أنا أيضًا أرضي الجميع في كل شيء ، غير طالب ما يوافقني بل ما يوافق الكثيرين لكي يخلصوا »[1] .

وهذا الكلام يعاكس ما جاء به المسيح إذ طلب من تلاميذه قول الصدق والحق مهما كان الثمن .

« إن أبغضكم العالم فاعلموا أنه أبغضني قبل أن يبغضكم »[2] .

ولماذا يبغض العالم المسيح وهو يدعو إلى الخير والصلاح ؟ والسبب هو أن المسيح أراد أن يقوّم اعوجاج الخاطئين ، فوقف في وجه المرائين والكذابين يكشف رياءهم وكذبهم . ووقف في وجه مرتكبي الخطايا والآثام فوبخهم عليها موضحًا لهم مصيرهم السيء بسبب أعمالهم الباطلة ، موضحًا لهم طريق النجاة ، فاتحًا لهم أبواب التوبة . أما بولس فقد أحبه العالم ؛ لأن بولس لم يُرِد الخير والصلاح للناس بل احتال على العالم وكذب عليه .

« غير أني لكوني ذا احتيال استرقتكم بالمكر »[3] .

---

(1) 1 كورنتس فصل : 10 : 32 .

(2) يوحنا فصل : 15 : 18 .

(3) 2 كورنتس فصل : 12 : 16 .

ويصرح بولس في رسائله بأنه كان يبشر بإنجيله الذي استوحاه من ذاته في مناطق لم يصلها تبشير تلاميذ المسيح الذين استقوا منه مبادىء الدين الجديد . وذلك حتى لا يعارضه أحد أو يجادله أحد ذلك أن تعاليم بولس تخالف تعاليم التلاميذ .

« واعتنيت بأن لا أبشر بالإنجيل في موضع دعي فيه اسم المسيح لئلا أبني على أساس غيري »[1] .

و إذا فبولس لا يكمل رسالة المسيح بل يبني أسسًا جديدة . فما هي هذه الأسس ؟

لم يكن هَمُّ بولس إرشاد الناس وتوجيههم نحو الصحيح ، بل كان همه تجميعهم وبأية طريقة كانت وبأي ثمن . . . لماذا ؟ ما هي أهداف بولس الحقيقية ؟

« لأني إذكنت حرًا من الجميع . عبّدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين . فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود . وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس . مع أني لست تحت الناموس لأربح الذين هم تحت الناموس . وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس . مع أني لست بلا ناموس الله بل أنا تحت ناموس الذين بلا ناموس . وصرت للضعفاء ضعيفًا لأربح الضعفاء . وصرت كلاً لكل لأخلص الكل . وأنا أصنع كل شيء لأجل الانجيل لأكون شريكًا فيه »[2] .

لقد خدع بولس الجميع . وكان رأس ماله الكذب والدجل والتلفيق . ادعى أنه شريك المسيح وأنه أول المؤمنين ومن خالفه فهو جاهل ومراءٍ وكافر . لقد دخل بولس إلى قلوب الناس وعقولهم بتغيير وجهه مع كل واحد حتى أصبح بألف وجه وألف لسان ، وظن كل من استمع إلى بولس أن بولس يدعو لما تصبوا إليه نفسه . وأنه سيحقق وجهة نظره التي كان يحلم بتحقيقها . وكما يفعل اليوم رجال الأحزاب والسياسة إذ ينادون بشعارات براقة زائفة هم أنفسهم لا يؤمنون بها ، يخدعون بها الجماهير حتى تنتخبهم ويرأسوها وعندما يتم لهم ذلك لا يعترفون بالجماهير ولا بالشعارات ، وإنما يسعون لمصالحهم الخاصة . ويلنفقون لمشاريعهم التي تدر عليهم الأموال من طرق غير مشروعة .

إن طريق الأنبياء معاكس تمامًا للنهج الذي اتبعه بولس مع تلاميذه ، فهم يطلبون من الناس قمع شهواتهم ، وكبح جماع غرائزهم ، والسير في طريق واضح مستقيم . وقد بين القرآن سبب رفض اليهود للأنبياء والمصلحين ، ذلك أن الانبياء لم يحققوا لهم ماتهوى نفوسهم .

﴿... كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝﴾[3] .

وهذا هو الفرق بين بولس والأنبياء . فهو يغير لهجته حسب القوم الذين يتحدث معهم ، فهو يمتدح اليهود حين يكون بينهم ، ويشتمهم عندما يكون بين أعدائهم . مستغلاً الفرص ، مغيرًا للحقائق بغية التقرب من الناس . ولنستمع إلى خطبة بولس التي قالها أمام أهل أثينا : « يا أهل أثينا : أراكم أكثر الناس تدينًا في كل وجه ، فإني وأنا سائر أنظر إلى معابدكم وجدت معبدًا كتب عليه إلى الإله المجهول . فأنا أبشركم بذاك الذي تعبدونه ولا تعرفونه »[4] .

وزيادة في التقرب من اليونانيين سمح لهم بأكل لحم الخنزير وهو حرام في جميع الشرائع السماوية . ويُتهم بولس

---

(1) رومية فصل : 15 : 20 .

(2) 1 كورنتس فصل : 9 : 19 .

(3) سورة المائدة : 70 .

(4) أعمال الرسل فصل : 17 : 22 .

بالتملق وجمع المال فيدافع عن نفسه ويرد التهمة إلى تلاميذ المسيح مبرأً نفسه منها :

« هكذا نتكلم لا كمن يرضي الناس بل كمن يرضي الله المختبر لقلوبنا ؛ لأننا لم نستعمل قط كلام التملق كما تعلمون . ولا يخفى عنكم طمعنا بتزويق الكلام . فالله شاهد علينا . ولا التمسنا مجدًا من الناس لا منكم ولا من غيركم ، مع كوننا نقدر أن نثقل عليكم كرسل المسيح ، لكنَّا كنا ذوي رفق فيما بينكم مثل مرضع تحتضن بنيها »[1] .

وعندما يصبح بولس بين مسيحيين من أصل يهودي يعتّز بيهوديته ويفتخر بها . وأما الشريعة والناموس فلا يخالفهما بل يحرص عليهما . وككل فريسي فهو يؤمن بالقيامة ليحاسب الناس على أعمالهم السابقة .

« على أني أقرّ بأني أعبد إله آبائي على السنة التي يزعمون أنها بدعة . وأؤمن بكل ما جاء في الشريعة وكتب الأنبياء راجيًا من الله تعالىٰ ما يرجون هم من قيامة الأبرار والفجار . فأنا مثلهم أجاهد النفس لأكون أبدًا طيب السريرة عند الله والناس . وجئت بعد عدة سنوات أحمل الصدقات إلى أمتيّ وأقرب القرابين »[2] .

ونتساءل هل يتكلم بولس هنا بما يعتقد أم أنه يشارك في تمثيلية كان قد أعدها مع جماعة من أصحابه ليبين للناس أنه لا يزال على شريعة موسىٰ وأنه لم ينحرف عن الطريق الذي يسلكه المسيحيون من أصل يهودي ؟

« ترىٰ أيها الأخ كم ألفا من اليهود قد آمنوا بالمسيح ؟ وكلهم حفيظ على الشريعة . وقد بلغهم يا بولس أنك تُعلّم اليهود المنتشرين بين الوثنيين فتدعوهم إلى التخلي عن موسى ، وتوصيهم بألا يختنوا أولادهم ولا يتبعوا السنة . فماذا تعمل إذن . . ؟ لأن الجماعة ستجتمع . إذ لا بد لها من أن تسمع بقدومك . فاعمل بما نقوله لك . فينا أربعة رجال عليهم نذر فسر بهم واطهّر معهم ، وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعرف جميع الناس أن الذي سمعوه عنك غير صحيح . وأنك سالك مثلهم طريق الحفاظ على الشريعة . أما الذين آمنوا من الوثنيين فقد كتبنا إليهم بأن يجتنبوا ذبائح الأصنام والدم والميتة والزنىٰ »[3] .

وهذا النص يعرض بوضوح رأي المسيحيين من أصل يهودي في بولس وتصرفاته . ويعتبرونه خارجًا عن الدين وعن الإيمان ، متمردًا على الشريعة والناموس . ويتصرف ويدعو لما لا يقرونه عليه . وبولس الذي يكره التملق والنفاق ويلوم بطرس عند قومه إلى إنطاكية يشارك اليوم في تمثيلية يرسمها له أصدقاؤه ليظهر أمام الناس على غير حقيقته . لماذا لم يرفض بولس الاشتراك في هذه التمثيلية بل قام بدور البطولة فيها ؟ لماذا لم يعلن رأيه الصريح حول الختان وشريعة موسىٰ كما فعل في رسائله العديدة ؟ لماذا لم يرفض بولس التملق والمداهنة ؟

ثم لماذا أخبر التلاميذ بولس بما كتبوه للذين آمنوا من الوثنيين حول المحرمات الأربعة ؟ ألم يذكر كتاب أعمال الرسل[4] أن بولس وبرنابا هما أول من أثار هذه المشكلة وأخذا معهما اثنين من الرسل إلى مدينة أنطاكية لإقرار المحرمات الأربعة .

ويقع بولس في التناقض عندما يتكلم عن الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، ثم يتكلم عن نبوة المسيح الحقيقية فهو الابن الحقيقي الوحيد لله . ثم هو الله نفسه . وفي أحيان أخرىٰ فإن المسيح لا يزيد عن بشر .

---

(1) تسالونيكي فصل : 2 : 7 .

(2) أعمال الرسل فصل : 24 : 14 .

(3) أعمال الرسل فصل : 21 : 20 .

(4) أعمال الرسل فصل : 15 : 9 .

« فلملك الدهور لله الواحد الذي لا يموت ولا يرى الكرامة والمجد إلى دهر الدهور . . آمين »[1] .

فالله الواحد لا يموت وها هو المسيح قد مات حسب زعمه على الصليب وأمام الجماهير الغفيرة . والله لا يُرىٰ . وقد رأى المسيح آلاف الناس ، وبعض الذين رأوه أهانوه وبصقوا في وجهه (على زعمهم) .

وبمناسبة رؤية الله نذكر هنا أن كتاب العهد القديم يذكر على أن موسىٰ وضع على وجهه برقعًا لكي يخفي النور المنبعث من وجهه حتى يتمكن بنو إسرائيل من الاقتراب منه والتحدث إليه .

« وكان لما نزل موسىٰ من طور سيناء ، ولوحا الشهادة في يد موسىٰ عند نزوله من الجبل ، أن موسىٰ لم يعلم أن أديم وجهه قد صار مشعًا من مخاطبة الرب له . فنظر هارون وجميع بني إسرائيل إلى موسىٰ فإذا أديم وجهه مشع فخافوا أن يدنوا منه »[2] .

فإذا وضع موسىٰ الحجاب على وجهه لأنه خاطب الله . فهل يستطيع الناس النظر إلى الله والذي يدعي بعضهم أنه المسيح عليه السلام ؟ لقد رأى جميع المعاصرين للمسيح والقاطنين في بلده وجهه وجسمه ، فلم يروا فيه شيئًا ملفتًا للنظر غير ملاحته وجماله ، ولكن المسيحيين أنكروا هذا الجمال وصوروه بأبشع الصور وأقبحها . فقالوا إنه هو المقصود بهذه الآيات المذكورة في نبوءة أشعيا .

« لا صورة له ولا بهاء فننظر إليه فنشتهيه . مزدرى ومخذول من الناس . رجل أوجاع ومتمرس بالعاهات . ومثل ساتر وجهه عنا مزدرى فلم نعبأ به »[3] .

ويؤكد بولس على إنسانية المسيح وبشريته . وأنه الوسيط بين الله والناس .

« لأن الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد وهو الإنسان يسوع المسيح »[4] .

« فقد غضَّ الله طرفه عن زمن الجاهلية وهو يهيب الآن بالناس جميعًا إلى التوبة في كل مكان ؛ لأنه وقّت يومًا يدين فيه الناس دينونة عدل على يد رجل قدّره لذلك . وجعل لجميع الناس ضمانًا بقيامه من بين الأموات »[5] .

وهنا فإن المسيح رجل أعطاه الله سلطانًا . ولكن هذا العطاء لا يجعل منه إلهًا ولا يسوغ عبادته فالعبادة لله وحده فقط .

« الذين أبدلوا حق الله بالباطل ، واتقوا المخلوق وعبدوه دون الخالق الذي هو مبارك مدى الدهور . آمين »[6] .

وفي النهاية فإن المسيح نفسه سيخضع لله الذي لا يرضىٰ بالشريك أو المماثل .

« لأن المسيح يجب أن يحكم حتى يُخضع له الله جمع أعدائه ويضعهم تحت قدميه . وآخر هؤلاء الأعداء المخضعين هو الموت لأن الكتاب يقول : يضع الله جميع الأشياء تحت قدميه . ومن الواضح أن العالم وكل الأشياء لا

---

(1) تيموتاوس فصل : 1 : 17 .

(2) سفر الخروج فصل : 34 : 29 .

(3) سفر بنوءة اشعيا فصل : 53 : 2 .

(4) تيموتاوس فصل : 2 : 5 .

(5) أعمال الرسل فصل : 17 : 30 .

(6) رومية فصل : 1 : 25 .

تتضمن الله نفسه الذي يجعل جميع الأشياء تحت سلطة المسيح . ولكن عندما تصبح جميع الأشياء تحت حكم المسيح فإنه ذاته الابن يضع نفسه تحت سلطة الله . وعندها فإن الله يحكم الجميع بلا استثناء »[1] .

لقدكان بولس أول من دعا المسيح بابن الله . فماذاكان يقصد من هذه التسمية ؟ هل يقصد بأن المسيح ابن الله مجازيًا ؟ أي أنه محبوب وقريب من الله ؟ أم كان يقصد بأن المسيح هو صورة طبق الأصل عن الله ، وأنه ابن الله على الحقيقة ؟ هذا ما لم نستطيع الجزم به ، والسبب هو الترجمة فالنص الأصلي غير موجود في أيدينا .

« ولبث مع التلاميذ بضعة أيام في دمشق . ثم أخذ من ساعته ينادي في المجامع بأن يسوع هو ابن الله »[2] .

« فلما بلغ ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة ، مولودًا تحت الناموس . ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني . وبما أنكم أبناء ، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم داعيًا . أبًا أيها الأب ، فلست بعد عبدًا بل أنت ابن و إذاكنت ابنًا فأنت وارث بالله ، ولك ما أعد الله لأبنائه »[3] .

لقد اتبعد بولس عن الشريعة ودعا إلى ترك الختان . والختان إجراء صحي يهدف إلى تجنيب الزوجين الأمراض وآلالام .

« طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم . طوبى للرجل الذي لم يحسب عليه الرب خطيئة . أفللختان فقط هذه الطوبى ؟ أم للقلف أيضًا ؟ فإنا نقول إن الإيمان حسب لإبراهيم برًا . فكيف حسب ؟ اثذاكان في الختان أم إذكان في القلف ؟ إنه لم يكن حينئذ في الختان بل في القلف ، وقد أخذ سمة الختان خاتمًا لبر الإيمان الذي كان في القلف . ليكون أبًا لجميع الذين يؤمنون وهم في القلف ليحسب لهم أيضًا البر . وأبًا للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل يقتفون أيضًا آثار إيمان أبينا إبراهيم الذي كان له في القلف »[4] .

ويستمر بولس في تنفير الناس من الختان داعيًا إياهم لأكل كل لحم نجس دون أي حرج .

لقد دعا بولس الناس إلى الإيمان باسم المسيح ولكنه لقنهم تعاليم ومباديء تخالف روح اليهودية التي ينتسب إليها المسيح والتي جاء ليكملها .

« إن الختان ينفع إن عملت بالناموس ولكن إن كنت متعديًا للناموس فقد صار ختانك قلفًا »[5] .

وعلىٰ هذا المبدإ فإن على الوثني إما أن يبقى دون ختان ويترك الناموس أو أن عليه أن يختتن ويطبق الناموس بأكمله . وهذا ما لم يتحمله اليهود أنفسهم ، واعتبروه نيرًا يثقل كاهلهم ، وينغص حياتهم ، والإنسان يحب بطبعه الأهون الأسهل خاصة إذاكانت النتيجة واحدة .

« فما فضل اليهودي إذًا وما نفع الختان ؟ إنه جزيل على كل وجه . أولاً لأنهم أؤتمنوا علىٰ أقوال الله »[1] .

---

(1) 1 كورنتس فصل : 15 : 25 .
(2) أعمال الرسل فصل : 9 : 20 .
(3) غلاطية فصل : 3 : 3 .
(4) رومية فصل : 4 : 7 .
(5) رومة فصل : 2 : 25 .
(6) رسالة إلى أهل رومة فصل : 3 : 1 .

« لأن كثيرين هم عصاة وذوو كلام باطل وخداعون ولاسيما الذين من الختان . فينبغي أن تسد أفواههم لأنهم يقلبون بيوتًا بتمامها بتعليمهم ما لا ينبغي من أجل مكسب خسيس »[1] .

ويطلب بولس من تيطس أن يوبخ هؤلاء العصاة ـ ويقصد بهم تلاميذ المسيح . « فلذلك أغلظ في توبيخهم ليكونوا أصحاء الإيمان »[2] .

ويجعل بولس من نفسه جابيًا للأموال ، ويحدد مقدار ما يجب أن يجبيه ومقداره العشر من أموال المؤمنين به . ويبرر ذلك بقصة إبراهيم عليه السلام مع ملكي صادق الحائز على لقب حبر أعظم . « فخرج ملك سدوم لملتقىٰ إبراهيم بعد رجوعه من كسر كدر لاعومر والملوك الذين معه إلى غور شوي . وهو غور الملك . وأخرج ملكي صادق ملك شليم خبزًا وخمرًا (جسد المسيح ودمه) لأنه كان كاهنًا لله العلي . وباركه وقال مبارك إبرام من الله العلي مالك السموات والأرض وتبارك الله العلي الذي دفع أعداءك إلى يديك . وأعطى إبراهيم ملكي صادق العشر من كل شيء »[3] .

وجاء في المزامير أن الله خاطب داود قائلاً له : « أقسم الرب ولن يندم إن أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق »[4] .

ويحاول بولس أن يجعل من المسيح خليفةً لملكي صادق وبذلك يأخذ المسيح أعلى رتبة وهي رتبة الحبر الأعظم . ويعتبر بولس هذه الرتبة مساوية لرتبة ابن الله .

« فكذلك المسيح لم يتمجد حتى يجعل نفسه حبرًا . إنما جعله الذي قال له أنت ابني وأنا اليوم ولدتك « ولنلحظ بأن هذا الخطاب في الأصل موجه إلى داود في المزمور الثاني » بقوله له في موضع آخر أنت كاهن إلى الأبد . على رتبة ملكي صادق . وفي أيام بشريته (يقصد بهذا القول المسيح) قرَّب تضرعات وتوسلات بصراخ شديد ودموع أن يخلصه من الموت فاستجيب له بسبب الاحترام . ومع كونه ابنًا (يقصد المسيح) فإنه تعلم الطاعة بما تألم به . ولما بلغ تمامه صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي . لأن الله دعاه حبرًا على رتبة ملكي صادق »[5] .

وبعد هذا التمهيد يطالب بولس كسفير للمسيح وكناطق باسمه بعشر أموال المسيحيين مستخدمًا لذلك أوصافًا كملكي صادق لم يسبقه إليها أحد .

« فإن ملكي صادق هذا ملك شليم كاهن الله العلي الذي خرج لملتقىٰ إبراهيم عند رجوعه من كسر الملوك الأربعة وباركه إبراهيم ، وأدىٰ له إبراهيم العشر من كل شيء . وتفسير اسم ملكي صادق هو [ملك الصادقين ثم ملك السلام] ولا يوجد تسجيل لاسم أب أو أم أو أجداد ملكي صادق ، كما لا يُعرف بداية مولده ولا نهاية حياته . وبذلك فهو يشبه ابن الله (يقصد به المسيح) ولذلك فهو كاهن إلى الأبد »[6] .

---

(1) تيطس فصل : 1 : 10 .
(2) تيطس فصل : 1 : 13 .
(3) سفر التكوين فصل : 14 : 17 .
(4) مزمور : 109 : 4 .
(5) عبرانيين فصل : 5 : 5 .
(6) عبرانيين فصل : 7 : 1 .

وعندما يطالب بولس بعشر الأموال فإنه أرحم بكثير من تلاميذ المسيح الذين لا يقبلون إيمان إلا من أعطاهم كل أمواله . و إذا حاول أحدٌ أن يخفي شيئًا من ماله عن التلاميذ فإن الموت السريع هو جزاؤه العادل .

« و إن رجلاً يدعى حنينًا باع ملكًا له بموافقة امرأته سفيرة . فاقتطع قسمًا ، من الثمن بعلم من أمرأته وأتىٰ بالقسم الآخر فألقاه عند أقدام الرسل فقال له بطرس : يا حنينًا لماذا استحوذ الشيطان على قلبك فكذبت على الروح القدس إذ اقتطعت قسمًا منْ ثمن الحقل ؟ أما كان يبقىٰ لك لو تُرك على حاله ؟ أما كان لك عند بيعة أن تحتفظ بثمنه ؟ فكيف طويت قلبك على هذا الأمر ؟ أنت لم تكذب على الناس بل علىٰ الله . فما إن سمع حنينا هذا الكلام حتى وقع ولفظ روحه . فإستولىٰ على جميع الذين عرفوا ذلك خوف شديد ، فجاء الفتيان فكفنوه وحملوه إلى حيث واروه في التراب . ومضىٰ نحو ثلاث ساعات فدخلت امرأته وهي لا تعلم ما حدث . فسألها بطرس قولي لي : أبكذا بعتما حقلكما ؟ قالت أجل بكذا . فقال لها بطرس : لماذا اتفقتما على تجربة روح الرب ؟ هذه أقدام الذين دفنوا زوجك على الباب وسيحملونك أيضًا . فوقعت على قدميه من وقتها ولفظت روحها . فدخل الفتيان فوجدوها ميتة فحملوها ودفنوها بجنب زوجها . فإستولىٰ على الكنيسة كافة وعلى جميع الذين عرفوا هذه الأخبار خوف شديد »[1] .

ولن نناقش هذه الفقرة ونترك ذلك لخيال القاريء وليستنتج منها ما يستنتج . ونقول فقط . . إن هذه الفقرة هي أسوأ دعاية لجماعة الرسل الذين لا يقبلون إلا بالكل ، وأحسن دعاة لبولس مخترع رتبة ملكي صادق الذي يكتفي بالعشر .

وبهذه الطريقة استطاع بولس أن يجمع ثروة عظيمة حتى إن حاكم السجن طمع بشيء من ثروة بولس « وكان يرجو أن يعطيه بولس شيئًا من المال فأخذ يكثر من استدعائه ومحادثته »[2] .

وبولس نفسه يتباهى بعيشته الرغيدة والتي تبدو آثارها واضحة عليه . « فإن عندي كل شيء وأنا في رغد »[3] .

ويستغل بولس تنبأ أغابوس بحدوث مجاعة فيقوم بجمع الأموال لحسابه الخاص .

« فعزم التلاميذ أن يرسلوا ما تيسر لدىٰ كل منهم معونة للإخوة المقيمين في اليهودية وفعلوا ذلك فأرسلوا هباتهم إلى الشيوخ مع برنابا وشاول »[4] .

وبالرغم من الخلاف الجذري والعميق بين بولس والمسيحيين الذين كانوا يدعون لاتباع الناموس الموسوي ، فإن بولس كان يجمع الأموال دائمًا بدعوىٰ صرفها على فقراء القديسين في أورشليم . و إذا علمنا أن المناطق التي كان يجول فيها بولس تبعد آلاف الكيلومترات عن أورشليم ، فإننا نتساءل هل وصلت هذه الأموال إلى أصحابها أم لا ؟

« أما الآن فإني منطلق إلى أورشليم لأخدم القديسين ، لأنه قد حسن لدى أهل مكدونية وآكائية أن يوزعوا صدقة على فقراء القديسين الذين بأورشليم . فقد حسن لديهم وهو حق عليهم »[5] .

---

(1) أعمال الرسل فصل : 5 : 1 .

(2) أعمال الرسل فصل : 24 : 26 .

(3) فيليبي : 4 : 18 .

(4) أعمال الرسل فصل : 11 : 29 .

(5) رومية فصل : 15 : 25 .

« فاثبتوا الآن ولا تعودوا ترتبطون بنير العبودية . فها أنا بولس أقول لكم إن اختتنتم فالمسيح لا ينفعكم شيئًا .وأشهد أيضًا لكل من اختتن أنه ملزم بأن يعمل بالناموس كله »[1] .

ويتهم بولس دعاة الختان بأنهم منافقون ومراءون .

« إن كل الذين يحبون أن يرضوا بحسب الجسد يلزمونكم أن تختتنوا . و إنما ذلك لئلا يضطهدوا من أجل صليب المسيح ؛ لأن الذين يختتنون هم أنفسهم لا يحفظون الناموس بل إنما يريدون أن تختتنوا ليفتخروا بأجسادهم »[2] .

من النصوص التي أوردناها في هذا الفصل يمكننا أن نستشف أن طريقة بولس في التبشير تعتمد على إقناع الناس بأن ما كانوا يعملونه سابقًا هو صحيح ولا يحتاج إلى تبديل أو تعديل . و إنما فقط هو يطلب منهم الإيمان بالمسيح ابنًا وحيدًا لله . وهذا الإيمان الذي لا يلزم المؤمن به أي التزام هو طريق النجاة الذي يوصل إلى الحياة الأبدية . وأنشأ بولس كنائس مستقلة عن المجامع اليهودية كان المؤمنون به يجتمعون فيها . بينما تلاميذ المسيح كانوا يدعون إلى اتّباع المسيح في المجامع اليهودية . وانفصل أتباع بولس عن تلاميذ المسيح وعن المجامع اليهودية وشكلوا لأنفسهم جماعة دعت نفسها بالمسيحيين ولم يكن هذا الاسم موجودًا أو معروفًا زمن المسيح . وأطلق هذا الاسم على أولئك الذين ادّعوا أنهم تلبّسوا جسد المسيح . وأن روح المسيح حلّت في أجسادهم فهم يمثلون المسيح جسدًا وروحًا . وفي هذا المعنى يخاطب بولس تلاميذه فيقول : « أما تعلمون أنكم هيكل الله وأن روح الله مستقر فيكم »[3] . « أما الذي يقترن بالرب فيكون معه روحًا واحدًا »[4] .

وفي كل مدينة لاقى فيها بولس بعض الأتباع والمؤيدين أنشأ كنيسة ، ووزع المناصب على أتباعه ليوجهوا الجماهير حسب آراء بولس . وقد اصطدم هؤلاء الأتباع مع تلاميذ المسيح ، وارتد كثير منهم ، وأنكر على بولس ادعاءاته وانحرافاته ، ولكن بولس أعاد الإغارة على تلاميذ المسيح وسفّه آراءهم وتعاليمهم وطلب من تلاميذه العودة إليه لأنه رسول المسيح المباشر والمتصل معه دومًا .

« لأن أمثال هؤلاء هم رسل كذبة وعملة خداعون يغيرون هيئتهم إلى هيئة رسل المسيح . . . أعبرانيون هم فأنا كذلك ، أأسرائيليون هم فأنا كذلك ، أذرية إبراهيم هم فأنا كذلك ، أخدام المسيح هم فأقول كناقص الرأي إني في ذلك أفضل منهم »[5] .

---

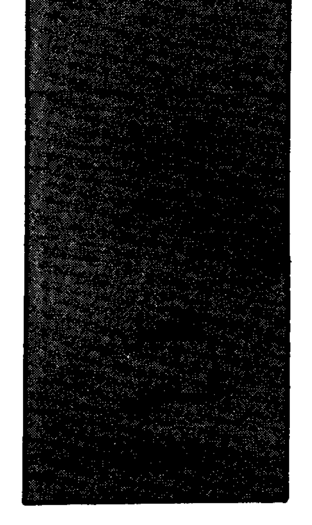
(1) غلاطية فصل : 5 : 1 .

(2) غلاطية فصل : 6 : 12 .

(3) 1 كورنثس فصل : 3 : 16 .

(4) 1 كورنثس فصل : 6 : 17 .

(5) 2 كورنثس فصل : 11 : 13 و 22 .



بولس يجمع المال

أوصىٰ المسيح عليه السلام تلاميذه بالتعفف عن أموال الناس وعدم أخذها جزاءً لهم على نشر الدين الجديد فقال لهم : أخذتم مجانًا فأعطوا مجانًا . وقد أيدّ القرآن الكريم هذا المبدأ فوصف الدعاة المسيحيين الأول بالتعفف وعدم التعرض لأموال الناس . وقد احترم التلاميذ هذا المبدأ فكان شعارًا لهم . وأحبهم الناس لابتعادهم عن المكاسب الدنيوية ، وكان هذا التعفف برهانًا على صدق دعواهم وصدق إيمانهم . وامتدحهم الناس مشيرين إليهم بهذه الصفة . كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ **وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ * ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ** * ﴾[1] .

وأما بولس فقد خالف هذا المبدأ ، وسعىٰ إلى جمع المال بمختلف الطرق والأساليب . وسعىٰ إلى إبعاد الوثنيين عن اليهودية ، وأمرهم بعدم الاختتان وهو الخطوة الأولىٰ نحو اليهودية وذلك ليكون مالهم حلالاً خالصًا له ، فلا يحق لليهودي أكل مال أخيه اليهودي ، أما مال الغريب فهو حلال له . وعندما يصادف بولس ابنًا ليهودية وهو تيموتاوس فإن بولس يختنه على سنة اليهود ، ويأمره بتطبيق الشريعة ، ويوصيه بمواظبة قراءة كتاب موسى . « فرغب بولس في استصحاب تيموتاوس فدعاه وختنه مجاراة لليهود في تلك النواحي »[2] . ويوصى بولس تلميذه اليهودي باعتبار العهد القديم كتابا مقدسا وموحي به من الله تعالىٰ .

« وأظب على القراءة إلى حين قدومي . وعلىٰ الوعظ والتعليم »[3] .

« فإن الكتاب كله قد اوحي به من الله وهو مفيد للتعليم وللحجاج وللتقويم وللتهذيب بالبر »[4] .

وهذا النص ينبهنا بأن بولس كان يُعدّ بعض تلاميذه الذين من أصل يهودي لمجابهة تلاميذ المسيح بالحجج والبراهين المستمدة من كتاب العهد القـديم . حتى يُفشل دعوتهم ويبطل تأثيرهم . إضافة لما كان يشيعه عنهم من تُهَمْ وأقاويل .

---

(1) سورة يس : الآيتين 20 و 21 .

(2) أعمال الرسل فصل 15 : 3 .

(3) أعمال الرسل فصل : 15 : 3 .

(4) 1 تيموتاوس فصل : 4 : 13 .

ويقوم بولس بحملة لجمع التبرعات من جميع المناطق ، ويرسل بالرسائل قبل قدومه حتى إذا وصل استلم ما كان قد جمع له دون عناء أو تعب .

« وأما ما يجمع للقديسين فكما أوعزت إلى كنائس غلاطية ، فكذلك فاصنعوا أنتم أيضًا . في كل أسبوع ليعزل كل امرىء منكم عنده ويخزن ما وفق إليه لئلا يكون الجمع عند قدومي إليكم . فمتى حضرت فالذين تستحسنون أرسلهم برسائل ليحملوا كرمكم إلى أورشليم . و إن كان ما يستحق أن أنطلق أنا أيضًا فسينطلقون معي . وأنا سأقدم عليكم بعد اجتيازي في مكدونية لأني اجتاز في مكدونية »[1] .

وتنهال الأموال على بولس فيجمع ما خفّ حمله وغلا ثمنه . « فإني أشهد أنهم أعطوا من تلقاء أنفسهم على قدر طاقتهم بل فوق الطاقة »[2] .

ويتكلم بولس بصراحة مبينًا حقه في صرف هذه التبرعات التي جمعها على نفسه ، وعلى من يشاء وكيف يشاء ، فهو مفوض فيها ، ولا يحق لأحدٍ الاعتراض عليه أو محاسبته فيها . كما يبين أن له الحق في مصاحبة امرأة تخدمه ، وترفه عن نفسه أثناء تجواله وسفره . ويدعم مزاعمه ودعواه بنصوص من كتاب العهد القديم والذي صرح مرارًا وتكرارًا أن لا فائدة منه ، وأن العودة إلى الناموس تعني أن المسيح قد صلب باطلاً . ثم يُشهد تلاميذه على أنه رأى المسيح . فكيف يشهدون له وهو لا يعرف المسيح إلا بالرؤيا . وهل كان تلاميذه معه في الرؤيا حتى يشهدوا له بذلك . وأخيرًا يعترف بولس بأنه يعيش على التبرعات التي يقدمها المؤمنون به .

« ألست أنا حرًا ؟ ألست رسولاً ؟ أما رأيت المسيح يسوع ربنا ؟ ألستم أنتم عملي في الرب ؟ و إن لم أكن رسولاً إلى آخرين فإني رسول إليكم لأن خاتم رسالتي هو أنتم في الرب . وهذا هو احتجاجي عند الذين يفحصونني . أما لنا سلطان أن نأكل ونشرب ؟ أما لنا سلطان أن نجول بامرأة أخت كسائر الرسل وأخوة الرب وكيفا ؟ أم أنا وبرنابا وحدنا لا سلطان لنا أن نفعل هذا ؟ من يسعىٰ إلى الحرب والنفقة على نفسه ؟ من يغرس كرمًا ولا يأكل من ثمره ؟ أو من يرعىٰ قطيعًا ولا يأكل من لبن القطيع ؟ ألعلي أتكلم بهذا حسب البشرية ؟ أو ليس الناموس أيضًا يقول هذا ؟ فإنه قد كتب في ناموس موسىٰ لاتكم الثور في دياسه . ألعل الله تهمه الثيران ؟ أم قال ذلك من أجلنا ؟ على الأحرى إنما كتب من أجلنا . لأنه ينبغي للحارث أن يحرث على الرجاء ، وللدارس على رجاء أن يكون شريكًا في الغلة . إن كنا نحن قد زرعنا لكم الروحيات أفيكون عظيمًا أن نحصد منكم الماديات ؟ إن كان آخرون يشتركون في السلطان عليكم أفلسنا نحن أولىٰ ؟ ولكنا لا نستعمل هذا السلطان بل نحتمل كل شيء لئلا نعوق بشارة المسيح بشيء . أولاً تعلمون أن الذين يتولون الأعمال الكهنوتية يأكلون من الهيكل ؟ والذين يلازمون المذبح يقاسمون المذبح ؟ هكذا رتب الرب أيضًا ، إن الذين يبشرون بالانجيل يعيشون بالانجيل »[3] .

« ألعلي أتيت خطيئة حين تواضعت لترتفعوا أنتم حيث بشرتكم بإنجيل الله مجانًا . فإني قد سلبت كنائس أخرىٰ وأخذت منها النفقات لخدمتكم »[4] .

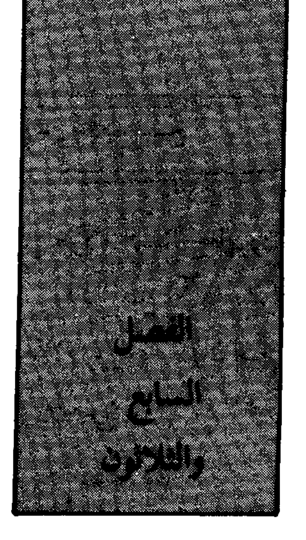
---

(1) 1 كورنتس فصل : 16 : 1 .

(2) 2 كورنتس فصل : 8 : 3 .

(3) 1 كورنتس فصل : 9 : 1 .

(4) 2 كورنتس فصل : 11 : 7 .



الصراع بين بولس وتلاميذ المسيح

يستدل من رسائل بولس أنه كان مطلعًا وعارفًا للأسرار الدينية الوثنية . لقد أتيحت له الفرصة لكي يرى في طرسوس يوم كان طفلاً كيف كان الغارقون في عبادة اليسيس يخرجون إلى العالم لابسين وشاحًا سماويًا . وكان هؤلاء يستهدفون التأله ، أي أنهم كانوا يرغبون حلول الروح الإلهية في أبدانهم ، وكانوا يلبسون لباس الألوهية ، وهو لباس يشبه زيّ السمك ، ة فقد كان يرمز للإله بالسمكة . وقد اتخذ المسيحيون في فترة مبكرة السمكة شعارًا لهم ودلالة للتعارف بين بعضهم عندما كانوا مضطهدين .

وقد يذكرنا لباس المتألهين هؤلاء بعبارة بولس الغامضة والغريبة جدًا « تلبسوا المسيح » التي لم يتمكن ناسخوا الأناجيل والرسائل من معرفة معناها الدقيق لأنها نتاج حضارة وثنية قديمة .

وقد رأى وعاش بولس مشاهد العيد التذكاري للنار ، أي موت وبعث إله الخصب ، مما رسخ في أعماقه الموت والقيامة التي يمارس طقوسها الوثنيون القاطنون في طرسوس . وعندما انطلق يبشر الوثنيين كان يبرهن لهم بأن احساساتهم المظلمة وجدت تحقيقها الرائع في موت وقيامة المسيح ، و إذًا فإن الأصول التي نادىٰ بها بولس هي ذات جذور وثنية عميقة ولا تمت إلى المسيح بصلة ، لأن المسيح لم يصلب أصلاً . لقد استبدل بولس أشخاص الآلـهة الوثنية بالأب والابن والروح القدس وجعلها إلهًا واحدًا . وبذلك وفق بين المسيحية الناشئة التي تدين بالتوحيد ، والتي تريد الانعتاق من نير اليهودية المضطهدة لها ، مع الوثنية ذات الآلـهة المتعدِّدة والأسرار والتعاليم الغامضة . لذلك نجد في المسيحية ما يسمىٰ بالأسرار السبعة ، وهذه التسمية تدل على الأصول الوثنية للمسيحية .

كان بولس يشرح للوثنيين بأنهم إذا آمنوا بأنه رسول المسيح إليهم فإنه سيهبهم الروح القدس بوضع يديه فوق رؤوسهم ، وأن إيمانهم به سيمنحهم الحياة الأبدية . وأنهم سيصبحون أبناء الله وشركاء في المسيح الـذي هو إله كامل . وهكذا فإن بولس يحقق حلم المتألهين بأهون السبل ، واستطاع بولس بفهمه لـهذه الأسرار والعادات جذب عدد كبير من الوثنيين . وأسس لهم كنائس عديدة . لقد استجاب اليونانيون بسرعة لادعاءات بولس بأن المسيح إله متجسد ، لأن فكرة الإله الإنسان متأصلة بعمق في بلاد اليونان ، فقد كان اليونانيون يقبلون بسهولة أن بعض الرجال صاروا آلهة . ويستدل على ذلك من تاريخ منديمو الذي حضر بلباسه الغريب ، وبعباءته وحذائه الأحمر القاني ، وقبعته المصنوعة من جلد الدب ، وبلحيته السميكة الهائلة ، وبعصاه المصنوعة من خشب الزيزفون[1] . وبعد حضوره أعلن أنه قادم من

---

(1) قارن بين شخصية منديمو وشخصية بابا نويل .

الجحيم ، وأنه مأمور ليزور البشر « كمراقب » وأن يعود حاملاً للآلهة خطايا الأموات . كان مثل هؤلاء الرجال يظهرون من حين إلى آخر في بلاد اليونان لذلك لا نعجب إذا ظن أهالي لسترة بأن بولس وبرنابا من الآلهة . وقالوا تمثل الآلهة بشرًا ونزلوا بيننا . وكانوا يدعون برنابا زاويش « جوبتير » ويدعون بولس هرمس ؛ لأنه كان يتولىٰ الكلام ، فجاء كهّان صنم زاويش القائم عند مدخل المدينة بثيران وأكاليل من زهر إلى الأبواب يريدون تقريب ذبيحة مع الجموع . فلما بلغ الخبر بولس وبرنابا مزقا ثيابهما وبادرا إلى الجمع يصيحانِ بهم :

« أيها الناس : ماذا تفعلون ؟ إنما نحن بشر ضعفاء مثلكم ، جئنا نبشركم لتقلعوا عن هذه الأباطيل ، وتهتدوا إلى الله الحيّ الذي صنع السماء والأرض والبحر وكل شيء »[1] .

ولنلاحظ أن انحراف بولس بدا واضحًا بعد فراقه لبرنابا ، والذي ألفَّ كتابًا خاصًا يشرح فيه انحرافات بولس ويندد به[2] ، وتكمن أهمية كتابات برنابا عن بولس في أنه هو الذي طلب من الإخوة المسيحيين قبوله في مجتمعاتهم . ولكن طلبه هذا رفض ، وعلى هذا الأساس فإن بولس جند نفسه لتشويه سمعة التلاميذ ولقلب مفاهيم الدين المسيحي . معتبرًا نفسه وأمام تلاميذه أفضل من جميع الرسل « وبما أن كثيرين يفتخرون حسب الجسد فأنا أيضًا أفتخر فإنكم أنتم الحكماء تحتملون الجهلاء بسرور . تحتملون من يستعبدكم ، ومن يأكل طعامكم ، ومن يأخذ منكم ثم يتكبر عليكم ، ومن يضربكم على وجوهكم . أقول هذا بلسان الهوان . كأنا كنا ضعفاء في هذا القبيل ولكن مهما يجترىء فيه أحد أقول كجاهل أنا أيضًا اجترىء فيه . أعبرانيون هم فأنا كذلك . أإسرائيليون هم فأنا كذلك . أمن ذرية إبراهيم هم ؟ فأنا كذلك . أخدام المسيح فأقول كناقص الرأي إني في ذلك أفضل منهم »[3] .

« فإنه لو كان الآتي إليكم يكرز بيسوع آخر لم نكرز به أو كنتم تنالون روحًا آخر لم تنالوه أو إنجيلاً آخر لم يبلغكم لكان احتمالكم حسنًا . ولكني أحسب أني لم أنقص شيئًا عن أكابر الرسل »[4] .

« لأن أمثال هؤلاء هم رسل كذبه وعمله خداعون يغيرون هيئهم إلى هيئة رسل المسيح[5] .

وتحتدم معركة فكرية جدلية بين بولس وبين أتباع المسيح الذين انتشروا في العالم يعلمون الناس المباديء التي تعلموها من المسيح مباشرة أثناء حياته . ويعود بولس إلى غلاطية فيجد أن أكثر التلاميذ قد مالوا عنه إلى تلاميذ المسيح فيحتدم غيظًا وحنقًا ويصيح فيهم » .

« أيها الغلاطيون الأغبياء : من الذي سحركم حتى لا تطيعوا الحق وقد رسم أمام عيونكم يسوع المسيح بينكم مصلوبًا ؟ أريد أن أعرف منكم هذا فقط . بأعمال الناموس نلتم الروح أم بسماع الإيمان ؟ أهكذا أنتم أغبياء ؟ أبعدما ابتدأتم بالروح تتممون الآن بالجسد »[6] .

---

(1) أعمال الرسل فصل : 14 : 8 .

(2) انظر مقدمة إنجيل برنابا التي سنذكرها لاحقًا .

(3) 1 كورنتس فصل : 11 : 18 .

(4) 2 كورنتس فصل : 11 : 4 .

(5) 1 كورنتس فصل : 11 : 3 .

(6) غلاطية فصل : 3 : 1 .

ويطلب بولس من أتباعه عدم الالتزام بشريعة موسىٰ كما علمهم تلاميذ المسيح ، مخففًا عنهم التكاليف ، مبينًا أن غاية الناموس هي التعريف بالمسيح ، ومتى عرفنا المسيح علينا أن نخلع الناموس ونلبس المسيح .

« فالناموس إذًا كان مؤدبنا يرشدنا إلى المسيح لكي نبرر بالإيمان . فبعد أن جاء الإيمان فلسنا بعد تحت مؤدب . لأن جميعكم أبناء الله بالإيمان بيسوع المسيح لأنكم أنتم جملة من اعتمدتم في المسيح قد لبستم المسيح »[1] .

لقد نشط كثير من التلاميذ ، كلٌ منهم يذيع رأيه ، ويدلي بحجته ، ويوضح لهم صواب اتجاهه مستعينًا بالبراهين العقلية وبنصوص كتاب العهد القديم . وكان الناس يستمعون إلى الجميع ويتحمسون لفترة ثم ينسون ما قال الجميع ويعودون لحياتهم العادية ومشاغلهم اليومية .

لقد تعارضت تعاليم بولس مع تعاليم تلاميذ المسيح ، وتعارضت أيضًا مع نصوص الأناجيل . وبولس نفسه يقول إنه لم ير المسيح ولم يقابله إلا في الرؤيا ـ والرؤيا شيء خاص بالإنسان يحتمل الصدق ويحتمل الكذب ـ ويصرح بولس مرارًا وتكرارًا بأنه لم يتعلم الإنجيل من إنسان أو من تلميذ بل إنه ينطق بالإنجيل وبالتعاليم إلهامًا . وأما معارضوه فقالوا إنهم تلاميذ المسيح . ولكن بولس جعل لنفسه سلطة أعلى من سلطتهم ، وقرر أن إيمانه أعظم من إيمانهم ، وأن فهمه أعظم من فهمهم . فهل كان بولس صادقًا في دعواه أم أنه كان كاذبًا فيها ؟ وتلاميذ المسيح الحقيقيون المؤيدون بالروح القدس تجنبوا بولس ولم يثقوا به .

« ولما وصل إلى أورشليم حاول أن ينضم إلى الرسل فكانوا يخشونه غير مصدقين أنه تلميذ »[2] .

لقد اتخذ بولس لنفسه صفة مشرع ، وكان يتكلم بلسان الله سبحانه وتعالىٰ .

« فنحن سفراء المسيح كأن الله يعظ على ألسنتنا »[3] .

ويمكننا أن نذكر بعض التعاليم الغريبة التي جاء بها بولس مخالفًا فيها العهد القديم والعهد الجديد على السواء .

1 ـ انتقد بولس تلاميذ المسيح الذين دعوا للرهبانية وعدم الزواج ، وذلك بغية التفرغ للعبادة والدعوة إلى الله . ولكنه يتراجع عن قوله هذا ويحبذ عدم الزواج .

2 ـ انتقد بولس تلاميذ المسيح الذين فرقوا بين الطعام المسموح تناوله وبين الطعام المحرم أكله وقال إن جميع الأطعمة مسموحة مراعاة للوثنيين الذين يبيحون أكل لحم الخنزير .

إن قومًا يرتدون عن الإيمان في الآزمنة الأخيرة . ويصغون إلى روح الضلال ، وإلى تعاليم الشياطين مرائين ينطقون بالكذب وضمائرهم ميتة ، ويمنعون عن الزواج وعن أكل أطعمة خلقها الله ليتناولها بشكر كل من آمن وعرف الحق . فإن كل خليقة الله حسنة ولا شيء مرذول مما يتناول بشكر »[4] .

3 ـ سمح للرجل المؤمن الإمساك بزوجته الكافرة ، وسمح للمرأة المؤمنة البقاء مع زوجها الكافر معاكسًا بذلك

---

(1) غلاطية فصل : 3 : 24 .

(2) أعمال الرسل فصل : 9 : 26 .

(3) كورنتس فصل : 5 : 20 .

(4) 1 تيموتاوس فصل : 4 : 1 .

تعاليم العهد القديم وخاصة ما جاء به عذرًا . وقد ورد في كتاب العهد القديم أن زوجات الملوك والأنبياء[1] غير المؤمنات قد أملن أزواجهن إلى عبادة البعل .

« إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تقيم معه فلا يتركها . والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يقيم معها فلا تترك رجلها . فإن الرجل غير المؤمن يتقدس بالمرأة المؤمنة . والمرأة غير المؤمنة تتقدس بالرجل المؤمن . و إلا فيكون أولادكم نجسين والحال أنهم قديسون »[2] .

والمسيح بالذات بين في نصوص الإنجيل أن العائلة ستتفرق بسبب تعاليمه . والعداء سيستحكم بين المؤمنين به وبين الكافرين به . فقال :

« لا تظنوا أني جئت لأحمل السلام إلى الأرض . ما جئت لأحمل سلامًا . بل سيفًا . جئت لأفرق بين المرء وأبيه والبنت وأمها ، والكنة وحماتها ، ويكون أعداء الإنسان أهل بيته »[3] . وهنا نجد اختلافًا جوهريًا بين تعاليم بولس وتعاليم المسيح .

4 ـ تراجع بولس عن كلامه ودعا إلى العزوبية ولكن ليس من أجل الدعوة إلى الدين ونشره بل من أجل الفساد الاجتماعي .

« إذًا من زوّج عذراء يفعل حسنًا ومن لم يزوجها يفعل أحسن »[4] .

فأين الأحسن ولماذا يكون عدم الزواج أحسن من سنة الله الطبيعية في خلقه ؟

5 ـ أبطل الشريعة والناموس وكل ما جاء به الأنبياء من قبل وأعطىٰ صكوك غفران للمؤمنين به وأنكر على أي أحد أن يطالب تلاميذه بالتقيد بالمحرمات وجعل الإنسان حرًا من كل التزام . ما عدا الالتزام بالإيمان بأن المسيح قد مات على الصليب فداءً للبشرية .

« لقد كنتم فيما مضىٰ من الأموات روحيًا بسبب الآثام التي ارتكبتموها ، ولأنكم كنتم من الأمم الوثنية ولا شريعة إلٰهية لديكم . ولكن الله أحياكم الآن بالمسيح ، وقد غفر الله لكم جميع آثامكم وخطاياكم . وقد محا الله سجل أعمالنا الشائنة التي تديننا وجميع الشرائع التي تكبلنا بأن دقها كلها بالمسامير على الصليب . وبموت المسيح على الصليب فإنه قد حرر نفسه من الحكام بالشرائع الإلٰهية ومن السلطات الحاكمة القانونية . وقادهم في مشهد شعبي أمامه كأسرىٰ في موكب انتصاره . لذلك لا تدعو أحدًا يتحكم فيكم فيحدد لكم ما تأكلون وما تشربون ، أو يفرض عليكم أيامًا مقدسة ، أو يقيدكم بالسبت ؛ لأن جميع هذه الأشياء ما هي إلا ضلال ، وأما الحقيقة فهي الإيمان بالمسيح . لا تسمحوا لأنفسكم بأن تقادوا من قِبَلِ أي واحد يريد أن يتسلق عليكم بسبب رؤيا خاصة[1] ويتصنع التواضع الكاذب »[2] .

---

(1) مثل النبي والملك سليمان الذي اتهمه اليهود بالميل لعبادة الاصنام آخر عمره بتحريض من زوجاته الأجنبيات .

(2) 1 كورنتس فصل : 7 : 12 .

(3) متّى : 10 : 34 .

(4) 1 كورنتس فصل : 7 : 22 .

(5) إذا رجعنا إلى تاريخ بولس وجدنا أنه تسلق برؤيا خاصة .

(6) كولس فصل 2 : من 13 حتى 18 .

وهنا فإن بولس يناقض المسيح صراحة حيث قال لأكمل لا لأنقض . فهو هنا قد حذف الشريعة وبأكملها وترك للناس حرية التصرف بلا قانون أو شرع سوىٰ ما يمليه على الإنسان عقله أو شهوات نفسه أو السلطات الحاكمة . ولم يعد هناك ما يسمىٰ بالحلال أو الحرام . فكل شيء حلال .

6 ـ ادعىٰ بولس أنه يُسلّم الذين يخالفونه للشيطان كيّ يؤدبهم ويعيدهم إلى الصواب فلا يجدّفون . أي أن الشيطان يساعد بولس في إعادة الناس إلى حظيرة الإيمان به .

« ومنهم همنايوس والاسكندر اللذان اسلمتهما إلى الشيطان لتأديبهما حتى لا يجد فا »[1] .

وجاء تلاميذ المسيح الذين عاشوا معه وتعلموا منه إلى انطاكية ليعلموا الإخوة فيها فإصطدموا مع بولس الذي اخترع إنجيلاً من بنات أفكاره وذلك حسب قوله في نصوص أوردناها سابقًا ولا حاجة لتكرارها .

« ونزل أناس من اليهودية وأخذوا يعلمون الإخوة فيقولون : إذا لم تختتنوا على سُنَّة موسىٰ لا تستطيعون أن تخلصوا . فوقع بينهم وبين بولس وبرنابا خلاف وجدال شديد »[2] .

إن هذا الخلاف لم يقع بين بولس وبين تلاميذ مدعين بل كان التلاميذ حقيقيين . وهنا نتساءل ونحن في هذا الزمن مع من نكون ؟ أمع بولس الذي يعمل برأيه والذي لم تكن له سابقة نظيفة أو شريفة مع المسيح ومع تلاميذ المسيح ؟ بل كل ما نعرفه عنه ما فعل بالتلاميذ من قتل وتشريد وسجن وتعذيب ؟ أم نكون مع تلاميذ المسيح الذين عاصروه واستقوا علومهم من نبعه الفياض ، واكتسبوا خبرتهم من عقله وروحه ، وتشربوا من تعاليمه وهديه ؟ ولنتذكرَ كلمة يعقوب رئيس الجماعة المؤمنة في أورشليم : « فإن لموسى منذ القدم دعاة في كل مدينة يقرأون الكتاب كل سبت في المجامع »[3] .

ولنتذكر توصية المسيح الواضحة والتي لا غموض فيها ولا إبهام . « لا تظنوا أني جئت لأبطل كلام الشريعة والأنبياء »[4] .

« إن الكتبة والفريسيين على كرسي موسىٰ جالسون فافعلوا ما يقولون لكم واحفظوه »[5] .

لقد كان بولس يدور على المجامع وهو يعلم مبينًا أنه لم يأخذ هذه التعاليم من أحد بل هي من وحيه الخاص .

« إن كان أحد يحسب نفسه نبيًّا أو روحيًّا فليعلم أن ما أكتبه إليكم هو وصايا الرب »[6] .

فمن أين جاء بولس بتعاليمه ؟

لقد رفض ناموس موسىٰ وتعاليمه . ولم يلتق مع المسيح ولم يتتلمذ على يد أحد من تلاميذ المسيح ، والتلميذ الوحيد

---

(1) 1 تيموتاوس فصل : 1 : 20 .
(2) أعمال الرسل فصل : 15 : 1 .
(3) أعمال الرسل فصل : 15 : 21 .
(4) متَّى فصل : 5 : 17 .
(5) متَّى فصل : 23 : 1 .
(6) 1 كورنتس فصل : 14 : 37 .

الذي خُدع ببولس تبرأ منه واختلف معه . « فتنازعا حتى ترك أحدهما الآخر »[1] .

ويذكر تلميذ بولس الحبيب (لوقا) في كتابه أعمال الرسل بأن سبب الخلاف كان بسبب رفض بولس مصاحبة مرقس في جولاته . أما برنابا فيذكر في مقدمة إنجيله سببًا آخر حيث يقول : « أيها الاعزاء ، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوىٰ التقوىٰ مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله . ورافضين الختان الذي أمر الله به دائمًا . مجوزين كل لحم نجس ، الذي ضل في عدادهم أيضًا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسىٰ وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة ، الله وعليه فاحذروا كل واحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصًا أبديًا »[2] .

جاء تلاميذ المسيح ليبينوا للناس أن تعاليمهم تختلف عن تعاليم بولس ، وصدقهم الناس وانقلبوا على بولس وعلى إنجيله الذي كان يبشر به . ويجن بولس فقد ذهب تعبه هباءً .

« إني لمتعجب كيف تنقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر . و إن لم يكن هناك إنجيل آخر لكن قومًا يبلبلونكم ويريدون أن يقلبوا إنجيل المسيح . ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بخلاف ما بشرناكم به فليمت موتًا . كما قلنا سابقًا أقول الآن أيضًا إن بشركم أحد بخلاف ما تلقيتم فليمت موتًا »[3] .

« وأعلمكم أيها الإخوة أن الإنجيل الذي أبشركم به على يدي ليس بحسب الإنسان لأني لم أتسلمه أو أتعلمه من إنسان بل بوحي يسوع المسيح »[4] . « يا ليت الذين يفتنونكم يقطعون »[5] .

ويهاجم بولس في رسائله أولئك الذين يرفضون تعاليمه ويريدون أن يبينوا زيفها وبعدها عن تعاليم المسيح . ويتهم بولس كل من يعارضه بأنه عدو المسيح .

« وأسألكم أيها الإخوة أن تلاحظوا الذين يحدثون الشقاق والشكوك خلافًا للتعليم الذي تعلمتم وأعرضوا عنهم فإن أمثال أولئك لا يخدمون ربنا المسيح بل بطونهم ، وبعذوبة الكلام والدعاء بالبركات يخدعون قلوب البسطاء »[6] .

ويعترف بولس في رسالته إلى أهل غلاطية بأن هناك مندسين دخلوا المسيحية ليتجسسوا على تلاميذ المسيح وليحرفوهم عن مسيرتهم ويقودوهم إلى الضلال .

« الإخوة الكذبة الداخلون زورًا الذين استرقوا الدخول ليتجسسوا حريتنا التي نحن عليها في المسيح يسوع فيستعبدونا . الذين لم ننقد لهم خاضعين ولا ساعة »[7] .

---

(1) أعمال الرسل فصل : 15 : 39 .

(2) برنابا فصل : 1 : 2 .

(3) غلاطية فصل : 1 : 6 .

(4) غلاطية فصل : 1 : 11 .

(5) غلاطية فصل : 5 : 12 .

(6) رومية فصل : 16 : 17 .

(7) غلاطية فصل : 2 : 4 .

« فإنا لسنا مثل الكثيرين الذين يغشون كلمة الله . ولكن بإخلاص ومن لدن الله نتطلق أمام الله في المسيح »[1] .

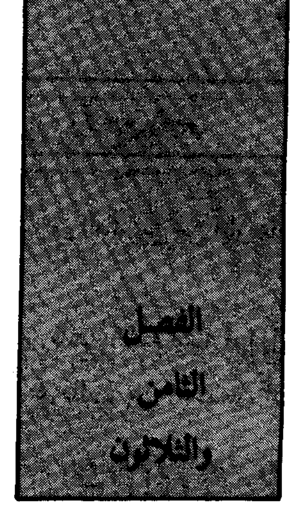
وأما أعدىٰ أعداء بولس فهم أولئك التلاميذ الذين كانوا يقولون بأن المسيح لم يصلب و إنما صُلب شخص آخر بدلاً منه . ولا يجد بولس ما يتهم به هؤلاء الاشخاص إلا أنهم يحبون بطونهم .

« اقتدوا بي أيها الإخوة وتبصروا في الذين يسلكون على المثال الذي لكم فينا . فإنه ليس على هذا المثال يسلك كثيرون ممن قلت لكم مرارًا . وأقول الآن أيضًا باكيًا إنهم ينفون موت المسيح على الصليب ، وعاقبتهم الهلاك ، و إلٰههم البطن ، ومجدهم في خزيهم ، وهمهم في الأرضيات ، أما نحن فسيرتنا في السموات التي منها ننتظر المخلص الرب يسوع المسيح »[2] .

---

(1) 2 كورنتس فصل : 2 : 17 .

(2) فيلبي فصل : 3 : 17 .



آريوس الليبي

ولد القس آريوس وهو راعي كنيسة بوكاليس من أسقفية الاسكندرية في ليبيا عام 280 ميلادية . وكان طويل القامة ، نحيل الجسم ، ذا عينين عربيتين نفاذتين ومنظر مهيب تبدو فيه آثار خشونة العيش والتقشف . وكان معروفًا بأنه من الزهاد . وكانت خطبته فصيحة وحجته مقنعة . التّف حوله كثير من المؤيدين والأنصار من العامة ومن رجال الدين .

لم يكن آريوس صاحب مذهب جديد ولا مبتدع فلسفة غريبة . كان يتكلم وبعقل ومنطق . لا يحب التعقيد ولا كثرة الجدل والمناقشة . وهاله انحراف الكسندروس حبر الاسكندرية و إدخاله أفكارًا جديدة على المسيحية . فقام يقاومه بالشرح الواضح والمنطق الذي يقبله العقل والنفس للعقيدة المسيحية . يقول آريوس : لم يكن الله الخالق والمسيح شيئًا واحدًا . ليس المسيح بإله وليس هو بابن للإله . بل هو كلمة الله .

وقال مدعمًا رأيه بالبرهان المنطقي البسيط : إذا اعتبرنا أن المسيح ابن لله ومن نسله فلا بد أن تكون ولادته قد حدثت في زمن ما وعلى هذا لا يمكن أن يكون وجود الابن متفقًا مع وجود الأب الأزلي في الزمن . يضاف إلى هذا أنه إذا كان المسيح قد خُلق فلا بد أن يكون خلقه بالكلمة . أي أن المسيح ظهر من العدم والمظهر له هو الأب وعليه فإن الأب والابن ليسا من مادة واحدة[1] .

وهال قسطنطين امبراطور الرومان أمر هذا الانشقاق . وكان يجل اسقفًا اسبانيًا يدعىٰ هوسيوس وكان شيخًا جليلاً محترمًا فإستدعاه وأنفذه إلى الاسكندرية وكتب قسطنطين إلى كل من الكسندروس وآريوس يوصيهما بوجوب التآلف ونبذ الخصام ولمحَّ إلى وجوب طاعة الرئيس كما أشار إلى أن الاختلاف العقائدي أمر فلسني دقيق لا يستوجب ذلك الاهتمام[2] .

وأخفق هوسيوس في مهمته فاستدعىٰ الامبراطور كلاً من الكسندروس وآريوس إلى نيقونيدية واقترح هوسيوس عقد مجمع مسكوني يضم جميع أساقفة النصرانية للبت في قضية أسيوس . فقبل الامبراطور اقتراحه ، ووجه الدعوة إلى جميع أساقفة الامبراطورية الرومانية جاعلا تحت تصرفهم وسائل النقل الرسمية . وعين مركز الاجتماع في نيقية بدلاً من نيقوميذية عاصمة الدولة المؤقتة وذلك بدعوىٰ انحياز اسقف نيقوميذية إلى آريوس إضافة إلى عطف قسطندية أخت الامبراطور عليه .

---

(1) قصة الحضارة ، ول ديورانت .

(2) الروم ـ الجزء الأول ـ أسد رستم .

ولبّى الدعوة عدد غلير قليل من الأساقفة . ودامت جلسات المجمع سبعة وتسعين يومًا ، بين العشرين من آيار عام 325 حتى الخامس والعشرين من آب في السنة نفسها .

وافتتح افسيتاثيوس بطريرك انطاكية المجمع بكلمة شكر للإمبراطور . ثم قام قسطنطين فألقى كلمة أشار فيها إلى جمال الدين المسيحي مستشهدًا ببعض أخبار المسيح ، مؤكدًا تعلقه بمشيئة رب السموات . ثم طلب من المجتمعين أن يعودوا إلى الكتب ليوحدوا الصفوف . وخرج من المجمع تاركًا الأساقفة في خلوة للعمل .

واستمع المجلس الى رأى آريوس من الثالوث . وأيد آريوس عدد من الأساقفة وخالفه آخرون . وفي ختام الجلسات قام الكسندروس واثناسيوس الاسكندرانيين وهوسيوس الاسباني صديق الامبراطور بصياغة دستور إيمان المسيحيين بشكل مخالف لآراء آريوس ومن أيده من الأساقفة .

وأيد قسطنطين آراء صديقه هوسيوس والذي يثق به وفرض هذه الآراء ، وأمر بوجوب تنفيذها والخضوع لها ، وقام بنفي كل من امتنع من الأساقفة عن الموافقة عليها . ونفى الأب آريوس أيضًا . ولضمان تأييد الكهنة المسيحيين وهبهم الضمانات نفسها التي كان يتمتع بها الكهنة الوثنيون .

ولكن تحت الضغط الشعبي ، ومظاهر الاحتجاج العامة ، اضطر الامبراطور قسطنطين إلى إعادة آريوس من منفاه ليعقد مجمعًا مسكونيًا في انطاكية عام 330 ميلادية . وفي هذا المجمع تقرر نفي افسيتاثيوس أسقف انطاكية وغيره وطردوهم من مناصبهم . والتجأ اثناسيوس إلى الامبراطور قسطنطين ليثبته في اسقفية الاسكندرية . وفي سنة 333 ميلادية عُقد مجمع آخر في قيصرية فلسطين ودعي إليه اثناسيوس صانع دستور الإيمان النيقاوي فلم يحضر إليه . وفي عام 335 عُقد مجمع آخر في صور حضره اثناسيوس . وقام الأساقفة ليطردوا اثناسيوس من المجمع وليجردوه من مناصبه الدينية فعاد للالتجاء إلى صديقه الامبراطور قسطنطين . فأمر قسطنطين بعقد مجمع مسكوني في القسطنطينية وذلك عام 336 . وفي هذا المجمع انتصر رأي الآريوسيين على من خالفهم فاضطر الامبراطور إلى نفي اثناسيوس إلى فرنسا ، وعين آريوس خادمًا لأسرار الكنيسة في القسطنطينية . وتوفي آريوس عام 336 بعد أن أتم مهمته في تثبيت العقيدة المسيحية الصحيحة في نفوس الحكام الرومان المنتسبين حديثًا إلى الدين المسيحي . وجاء بعد قسطنطين الامبراطور فالنس فثبت العقيدة المسيحية كما شرحها آريوس الليبي ، ونفي واضطهد جميع المنحرفين الذين شاركوا في صياغة دستور الإيمان النيقاوي .

وفي عام 379 تسلم الحكم ثيودوسيوس ، وهو أسباني من أبوين مسيحيين . وكان متأثرًا بأفكار اثناسيسوس المنفي إلى فرنسا والحاقد على آريوس والآريوسيين .

واستغل حبر روما دوماسوس نفوذ الحاشية المسيحية الاسبانية للتأثير على أن الامبراطور وحمله على أن يصدر براءة يجعل فيها العقيدة النيقاوية هي عقيدة الدولة . ومما جاء في هذه البراءة :

(وعلى شعوبنا أن تجتمع حول العقيدة التي نقلها الرسول بطرس إلى الرومان . العقيدة التي يقول بها اسقف روما دوماسوس واسقف الاسكندرية بطرس . أي على المسيحيين أن يعترفوا بالثالوث المقدس الاب والابن والروح القدس) .

ومن هنا نرى أن العقيدة المسيحية لم تنبع من الشرق ، و إنما ولدت في الغرب ، ومن أناس أصولهم وثنية لم تعرف التوحيد سابقًا . وقد فرضت هذه العقيدة بقوة سلاح الامبراطور ونفوذه . واضطهد جميع المخالفين لهذه العقيدة . فقد جاء في تلك البراءة :

(وللذين يقولون بهذه العقيدة وحدهم حق التلقب بالمسيحيين الكاثوليكيين . وأما الآخرون فإنهم هراطقة موصومون بالعار لا يحق لهم أن يدعو الأبنية التي يجتمعون فيها كنائس ، وسينتقم الله منهم ـ ونحن أيضًا من بعده ـ مهددًا مخالفيه بالإبادة والتشريد) .

وما كاد الامبراطور يدخل العاصمة القسطنطينية في الرابع والعشرين من شهر الحرث (تشرين الثاني) عام 380 حتى أخرج منها اسقفها الأريوسي وأدخل إليها بلبل قبدوقية الأزرق غريغوروس الثاولوغوس النازيانزي بجميع مظاهر الأبهة والجلال .

وفي العاشر من شهر كانون (كانون الثاني) عام 381 أردف الامبراطور ثيودوسيسوس براءته الأولى ببراءة ثانية فصل فيها العقيدة المسيحية . كما كان قد أقرها المجمع المسكوني الأول في نيقية وأبان بأن الهرطقة في نظر دولته تشمل أقوال فوتيانوس وآريوس وأفنوميانوس . وفي الثاني من أيار من السنة نفسها حرم جميع المسيحيين المرتدين إلى الوثنية من حق الوصية والوصاية . وفي الثامن منه ضرب المنيكيين أتباع منتس المسيحيين ضربة قاضية . وهكذا فإن القوة الغاشمة فرضت عقيدة الحاكم على الشعب الاعزل .

وكان ثيودوسيسوس قد أعلن رغبته وهو لا يزال في يسالونيكية في عقد مجمع مسكوني عام للنظر في أمور الكنيسة جمعاء . فنفذ أمنيته هذه في ربيع سنة 381 ميلادية ، وبعد أن قضى على جميع خصومه وأبعدهم عن حظيرة الدين بتسميتهم هراطقة ومرتدين . وأمّ القسطنطينية عدد من رجال الدين المسيحي المستزلمين للامبراطور . وكان دوماسيسوس بابا روما قد ألح بوجوب عقد هذا المجمع في رومة نفسها ، ولكن الامبراطور ثيودوسيسوس أبي وأصر على عقده في القسطنطينية فلم تشترك روما في أعمال هذا المجمع ولم يكن هناك من يمثلها .

ونظر المجمع في بدعة مقدونيوس اسقف القسطنطينية والتي أنكر فيها ألوهية الروح القدس وقال بأنه مخلوق يشبه الملائكة ولكنه ذو رتبه اسمى منهم[1] . فنبذ المجمع هذا القول وأضاف إلى دستور الإيمان النيقاوي إيضاحات وخصوصًا فيما يتعلق بأمر تجسد ابن الله والوهية الروح القدس . فجاء في اثنى عشر بابًا كما يلي وهو دستور المسيحيين حتى اليوم .

1 ـ أؤمن بإله واحد . أب . ضابط الكل . صانع السماء والأرض . كل ما يُرى وما لا يرى .

2 ـ وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب . قبل كل الدهور . نور من نور . إله حق من إله حق . مولود غير مخلوق مساوٍ للأب في الجوهر . الذي كان به كل شيء .

3 ـ الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السموات وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس .

4 ـ وصلب عنا على عهد بيلاطس النبطي وتألم وقبر .

5 ـ وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب .

6 ـ وصعد إلى السموات وجلس على يمين الأب .

7 ـ وأيضًا يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه .

---

(1) عقيدة التجسد الإلهي ـ اغناطيوس زكا الأول عيواص ـ بطريرك انطاكية وسائر المشرق .

8 ـ وبالروح القدس . الرب المحي . المنبثق من الأب . الذي هو مع الأب والابن مسجود له وممجد . الناطق بالأنبياء .

9 ـ وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية .

10 ـ واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا .

11 ـ وأترجىٰ قيامة الموتىٰ .

12 ـ والحياة في الدهر العتيد . آمين .

وقبل التعليق على بنود دستور الإيمان النيقاوي ومقارنتـه مع ما جاء في الأناجيل وكتاب العهدْ القديم ، نريد أن نبين أن ما كان يقرره أصحاب المجامع ما كان ليعبر إلا عن رأي الحاكم صاحب السلطة والسلطان . وكان هذا الرأي مفروضا على الشعب وعلى رجال الدين بالإكراه . إن آراء آريوس ما كانت من اختراع آريوس ولكنها كانت إيمان الشعوب التي بشرها تلاميذ المسيح الحقيقيون . أما ما جاء في المجامع النيقاوية فلم يكن إلا صدىٰ لتعاليم بولس الذي لم ير المسيح ولم يتتلمذ على أحد من تلاميذه . وفيما يلي نص مقالة غبطة بطريرك انطاكية وسائر المشرق اغناطيوس زكا الأول عيواص في كتابه : عقيدة التجسد الإلٰهي حيث إن هذه المقالة تبين أن ما كانت المجامع تقرره كان يفرض بالقوة وبالحديد والنار على الشعب وعلى رجال الدين المخالفين :

(وهكذا رفض مجمع خلقيدونية بعد أن غير الإيمان القديم وأيَّد ضلال نسطور القائل بالطبيعتـين للسيد المسيح بعد الاتحاد . قاسمًا المخلص الواحد إلى اثنين . شاطرًا الكنيسة الجامعة ، مشتتًا أبناءها بدلاً من أن يجمعهم ويوحدهم . فابتدأت منذ ذلك اليوم الشقاقات ، وعمَّ التنافر بين الأحزاب ، وما زالت الكنيسة حتى اليوم تعاني الآلام من جراء ذلك الانقسام البغيض . كيف لا وقد ظهر على أثره اضطهاد عظيم على من رفض مجمع خلقيدونية . حتى إن فرطوريوس الذي اغتصب الكرسي الاسكندري قتل أربعة وعشرين ألفًا من النصارى الذين تمسكوا بإيمان الآباء القديسيين بواسطة الجنود البيزنطيين ، وكان معظم القتلىٰ من الأساقفة والقساوسـة والرهبان . وطرد فرطوريوس بقية الاساقفة الارثوذكسيين من كراسيهم وأقام مكانهم دخلاء . وقد بذلت الدولة الرومانية كل ما في وسعها من جهد في العزل والنفي والتنكيل . لتجري قانون المجمع الخلقيدوني ولكنها باءت بالفشل الذريع ، فإن إيمان الارثوذكس لم تخمد جذوته في قلوب الأبطال الذيـن لم يرهبوا سطوة الرومان وقوتهم العسكرية حسبما شهد مؤرخوا الخصوم أنفسهم . كانت قرارات المجامع تؤخذ رغمًا عن رجال الدين وبقوة الحراب كما جاء في تصريح بعض الأساقفة الشرقيين الذين شاركوا في مجمع خلقيدونية : (إننا لم نوافق على قرارات المجمع السالف إلا مرغمين . ولم نحكم على فلابيانوس من تلقاء أنفسنا . أغصبونا وأرعبونا بالضرب . فأمضينا قرطاسًا أبيض ونحن محاطون بالجنود شاهري السلاح) .

ولإقناع الجماهير الساذجة استعملت جميع أنواع الاشاعات والاخبار الكاذبة الملفقة ، وذلك ليدعم كل طرف من أطراف الكنيسة المتنازعة وجهة نظره . ونذكر من هذه الحكايات الموجهة للتأثير في عقول السذج والبسطاء ما كُتب في سيرة مار موسى بن كيفا أنه عندما ماتت أمه وهو ابن عشرة أشهر اعتاد أبوه أن يأخذه إلى كنيسة القديسة مريم ليرضع من ايقونة العذراء الحجرية[1] .

(1) السريان وحرب الايقونات . للمطران غريغوريوس يوحنا إبراهيم ص 28 .

وللتأثير في الأباطرة والحكام فإن بعض رجال الكنيسة قاموا بأعمال غير نظيفة ، وجاءوا بأخبار ملفقة ليجذبوا الحكام إلى طرفهم ونذكر مثالاً على هذه الأعمال الشائنة ما جرىٰ بين الامبراطور لاون الذي رفض تكريم الايقونات والصور والصليب أيضًا ؛ لأن تكريمها يعني في نظره عبادتها ، وبين البطريرك نيقفوروس الذي كان يرغب بإعادة تكريم الايقونات والصور والصلبان . وملخص الحادث ما يلي : « بتحريض من نيقفوروس قام أحد العمال بتقديم عدد من الايقونات صغيرة الحجم إلى الامبراطور لاون بحجة أنه رآها عند رأس تمثال اوغسطوس الموجود في وسط العاصمة عند إصلاحه . وسأل الامبراطور هذا العامل إن كان حقًا قد وجد هذه الايقونات هناك ، فأجاب بالايجاب ، فسأله الامبراطور ثانية إن كان وجدها في الهواء الطلق أم في مكان آخر . فأجاب العامل في الهواء الطلق . فأمر الامبراطور بوعاء فيه ماء ووضعت الايقونات بداخله فانحلت ألوانها في الحال . وتبين الامبراطور ومن حوله من كذب الرجل . إذ كان من المستحيل أن تبقى كل المدة الطويلة في الهواء الطلق محافظة على ألوانها . فاضطر الرجل عندئذ للاعتراف بما فعله البطريرك فأستشاط الامبراطور غضبًا وأمر بنفي البطريرك نيقفوروس وعين آخر مكانه ثم شن حربًا شعواء على مكرمي الايقونات ومحترمي الصور مات بسببها جمع غفير من الناس »[1] .

ونعود إلى دستور الإيمان النيقاوي فنقول إنه مخالف لنصوص الأناجيل ، ونذكر من هذه الاختلافات :

1 ــ إن المسيح ليس بإبن الله الوحيد لأن :

أ ــ ذكر لوقا بأن آدم هو ابن الله .

ب ــ ذكر العهد القديم أن سليمان ابن داود يدعى ابنًا لله .

هـ ــ ورد في الأناجيل الأربعة أن المؤمنين الصالحين يدعون أبناء الله .

ي ــ ورد في الديانات الفرعونية واليونانية والبابلية أن هناك أبناء لله ، وكان الملوك يدعون أنفسهم أبناء الله .

أما الدين الإسلامي فنفى نفيًا قاطعًا أن يكون لله ولد أو أب أو زوجة .

2 ــ إن المسيح غير مساوٍ لله لأن :

أ ــ ورد في الأناجيل أن المسيح كان يعبد الله و يأتمر بأمره و يسير حسب مشيئته .

ب ــ ورد قول المسيح عن الله قوله : إنه أعظم مني .

ح ــ قال المسيح : إلٰهي و إلٰهكم ولا يتساوىٰ العبد مع إلٰهه .

3 ــ المسيح مولود من الأب والروح القدس منبثق من الأب .

هل ورد دليل على هذا الكلام في الأناجيل أوكتاب العهد القديم ؟ أم أن هذا الكلام هو صدى للفلسفة اليونانية الأفلاطونية كما فلسفها فيلون اليهودي وافلوطين الاسكندري . ونتساءل بعد هذا هل ترك اليونانيون ديانتهم السابقة وأصبحوا مسيحيين أم بقوا على وثنيتهم وبدلوا الأسماء فقط وقبلوا من المسيحية ما وافق اعتقاداتهم وأهواءهم السابقة ؟

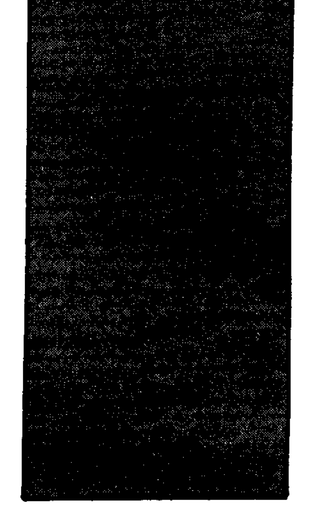
لقد انقسم المسيحيون إلى فرقتين رئيسيتين :

أولاهما : **فرقة آريوس ومقدونيوس والاليانيين** : وعقيدة هذه الفرقة مشابهة لما يقوله المسلمون بأن المسيح بشر مثلنا ، وأن الروح القدس من الملائكة المقربين من الله تعالى ، وأن الله واحد لا شريك له . وأتباع هذه الفرقة هم سكان

(1) السريان وحرب الايقونات ، للمطران غريغوريوس يوحنا إبراهيم ، متروبوليت حلب للسريان ، ص 40 .

الدول العربية الذين انضووا تحت لواء الإسلام وحملوا تعاليمه إلى العالم .

والفرقة الثانية : هم أتباع بولس الذي بشر بإنجيل من عنده أسماه إنجيل الغلف ، وتعاليمه مشابهة لتعاليم الديانة اليونانية التي تتحدث عن الفادى ديونيسوس ابن رب الأرباب زيوس مع تعديل الأسماء واستبدالها . وكان الأباطرة والحكام من أتباع هذه الفرقة التي فرضت رأيها على الدول التي تستعمرها بقوة السلاح . وأتباع هذه الفرقة هم اليونان والرومان .



التقارب الإسلامي المسيحي

احتصنت المسيحيه الإسلام ، ورعى الإسلام المسيحية تلك حقائق تاريخية لا تقبل المجادلة : لأنها مثبتة في مصادر مختلفة ، وقد حدث هذا مرات عديدة وفي عصور مختلفة . وأول لقاء بين الإسلام والمسيحية هو لقاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببحيري الراهب . وقد وردت هذه القصة في جميع كتب السيرة نقتطعها من كتاب البداية والنهاية .

« ثم إن أبا طالب عم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكافله بعد وفاة جده . خرج في ركب تاجرًا إلى الشام . فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صبَّ به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان عمره يومذاك ثماني أو تسع سنوات . وأخذ يبكي لفراق عمه وقال : لمن تتركني يا عمي . فرقَّ له أبو طالب واحتضنه وقال والله لأخرّجن به معي ولا أفارقه ولا يفارقني أبدًا . فخرج به فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام بالقرب من صومعة الراهب بحيري تحت ظل شجرة لاحظ الراهب بحيرى غمامة ترافق الركب وتظله كما لاحظ تهصر أغصان الشجرة واجتماعها لتظليل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان علم أهل النصرانية يتناهىٰ إلى صاحب هذه الصومعة وذلك عن كتابٍ يتوارثونه كابرًا عن كابر . وصنع بحيرىٰ طعامًا وقدمه إلى الركب وأخذ يلحظ رسول الله لحظًا شديدًا . وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته . حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له يا غلام : أسألك بحق اللات والعزىٰ إلا أخبرتني عما أسألك عنه . فأجابه رسول الله لا تسألني باللات والعزى شيئًا فوالله ما أبغضت شيئًا قط بغضها . فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه . فقال له : سلني عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حالة نومه وهيئته وأمور أخرى . فجعل رسول الله يخبره فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضحًا من صفته التي عنده . فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك؟ قال ابني . قال : بحيرى : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا . قال : فإنه ابن أخي . قال : فما فعل أبوه؟ قال : مات وأمه حبلىٰ به . قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرًا . فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده . فخرج به عمه أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة » .

إن هذه القصة تبين فرح المسيحية واستبشارها بنبي الإسلام وخوفها عليه من اليهود ، ولم يبخس القرآن حق القساوسة والرهبان فجاءت في مدحهم الآيات القرآنية العديدة . وكانت وصايا الرسول واضحة وصريحة تنص على احترام القساوسة والرهبان المسيحيين وعدم التعرض لهم في الحرب أو السلم على السواء .

و إن ينسىٰ المسلمون فهم لا ينسون ما فعله النجاشي لأجلهم . آواهم وحماهم وأكرمهم . فقد روي أن النبيّ ـ

صلى الله عليه وسلم ـ قال لأصحابه المضطهدين : **إن بأرض الحبشة ملكًا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا مما أنتم فيه** . فخرج أصحاب النبيّ فنزلوا بخير دار إلى خير جار آمنين على دينهم ولم يخشوا فيها ظلمًا . فلما رأت قريش أن المسلمين قد استراحوا من أذاهم . اجتمعوا وقرروا أن يبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي وبطاركته بهدايا ليطرد المسلمين من بلاده ويردهم إلى مكة . فلما قدموا للملك الهدايا قالوا له : أيها الملك ، إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه قد لجأوا إلى بلادك فبعثنا إليك فيهم عشائرهم آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم وأنهم لم يدخلوا دينك فتمنعهم لذلك . فغضب ، ثم قال : لا لعمر الله لا أردهم عليهم حتى أدعوهم فأكلمهم فأنظر ما أمرهم . قوم لجأوا إلى بلادي ، واختاروا جواري على جوار غيري فإن كانوا كما تقولون رددتهم إليكم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل بينكم وبينهم . فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم . وكان الذي يكلمه من المسلمين جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال له النجاشي : ما هذا الدين الذي أنتم عليه ؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا يهودية ولا نصرانية؟ فقال له جعفر : أيها الملك كنا قومًا على الشرك نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسيء الجوار . يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها . لا نحل شيئًا ولا نحرمه . فبعث الله إلينا نبيًا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته . فدعانا أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونصل الأرحام ، ونحمي الجوار ، ونصلي لله عزوجل ، ونصوم له ولا نعبد غيره ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله . فعدا علينا قومنا فعذبونا ليفتنونا عن ديننا ، ويردونا إلى عبادة الأوثان . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . فقال له النجاشي : هل معك شيء مما جاء به . فقال جعفر : نعم . وقرأ عليه صدرًا من سورة مريم . فبكىٰ والله النجاشي حتى اخضلّت لحيته . وبكت أساقفته . ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسىٰ . فقال عمرو بن العاص للنجاشي : إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا فسلهم عنه . فقال لهم النجاشي : ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر : نقول هو عبد الله ورسوله وروح منه وكلمته ألقاها إلى مريم البتول العذراء . فدلى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عودًا بين أُصبعيه فقال : ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العويد . ثم قال لجعفر : انطلقوا راشدين لا والله لا أردكم عليهم ولا أنعمهم عينًا . اذهبوا فأنتم سيوم في الأرض « آمنون » من سبكم غرم من سبكم غرم من سبكم غرم . وما أحب أن لي جبلاً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم وقال لرجاله : ردوا على قريش هداياهم فلا حاجة لي بها وأخرجوهما من بلادي . فخرج عمرو بن العاص ورفيقه مقبوحين مردود عليهما ما جاءا به .

ولما قدم وفد النجاشي على رسول الله وهو في المدينة المنورة قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخدمهم فقال أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : **إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافيهم** .

وقد بعث النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى النجاشي الكتاب الآتي :

بسم الله الرحمٰن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسىٰ ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى و إني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله و إني أدعوك وجنودك إلى الله عزوجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدىٰ .

ورد النجاشي على كتاب النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يلي :

بسم الله الرحمٰن الرحيم . إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمه . السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الذي لا إله إلا هو الذي هداني للإسلام . أما بعد : فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت . وقد عرفنا ما بعثت به إلينا . وقد قربنا ابن عمك وأصحابك . فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين .

وأرسل النبيُّ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكتاب التالي إلى المقوقس ملك القبط .

بسم الله الرحمٰن الرحيم . من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدىٰ . أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط . ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

ودخل حاطب بن بلتعة بهذا الكتاب على المقوقس وهو في الإسكندرية . فسأله المقوقس : ما منع نبيكم أن يدعو على من خالفه أن يسلط عليهم . فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت ، فقال له حاطب : ألست تشهد على أن عيسى ابن مريم رسول الله؟ فما له حين أخذه قومه فارادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله إليه . قال الموقس : أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم . ثم قال له حاطب : إن كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى « يقصد فرعون موسىٰ » فأخذه الله نكال الآخرة والاولىٰ فانتقم به ثم انتقم منه . فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك به . إن هذا النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش ؛ وأعداهم له اليهود ، وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسىٰ عليهما السلام إلا كبشارة عيسى بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل . وكل نبيّ أدرك قومًا فهم أمته . فالحق عليهم أن يطيعوه فأنت ممن أدرك هذا النبي . ولسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السلام ولكن نأمرك به . فقال الموقس : إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود ، فيه ولا ينهي عن مرغوب عنه . ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب . ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوىٰ . وسأنظر .

ثم دعا بكاتب له يكتب بالعربية فكتب :

بسم الله الرحمٰن الرحيم . لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط . سلام عليك . أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيًا قد بقي . وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام . وقد أكرمت رسولك . وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم . وبثياب وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك .

وكتب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى هرقل امبراطور الروم .

بسم الله الرحمٰن الرحيم . من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدىٰ . أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإنما عليك إثم الاريسيين . ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

ويذكر الرواه أن قيصر قال : لو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقياه . ولا أستطيع أن أفعل . إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم . ولوكنت عنده لغسلت عن قدميه ولا أطلب منه ولاية ولا منصبًا .

وفي صحيح البخاري أن هرقل قيصر الروم لمَّا سار إلى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له . ثم أمر بأبوابها فأغلقت ثم أطلّع فقال : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتابعوا هذا النبيَّ . فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها مغلقة . فلم رأى قيصر نفرتهم وآيس من الإيمان منهم . وقالوا له : أتدعونا أن نترك النصرانية ونصير عبيد الاعرابي ؟ فقال : ردوهم عليَّ . وقال : إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه . وعند ذلك كتب كتابًا وأرسله مع دحية الكلبي إلى رسول الله ـ صلى لله عليه وسلم يقول فيه : إني مسلم ولكني مغلوب وأرسل بهدية .

أما النجاشي فقد مات على زمن حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على الإسلام فصلىٰ عليه النبيّ وأصحابه صلاة الغائب . وبموته انطوت صفحة مجيدة من التعاون الإسلامي ـ المسيحي . وفتحت صفحة جديدة لنجاشي لم يؤمن بالإسلام .

أما المقوقس فقد علم هرقل بإسلامه فعزله عن مصر وولى غيره . وهنا تبدأ في مصر صفحة جديدة من الاضطهاد الديني يحمل فيها أنصار التثليث على أنصار التوحيد . وبقوة الجيش الروماني يعطرد الاليانيون الموحدون لله إلى جزيرة العرب حيث ينضم هؤلاء الاليانيون إلى العرب ويشاركون معهم في فتح مصر[3] .

أما هرقل فقد صعب عليه أن يترك المجد العظيم والنعيم المقيم والتبجيل والتقديس على أساس أنه المنتصر على دولة فارس ، والمعيد لدولة الروم هيبتها وعزتها ، ولم يطاوعه مرؤوسوه ففضل الدنيا العاجلة على الآخرة الباقية ، وهو موقن بنبوة محمد ومتأكد من انتشار دينه ودعوته إلى أقاصي الأرض ، كما هو مذكور في الكتب التي اطلّع عليها ، فقد كان هرقل من علماء ، النصرانية المطلّعين ولكن حب الدنيا كان عنده أعظم . وعندما غادر هرقل دمشق نظر إليها نظرة حانية فيها الألم والحسرة لعلمه بأنها ستكون في أيدي المسلمين ، وعاصمة لملكهم كما ورد في الكتب القديمة ، وكما صرح المقوقس وقال : سلام لك يا دمشق . سلام ما بعده لقاء .

ولنذكر هنا بأن رسالة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى هرقل كشفت عن وجود الأريوسيين المضطهدين في الدولة الرومانية بسبب عقيدتهم الدينية . وقد انضم الآريوسيون في الشام والاليانيون في مصر إلى إخوتهم المسلمين وحاربوا معهم الروم وأجلوهم عن بلادهم .

لقد طلب الإسلام من المسيحيين أن ينضووا تحت لواء الإسلام ، وأن يسيروا في ركبه على اعتبار أن الإسلام هو تصحيح لما دخل على المسيحية من الديانات اليونانية ، ومن الخرافات والأساطير التي لا يقبلها العقل والمنطق ، و إن تعاليم الإسلام هي تكميل للديانة المسيحية ، وذلك بإقرار الشريعة الإسلامية التي تفتقدها المسيحية ، و إن استغراب المؤرخين لسرعة انتشار الإسلام هو دليل على جهلهم بهذا الدين ، فالمسيحيون العرب في مصر والشام هم الذين فتحوا العالم بعد أن وجدوا في الإسلام التعبير الصحيح والحقيقي لما يجول في قلوبهم وعقولهم . ولا نعني أن الإسلام هو دين خاص بالعرب

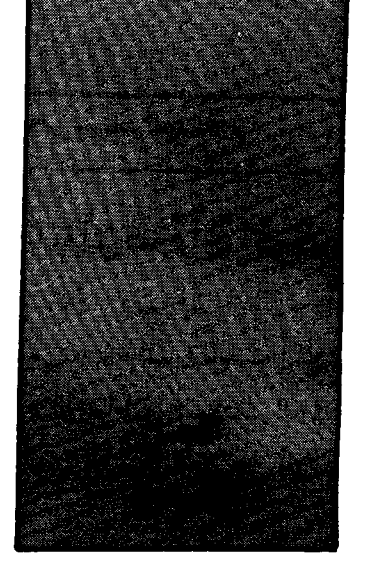
---

(1) أسد رستم ـ الروم ـ الجزء الثاني .

فقط ، بل الإسلام دين الجنس البشري أجمع . وعندما فهم المسيحيون الإسلام قالوا : ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ * أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * ﴾[1]

---

(1) سورة القصص : الآيتين 53 و 54 .



مستقبل العالم الإسلامي ونبوءات العهد القديم

نشأت الحضارات القديمة في أرض العرب : العراق ، سوريا ومصر . ودعيت هذه الحضارات بأسماء الحضارة البابلية ، الحضارة الفينقية والحضارة الفرعونية .

وقدمت هذه الحضارات المباديء الأساسية للحضارة الإنسانية . فكان علم الفلك والحساب في بابل ، وكان علم الطب والكهانة والسحر في مصر ، وكانت صناعة الأنسجة والزجاج في سوريا . بالإضافة إلى تقدم العرب في الزراعة والريّ وتدجين الحيوان . وأول من ركب الخيول هم العرب ، وأول القوانين والتشريعات كانت قوانين حمورابي ، وأول الأبجديات كانت الابجدية العربية الفينيقية . وبرع سكان البلاد العربية في الفنون والآداب . فكان النحت والتصوير والتماثيل التي تغص بها المتاحف اليوم أكبر شاهد على حضارة العرب القديمة . وكانت البلاد العربية منبع الأساطير والملاحم . وكان العرب أول شعب تجاري في العالم وصلت تجارتهم إلى الهند والصين شرقًا و إلى إسبانيا غربًا حيث أقاموا الجاليات الفينقيقية التي ساعدت العملاق العربي هانيبال في غزوه لروما . وصدَّر العرب الأديان لجميع الشعوب والبلدان فكانت الآلهة اليونانية والرومانية صدى لأدونيس وعشتار وايزيس وأوزوريس وتموز وبعل .

سقطت هذه الحضارات تحت سنابك خيول البرابرة الفرس والرومان اللّذين تعاظمت قواهما الحربية ، وازدادت شهوتهما للسلب والنهب وسفك الدماء . وأصبحت البلاد العربية إما مستعمرات فارسية أو مستعمرات رومانية . وفرضت الضرائب والإتاوات وأذلت شعوب المنطقة العربية ، ونهبت خيراتها ، وأفسدت أخلافها ، وحرمت حريتها وفرضت عليها ديانة وعقيدة الغاصب الدخيل ، واحتكر الغزاة المتسلطون التجارة فافتقر الشعب واضطهد . وجند أبناؤه ليحاربوا بعضهم بعضًا . قسم مع الفرس وقسم مع الروم . وكانت الدولتان الغازيتان تتناوبان احتلال هذه البلاد ، وكانت الحروب على أرض العرب سجالاً بين الفرس والروم . ومن نتائج هذه الحروب كان التخريب والتقتيل والفوضى ولم يعد هناك صناعة أو تجارة ، وغادرت رؤوس الأموال هذه البلاد لتستثمر في أماكن أكثر هدوءًا واستقرارًا . وانتقلت العقول المفكرة والباحثة إلى حيث تستطيع الإبداع ، فأقفرت البلاد ، وتوقفت النهضة العلمية ووقف الاختراع والتحديث . واهملت الزراعة المصدر الرئيسي لثروة البلاد وذلك بسبب الضرائب الفاحشة والعشور المفروضة .

وجاء الإسلام فحرر الإنسان العربي فكريًا ليتمكن من تحرير الأرض ، وطرد الفرس والروم من أرض العرب وأعلن الإسلام مبدأ الإخاء الإنساني لاغيًا الفروق العرقية ، مساويًا بين البشر ، جاعلاً الأفضلية والكرامة لصاحب

التقوىٰ والعمل الصالح النافع . ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1] .

وبتعاليم الإسلام وهدى القرآن توحد العرب بعد أن كانوا منقسمين بين الروم والفرس ، وبذلك تأسست أكبر وأعظم امبراطورية في التاريخ ألا وهي الامبراطورية الإسلامية ونواتها البلاد العربية . هذه الامبراطورية سادت العالم وسارت بالأمم والشعوب أشواطًا بعيدة في التقدم والرقيّ . وبقيت متزعمة ومتقدمة على الشعوب الأخرىٰ لأكثر من ألف عام .

وما إن ظهر الإسلام ووقف على رجليه حتى بدأ جنود الشيطان وأعوان الجهل والظلام العمل لتقويض أركانه بكل ماأتوا من قوة وطاقة . ولكن جهودهم باءت بالفشل باديء الأمر . لأن الرجال الذين اعتنقوا الإسلام كانوا متمسكين بالقرآن علمًا وعملاً . ومضت القرون الأولىٰ فخفتّ حماس المسلمين للجهاد ، ومال الناس لحياة الدعة والرفاهية ، ونسوا كثيرا مما جاء به القرآن . وتركوا العمل بكثير من وصاياه فصدقت فيهم نبوءة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه المشهور : « **يوشك أن تداعىٰ عليكم الأمم كما تداعىٰ الأكلة إلى قصعتها . قال قائل : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله . قال : لا . بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن . قال قائل : وما الوهن يا رسول الله قال : حب الدنيا وكراهية الموت** » .

وكان أول عمل قام به أعداء الإسلام هو الاغتيال السياسي للقواد والزعماء المسلمين الذين كرسوا أنفسهم لإعلاء كلمة الدين . وكان أول شهداء الغدر اليهودي ـ المجوسي عمر بن الخطاب ، ثم تلاه عثمان بن عفان ، فعلي بن أبي طالب ، واستمر هذا الأسلوب في العمل حتى يومنا هذا وكان الملك فيصل ، آخر شهداء الغدر والخيانة .

وكرّس أعداء الإسلام جهودهم لتفريق المسلمين مستغلين أي اختلاف في وجهات النظر ، مختلقين الشائعات ، مهولين من الأحداث . ونجحوا في هذا الأمر أيما نجاح ، وتفرق المسلمون لأسباب سياسية ، ولكن أعداء الإسلام استغلوا هذا الانقسام ليجعلوا منه انقسامًا مذهبيًا ثم خُلقت العصبيات القبلية ، وزُرعت النزعات الشعوبية ، وأخيرًا رُسمت الحدود ، ووضعت السدود بين المسلمين حتى بات المسلمون فرقًا وأحزابًا متخاصمين خارجين عن دين الإسلام كما بين ذلك سبحانه وتعالىٰ في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[2] .

وما إن تفرق المسلمون وتباعدوا حتى دهمهم الهجوم العسكري الصليبي . وكان الصليبيون يحتمون باسم المسيح ويبررون أعمالهم الوحشية بحجة حماية قبر المسيح ، وكأن المسيحيين لا يعرفون أن المسيح صعد إلى السماء كما تذكر أناجيلهم . ودخل غودوفردي الملقب بحامي قبر المسيح (الفارغ من الجثة) مدينة القدس على أشلاء القتلى . وبعث برسالة إلى البابا يهنئه فيها بالانتصار ، ويذكر فيها أن دماء المسلمين جرت في شوارع القدس أنهارًا حتى وصل الدم إلى الركب .

واستمرت هذه الحروب المدمرة مائتي عام استطاع المسلمون بعدها إجلاء آخر جندي صليبي محارب من بلاد

---

(1) سورة الحجرات : الآية 13 .

(2) سورة الأنعام : الآية 159 .

الإسلام . وفي نهاية الحروب الصليبية قامت جحافل التتر والمغول باكتساح العالم الإسلامي ، وبإغراء من أوروبا مدمرة مخربة كل ما يواجهها . وكانت حصيلة الغزو البربري سبعة عشر مليونًا من قتلى المسلمين إضافة إلى عشرات الملايين من المهجرين والمشردين ، وعمَّ الخراب والفوضى العالم الإسلامي ، واختلط أهل البلاد بالعناصر الصليبية والمغولية ، وامتزجوا معها واكتسبوا كثيرًا من العادات الذميمة ، وانتشر الفقر والجهل ، وشاعت الخرافات والأوهام مكان الحقائق والعلوم التي تبناها العرب ونشروها في العالم . ورمى المغول بكتب المسلمين التي تسجل علومهم وتفوقهم في نهر دجلة ، وأحرقوا الباقي غير مقدرين نتائج جريمتهم النكراء . على عكس الصليبيين الذي حملوا معهم كتب المسلمين وترجموها واستفادوا منها فكانت أساسًا لحضارتهم وعلومهم الحالية .

ويذكر كتاب العهد القديم في نبوءة حزقيال في الفصلين الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين أن فلسطين سوف تتعرض لهجوم مسلح بقيادة يأجوج ومأجوج ومن قبائل أقاصي الشمال . ويتزعمهم جومر الذي يتفرع منه أشكناز وآل توجرمة[1] وهم قبائل الخزر التي دخلت في اليهودية في القرن السابع الميلادي . واستوطنوا شرق أوروبا وشمالها . قال الرب : أناعدوك يا يأجوج يا رئيس روش وماشك وتوبال سأديرك وأضع لجامًا في حلقك وأدفعك وحشدك . فرسانك وجنودك حاملي السيوف والدروع الآتين من بلاد فارس ومن بلاد الحبشة ومن غرب ليبيا ، وكلهم معه دروعه وخوذته مستعدًا للقتال بجانب جومر وآل توجرمة الآتين من أقاصي الشمال ومعهم شعوب كثيرة . فإنك بعد أيام كثيرة تفتقد ، وفي آخر السنين تأتي إلى الأرض المقدسة حيث يعيش الناس في سلام . فتصعد وتأتي كعاصفة وتكون كغمام يغطي الأرض لتحتل فلسطين .

هكذا قال الرب ليأجوج عندما يأتي ذلك الزمان فإنك ستظهر أفكارك الشريرة ، وتقول سأهاجم العرب الذين يسكنون في قرى غير مسورة وليس لهم مزاليج ولا مصاريع لكي تسلب السلب وتنهب النهب .

ويذكر القديس يوحنا نهاية يأجوج ومأجوج الآتين إلى فلسطين من جميع الجهات من الشمال ومن الجنوب من الشرق ومن الغرب . فيقول في رؤياه :

« وإذا تمت الآلف سنة يُحَل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في زوايا الأرض الأربع يأجوج ومأجوج ليحشدهم للقتال في عدد كرمل البحر . فطلعوا على سعة الأرض ، وأحاطوا بمعسكر القديسين[2] وبالمدينة المحبوبة[3] . فهبطت نار من عند الله من السماء وأكلتهم »[4] .

وقبل أن نفسر بعض الفقرات الهامة من الفصلين الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين من بنوءة حزقيال نورد الملاحظة التالية :

كانت نبوءة حزقيال في القرن السادس قبل الميلاد . وكلمة بني إسرائيل في ذلك الزمان كانت تطلق على الشعب

---

(1) سفر أخبار الأيام الأول : الفصل الأول الفقرة : 6 .

(2) يعبر القديس يوحنا عن المسلمين بالقديسين .

(3) المدينة المحبوبة هي المدينة المنورة .

(4) رؤيا القديس يوحنا الفصل : 20 : 7 .

المؤمن بالله تعالىٰ والمطيع لشريعته . وكل الأشخاص المؤمنين بشريعة موسىٰ والأنبياء الذي جاءوا بعده اعتبروا من بني إسرائيل . وناسخوا كتاب العهد القديم ومترجموه إلى باقي اللغات كانوا يعبرون عن المؤمنين بكلمة بني إسرائيل . وبناء على هذه الملاحظة فإن كلمة بني إسرائيل الواردة في الفصلين الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين من نبوءة حزقيال ترمز إلى المسلمين القاطنين في فلسطين . أما اليهود والصهاينة الغازون لفلسطين فليسوا تاريخيًا وعرقيًا من بني إسرائيل وهم الذين عبَّر عنهم حزقيال بيأجوج ومأجوج . وبالمقابل فإن القرآن سمىٰ جميع المؤمنين الذي آمنوا بأنبياء الله قبل الإسلام بالمسلمين . كما سمىٰ المسيحيون الأولون المسلمين بالقديسين .

إن التحليل والمقارنة يبينان أن يأجوج ومأجوج قد يرمزان إلى اليهود الحاليين المحتلين لفلسطين . فجومر ومأجوج أخوان[1] وأولاد جومر هم اشكناز وتوجرمة[2] واسم يهود أوروبا المهاجرين إلى فلسطين هو الاشكناز .

تذكر نبوءة حزقيال أن جيش مأجوج من لابسي الثياب الفاخرة[3] وهذا يدل على أنهم سيأتون متنكرين لإخفاء أغراضهم فعندما بدأت الهجرة اليهودية إلى فلسطين كان اليهود المهاجرون يأتون إليها كسياح أو كتجار أو كحجاج إلى بيت المقدس .

تذكر نبوءة حزقيال أن يأجوج ومأجوج سيأتون إلى فلسطين من زوايا الأرض الأربعة ، وهذه هي صفة الهجرة اليهودية حيث إنها لم تأت من بلد واحد بل من أكثر بلدان العالم من الشرق ومن الغرب ، من الشمال والجنوب ، ولكن الزعامة هي دائمًا لأهالي الشمال أي للأوروبيين .

تذكر نبوءة حزقيال أن هذا الحدث سيتم بعد أيام كثيرة وفي آخر السنين . وقد مضى على نبوءة حزقيال ستة وعشرون قرنًا ولم يحدث خلال هذا التاريخ الطويل أن جاء إلى فلسطين محاربون من جهات الأرض الأربعة . في وقت واحد إلا هذه الهجرة الأخيرة والتي أخذت شكلها العسكري العدواني من أول يوم بدأت فيه .

وتنص النبوءة على أن الغاية الأساسية من هذا العدوان والاحتلال هي النهب والسلب ، وهذا واضح فاليهود الذين سلبوا الأراضي وطردوا السكان يقومون اليوم بنهب المياه وتحويل الأنهار من البلاد المجاورة ليستفيدوا منها في زراعتهم .

أما نهاية إسرائيل أو يأجوج ومأجوج فإن بنوءة حزقيال تذكر أنها تبدأ عندما يفكر يأجوج ومأجوج في الاعتداء على أرض القرى غير المسورة[4] وهذا الوصف ينطبق على المدن الإسلامية المقدسة : مكة والمدينة المنورة . وعندها يطلع حنق الرب في وجهه[5] ويدعو السيف عليه في جميع جبال فلسطين فيكون سيف كل رجل على أخيه[6] . وهذا الأمر متوقع لأن اليهود المحتلين لفلسطين منقسمون إلى يهود شرقيين لا قيمة لهم ولا وزن ، ويهود غربيين هم أهل العقد والحل وهم

---

(1) أخبار الأيام الأول فصل : 1 : 5 .

(2) أخبار الأيام الأول فصل : 1 : 6 .

(3) قاموس الكتاب المقدس ـ منشورات مكتبة المشعل ـ بيروت .

(4) نبوءة حزقيال فصل : 38 : 11 .

(5) نبوءة حزقيال فصل : 38 : 18 .

(6) نبوءة حزقيال فصل : 38 : 21 .

أصحاب الرأي ولهم المكانة العليا ولهم السيادة ، ولا بد أن صراعًا سينشأ بينهم وسيأخذ هذا الصراع في يوم ما شكلاً مسلحًا . و إن بوادر هذا الصراع ظاهرة اليوم للمطلعين على ما يجري في الأرض المحتلة . وتستمر النبوءة فتذكر : وأدينه بالوباء والدم والمطر الطاغي وحجارة البرد وأمطر النار والكبريت عليه وعلى جيوشه وعلى الشعوب الكثيرين الذين معه[4] .
وهنا فإن الكوارث الطبيعية ستتوالىٰ على المعتدين مما سيضعفهم أمام جيرانهم المحيطين بهم والمتضررين من أعمالهم العدوانية ومن سلبهم ونهبهم . وننتقل من نبوءات العهد القديم إلى دراسة مستقبل العالم الإسلامي ولا يهمنا في هذا الكتاب دراسة النواحي الاقتصادية أو السياسية ، إنما نبحث في موضع العقيدة الإسلامية ومستقبلها ولا يمكن فصل المستقبل عن الحاضر إذ أن المستقبل هو ثمرة عملنا الحاضر . كما أن الحاضر هو نتيجة حتمية لما كان في الماضي . و إن معرفتنا لما حصل في الماضي يوضح كثيرًا أسباب ما نعانيه في الوقت الحاضر ، ولكن الأهم من هذا كله هو إمكانية الاستفادة من تجارب الماضي لتجنبُ الوقوع في الأخطاء المميتة التي ارتكبها أجدادنا في الماضي . وأول هذه الأخطاء وأشنعها هو تفرق المسلمين إلى دول وأحزاب تقاتل بعضها بعضًا . ولم يستفد المسلمون من نكبة الأندلس ولا من حديث رسول الله القائل : « **لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض** » .

وكانت النتيجة القضاء على الإسلام والمسلمين في الأندلس هذا الدرس وعاه الغرب وجعله نصب عينيه بينما نسيه المسلمون وناموا عنه في حلم أبله .

وعندما قام الأتراك السلاجقة بالتحرك نحو أوروبا فاجأهم الصفويون بحرب لم يجن منها المسلمون سوى التخلف والانحطاط واستفاد منها الغرب فاستراح من هجمات العثمانيين وانشغل المسلمون بعضهم ببعض ناسين قول الله تعالىٰ : ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا . . .** ﴾[2] .

وكانت النتيجة أن وقع المسلمون تحت نير الاستعمار الحديث والذي اعتبر امتدادًا للحروب الصليبية .

وبدأ الاستعمار بالعمل المباشر وبشكل منظم لغسل الدماغ الإسلامي ، فأرسىٰ قواعد التمدن الحديث كما يراها هو لتبقى البلاد تابعة له فكريًا وثقافيًا . وأول ما ألغىٰ من المدارس تعلم القرآن الكريم والذي يعتبر سر قوة المسلمين إن تمسكوا بتعاليمه ، وذلك عملاً بوصية وزير المستعمرات البريطاني غلادستون الذي قال : ما دام القرآن في أيدي المسلمين فلن نتمكن منهم . وأُنشئت المدارس في البلاد المستعمرة على طراز حديث لا يوجد فيها تعليم للقرآن أو شرح للإسلام ، وكيف يسلم الاستعمار المسلمين سلاحهم الذي جاء لينزعه منهم . واجتهد الاستعمار في محو اللغة العربية من البلاد الإسلامية ليبعد المسلمين عن قراءة قرآنهم فأوعز إلى عملائه للمطالبة باستبدال كتابة الأحرف العربية من الرسم العربي إلى الرسم اللاتيني وقد أفلح في بعض البلاد فقطع تلك البلاد عن تاريخها وعن دينها . وأبعدها عن العرب وقام الاستعمار بتغذية النعرة القومية بدلاً من الجامعة الإسلامية ليزيد من فرقة البلاد الإسلامية ، وذلك بعد أن رسم بينها الحدود ، وأقام بينها السدود حتى ليصعب على المسلم الانتقال والاتجار بين الدول الإسلامية المتجاورة ، ويسهل عليه الانتقال والتعامل مع

---

(1) نبوءة حزقيال فصل : 38 : 22 .

(2) سورة آل عمران: الآية 103.

الدول المستعمرة الغريبة عنه لغة ودينًا وعرقًا .

واصطنع الاستعمار الحروب بين الدول الإسلامية المتجاورة ، فقلما تجد دولتين إسلاميتين متجاورتين متعاونتين . بل تجد الخلافات والمشاحنات والعداء ، وكثيرًا ما تجد أن بعض هذه الدول قد حشدت جيشها على حدود دولة إسلامية مجاورة خوفًا من اعتداء أو استعدادًا لاعتداء . وأما أسباب هذه الخلافات فهي في الظاهر اختلاف وجهات النظر في رأي رئيسي هاتين الدولتين . أما الحقيقة فهي إيعاز من الاستعمار الذي يفرض هذه الخلافات ، ويخلق تلك المشاكل الوهمية حتى يبيع الدول الإسلامية الفائض من سلاحه والذي لم تعد له حاجة به وفي نفس الوقت فإن تفتيت العالم الإسلامي إلى دويلات يجعلها ضعيفة أمامه ، وسوقًا رئيسية لمنتجاته ، ومصدرًا للمواد الخام التي يستعملها في صناعاته ولم يغادر الاستعمار بلاد الإسلام إلا بعد أن استنفد أغراضه منها ، وجعلها بالشكل الذي يريد جهلاً وفقرًا وضعفًا وتفككًا . لم يغادر الاستعمار بلاد الإسلام إلا بعد أن سلم السلطات ومقدرات البلاد إلى أقليات ربطت مصالحها مع مصالحة على حساب أغلبية الشعب . لقد هيأ الاستعمار طليعة ثقافية توجه البلاد بحيث تتكرس التبعية للمستعمر هذه الطليعة ترفض الإسلام وتعمل على تقويضه .

واتفق الشرق والغرب على اقتسام النفوذ في بلاد المسلمين وبالتساوي ، و إن نظرة إلى خريطة البلاد الإسلامية تبين أن كل دولة تخضع للنفوذ الغربي يجاورها دولة تخضع للنفوذ الشرقي . هل هذا من قِبَلِ الصدفة ؟ أم أنه مخطط مدروس ومتفق عليه ؟ أما أموال المسلمين فهي دائمًا مستثمرة في بلاد أعدائهم الذين يتربصون بهم . وذلك لعدم إمكانية استثمارها في البلاد الإسلامية التي تشرع القوانين الاقتصادية التي تمنع الاستثمارات الإسلامية بحجة أنها استثمارات أجنبية . قد تؤثر على استقلال البلاد . ويمكننا اليوم أن نميز ثلاث حالات لأوضاع العالم الإسلامي .

1 ـ المسلمون في الاتحاد السوفياتي . ووضع هؤلاء المسلمين يتحسن باستمرار وعددهم يزداد باطراد وسيأتي اليوم الذي يكونون فيه الأكثرية العددية في دولة متقدمة هي من كبريات دول العالم . إن الأفكار التي يتضمنها الإسلام أقوىٰ وأصلح من النظريات الشيوعية . لذلك نتنبأ بأن الاتحاد السوفيتي سينقلب إلى دولة إسلامية خلال الخمسين سنة القادمة وما على العرب والمسلمين أفرادًا وحكومات إلا أن يعملوا وبكافة الطرق والأساليب للوصول إلى هذه النتيجة .

2 ـ المسلمون في جنوبي شرق آسيا وفي وسط غرب أفريقيا . وهؤلاء المسلمون ضائعون فبريق الغرب يخطف أبصارهم ، وعلومه وحضارته تأخذ بألبابهم . إنهم يتطلعون إلى التقدم والرقي والثروة ، ومثلهم الأعلىٰ في ذلك بلاد الغرب . أما الإسلام في وضعه الحالي فهو لا يقدم لهم ما يتمنونه لذلك فإن ارتباطهم به يضعف يومًا بعد يوم و يشجعهم على ذلك المبشرون الذين يصورون الحضارة الغربية وكأنها نتاج الفكر المسيحي . . متناسين أن ثروة الغرب وتقدمه ناتجين عن السرقات والغنائم التي استلبها الغرب من البلاد الفقيرة . إن مستقبل الإسلام مهدد في تلك البلاد لعدم وجود رؤية إسلامية واضحة في أذهان قادة البلاد ومفكريها . كما أن اللغة العربية ـ لغة القرآن ـ تتقلص في تلك البلاد تدريجيًا لقلة البعثات العربية الدينية ، وقلة الموارد المالية لتلك البعثات إن وجدت . إن نشر اللغة العربية والفكر الإسلامي الواضح هو ضرورة ملحة لئلا تنسلخ تلك الدول شعوبًا وحكومات عن المجموعة الإسلامية وتقف في الصف المعادي .

3 ـ المسلمون في البلاد العربية الذين جزّأهم الاستعمار وفرقهم عن بعضهم ، وزرع في وسطهم إسرائيل التي تعمل على احتلال الأرض وطرد السكان ليسكن فيها أكثر من خمسة عشر مليونًا من اليهود الذين يعملون على تحقيق حلم

الصِّهيونية العالمية (من الفرات إلى النيل أرضك يا إسرائيل) .

إن الصِّهيونية العالمية تعمل منذ أكثر من مئة عام بشكل منظم ومدروس لتفتيت القوى الإسلامية فهي أولاً وبمساعدة الاستعمار قضت على الخلافة الإسلامية . ودعت حركات الانفصال بحركات التحرير من الاستعمار العثماني ، ولم تكتف بذلك بل أيقظت النعرات الطائفية والعرقية والقومية والطبقية في البلاد العربية بغية إضعاف الجبهة الداخلية ولكي تجعل من بلاد العرب دويلات صغيرة متنافرة متناحرة مع بعضها يسهل عليها ابتلاعها في الوقت المناسب . وكما مرّ معنا في الفصل السادس من هذا الكتاب فإن اليهود يضعفون خصمهم إلى حدّ لا يستطيع معه المقاومة . واليهود وعملاؤهم المندسون بين صفوف العرب يعملون على إفقار العرب ماديًّا وعلميًّا ونفسيًّا وثقافيًّا .

ما أشبه اليوم بالبارحة ! إن وضع العرب مشابه تمامًا لوضع اليهود الذين عاشوا عصر المسيح . ولكن هناك تبادل في المواقع فيهود عصر المسيح كانوا ينتظرون من يخلصهم من الاستعمار الروماني ومن التأثير الثقافي اليوناني . وجاء حنا المعمدان والمسيح لينقذا الشعب ، ولكن الشعب اليهودي لم يتجاوب معهما وأحبط محاولتهما . ويهود اليوم هم المعتدون يريدون أن يفرضوا على العرب ما فرضه عليهم المستعمر يومًا ما . وهم لا يزالون ينتظرون المسيح الملك الذي سيملكهم العالم ويجعل من باقي الشعوب عبيدًا وخدمًا لهم .

هل ينتظر العرب من سيأتي لينقذهم من واقعهم التعيس ومن مستقبلهم المظلم ؟ إذًا فلينتظروا فلن يأتيهم أحد . . . .

إن منقذ العرب معهم ولكنهم هجروه ونبذوه وجعلوه وراء ظهورهم . وعندما يعودون إليه فإنه سوف يرفعهم الى مركز الصدارة والقيادة للإنسانية جمعاء .

الـفـهـرس